

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

## الحقيقة المحمدية في الشعر الصوفي

### الجزائري الحديث

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير

تخصّص: بنية النصّ الصوفي في الشعر الجزائري

الحديث و المعاصر

- من إشراف الدكتورة:

بلهاشم خنانة

- من إعداد الطالبة:

طالبي سليمة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	- أ.د. محمد السعيد
مشرفا مقرر	جامعة تلمسان	- أ.د. خنانة ابن هاشم
عضوا مناقشا	جامعة مستغانم	- أ.د. محمد خطاب
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	- أ. عبد المجيد عطار
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	- أ. نصيرة شافع

السنة الجامعية : 1437هـ - 1438هـ / 2015 م - 2016م

سپهر  
چشمه  
سپهر



# كلمة شكر

نشكر الله عز وجل على ما أعاننا عليه من قصد ويسر  
ورزقنا من العلم و أعطانا من القوة و المقدرة ما نحتاجه  
للوصول إلى هذا العمل المتواضع.

بكل عرفان أقدم عظيم شكري و خالص تقديري و امتناني  
لأستاذتي الدكتورة " بن هاشم خنائة "  
على توجيهاتها السديدة و إرشاداتها البناءة  
و متابعتها لي طوال مراحل إنجاز البحث .  
كما أتقدم بجزيل الشكر و عظيم التقدير إلى الأساتذة الأفاضل  
أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقراءة المذكرة  
و إبداء ملاحظاتهم القيمة و الثمينة .



إهداء:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى :


\* إلى من قال الرحمن فيهما " و قل ربّي ارحمهما كما ربّيتني صغيرا  
"والدي الكريمين" أطال الله في عمرهما و حفظهما لي.

\*إليك يا من طوقتني بحبك و غمرتني بحنانك و شجعتني على المضي  
قدما نحو النجاح إليك " أمي "

\* إلى أروع مخلوق أمار لثام الجهل و أشاحه عن حياتي  
\*إلى الذي أفنى عمره في سبيل نجاحي و سعادتي و أعانني  
على نوائب الدهر سر وجودي " أبي "

\*إلى زوجي ورفيق دربي "محمد" ، وبهجة حياتي  
" ريتاج فاطمة الزهراء و أمحمد و ياسر "

\*إلى زملاء الدراسة و كلّ من قاسمني ذكرياتها الجميلة  
محبة .... و وفاء..... و تقدير



مقدمات

## - مقدمة:

و الحديث عن الحقيقة المحمدية عريض الجوانب ، واسع الأفاق عميق المسقى غزير المادة تسابقت الأقلام في حلبته و تنافست الأفكار في ديباجته ، فكتبوا ما تناهت إليه م به الأحداث و الوقائع من الحقائق فتعددت مناهجهم و تباينت مذاهبهم و جمعوا في دواوينهم ما ناء به كاهل التاريخ ، و حقيقته صلى الله عليه وسلم من الموضوعات التي اختص بها التصوف في فلسفته و الإسلام في رسالته ، و تعالى صوت الحق في ترنيمة الرسالة العظمى يرسل أشعته من الأفق ، فاتخذها الشعراء مرتكزا لترجمة ذواتهم و بث همومهم و نشر رسالتهم للأمة الإسلامية جمعاء ، ف كانت حقيقته صلى الله عليه وسلم كلمة الله الخالدة في اصطفاء منابع السرّ الأعظم من دوحة الإنسانية و استخلاص ثمرتها.

فما هو مفهوم هذه الحقيقة عند شعراء الجزائر في الشعر الحديث و المعاصر؟  
و هل تمثلت بشكل يمكن اصطلاحه بالحقيقة المحمدية كما عرفناه عند شهداء العشق الإلهي و الفكر الفلسفي الصوفي ؟ أم إنها اتخذت منحى آخر؟

و قسمت بحثي كالآتي :

- مدخل: و عنوانه ب " الحقيقة المحمدية " فقد عرفت بالحقيقة المحمدية اصطلاحا و أصول هذه النظرية.

- الفصل الأول : و تضمن ثلاث مباحث ، فالمبحث الأول و عنوانه ب " الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي فقد ألقى الضوء على أولى القوائد التي خصت النظرية في بداياتها الأولى ، و التي تحدثت عن عشقها لهذه الذات ، كما جاء للحديث عن حقيقته صلى الله عليه وسلم في إطارها الإسلامي كالحديث عن حقيقته الخلقية و الخلقية و حقيقة آل بيته و مراتبه المقدسة و غيرها من الحقائق التي كانت تؤدي معنى دينيا، أما المبحث الثاني فقد عنوانته ب " الحقيقة المحمدية في بعدها الصوفي " فخصصته في معاينة الظاهرة و تحديد مفهومها كمصطلح صوفي ، ثم تتبعت تطورها في العصور مع الإشارة إلى ظروف كلّ عصر و أهم العوامل التي جعلت الشعراء متكأ لإنشاد أشعارهم ، و مبحث ثالث و أوسمته بالحقيقة المحمدية في بعدها الفلسفي ، و قد تطرقت فيه إلى أهم المصطلحات الفلسفية التي يمكن أن تشترك في معناها مع مصطلح الدراسة ، كمصطلح الفيض ، و العقل الأول و نظرية التقابل والتسلسل.

- الفصل الثاني: فقد ضبطته ب: " الحقيقة المحمدية في الشعر الجزائري الحديث "

و قسمته إلى ثلاثة مباحث فالمبحث الأول فقد تحدثت فيه إلى عن مدى تعلق الشعراء الجزائريين لهذه الذات حتى بلغ بهم الأمر إلى العشق ، و المبحث الثاني بحثنا فيه عن معناها الظاهري الذي اعتاد على معالجته سائر الشعراء كحقيقته الخلقية و الخلقية و حقيقة آل بيته و حقيقته الشيوخ باعتبارهم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، و مبحث ثالث تحدثت فيه عن

حقيقته صلى الله عليه وسلم في بعدها الباطني من حيث كونها حقيقة عالمية و علة هذا الوجود و ، من حيث كونها حقيقة إنسانية يسعى إليها كافة البشر لبلوغ مقامها و التباهي بنورها ، و كذلك لكونها حقيقة صوفية بلغت أقصى الكمالات و المقامات عند بعضهم.

- الفصل الثالث - : فقد سار على نفس خطى الفصل الثاني مع تغيير طفيف في ظروف العصر التي دفعت الشعراء إلى التمسك بحقيقته.

- الفصل الأخير : فقد تطرقت فيه لرسم أهم الصور الجمالية لهذه الحقيقة الكمالية و فتحنا فيه باب الولوج إلى إبداعات الخطاب الصوفي و قد قسمته إلى أربعة مباحث المبحث الأول و قد درست فيه أهم التراكيب اللغوية من أسلوبية و صرفية و إسنادية و مبحث ثاني و قفت فيه عند حدود المعنى و الرمز كرمز الخمر و المرأة و النور و المعراج ، و مبحث ثالث قمت فيه بتحديد خطوط التوازي بين التجارب الشعرية الصوفية الجزائرية الحديثة و المعاصرة و التجارب القديمة ، قد حددت فيه لأهم الرموز التي جاءت في قصائد الشعراء الجزائريين و المعاصرين .

لنختم هذا الفصل لأهم ملاحظتنا على ما جاء فيه.

أما عن الصعوبات التي واجهتني فهي جمّة ، من شأنها أن تعترض أي باحث ناشئ وإنه يشفع لهذا النقص عوامل عدة يمكن أن نجملها فيما يلي:

- عمق الموضوع و تشعب مشاريعه و تعدد روافده.

- ندرة القوائد التي تحدثت عن حقيقته صلى الله عليه وسلم من منظور صوفي في الشعر الجزائري الحديث مثل بعض القوائد الصوفية للأمير التي تحدثت عن حقيقته صلى الله عليه وسلم من منظور صوفي في دواوينه بتحقيقاته الثلاث ، ممّا حملني مشقة البحث و النقيب في المصادر و المراجع ، وكذا الشعر المعاصر إلاّ النزر القليل و التي لا تشفي الغليل ، و إن كانت لا تصب في مجرى التصوف الخالص بل كانت مجرد تلميح و تأثير بأفكار الآخرين و ذلك لصعوبة تحديد ملامح القرينة الصوفية في النصّ المعاصر و لقلة زاد الكثير من الشعر في هذا المجال.

- قلة الدراسات التي تبحث عن هذه الحقيقة في الشعر الجزائري الحديث و المعاصر، إلا ما جاء في حديثهم عن الفكر الديني أو المديح النبوي ، دون الغوص في ما وراء خبايا المدح من حقائق النبوة و شمائله صلى الله عليه وسلم. لذا لم أركز على شاعر معين و إنما عمّمت البحث حول الظاهرة في دواوين شعرية متعددة.

- تشعب الموضوع و تفرعه، كونه يتلاقى فيه عالم الظاهر و الباطن.

- و المنهج المعتمد عليه في هذا البحث نابع من طبيعة العمل نفسه ، هو منهج تكاملي يجمع بين الوصفي و النفسي و التاريخي ، و ذلك لطبيعة الموضوع بأبعاده المتعددة فهو ذو بعد صوفي بالدرجة الأولى و جمالي في بقية أبعاده.

أما التاريخي فلأننا تعاقبنا في ذكر هذه النظرية عبر عصور متتالية مع ذكر أحداث و وقائع تاريخية.

و الوصفي ، لأننا أحصينا كثيرا من القيم العليا و المثل التي تغنى به عليه السلام .

و المنهج النفسي ، لتوضيح طبيعة النزعة و الحالة التي انتابت الشعراء الصوفية .

أما مراجع البحث فهي كثيرة تنوعت منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي ، فقد اعتمدت في المدخل و الفصل الأول على مصادر العصر القديم من العصر الجاهلي إلى غاية العهد العثماني و بعض كتب الفلسفة الصوفية و الدراسات الصوفية خاصة في العصر العباسي أما في العصر الحديث و المعاصر فقد ارتكزت على بعض المصادر الصوفية ككتاب " المواقف في التصوف " للأمير عبد القادر الجزائري خاصة في حديثي عن فلسفته الوجودية ، و بعض الدراسات المعاصرة للشعر الصوفي مثل كتاب " الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " لمحمد بن عمارة ، " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " لياسين بن عبيد كتاب " الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر " لسعيد بوسقطة و دراسات أمانة بلعلي في كتابها " الحركة التواصلية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة " و كتابها " أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة " و غيرها من الكتب .

- كما أقرّ أنّ هذا البحث قد تطرق إليه العديد من الباحثين في القديم ، و في الحديث

بعض الدراسات حول شخصيته عليه السلام في الشعر من ذلك ما ألفه الدكتور عبد الله الركبي " الشعر الديني الجزائري الحديث " في العصر الحديث و ياسين بن عبيد في كتابه " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " في العصر الحاضر و حلمي القاعود في كتابه " محمد صلى الله عليه وآله في الشعر الحديث " .

و لا أدعي أنني أحطت بجميع جوانب الموضوع لأنّه لا يخلو أي عمل إنساني من النقص، و مع هذا فإنّ البحث لا يزال بحاجة إلى النظر و التدقيق و الدراسة و التحقيق و أمل أن أكون قد وفقت في هذا الجهد المتواضع و أنني كشفت عن بعض ما التبس .

كما أود أن أوجه شكري إلى أستاذتي " خنثة ابن هاشم " التي تفضلت بقبول الإشراف على هذه المذكرة و مصاحبته و متابعتها لنا بالقبول و النصح و الإرشاد و لأستاذتي عبد الحفيظ بورديم ، كما يجدر بي التنويه بأستاذة التعليم الثانوي و أستاذة جامعة قسنطينة و أخص بالذكر الأستاذ يوسف و غليسي ، و إلى الأساتذة الأفاضل الذين تجشّموا قراءة هذا البحث بغية إقامة هذا البحث إلى ما فيه من اعوجاج و إكمال ما فيه من نقص حتى يخرج في قالب يقرّ به ممّا يليق به من كمال .

و الله و لي التوفيق

2015-11-02



مدخل

# مدخل :

## 1 - تعريف الحقيقة المحمدية:

- في الاصطلاح القديم

- في الاصطلاح الحديث

## 2- أصول نظرية الحقيقة المحمدية:

- من القرآن الكريم

- من الحديث الشريف

## - مدخل :

حفلت مكتبات العالم كما و كيفا ، في شرق الأرض و غربها، فكتبوا عن حقيقته صلى الله عليه وسلم ما تناهت إليهم به الأحداث و الوقائع من الحقائق مما يفوق الحصر و الحساب ، و جمعوا في دواوينهم الكثير مما ناء به كاهل التاريخ ، فقد دفعتم أشواق نوره إلى الغوص في أعماق خصائص رسالته و راحوا يستبشرون به .

و نظرية الحقيقة المحمدية قديمة قدم التصوف نفسه وتناولها أوائل المتصوفة و متأخروهم و عبروا عنها في كتاباتهم وأدبياتهم ولم يقصروا جهدا في ذلك بل كانت من بين الأسس التي انبنت عليها نظرياتهم الفلسفية. ولهذا فقد تغنوا بها في أشعارهم وذكروها في مناجاتهم وحببوها في تصلياتهم.(1)

- في الاصطلاح القديم : و أول من قال بالحقيقة المحمدية هو سهل التستري (2) الذي وضع أول تصور متكامل لتقدم خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الصوفي " و أرسى دعائمها الحلج تلميذ التستري ، بل كان له الأثر في تحديث هذا التصور.(3)

و محيي الدين ابن عربي (4) يربطها بفلسفة وحدة الوجود حيث يقول: " إن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف والتماثل والتقابل... " (5) . و هي العماد الذي قامت عليه قبة الوجود، إذ يقول: " فإله لما خلق الخلق جعلهم أصنافا و جعل في صنف خيارا واختار من الخيار خواص وهم المؤمنون ، و اختار من المؤمنون خواص وهم الأولياء ، و اختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الأنبياء واختار من الخلاصة نقاوة ، وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم ، و اختار من النقاوة شردمة قليلين وهم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم ، و اصطفى واحدا من خلقه هو منهم و ليس منهم ، هو المهيم على جميع الخلائق جعله الله عمادا أقام عليه قبة الوجود و جعله الله أعلى المظاهر و أسناها صح له المقام تعيينا وتعريفا فعمله قبل وجود طينة البشر و هو محمد صلى الله عليه وسلم .(6)

فالحقيقة المحمدية عند ابن عربي لها علاقة بوحدة الوجود ، و لا غرو في ذلك ، فإذا كان يرى الوجود كله حق فلا بد أن تكون الحقيقة تعني الوصول إلى هذه الوحدة وكل ما في " الوجود كله حقيقة " (7)

و من هذا المنطلق أقام الصوفية نظرية الحقيقة المحمدية ليبنوا عليها مبدأهم في وحدة الوجود لجمعها بين الضدين. " (8)

- 1 - هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع أحد أئمة القوم و علمائهم ، و لد في تستر بالأهواز سنة 200هـ ، توفي سنة 283هـ .
- 2- و فيق سلطين : " الشعر الصوفي بين الانفصال والتوحد " مصر العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 1995 ، ص 113 .
- 3 - المرجع نفسه : ص114
- 4- وهو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية ولد سنة 560هـ رئيس مدرسة وحدة الوجود ، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، استقر في دمشق حيث مات ودفن سنة 638 هـ
- 5- ينظر لابن عربي: " فصوص الحكم " التعليق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1980 ، ص 5355
- 6 - زكي مبارك : " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " ج 1 ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، دت ، دط ، ص 48
- 7- ينظر محيي الدين بن عربي : " الفتوحات المكية " ج2 ، تحقيق: عثمان يحيى ، الهيئة المصرية العامة ، للكتاب ، القاهرة ، ط2، 1985 ص 976 .
- 8- محمد الأنور البلتاجي: " الله توحيد ووحدة " دار التوفيق النموذجية للطباعة و الجمع الأولى، جامع الأزهر ، ط1، 1986، ص 154

و يبدو أن هذا التعريف يجعل النبي ﷺ أصل كل شيء وأصل الموجودات لا فقط نورا أزليا ظهر مع خلق آدم أو قبله ولنوره سجدت الملائكة لما تشعشع في جبين آدم وإنما تجاوز ذلك ليقول بأن محمد ﷺ أصل الكون.

كما نجد عبد الكريم الجيلي (1) و هو الذي استوت عنده نظرية الحقيقة المحمدية وربطها بالإنسان الكامل فهو يرى أن سيدنا ﷺ محمد عبد الله ورسوله المعظم ونبيّه المكرّم وسابقه الأقدم وصراطه الأفوم مجلى مرآة الذات ومنتهى الأسماء والصفات، مهبط أنوار الجبروت ومنزل أسرار الملكوت ومجمع حقائق اللاهوت ومنبع دقائق الناسوت. " (2)

وهي عند عبد الرزاق القاشاني (3): " أصل جميع الأسماء الإلهية المضاف إليها الربوبية و معنى كون هذه الحقيقة المحمدية أي أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى و لحقيقة ذلك المعنى و تلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق " (4) و يقول أيضا: " هي عرش الروح الأعظم الذي استوعب القرآن العظيم حين تجلّى الله عليه بالذات لأنّ الله لا يتجلّى بالذات إلاّ عليه لأنّه التّمودج الأول الأعظم ، و لأنّه خليفة الله في الأرض ولأنّ الخليفة يحاكي المتخلف في الصّفات بل هو مظهر الحقّ فيكون الإسناد إليه . " (5)

### - في الاصطلاح الحديث:

تعرفها سعاد الحكيم (6) بقولها: " الحدّ الجامع الفاصل بين الحق و العالم " (7) و هذه الحقيقة عندها مرادفة للإنسان الكامل التي هي رسول الله ﷺ :

الحقيقة المحمدية = الإنسان الكامل = الرسول ﷺ

و تقول أيضا: " وهي كما يراها شيخنا الأكبر في وحدته واقع الوجود الذي يراه والوصول إلى الحقيقة هو الشهود لتلك الوحدة الوجودية ، إذن الحقيقة هي الوصول إلى وحدة الوجود " . (8)

و يعرفها أيمن حمدي في قاموسه " المصطلحات الصوفية " بقوله: " هي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب ، و ليس عند الله من خلقه موجود قبلها . (9)

و هي عند الأمير عبد القادر الجزائري (10): " أول مخلوق تعيّن في الحضرة العلمية منه جميع ما في العالم الكبير و الصغير ، بحيث لا يخلوا منها صورة من صور هذا العالم

1 - هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة الجيلي ، ولد سنة 767هـ ببغداد و توفي سنة 826هـ بمدينة زبيد باليمن

2- عبد الكريم الجيلي: " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " حققه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 294.

3 - هو عبد الرزاق جمال الدين إسماعيل البغدادي العراقي محمد القاشاني (ت: 735هـ)

4 - عبد الرزاق القاشاني: " إشارات أهل الإلهام " ص 195، نقلا عن محمد بن بريكة: " موسوعة الطرق الصوفية - الإيضاح و البيان

لمصطلح أهل العرفان - المعجم الصغير " ج 1 ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007 ، ص 320

5 - عبد الرزاق القاشاني: " اصطلاحات الصوفية " دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1971 ، ص 87

6 - الدكتور سعاد الحكيم هي أستاذة علم التصوف بكلية الآداب بالجامعة اللبنانية .

7- سعاد الحكيم: " المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة " مطبعة دندرة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 161

8 - المرجع نفسه : ص 354

9 - أيمن حمدي: " قاموس المصطلحات الصوفية " دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، 2000 ، ص 56.

10 - هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري ولد سنة 1807م في القبطنة و توفي سنة ، و لما توفي والده محي الدين 1833، تولى مشيخة الطريقة القادرية و هو حينذاك زعيم الجهاد و عمره 27 سنة.

وهذا المفهوم يحتل الإنسان موقفا وجوديا في هذا العالم لا يماثله فيه موجود من موجوداته كائنا ما كانت صورته ، و هو و إن كان له ذلك فليس إلا لكون حضرة الجميع و الوجود مقصورة عليه وحده بوصفه حقيقة الموجودات فهي باطنه ، و هي أيضا ظاهره . " (1)

و يقول أيضا : " و سماه بالحقيقة المحمدية لكون محمد ﷺ أكمل مظاهرها على أنه ما في الجنس الإنساني أحد إلا و هو مظهر لهذه الحقيقة ، و ما زال الله يخلق الموجودات من الحقيقة المحمدية علوية و سفلية ، لطيفة و مركبة ، و كلما خلق قبضها إلى صورتها الأولى حتى انتهى الأمر إلى الإنسان ، فخلقه منها و لم يقبضها ، فكان الإنسان صورة حضرة الجمع و الوجود لأنها بسطت فيها و لم تنقبض عنه ، ثم خلق الله العماء الذي كان فيه الربّ .... " (2)

و يمكن أن نجمع هذه التعاريف التي تدور في فلكين اثنين في نقطتين اثنتين وهما:  
1- النبي محمد ﷺ نور أزلي قديم وجد قبل الأكوان وقبل آدم ﷺ ومن هذا النور انبثق الأنبياء.  
2- كائن حيّ محدث وجد في زمان و مكان محددين .

### - أصول نظرية الحقيقة المحمدية:

أ- ذات أصول إسلامية : ذهب بعض المستشرقين إلى ردّ هذه النظرية إلى أصول إسلامية ، فالصوفية استمدوا نظرياتهم في الحقيقة المحمدية من القرآن أولا ، و من السنة نبوية الشريفة و بعض الأحاديث القدسية ثانيا ، فمن :

أ - القرآن : و من الذين ردّوا أصول هذه النظرية إلى القرآن الكريم سهل التنسري فهو يرى أنّ القرآن الكريم هو المصدر الجوهرى للمصطلح الصوفي و نواته الأولى فهو يعد أول ما ظهرت على يديه نظرية الحقيقة المحمدية في نهاية القرن الثاني هجري و ذلك من خلال تفسيره الصوفي للقرآن و كتاباته التنظيرية كرسالة الحروف خصوصا في " فص يس " . (3)

و من فلاسفة الإسلام الذين ردّوا أصول هذه النظرية إلى القرآن الكريم حجة الإسلام الإمام الغزالي (4) فالرسول ﷺ عنده مخلوق نوراني بدليل القرآن الكريم لقوله تعالى: **كُنَّا بِهَا نَبِيٌّ**

**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾** (5)

فالعزالي يرى أنّ السراج المنير هو سراج النبي محمد ﷺ و نوره ، فهو الأخرى بأن يسمى بالسراج المنير لفيضان أنواره إلى غيره ، و هذه الخاصية توجد للروح القدسي النبوي إذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلائق (6) فالعالم بأسره مشحون بالأنوار الفائضة

1- الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار و المعارف " ج3 ، موقف 370 ، تحقيق: عبد الباقي مفتاح ، ج1 ، دار الهدى للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2005 ، ص 1172 .  
2 - المصدر نفسه : موقف : 365 ، ج3 ، ص 1102 .  
3 - محمد بن عمارة : " الشعر و التصوف - الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " شركة النشر و التوزيع ، المغرب ، ط1 ، 2001 ، ص 116  
4 - أبو حامد محمد بن احمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام ، ولد بطوس من إقليم خراسان ، سنة 450هـ في قرية غزال بضواحي طوس. و هي بيئة كثرت فيها الآراء و المذاهب مثل علم الكلام و الفلسفة و الباطنية ، و التصوف و توفي سنة 505هـ .  
5 - سورة الأحزاب: الآية 46 .  
6 - محمد الغزالي : " مشكاة الأنوار " تحقيق : بديع السيد الأحام ، دار قتيبية ، بيروت ، ط 1 ، 1990 ، ص 28

بعضها من بعض فيضان النور من سراج الروح النبوي ، و الأنوار النبوية مقتبسة من أنوار السراج النبوي ، ثم ترتقي في جملتها إلى نور الأنوار و معدنها و منبعها الأول. (1)

و قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (2) فالله تعالى في هذه الآية جعل نور محمد ﷺ أقوى من نور الشمس ، فكما أن الشمس في عالم الأجسام تفيد النور لغيرها و لا تستفيدة من غيرها فكذا نفس النبي تفيد الأنوار العقلية لسائر الأنفس البشرية و لا تستفيد النور العقلي من شيء من الأنفس البشرية (3) فلذلك وصفه الله تعالى بأنه سراجا منيرا حيث قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (4)

و يزيد في شرحها في كتابه " هياكل النور " فيرى أن النبي ﷺ والرسل و الأنبياء من قبله يفيض نورهم على الناس فهو قد حمل النور، و به أضاءت روحه كل من تبعه من المخلوقات و لما كان النبي واسطة بين الخلق و الخالق ، بين نور النور و بين الأشياء التي انعكس على صفحته - هذا النور- فإنه ﷺ مصدر الفيض المتعارف و الأنوار. (5)

و قوله أيضا : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (6)

فالغزالي مثلا يشرح الآية الكريمة فيقول: و هو الله تعالى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإذا كانت هذه حقيقة النبي في خالص جوهرها نورا محضا ، فإن هذه الحقيقة مستورة و منطوية عن هؤلاء الذين غلظت أكنة قلوبهم و حبست نفوسهم و غلظت طباعهم و أعمتهم ماديتهم عن إدراك هذا النور (7) ، و النبي ﷺ يكاد زيته يضيء و لو لم تمسسه نار لكن النار قد مسته بالفعل و أضاءته ، فإذا كان سراجا منيرا فإن من أخذ عنه هذا النور يعدّ نارا فهذه النار هي مصدر كل الأنوار التي توجد في العالم الأرضي. (8) ففي قوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ شبهوا نوره ﷺ بالمصباح فلم يكن أقرب إليه تعالى في ذلك النور إلا حقيقة محمد ﷺ. (9)

- 1 - محمد مغنم: " موسوعة سفينة الراغب و دفيئة المطالب " تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص 69
- 2 - سورة النساء : الآية 174
- 3 - محمد مغنم: " موسوعة سفينة الراغب و دفيئة المطالب " ص 67
- 4 - سورة الفرقان: الآية 61
- 5- فيصل عون : " التصوف الإسلامي الطريق و الرجال " دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، 1983 ، ص 244
- 6- سورة النور: الآية 35
- 7- عامر النجار: " الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها و روادها " دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، دت ، ص36
- 8- فيصل عون: " التصوف الإسلامي الطريق و الرجال " ص 243
- 9- عائض بن سعد الدوسري: " الحقيقة المحمدية أو الأفلطونية المحدثة " المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 79

و ابن عربي يرى أنّ محمّد ﷺ نور من عند الله و يستشهد بقوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (1) ، فالنور الذي جاء من عند الله هو نور محمّد ﷺ فحقيقته بهذا المفهوم هي مصباح ظلمة الكون. (2)

و من الصوفية الذين ردّوا أصولها إلى القرآن عبد الكريم الجيلي حيث يقول شارحا قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ﴾ و من مشكاة النور المحمّدي استمد الأنبياء السابقين عليه فكان ﷺ أول الخلق الذي أخذ الأنبياء من حقيقته الأزلية ، و كان آخر المرسلين الذي أسند به باب الرسالات السماوية ، ليأتي بعد الكمل من الأولياء الذين هم ورثة النور المحمّدي...." (3)

و في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (4) ، فنون هو نون الأزلية الذي اخترع منه الأكوان كلّها فجعل ذلك لمحمّد ﷺ ، فلذلك قيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (5) أي على النور الذي خصّصت به في الأزل. (6)

و يشير النبّهاني (7) إلى قدم النور المحمّدي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (8) و لم يقل سنعطيك ليدل أن هذا الإعطاء حصل في الزمان الماضي ، و لا شك أن ما كان في الماضي عزيز مرعي الجانب أشرف ممن سيصير. (9)

و في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (10) ، و التفضيل كما قال القاضي عياض في هذه الآية لأنّه بعث إلى العرب و العجم (11) و ليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمّد ﷺ مثلها " (12) يعني أنّ محمّدا رفع من ثلاثة أوجه كالمعراج و السيادة على جميع البشر و المعجزات " (13) و قوله أيضا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا

1 - سورة المائدة: الآية 15.

2 - محيي الدين بن عربي: " شجرة الكون " تحقيق: رياض عبد الله ، دار القلم ، بيروت ، ط2، 1985 ، ص 62

3 - يوسف زيدان: " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 210.

4 - سورة القلم: الآية 01

5 - سورة القلم: الآية 04

6 - جعفر الصادق: " كامل التفسير الصوفي العرفاني " تحقيق: علي زيعور ، دار البراق ، بيروت، 2002، ط1، ص 172

7 - هو العلامة يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبّهاني ، شاعر و أديب و صوفي من فلسطين ولد سنة 1265هـ توفي سنة 1350هـ.

8 - سورة الكوثر: الآية 10

9 - يوسف النبّهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ضبطه: الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 ، 2003 ، ص 232.

10 - سورة البقرة: الآية 253

11 - القاضي أبي الفضل عياض: " الشفا بتعريف بحقوق المصطفى " دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط1، 2003، ص 40

12 - المرجع نفسه: ص 41

13 - يوسف النبّهاني: " الأنوار المحمدية " ص 227.

بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ<sup>ط</sup> (1) معناه أن مراتب الأنبياء و الرسل متفاوتة و المراد بالترتيب  
كما قال القاضي عياض: " أن تكون آياته و معجزاته أظهر و أشهر و أن تكون أمته أزكى  
و أكثر ، و أن يكون في ذاته أفضل و أظهر ، و فضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى  
به من كرامته و تفضيله بكلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من الطافه. " (2)

و أقسم الله بالقرآن المحكم أن محمداً <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> من المرسلين ، فانه لم يقسم على رسالة أحد  
منهم على كثرتهم إلا على رسالة رسول الله محمد ، فقال : ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝  
إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ (3) و قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ  
وَحِكْمَةٍ لِيَعْلَمُوا أَنْ رَسُولَهُمْ وَنُبُوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة و ليعلموا  
أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم و رسولهم ليؤمنون به و لينصرتهم ، لذلك ظهر في الآخرة جميع  
الأنبياء تحت لوائه. " (4) كما فسرها بعض الصوفية أن الله عز و جل صور آدم <sup>عليه السلام</sup> طينا  
استخرج و أخذ منه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> و نبى و أخذ منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهر آدم حتى يخرج وقت  
خروجه. (5)

كما أقسم بحياته لقوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (6) ففي هذا القسم  
تشريف لعظيم مقامه و قدره ، فلم يقسم بحياة أحد غيره ، و هذا يدل على أنه أكرم خلق على  
الله. " (7) و قرن طاعته بطاعته لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (8)  
و قوله أيضا: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ (9) ، و قوله أيضا: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴾ (10) و قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (11) ، و لعلّ هذا ما نجده في رسائل ابن  
سبعين في تحديده لمفهوم الكمال الإنساني من ذلك رسالته " الكمال الإنساني في القرب من  
الله " فالكمال عنده هو رؤية الحق تعالى بالتعري عن المادة والإمعان في تخيل الاتحاد بالله  
و القرب من الله لا يكون إلا بقدر المعرفة به والطاعة له ومعرفة لا تكون إلا بالجوهر  
الملكي المفارق ، إذ الجسم لا يعلم لأنه ميت بالطبع ، والعمل الصالح هو أخلاق الذوات

- 
- 1 - سورة الإسراء : الآية
  - 2 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 22
  - 3 - سورة يس: الأيتان 1 - 3
  - 4 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 234.
  - 5 - محمد يوسف الصالحي : " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج 1 ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، مطابع الأهرام  
القاهرة ، ط 1 ، 1997 ، ص 101
  - 6- سورة الحجر : الآية 72.
  - 7 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 25.
  - 8 - سورة الأنفال: الآية 20
  - 9 - سورة آل عمران: الآية 32
  - 10 - سورة آل عمران: الآية 132
  - 11 - سورة النساء: الآية



المُجَرَّدَة إذ الخير هو طبيعته فتوحيد الله هو ذاتها والسعادة في التوحيد والعمل الصالح والخير المحض والسعادة والكمال في الذات المُجَرَّدَة بالذات فافهم الشريعة على هذا الوجه وتكون من السعداء الصوفية الجلَّة (1) و الإيمان به هو الإيمان برسوله الكريم لقوله تعالى:

﴿ اٰمِنُوۤا بِاللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖۤ وَاَنْفِقُوۡا مِمَّا جَعَلَكُمۡ مُّسْتَخْلَفِيۡنَ فِيۡهِۚ فَاَلَّذِيۡنَ ءَاٰمَنُوۡا مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوۡا هُمۡ اَجْرٌ كَبِيۡرٌ ﴿٧﴾

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوۡلِ يَدْعُوۡكُمْ لِتُؤْمِنُوۡا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمۡ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيۡنَ ﴿٢﴾

و قوله أيضا : ﴿ فَآمِنُوۡا بِاللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖۤ وَالنُّوۡرِ الَّذِيۡ اُنۡزَلۡنَاۤ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوۡنَ خَبِيۡرٌ ﴿٣﴾ و قوله:

﴿ قُلۡ يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّيۡ رَسُوۡلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمۡ جَمِيۡعًا الَّذِيۡ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرْضِۚ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ يُحۡيِۤءُ وَيُمِيۡتُۚ فَآمِنُوۡا بِاللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖۤ اَلنَّبِيِّ الَّذِيۡ اُتِيَ الَّذِيۡ يُوۡمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمٰتِهٖۤ وَاَتَّبِعُوۡهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُوۡنَ ﴿٤﴾ فلا إيمان لمن لم يكن هواه تبعا لما جاء به من الهدى و العلم . و من

الإيمان توقيره و تعزيره ، فمن لا يحب الرسول ﷺ و لا يوقره فليس بمؤمن لقوله تعالى

: ﴿ اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَهِدًاۙ وَمُبَشِّرًاۙ وَنَذِيۡرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوۡا بِاللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖۤ وَتَعَزِّرُوۡهُ وَتُوقِّرُوۡهُ وَتَسَبِّحُوۡهُ بُكْرَةً

وَأَصِيۡلًا ﴿٥﴾ و قوله أيضا: ﴿ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِۙ بَشِيۡرًاۙ وَنَذِيۡرًا ﴿٦﴾ ، و قوله أيضا:

و قوله عز من قائل: ﴿ فَاِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِيۡ شَيْءٍ فَرُدُّوۡهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوۡلِۚ ﴿٧﴾

و يستشهد عبد الكريم الجيلي على قدم خلقه بقوله تعالى : ﴿ اِنَّ اللّٰهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّوۡنَ عَلٰى

النَّبِيِّۙ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۡنَ ءَاٰمَنُوۡا صَلُّوۡا عَلَیْهِ وَسَلِّمُوۡا تَسْلِيۡمًا ﴿٨﴾ ، فهو يرى أنّ صلاة الله على النبي

غير مرهونة بزمان معين ، فكان الفعل " يصلون " على صيغة المضارع ، مما يعني أنّ

صلاة الله على نبيه - وصلاة الملائكة عليه لا تنقطع في زمن ما ، بل هي دائمة مادام

الوجود. (9) و كذلك في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَاِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيۡ جَاعِلٌ فِیۡ الْاَرْضِ

خٰلِفَةً ﴿١٠﴾

1- عبد الرحمن بدوي: "رسائل ابن سبعين" الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، دط، 1965، ص58-59

2 - سورة الحديد: الأيتان 07:08

3 - سورة التغابن: الآية 08.

4 - سورة الأعراف: الآية 158

5 - سورة الفتح: الآية 08-09

6 - سورة سبأ: الآية 28

7 - سورة النساء: الآية 59

8 - سورة الأحزاب: الآية 56

9- يوسف زيدان: "عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية" ص 210.

10- سورة البقرة: الآية 29 .

فالصوفية ارتكزوا على هذه الآية في شرحهم لمفهوم الخلافة ، فهذه الخلافة هي روح الخلافة المحمدية و أصلها و مبدئها ، منها بدأ أصل الخلافة في العوالم كلها بل هي أصل الخلافة و الخليفة والمستخلف إليه ، و هذه الخلافة ظهرت تمام الظهور في حضرة اسم الله الأعظم ، ربّ الحقيقة المطلقة المحمدية الظاهرة في الحضرة لاتحاد الظاهر و المظهر. (1) فهو صورة الخلق و خلافته في الأرض ، و الخليفة لا بد أن يكون ظاهر بصورة مستخلفة هي أسماؤه و صفاته ، و الخليفة لا يكون إلا واحدا في كلّ زمان (2) وبذلك حققه الله بحقائق الخلافة و النيابة و أوكل إليه تصريف شؤون هذا العالم .

و كذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (3) ، فالله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، إنما هو السجود لحقيقته التي كانت متجسدة في أكرم مخلوق آدمي ، فكان آدم عليه السلام أول مخلوق فسيدينا محمد عليه السلام هو المقصود و آدم الوسيلة ، و أما السجود له لأجل أن نور محمد عليه السلام كان في جبهته. (4)

و من عظيم قدره أنّ الله سبحانه و تعالى نادى جميع الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليهم بأسمائهم التي سمّوا بها إلا هو عليه السلام خاطبه بالنبوة و الرسالة فاختر له أحب أسمائه و أشرف صفاته لقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيَا وَدَاعِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ و دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا ﴿ (5) و قوله أيضا: ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (6) و قوله : ﴿ يَتَأْتِيَا الرَّسُولَ بِلَغٍّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (7) و قوله أيضا: ﴿ يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ (8) أي يا سيّد لذلك قال عليه السلام: " أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة " (9)

و لم يمدح بذلك نفسه و لكنّه أخبر عن معنى مخاطبة الحقّ إياه ب " يس " (10) فالسيّد إذا نادى عبده بأفضل ما أوجد لهم من الأوصاف العلية و الأخلاق السنية ، و دعا آخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف و لا بخلق من الأخلاق ، فهذا دليل على أنّ منزلة من دعاه بأفضل الأسماء و الأوصاف أعز عليه و أقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم (11) وهذا من التي أطف الإشارات لإظهار عظيم قدره و جلال فضله ، لما في ذلك الفخامة و الكرامة اختص بها عن سائرهم وإشعارا بعلو المقدار وإعلاما بالترفضيل عليهم. (12) فما هذا إلا دليل على التعظيم و الاحترام .

- 1 - الإمام الخميني: " مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية " مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص 45 .
- 2- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 131
- 3- سورة البقرة : الآية 34
- 4- يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 192.
- 5- سورة الأحزاب: الآية 46
- 6- سورة الأنفال : الآية 64
- 7 - سورة المائدة : الآية 67
- 8- سورة يس: الآية 01- 02
- 9- مسلم: " الجامع الصحيح " ج7 ، باب تفضيل نبينا محمد عليه السلام على جميع الخلائق ، ص 59
- 10- جعفر الصادق: " كامل التفسير العرفاني " ص 149
- 11 - يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية " ص 234
- 12 - محمد علي الصابوني: " النبوة و الأنبياء " دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، دط ، ص 20 و ما بعدها

و يكفي أنّ الله عز و جلّ خصّه بمدح قرآني فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ

وَزَّرَكَ ﴿ أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿ (1) ، ففي هذه الآية تقرير من الله عز

و جل على عظيم نعمه عليه و شريف منزلته عنده ، و جليل رتبته ، بأن شرح قلبه للإيمان و رفع ذكره من بين الأنبياء. (2) أي جعلت ذكرك ذكري ، و جعلت تمام الإيمان بذكرك معي (3) فرفع ذكره في الدنيا و الآخرة ، فليس خطيب و لا متشهد و لا صاحب صلاة إلا يقول لا إله إلا الله محمّدا رسول الله " (4) هي و جعل رسالته عامة لما جاء به من الحقّ من عند ربّه لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (5) فهذا الاختيار للحبيب محمّد ﷺ

من سائر الأنبياء و المرسلين لعلمه عن عجز الخلق عن طاعته فأقام بينهم و بينه مخلوقا من جنسهم في الصورة و ألبسه من نعمته ، و أخرج به إلى الخلق (6) فأرسل فيهم حقيقة أيقظتهم من غمرات الغفلة ، فكانت سرّ الله و كلمته الخالدة .

فهذه الآيات بنو عليها نظريتهم في الحقيقة المحمّدية .

- من الحديث : و يستند الصوفية في تأييد فكرة أسبقية الوجود المحمّدي على وجود الكائنات على بعض الأحاديث التي لم تسلم من الشك و التجريح منها:

فمن محمد بن جعفر حدّثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده و والده و النّاس أجمعين " (7)

فالصوفية ارتكزوا عليه لتبيان حبّهم لهذه الذات إلى حدّ الفناء ، من ذلك ما نجده عند التستري فهو لم يستوحى في الحقيقة المحمّدية إلاّ الحبّ الفياض للرسول ﷺ حيث يقول: " من لم ير نفسه في الرسول ﷺ ، و لم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال لم يذوق حلاوة سنته بحال " (8) ، فلا إيمان لمن لم يكن محمّد ﷺ أحبّ إليه من نفسه و ولده و والديه و النّاس أجمعين ، و لا إيمان لمن لم يكن هواه تبعا لما جاء به من الهدى و العلم كما أحبّوا مرضاة له و طمعا في الحشر معه لقوله عليه ﷺ: " المرء مع من أحبّ. " (9)

و من الصوفية الذين عبروا عن هذا المحبة النبوية ، ما نجده في حائية السهروردي (10) :

هي خمره الحبّ القديم و مُنتهى غرض النديم فنعم ذلك الرّاح

1 - سورة الشرح: الآية 1 - 4

2 - القاضي عياض: " الشفا " ص 24

3 - ينظر يوسف النبهاني: " الأنوار المحمّدية " ص 230 - 231

4 - المرجع نفسه: ص 231

5 - سورة الأنعام: الآية 124

6 - جعفر الصادق: " كامل التفسير الصوفي العرفاني " ص 95

7 - أبو الحجاج مسلم بن الحجاج بن مسلم: " جامع الصحيح " كتاب الإيمان - باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الأهل و الولد ، رقم 1، ج 1 ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1955 ، ص 67

8 - عامر النجار: " الطرق الصوفية في مصر " ص 116.

9 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: " الصحيح " تحقيق: محب الدين الخطيب ، ج4 ، كتاب الأدب ، باب علامة حبّ الله عز و جلّ ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط1 ، 1400هـ ، ص 123

10 - المقتول على يد سلطة الحكم الأيوبي في حلب سنة 587 هـ - 1191م عقب مناقشة بينه و بين حكام حلب في مجلس السلطان الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي ، و سبب قتله قوله أنّ الله قادرا على أن يخلق نبيا بعد محمد :

و عليه منها خِلعةٌ ووشاحُ  
و لها بذلك رنةٌ و نياحُ (1)

هي أسكرت في الخلد آدمَ أولاً  
و كذلك نُوح في السفينة أسكرت

و حديث ما رواه جابر بن عبد الله أنه قال: " قلت يا رسول الله بأبي أنت و أمي أخبرني عن أول شيء خلق الله قبل الأشياء ، قال : يا جابر إنَّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقوة ، حيث شاء الله ، و لم يكن في ذلك لوح و لا قلم و لا جنة و لا نار و لا أرض و لا قمر و لا جني و لا إنسي ... " (2) فهذا الحديث يرى أن حقيقته عالي رتبة هي أول شيء خلق الله. (3)

استشهد الصوفية على هذا الحديث في بناء نظرية النور المحمّدي متخذة مصطلحات عدة بدءاً بالحلاج ، فقد اصطلح عليها " النور المحمّدي " فهو يعد أول من أدخل فكرة النور المحمّدي إلى التصوف ، من ذلك ما نجده في " الطواسين " فهو يرى أن محمّد عالي رتبة أول مخلوق عن طريق التجلي الإلهي للعالم بالقوة قبل كل شيء فنوره مبدأ الظهور وهذا ما يجعله النور الذي يصدر عن الله مباشرة. (4)

يقول معبراً عن حقيقته التي تجلت في الأنبياء منذ القدم ، إذ يقول

معلق الوحي في مشكاة تأمور  
لخاطري نفخ إسرافيل في الصور  
رأيت في غيبتي موسى على الطور (5)

عقد النبوة مصباح من النور  
بالله ينفخ نفخ الروح في جلدي  
إذا تجلّى لطوري أن يكلمني

و أكثر ما نجد هذه الفكرة تداولاً في القرن الرابع عند فلاسفة الإسلام ، من ذلك ما نجده عند الفارابي (6) و الكندي و ابن سينا و ابن رشد في نظريتهم الفيضية أو نظرية الاتصال و هذا النور عندهم مماثل للنور الإلهي. (7)

و النظرية الفيضية حسب رأيهم تتم بشكل سلسلة مترابطة الحلقات متتابعة المراتب فأفاض عن العقل الأول عقل ثاني مثله ، و يعقل الأول فيلزم وجود السماء الأولى و يعقل ذاته فيصدر عنه عقل ثالث و يعقل عنه وجود كرة الكواكب و هكذا تستمر عملية الفيض حتى تصل إلى فلك القمر، و بعده يصدر عقل لا يلزم عنه جرم سماوي بل تصدر عنه هيولي العالم الأرضي ، و هذا العقل العاشر هو المسمى بالعقل الفعال. (8) الذي يجعل الفارابي

1 - يوسف زيدان : " شعراء الصوفية المجهولين " دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1996 ، ص 33

2 - إسماعيل العجلوني: " كشف الخفاء و مزيل الإلباس " ج1 ، حديث رقم 826 ، تصحيح و تعليق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط4 ، 1985 ، ص 31 و هو حديث موضوع ، مكنوب على النبي صلى الله عليه وسلم .

4- فائمة الحديث جميعاً متفقون على أنه حديث موضوع ، وأنه مخالف لما جاء به القرآن الكريم من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، والله عز و جل يعلم نيوته ، فهو بشر لا يختلف في تكوينه البشري عن الناس لقوله تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُم إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " سورة الكهف: الآية 110 ، و لا يجوز وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه نور ، بل هذا من الغلو و الإطراء الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم : " ولا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله و رسوله " البخاري : " الصحيح " كتاب الأنبياء ، باب و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ، رقم : 3263 ، ج1 ، ص 1271 .

4 - قاسم محمد عباس: " الحلاج أو الأعمال الكاملة " رياض الدين للكتب والنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2002 ، ص 162

5 - المرجع نفسه : ص 307

6 - أبو نصر محمد بن محمد الفارابي ، ولد في مدينة وسيج ، لقب بالمعلم الثاني بعد المعلم الأول أرسطو ولد بمدينة فاراب ببلاد ما وراء النهر ، من أصل تركي ، توفي سنة 339 هـ كذلك في شرحه لنظرية الخلق .

7 - جان تسوفيلي: " التصوف و الصوفية " ترجمة : عبد القادر غنيمي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1999 ، ط ، ص 48.

8 - " الفلسفة العربية مشكلات و حلول " مؤسسة عز الدين ، بيروت، ط ، 1994 ، ص 134

منزلته من الإنسان منزلة الشمس من البصر ، فكما أن الشمس يعطي البصر الضوء فيبصر  
البصر بالضوء الذي استفاد من الشمس مبصرا بالفعل بعد أن كان مبصرا بالقوة. (1)

كما عبر عنها ابن سينا (2) فقد شرحها من خلال نظرية الخلق ، حيث يقول : " أن  
صدور الكثرة عن الواحد تقتضي تكثر الجهات فيه ، و بما أن تكثر الجهات في الله ممتنع  
لأنه واحد متعال عن أن يشمل على حيثيات و اعتبارات كثيرة لذلك صدر عنه إلا العقل  
الأول، أما هذا العقل الأول فهو متعدد الجهات و الاعترافات " (3)، و النفوس البشرية عنده  
تصل بالنفوس الفلكية أو بالعقل الفعال يقظة أو مناما و أن ما يحصل من المكاشفة يقظة أو  
مناما للنفوس هو بسبب اتصالها بالنفوس الفلكية .

و زاد حكيم الإشراق السهروردي المقتول من توضيحها من خلال نظرية العرفان  
الإشراقي (4) أو الصدور (5) ، و هذه النظرية تجعل الله نور الأنوار فياضا بالأنوار القاهرة  
و هي النفوس و العقول و بالجواهر الغاسقة الناشئة عن الأنوار ، و هي الأجسام. (6)

و تطورت هذه النظرية على أيدي من جاء بعده من الصوفية في العصور التالية حاملة  
أسماء مختلفة خاصة في القرن السادس و السابع هجري ، لكن جوهر النظرية ظل كما  
وضعه الحلاج في القرن الثالث الهجري (7) ، فقد عبر عنها ابن عربي في مؤلفاته من خلال  
نظريته في وحدة الوجود و " نظرية الخلق " ، حيث يقول معبرا عنها بالنور :

فلي في السّما و الأرض ما كان من خبءٍ و مالي فيه إن تحققت من كفاءٍ لذاك تحمّلت الذي فيه عبءٍ فإن لم أكن في الظل إنّي لفي الفئء(8)	أنا آدمُ الأسماء لا آدمُ النّشءِ و لكنّه من حيث الأسماء كونه أنا خاتمُ الأمر الأعمّ وجوده لقد مدّني ظلًا و إن كنت نُورَه
---	---

فحقيقته عنه تفيض بنورها على الكون فتزيده بهاء و نورا ، يقول على لسان الجمع :

أهلّ السّماء إذا عينٌ تُوفيه و حقّه و سوى هذا يعفّيه (9)	إنّي رأيتُ له نُورا يُضيء به من الضياء الذي فيها حقيقته
---	--

كما عبر عنها ابن الفارض في تائيته المشهورة ، يقول على لسان القطبية :

ورُوجي للأرواح روحٌ ، و كلّ ما ترى حُسنا في الكون من فيض طينتي (10)

1- المرجع نفسه: ص 137

2 - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ولد بقرطبة من ضياع بخارى سنة 370هـ ، و توفي سنة 428هـ.

3- علي أبو لمحم : " الفلسفة العربية مشكلات و حلول " ص 137 .

4 - نسبة إلى الإشراق و هو الكشف و ظهور الأنوار العقلية و لمعناها و فيضاتها في النفس عند تجردها.

5 - محمد إبراهيم الفيومي: " ابن عربي صاحب الفتوحات المكية " الدار المصرية اللبنانية ، بيروت، ط1، 1997 ، ص 664

6 - عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 114.

7 - عبد الكريم حسان : " التصوف في الشعر العربي نشأته و تطوره حتى آخر القرن الثالث هجري " مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، 1954 ، ص3

8 - محيي ابن عربي: " الديوان " شرح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1996 ، ص 375-376

9 - المصدر نفسه : ص415 .

10 - عمر بن الفارض : " الديوان " تحقيق: هلال هيثم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 2005 ، ص 46

و من صوفية القرن السابع ابن سبعين (1) ، فهو يرى أن حقيقته هي النور الذي جعله الله نوراً للعالم العلوي و السفلي ، و طبيعة الأرواح من نوره ، بل هي الوجود على الحقيقة (2) إذ لا يزال قائماً ينتقل من قطب إلى قطب آخر.

كما رتوا أصول هذه النظرية الفيضية إلى الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ أول ما خلق الله سبحانه و تعالى العقل ، فقال : أقبّل فأقبّل ، فقال له أدبر فأدبر ، ثم قال عزّ و جلّ و عزّتي و جلالتي ما خلقت أكرم منك ، بك آخذ و بك أعطي و بك أثيب و بك أعاقب . " (3)

فالصوفية في شرح عقيدتهم في صدور العالم عن الخالق جعلوا العقل الأول مصدر الأشياء و فيضها و مبدعها من نوره و سناه، و جعلوا مقام نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم يحتل مقام ذلك العقل و يقوم مقامه. (4) و جعلوه وصيه و خليفته من بعده يقوم مقام النفس الكلية أو اللوح المحفوظ ، فجعلوا منزلته في العالم الجسماني منزلة السابق - أي العقل الأول أو المبدع الأول - في العلم الروحاني (5) و هذا ما ذهب إليه ابن عربي و ابن سبعين. (6)

و من الصوفية المتأخرين الذين قالوا بهذه النظرية ابن عجيبة ( ت 1224هـ ) فحقيقته هي قبضة من نور أراده الله أن تكون لما أراد يعرف فخلق الخلق ليعرفوه بها كما ورد في الحديث القدسي : ".... فأحببت أن أعرف " أوجدت تنفساً كونياً ظهرت صورته في العماء التي يصطلح عليها ابن عجيبة ب " القبضة " ، أو آدم الأكبر (7) وهذه القبضة تسمى قبضة محمدية ، لأنّ الله تعالى لما أراد أن يتجلى ليعرف أظهر قبضة من نوره فقال لها " كوني محمّداً " ، فتطورت على صورة محمّد صلى الله عليه وسلم ، و من هذه القبضة تفرعت الأكوان كلّها فهي بذرة الوجود منها انشقت الأسرار و انفلقت الأنوار (8) ".... و لما اتّصلت به مواد مبدعه و أنواره مخترعة أفاضها على من دونه من العقول الشريفة و الأنوار المقدسة اللطيفة. " (9)

و كذلك الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ - قَالَ . وَادَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ " (10) و ما رواه أبي**

- 1 - هو عبد الحق بن إبراهيم محمد بن نصر ، يكنى ابن سبعين ، و لد سنة 614هـ في وادي رقوطة من أعمال مرسية عاش أثناء ضعف الدولة الموحدية، توفي سنة 669هـ بمكة المكرمة .
- 2 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1988 ص 120
- 3 - إسماعيل العجلوني: " كشف الخفاء و مزيل الإلباس " حيث رقم 723 ، ج 1 ، ص 236 . - قال ابن الجوزي أنّه حديث لا يصح عن رسول الله و هو موضوع على رسول الله.
- 4 - عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 08
- 5 - المرجع نفسه : ص 35، 36.
- 6 - محمد ياسر شرف : " الوحدة المطلقة عند ابن سبعين " وزارة الثقافة للعلام ، الجمهورية العراقية ، دط ، 1981 ، ص 156
- 7 - ابن عجيبة : " تقييدان في وحدة الوجود " دار القبة للزرقاء للنشر و الخدمات الثقافية ، المغرب ، 1998 ، ط 1 ، ص 08
- 8 - المرجع نفسه : ص 18
- 9 - إدريس عماد الدين القرشي: " زهر المعاني " تحقيق : مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ص 37 ، 43 ، 44 .
- 10 - أحمد بن حنبل : " المسند " ج 5 ، مسند مكنز المسترشدين في الدلالة إلى حديث سيّد المرسلين " دار المناهج ، القاهرة دط ، 2008 ، ص 59 ، و قد قال أهل العلم فيه أقوالاً من أظهرها وأرجحها : فهي كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد فإنه قبل ولادته لم يكن موجوداً وهو من معاني الخلق اللغوية المعروفة ينظر : " مختار الصحاح " ص 78 ( خ ل ق : يقال خلق الأديم إذا قدره قبل القطع ، بل الأصل في معنى خلق قدر واستعمل في الإبداع ينظر الجرجاني : " التعريفات " ج 1 ، ص 324 ) و هذا حديث موضوع فلم تكن له خصوصية بأنه نبي و آدم بين الروح و الجسد . ينظر : سبل الهدى و الرشاد " ج 1 ، ص 9

هريرة عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " كنت أول الأنبياء خلقا و آخرهم بعثا " (1) وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت " (2)

و عن أبي هريرة عليه السلام أنه قيل للنبي صلى الله عليه وآله: متى وجبت لك النبوة ؟ قال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه". (3)

و من الصوفية الذين عبروا عنه الحلاج ، يقول معبرا عن ذلك في بانيته :

و خُضْتُ بَحْرًا و لَمْ تَرَسِبْ بِهِ قَدَمِي  
شَرِبْتُ مِنْ مَائِهِ رِيًّا بِغَيْرِ فَمٍ  
لَأَنَّ رُوحِي قَدِيمًا فِيهِ قَدْ عَطَشْتُ  
خَاضَتْهُ رُوحِي و قَلْبِي مِنْهُ مَرَعُوبٌ  
و المَاءُ - مَذْكَانٌ - بِالأَفْوَاهِ مَشْرُوبٌ  
و الجِسْمُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَبْلِ تَرْكِيبِ (4)

و استند عليه ابن عربي لبناء فلسفته الوجودية ، حيث يقول: " كان نبيا و آدم بين الماء و الطين و لهذا بدئ به الأمر و ختم...." (5) ، فصح له المقام تعيينا وتعريفا فعمله قبل وجود طينة البشر. (6) يقول معبرا عنه في فانيته :

الأيا بى من كان ملكا و سيّدا  
فذاك الرّسول الأبطحيّ محمّد  
أتى بزمان السّعد في آخر المدي  
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه  
إذا رام أمراً لا يكون خلفه  
و آدم بين الماء و الطين واقف  
له في العلام جدّ تليد و طارف  
و كانت له في كلّ عصر مواقف  
فأثنت عليه ألسن و عوارف  
و ليس بذالك الأمر في الكون صارف (7)

فحقيقته صلى الله عليه وآله وجدت في صورة كلّ نبيّ و رسول وهي لا تزال تفيض بالأنوار على الكمل من الأولياء ، و هذا النور ينتقل عنده إلى الأولياء فيسقطون صفاتهم ليستبدلوا بالصفات المحمدية ولذلك يتحقق لهم الكمال. (8) و قوله في همزيته :

و يكون هذا السيّد العلم الذي  
وجعلته الأصل الكريم و آدم  
ونقلته حتى استدار زمانه  
جرّدته من دورة الخلفاء  
ما بين " طينة خلقه و الماء "  
و عطفت آخره على الأبداء (1)

1 - يوسف الصالحي: " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج1، ص 90 ، قال الألباني أنه حديث ضعيف ينظر محمد ناصر الدين الألباني: " سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة " ج2 ، رقم 661 ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1992 ، ص 115

2 - أحمد بن حنبل: " المسند " ج3 ، ص 451 " و قوله وَإِنَّ أَدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ " لِأَنَّ جَسَدَ أَدَمَ بَقِيَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ " وَقَالَ تَعَالَى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ ، قَالَ الألباني أنه حديث ضعيف .

3 - أبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري : " المستدرک على الصحيحين في الحديث " ج 2 ، كتاب التاريخ ، ط1 ، 1334 هـ ، ص 609 ، قال الإمام ابن القيم الجوزية: " أي وجبت لي النبوة والحال أن آدم مطروح على الأرض صورة بلا روح والمعنى أنه قبل تعلق روحه بجسده ."

4 - قاسم محمد عباس: " الحلاج أو الأعمال الكاملة " ص 29

5 - ينظر محيي الدين ابن عربي: " فصوص الحكم " ص 214

6 - زكي مبارك: " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " ج1 ، ص 48 و ينظر ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج2 ، ص 97

7 - ابن عربي: " الفتوحات المكية " ج2 ، ص 326

8 - طارق عبد الحليم: " دراسات في الفرق الصوفية نشأتها و تطورها " ط4 ، 2001 ، ص 85

كما عبر عنها جلال الدين الرومي (2) في قصيدته " المستزاد في ظهور الولاية المطلقة العلية ":

يظهرُ الجمالُ خاطِفاً كلَّ لحظةٍ في صورةٍ  
في كلِّ نفسٍ يظهرُ ذلك " الصديق " في ثوبٍ جديدٍ  
فشيخاً تراه تارةً وشاباً تراه تارةً أخرى  
قد غاصَ على قلبِ الطينةِ الصلصاليةِ  
انظرُ إليه و قد خرجَ من طينةِ الفخارِ  
و انتشرَ في الوجودِ  
ظهرَ بصورةِ نوح و أغرقَ الدُّنيا بدعاءٍ منه  
أما هو فنَجًا بسفينتهِ  
و ظهرَ بصورةِ إبراهيمَ في قلبِ النارِ التي تحولتُ ورداً من أجله  
ثمَّ هامَ علّةً وجهه في الأرضِ زماناً  
ليمتعَ ناظره بما يرى (3)

يعبر جلال الدين الرومي في هذه القصيدة عن فكرة فكرة أسبقيته عليه السلام في الخلق قبل الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، فحقيقته عليه السلام انتقلت من نبي لآخر حتى وصلت عنده عليه السلام .

و ذهب إلى هذا الرأي عبد الكريم الجيلي في حديثه عن الإنسان الكامل ، فهو يرى أن الإنسان الكامل هو النبي عليه السلام لكنه يتقصد في شخصيات عديدة حسب المكان و الزمان. (4) يقول معبرا عنها :

لي الملك في الدارين لم أرى فيهما  
و لا قبل من قبلي فالحق شأنه  
سواي فأرجو فضله أو فأخشاه  
و لا بعدد بعدي فأسبقُ معناه (5)

و هو ما عبر عنه إبراهيم الدسوقي (6) في تائيته :

نعم نشأني في الحب من قبل آدم  
أنا كنت في العلياء من نور أحمد  
أنا كنت في رؤيا الذبيح فؤاده  
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا  
و سرى في الأكوان من نشأني  
علي الدرة البيضاء في خلوتي  
بلطف عنايات و عين حقيقة  
و أسكن في الفردوس أنعم بقعة (7)

كما عبر عنها ابن نباتة المصري (1- ) قائلاً:

- 
- 1 - ابن عربي: " الفتوحات المكية " السفر الأول ، ص 46.
  - 2 - هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد الهاشمي المولوي ، ولد سنة 604هـ بقونية ، كان عالماً عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، توفي سنة 672هـ .
  - 3 - جلال الدين الرومي: " ديوان شمس تبريز " ج1، 1280هـ ، ص 199 ينظر : نيكلسون : " في التصوف الإسلامي و تاريخه " ص 105-106.
  - 4 - ينظر يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 84
  - 5 - عبد الكريم الجيلي: " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " ص 89
  - 6 - هو برهان الدين إبراهيم بن عبر العزيز ، ولد سنة 653هـ . يتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، من كبار مؤسسي الطرق الصوفية في مصر ، و توفي سنة 696هـ .
  - 7 - نقلاً عن أبو الوفا التفتازاني: " مدخل إلى التصوف الإسلامي " دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة ط3، 1979 ، ص244



محمّد المجتبيّ معنَى جبَلتِه و ما لآدمَ طينٌ بعدُ مجبولٌ (2)

و الحديث القدسي الذي يقول فيه المولى تعالى: " ما زال عبيد يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، و بصره الذي يبصر به ، و يده التي يبطش بها ، و رجله التي يمشي بها " (3)

فهم في تفسيرهم لهذا الحديث رأوا أنّ حقيقته عَلَيْهِ السَّلَام لا يمكن الوصول إليها إلاّ ضربا من الارتقاء الروحي ، وأول من نادى بهذا الحديث للارتقاء الروحي فلاسفة الإسلام من ذلك ما ذهب إليه الغزالي حيث يقول : " أن الإنسان يترقى من سماء العقل إلى منتهى معراج الخلائق و مملكة الفردانية إلى تمام سبع طبقات ، ثمّ بعده... " (4)

و هذه العملية تقوم على عمليتين تناظر كلّ منهما الأخرى: عملية هابطة هي عملية تفاضل الواحد الأول الإلهي خلال ثماني درجات للوجود تنازلية ، و عملية عود تصاعدي للتكامل في نفس الإنسان التي هي واسطة الوجود في الدنيا و غايته. " (5) و هذا التفسير عمل به الصوفية للتحرر من قيود المادة و الصعود نحو الأفق الرحب سعيا وراء الإنسان المطلق الكامل الذي هو واسطة الوجود و علته ، من ذلك ما نجده عند ابن سبعين الذي يرى أن الكمال الإنساني أمرٌ يمكنُ تحقّقه عبرَ طُرُق تسلكها النفس ، هي طرق الضمير والروح فضلا عن طرق صوفية خاصة ، و فلسفة أخلاقية تُعنى بصفاء الفعل الإنساني و انتسابه لله و منطلق ابن سبعين في نظرية الكمال الإنساني و الحقيقة المحمّدية أيضاً ، فقد كتب "رسالة في أنوار النّبي " ، و هي رسالة في أنوار الإنسان الكامل المتمثل بشخصية النّبي الكريم (6) و الإنسان الكامل عنده لا يمكن الوصول عنده إلاّ ضربا من الارتقاء الروحي ، و لأنّ النوع الإنساني متفاضل بأفراده ، فالغاية القصوى من الوجود هي الإنسان الكامل الفرد البشري نواة الإصلاح ، فهو حلم الفلاسفة والصوفيين ذلك الحلم الأسطوري بخلص البشرية ممّا يُكدّر سعادتها وأمنها وكفايتها .

و بمثل هذا الرأي ذهب إليه السّهوردي في كتابه " الحكيم المتألّه " فهو عنده الإنسان الكامل التي بلغ بها مرتبة الكمال ، و الكمال عنده يكون بالعلوم النظرية أي بالحكمة و المجاهدة الروحية و الذوق القائم على أساس العلم و الفلسفة . " (7) يقول عبد الكريم الجيلي معبرا عنها في هائيته :

شمسٌ على قطبِ الكمالِ مضيئةٌ      بدرٌ على فلكِ العُلا سيرانه  
أوجُ التعاضمِ مركزُ العزِّ الذي      لرحى العُلا من حوله دورانه  
ملكٌ و فوقَ الحضرةِ العُليا على ال      عرشِ المكينِ مثبتٌ إمكانه  
فالخلقُ تحتَ سما علاه كخردلٍ      و الأمرُ يبرمه هناك لسانه (8)

1 - شاعر العصر المملوكي أبو بكر جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن الجذامي المصري ، من ذرية الخطيب عبد الرحيم نباتة ، و بهذا اللقب إشتهر ولد سنة 686هـ ، و من المناصب التي تولاها ، نظارة القمامة أيام حج النصارى ، سر السلطان الناصر حسن . و توفي في القاهرة سنة 768هـ.

2 - يوسف النبهاني: "المجموعة النبهانية في المدائح النبوية " ج3، 4، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1996، ص 68.

3 - محمد الأحمدى أبو النور : " الأحاديث القدسية " ج1 ، مطابع الأهرام ، القاهرة ، ط 6 ، 1986 ، ص 81 .

4 - محمد الغزالي : " مشكاة الأنوار " ص 64 .

7- هانز هينرش شيدر : " نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري " ص50.

8- محمد ياسر شرف : " الوحدة المطلقة عند ابن سبعين " ص 156

7 - يوسف زيدان : " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " ص 9 11

8 - المرجع نفسه : ص 91.

يشير عبد الكريم الجيلي هنا إلى مرتبة الكمال التي حازها عليه السلام " فأصبح بها مثلاً أعلى في الوجود ، و ليس لأحد من المال ما لمحمد عليه السلام من الخلق و الأخلاق فهو عنوان هذا المقام الذي يتفاوت فيه أهل الكمال ، فيكون منهم كامل و أكمل....." (1)

و من الصوفية المتأخرين الذين عبروا عنها ابن عجيبة ، حيث نجده يشرح هذه النظرية خاصة في قوله بنظرية التطهير، حيث يرى أنّ الروح بعد عملية الخلق و التكوين و الوجود الإنساني الفعلي في هذا العالم تستطيع الاتصال بالعالم بفضل أنواع مختلفة من التطهير مجاهدة جميع أنواع العوائق متسمية باسم خاص عند كلّ درجة من درجات ذلك التطهير أو ذلك الترقى نحو العالم الأصلي ، ففي حالة خلودها إلى المادة تسمى " نفساً " ثمّ إذا صفت قليلاً تسمى " عقلاً " ثمّ " قلباً " ثمّ روحاً ، لتصبح سرّاً كما كانت في البداية ، و هذا السرّ هو روح الإنسان الأصلي (2) يقول بعض الحكم يشرح مفهوم التطهير :

- لولا العوائق لأشرقت شمس الحقائق.
- لولا الوقوف على ظلمة الأكوان، لأشرقت على القلب شمس العيان.
- لولا مجاهدة النفوس، ما ظهر سرّ الخصوص.

يشير ابن عجيبة في هذه الحكم إلى ما اصطلح عليه الصوفية بالتحلية و التخلية(3) فمن خلال التخلية يستطيع الإنسان التحلي بالفضائل السّامية و الأخلاق العالية التي هي سرّ الكمال في هذا الإنسان الكامل (4) و هذه الدرجات التي يبلغها الصوفي هي نفسها التي يطمح إليها الفيلسوف ، فالسعادة عند الفيلسوف كما يقول الفارابي: " أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، و أن تكون رتبته دائماً دون درجة العقل الفعال ". (5)

و كذلك في حديثه عن مشكلة الاتصال ، و التي تذهب بالقول أن المعرفة الذوقية تتجه في خط تصاعدي ، حتى تبلغ غايتها من التجرد حينما تتصل و تتلقى الإلهام من العقل الفعال و الإطلاع على الغيب في العالم الآخر أو في هذا العالم الحسي. (6)

كما اعتمدوا على هذا الحديث في شرحهم لمفهوم الصورة الآدمية فهم يرون أنّ الله يشبه العالم و المخلوقات في صفاته ، فإذا كان هو سمعه و بصره و لسانه ، فهو السامع و الباصر و الناطق . (7)

و كذلك حديث قوله عليه السلام : " إنّ الله خلق آدم على صورته " (8) و هذه الصورة عند الإمام الغزالي هي نعمة إلهية على آدم عليه السلام ، فهي الصور المختصرة الجامعة لكلّ ما في العالم حتّى كأنّه العالم كلّّه (9) ، و هي عنده كذلك قلب الإنسان إذ يقول: " إنّ في قلب الإنسان

---

2- المرجع نفسه : ص 208.  
2 - نقلاً عن عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي و ممارسة - دراسة في الفلسفة الصوفية عند ابن عجيبة " دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 13 ، ابن عجيبة: " إيقاظ الهمم في شرح الحكم " ص 3 - المرجع نفسه: ص 175  
4 - المرجع نفسه: ص 95  
5 - المرجع نفسه: ص 54  
6 - عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي كوعي و ممارسة " ص 19  
7 - محمد الغزالي: " مشكاة الأنوار " ص 65.  
8 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: " الجامع الصحيح " ج 4، كتاب الإستئذان ، باب بدء السلام ، ص 166.  
9 - محمد الغزالي: " مشكاة الأنوار " ص 112

عينا هي صفات كمالها فتارة يعبر عنها بالعقل و تارة بالرّوح ، و تارة أخرى بالنفس الإنساني و العقل أولى بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفع قدره عن النقائص فالعقل يدرك نفسه و يدرك غيره و يدرك صفات نفسه و يعرج في طرفيه إلى أعلى السّموات رقبيا و ينزل في لحظة إلى تخوم الأرضيين هويّا فهو أنموذج من نور الله تعالى ، و لا يخلوا الأنموذج من نوع المحاكاة و إن كان لا يرقى إلى ذروة المساواة ."(1)

و يشرح ابن عربي مفهوم الصورة الآدمية بأنّها الصورة الأزلية للإنسان في علم الله القديم "(2) ، ثمّ تعين في صور مادية سمّي في واحدة منها بجماد و في أخرى بحيوان وهكذا حتّى اندرجت اسمه كلّ مسمى و صدقت ماهيته على كلّ ماهية "(3) يفهم من قوله أنّ الرسول ﷺ طبقا لعقيدته هذه هو الله سبحانه و تعالى ذاتا و صفة هو الأول و الآخر ، و الظاهر و الباطن ، وهو الموجود المطلق المقيد كان و لا شيء معه فالصورة تفترض وسيطا مرأويا عاكسا ، كما تفترض تقابلا بين الأصل و صورته (4) و علاقتها بالحقيقة المحمّدية أنّها علاقة الرّوح بالصورة أو الظاهر بالباطن ، فانه سبحانه و تعالى عند ابن عربي لما أحبّ أن يعرف نظر إلى ذاته بذاته فأبدع من نورها مرآة جعلها حدا لما يعدّ و يحصر من أسمائه فكان الإنسان آخر الموجودات بصورته (5) بحيث جعلوا عين الرسول ﷺ وذاته هي عين الحقيقة الإلهية وذاتها ، وأنه ليس هناك حقيقة إلهية غير الحقيقة المحمّدية كما يجعلون الرسول ﷺ بصورته البشرية صورة كاملة للحقيقة الإلهية يقول معبرا عنها :

فَعَيْنُكَ عَيْنُ السَّرِّ وَ السَّمْعُ سَمْعُهُ      وَأَنْتَ الْكَبِيرُ الْكَلُّ لِلْعَيْنِ إِنْ بَدَا  
لَقَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ بِالصُّورَةِ الَّتِي      رَوَيْنَا وَ لَمْ يَنْزِلْ لَنَا ذِكْرَهَا سَدَى (6)

كما عبر عن هذه الفكرة بعض الصوفية المتأخرون كعبد الكريم الجيلي حيث يقول:  
" فالله خلقه على صورته ، و صفات الإنسان من صفات الله و أسماءه من أسمائه و جلاّك بأوصافه و سمّاك بأسمائه فهو الحي و أنت الحيّ وهو العليم و أنت العليم ، وهو المرید و أنت المرید ، وهو القادر و أنت القادر وهو السميع و أنت السميع ، وهو البصير ، و أنت البصير وهو المتكلم و أنت المتكلم ، وهو الذات و أنت الذات ، وهو الجامع و أنت الجامع ، وهو

الموجود و أنت الموجود ، فلله الربوبية و لك الربوبية(7) ، و آدم عند الجيلي خلقه الله نسخة من تلك الصورة المحمّدية و جميع الملائكة العالين المقربين الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم مثل " إسرافيل و جبرائيل و ميكائيل " فكلهم خلقهم الله من هذا الروح ثمّ خلق الله منهم جميع العالم ."(1) يقول موضحا ذلك :

- 1 - المصدر نفسه : ص 28-29
- 2 - نصر حامد أبو زيد: " فلسفة التأويل - دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي " دار التنوير للطباعة و النشر بيروت ، ط 1 ، 1983 ، ص 188 .
- 3 - محمد الأنور أحمد: " الله توحيد و وحدة " ص 153
- 4 - نصر حامد أبو زيد: " فلسفة التأويل " ص 188
- 5 - فإذا عاد الضمير على الله كان المقصود بالصورة حقائق الأسماء الإلهية ، و إذا عاد الضمير على آدم كان المعنى صورة آدم في علم الله ، وهذا لا يعني أنه الله وهذا التماثل ليس تماثل ذاتيا و لكن تماثل مع صورة العلم الإلهي ، و هذا التماثل لا يقيم التماثل بين الذات الإلهية و الذات الإنسانية ، بل يقيمه بين حقائق الإنسان و حقائق الألوهة " ينظر نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 178-181
- 6 - ابن عربي: " الديوان " ص 123 .
- 7 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 119

ليسَ الوجودُ بأسره - إن حَقَّقُوا  
الكلُّ فيه و منه كان و عنده  
و الكونُ أجمعهُ لديه كخاتم  
و الملكُ و الملكوتِ في تياره  
إلا حُبَاباً طَفَحَتْه دنائهُ  
تَفَنَى الدُهْور و لم تزلْ أزمانهُ  
في إصْبَعٍ مِنْهُ أَجْلٌ أَكوانهُ  
كالقطرِ بَلُّ مِنْ فَوْقِ ذاكِ مكانهُ (2)

و ابن قضيبي البان الذي يرى أنَّ الحقيقة المحمّدية هي صورة الحق في عالم الخلق (3) و يعتقدون أنه يتشكل كثيراً في أي صورة يشاء.

كما ارتكزوا على الحديث القدسي الذي يقول فيه المولى تعالى: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعرف فخلقت خلقاً و تعرفت إليهم فبي عرفوني." (4)

فقد جعل الصوفية من هذا الحديث منطلقاً لتفسير مفهوم الخلق و علة الوجود ، فكان سرّ الخلق و علته ، فالله تعالى جعل نفسه كنزاً فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الإنسان الكامل في شئئية ثبوته (5) ، و الخلق إنّما ظهوراً بواسطة الروح المحمّدي و هذه الوساطة هي سرّ تخصيصه باسم الحبيب ، فحاز بذلك أعلى المقامات الكمالية فهو الأصل في مقصود الحبّ الإلهي و غيره من المخلوقات هم له كالفرع ، فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره (6) و المقصود بالتوجه الحبي لمعرفة الكنز المخفي أنه أول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات ، وأنّ جميع ما سواه وجدوا لأجله ، فلولا الحقيقة المحمّدية لم يكن خلق و لولا الخلق لم تظهر صفات الحق لأحد ، لولاها لما عرف الله مخلوق ولا ظهرت صفاته لأحد.

و ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: " لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال الله سبحانه و تعالى : صدقت يا آدم أنه لأحبّ إلي إذا سألتني بحقه فقد غفرت لك و لولا محمد ما خلقتك . " (7)

و من الصوفية الذين ردّوا أصول هذه النظرية إلى هذا الحديث محيي الدين ابن عربي و ذلك من خلال شرحه لنظرية الخلق ، حيث يقول: " إنّ الله كَوّن الأكوان اقتداراً عليها لا اقتقاراً إليها و كمال حكمته في التكوين كان وجود الآدمي ، فكانت حكمته في ذلك لإظهار شرف النبي ﷺ فكان المقصود في الوجود معرفته موجدهم سبحانه . " (8) ، و قد عبّر عنها

1 - محمد الراشد: " مسارات وحدة الوجود في التصوف الإسلامي " الأوائل للنشر و التوزيع ، دمشق ، دط ، 2004 ، ص 137.

2 - يوسف زيدان: " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " ص 92

3 - عبد الكريم الجيلي: " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " ص 90

4 - إسماعيل العجلوني: " كشف الخفاء و مزيل الإلباس " ج 2 ، حديث رقم 2014 ، ص 173 . قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (18/ 122) ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، و تبعه الزركشي ، و الحافظ ابن حجر فاللالي و السيوطي و غيرهم.

5 - عبد العزيز بن عبد الله: " معلمة التصوف الإسلامي - التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي " ج 3 ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ، 2001 ، ط 1 ، ص 65.

6 - رشيد الراشد التاذفي " الدر المنظم في وجوب محبة السيّد الأعظم " ص 131 . -

7 - أبو عبد الله محمد القزويني ابن ماجة: " السنن " المجلد 1 ، كتاب منها كانت توبته ، رقم 1385 ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ص 221 . قال الحافظ بن حجر في تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار " أنه حديث ضعيف و موضوع لا يحتج به و كذلك الشافعي يضعفه و غيره من الأئمة ، ولم ينقل لنا في السنة الصحيحة و لا في القرآن الكريم أنّ أحد من الأنبياء أنه توسل في دعائه بنبي من الأنبياء و حكم عليه ابن تيمية في النبوات (1/ 403) بالوضع . و وافقه السيوطي في ذيل الموضوعات.

8 - ابن عربي: " شجرة الكون " ص 06

كذلك بمصطلح " الكلمة " فهي تمثل عنده واسطة بين الحق و الخلق بين العالم العلوي و السفلي أو بتعبير أصح هي " برزخ الوجود " (1) ، و هذه الكلمة ذات مفهومين هما :

- المفهوم الوجودي: و هو اعتبار الكلمة مبدأ الخلق و علة الوجود و هي المظهر الخفي لله و لا تكون قبل العالم و خارجه إلا منطقيا أما بالفعل فهي الحقيقة الوجودية الخالدة.

- المفهوم الثاني: هو تجلي الكلمة في الحقيقة المحمدية ، و هذه الحقيقة هي " عقل من حيث معرفتها الذاتية بمبدعها ، و قلم من حيث أنها من الموجودات في عالم التدوين و التسطير. " (2)

و من الصوفية الذين اعتمدوا عليه في تفسيرهم لمفهوم الخلق و علة الوجود ما نجده في قول ابن الفارض في تائيته الكبرى:

و من لم يرث عني الكمال فناقص  
فلا حي إلا من حياتي حياته  
و لولاي لم يوجد وجود و لم يكن  
على عقبه ناكص في العقوبة  
و طوع مرادي كل نفس مريدة  
شهود و لم تعهد عهد بذمتي (3)

فحقيقته ﷺ عنده هي القطب التي عليها مدار العالم و مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد ، و هو عين ما ادعاه برهان الدين الدسوقي أنه مدار الكون كله حيث يقول :

أنا القطب المبارك قدره  
و ما صورتني للذات الإجلية  
و لولا زنادي في الطبيعة قاذح  
و بي فاضت الأشياء من كل ملة  
و أن مدار الكل من حول ذروتي  
هي النفس و الكون المحن جننت  
لما قامت الأشخاص من فلك طينتي  
بمختلف الآراء و الكل أمتي (4)

فهم يرون أنهم من يستحقون تلك الألقاب و الأوصاف ، فهم بهذا المفهوم هم أقطاب زمانهم و خاتم الولاية المطلقة ، فهم الإنسان الكامل الذي يجب أن يتعامل معهم الخلق و كأنهم النبي ﷺ فيتأدبون معه و يأخذون عنه (5) ، لكون حقيقته هي المدبرة للعالم و كل شيء موجود و معلوم يوجد عندها حاضر بالقوة و الفعل. (6)

كما استندوا إلى بعض كتب السيرة مثل ما نجده في كتاب " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ليوסף الصالحي الذي يقول فيه : " فلما أراد الله أن يخلق محمدا ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي في قلب الأرض و بهاؤها و نورها ، فهبط جبريل و ملائكة الفردوس و ملائكة الروح الأعلى ، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف و هي بيضاء نيرة ، فعجنت بماء التسنيم ، حتى صارت كالذرة البيضاء لها شعل عظيم ، ثم طافت بها الملائكة حول العرش و حول الكرسي و السموات فعرفت الملائكة محمدا ﷺ

1 - التي يعد لها من المصطلحات ما يزيد عن اثنتين و عشرين كلمة.  
2 - حميدي خميسي: " نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط " الطباعة الشعبية للجيش ، دط ، 2007 ، ص 164  
3 - ابن الفارض : " الديوان " ص 67  
4 - عامر النجار: " الطرق الصوفية في مصر " ص 200

5 - عائض بن سعد الدوسري: " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 130  
6 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 11.

قبل أن تعرف آدم أبا البشر ، ثم كان نور محمد ﷺ يرى في جبهة غرة جبهة آدم و قيل له :  
يا آدم هذا سيّد ولدك من المرسلين. " (1)

و كذلك ما جاء به ابن كثير في كتابه " السيرة النبوية " ، فعن ابن عباس قال: لمّا أمر إبراهيم بإخراج هاجر حمل على البراق ، فكان لا يمرّ بأرض عذبة سهلة إلا قال: انزل هاهنا يا جبريل. فيقول: لا حتى أتى مكة ، فقال جبريل: انزل يا إبراهيم ، قال حيث لا ضرع ولا زرع ؟ قال : نعم هاهنا يخرج النبيّ الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا. (2)

يفهم من إرجاع الصوفية أصول هذه النظرية إلى القرآن و الحديث أنهم حاولوا المزج بين الدين المنزل و الفلسفة وفق منظور صوفي. (3)

و لهذه النظرية تأثير كبير في الديانات الأخرى ، فلما تطورت الديانة الإسلامية و انتشرت معتقوها في البلاد على أثر الفتوحات الإسلامية دخل أهل الديانات الأخرى في الإسلام أفواجا (4) فنجدها تلتقي مع التراث اليوناني مثلا في قولهم ب " نظرية الفيض " و حديثهم عن العلة و المعلول و الوحدة و الكثرة ، و كذلك فكرة ترتيب مراتب الوجود إلى مجموعة من الفيوضات فاضت عن الله عزّ و جل ففاض عنها العقل الأول و النفس الكلّية و المادة غير المصورة و النفوس الجزئية. و غيرها من النظريات التي أثرت في فلاسفة التصوف. بحيث رأوا أنّها مصطلحات ميتافيزيقية أدقّ من سابقتها ، وأنّ أصحابها مزجوها بالإلهيات المنحولة لأرسطو. (5) و أفلاطون (6) و فيثاغورس (7) ثمّ من بعده أفلاطون (8) في نظرية الخلق " وفق معتقده الوثني المتمثل في دور العقل الأول عن الواحد ، و من ثم صدرت جميع المخلوقات عن ذلك العقل الأول أو النور و منه فاض الوجود عن أول موجود. (9) إلا أنّ الفلاسفة الإسلاميين ظلّوا أقرب إلى روح الدين منه إلى أفلاطون (10) ، و يسمونها العقل الأول و تقليدا لآله اليونان الذي انبثق عنه ذلك العقل ، و من هذا الأخير انبثق الوجود و أيضا في قولهم ب " الإنسان الأول " الذي صدر عن الباربي ، و هذا الإنسان الأول هو نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية ، فبه نفس إلهية شريفة و هو اللوغوس " العقل " و هذا العقل هو ضوء سائح من ذلك الجوهر الكريم الذي يفيض كالنور من قرص الشمس. " (11) فأفلاطون يرى أنّ علة العالم أبدع ما يسمى " العقل الأول " و هو كائن مستقل بذاته ، و كما يرى أيضا أنّ الوجود أربعة جواهر أولية وهي : الأول أو الواحد ، ثم ثلاثة صادرة على النحو التالي: العقل فالنفس ، فالمادة..... ، و في قمة الوجود يأتي الواحد أو الأول و هو مبدأ الوجود ، ثم يأتي الشيء المحدث عنه و هو العقل ، الذي يفيض فيحدث صورة منه

- 1 - يوسف الصالحي: " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج 1 ، ص 91
- 2 - أبو الفدا ابن كثير: " السيرة النبوية " ج 1 ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1976 ص 329
- 3 - هانز هينرش شيدر: " نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري " ص 52
- 4 - صابر طعيمة: " التصوف معتقدا و مسلكا " دار عالم الكتب للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1985 ، ط 1 ، ص 121
- 5 - و يسمى أرسطو فيلسوف يوناني ، و هو واضع علم المنطق ، و من هنا لقب بالمعالم الأول و صاحب المنطق ، و ولد سنة 384 قبل الميلاد بمدينة " اسطاغيرا " .
- 6 - هو الفيلسوف اليوناني عاش ما بين 430 - 347 ق م ، و ولد في أثينا ، تتلمذ على سقراط.
- 7 - ينظر: عرفان عبد الحميد فتاح: نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " دار الجبل ، بيروت ، ط 1 ، 1993. ص 103
- 8 - ولد في ليكوبوليس بمصر سنة 203 م ، زاهد و صوفي و فيلسوف ، تأثر بأفلاطون " مؤسس المذهب الفلسفي المعروف بالأفلاطونية الجديدة و توفي سنة 270 م.
- 9 - عائض بن سعد الدوسري: " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثّة " ص 09
- 10 - علي أبو ملح: " الفلسفة العربية مشكلات و حلول " ص 134
- 11 - جولد تسيهر: " الأفلاطونية المحدثّة و الغنوصية في الحديث " ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، ط 4 ، بيروت ، ص 180

و هي النفس الكلية و هذه الأخيرة تفيض فتصدر نفوس الكواكب و البشر و الأجسام .(1)

و ترى الأفلاطونية المحدثه (2) أنّ الله تعالى خلق العقول العشرة أي الأفلاك و عقولها لتدبير العالم و أوكل لها تنظيم ذلك التدبير ، و أنّه صدر عن نور الخالق ما يسمى بالعقل الأول الذي صدرت منه بقية أجزاء العالم السفلي و العلوي.(3)

و تقابل فكرة الإنسان الكامل - عند الصوفيين - المدينة الفاضلة عند الفلاسفة المثاليين فأفلاطون الإلهي يرى أنّه من أراد أن يرى الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيرا فاضلا و أن يكون له حواس قوية لا تنحبس عند إشراق الأنوار الساطعة عليها . و ذلك أنّ الإنسان الأول نور ساطع في جميع الحالات الإنسانية ، إلا أنّها فيه بنوع أفضل و أشرف و أقوى"(4) و هو ما عبر عنه الصوفية في نظرياتهم كابن عربي و عبد الكريم الجيلي .

و كذلك فكرة الولاية في الإسلام هي مقابل الأرواح القدسية في الهيلينية ، و محمداً ﷺ يصبح العقل الموجود منذ الأزل و الرحيم المخلص القدير.(5)

و ما يسمونه في الفلسفة اليونانية " الهولي " التي هي مادة الأولى للوجود يقابل عند الصوفية " الهباء " كابن عربي الذي يرى أن هذه الحقيقة وجدت في الهباء ، و كذلك قولهم بنظرية التقابل بين الإنسان الصغير و العالم الكبير، فهي تقابل نظرية التربيع(6) في الفلسفة اليونانية و التي قال بها إخوان الصفا (7) ، فقد بحثوا في الرسالة الخامسة و العشرين من رسائلهم كاشفين عن العلاقة بين الإنسان و أجزاءه و العالم و أجزاءه (8) و من القائلين بها من الصوفية ابن عربي ، و ذلك في حديثه عن الموازنة بين العالم أي الطبيعة و النسب الإلهية المتجلية في حقيقته ﷺ " لهذا يعده مجموع العالم و المختصر من العالم الكبير. كما تأثر بها فريد الدين العطار (9) الذي يرى أن الإنسان خلاصة العالم الأصغر الذي انطوى فيه العالم الأكبر ، الذي من أجله خلق كل شيء .(10) و عبد الكريم الجيلي من بعدهم .

و كذلك قولهم بالكلمة في الفلسفة اليونانية القديمة هي القوة العاملة المنبثقة في جميع أنحاء الكون و الروح الإلهي الظاهر أثره في كلّ ما في الوجود الخارجي من حياة و صيرورة و استحالة فهي مبدأ الحياة ، شأنها في شأن الحقيقة المحمدية التي هي أصل الوجود و علته.

و فكرة تسلسل الموجودات عن الواحد عند الصوفية ، هي فكرة تضاهي فكرة العقل الأول الذي هو مبدأ الوجود و مصدر الكائنات و مفيضها عند الأفلاطونية الغنوصية. (11)

1 - إبراهيم مذكور : " دروس في تاريخ الفلسفة " مطبعة دار لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1940 ، ص 102-103

2 - ظهرت في الإسكندرية في القرون الأولى للميلاد

3 - ينظر عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثه " ص 21

4 - هانز هينرش شيدر : " نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري " ص 47

5 - عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثه " ص 38

6 - تقوم نظرية التربيع على أربع علوم و هي علم الهندسة و الرياضيات و الحساب و الموسيقى ، و التي تقابل الواحد و العقل الفعال و النفس الكلية و الهولي ، و فصول السنة أربعة ، و جهات المعمورة أربعة ، و الأخلط أربعة ، و فصول السنة

7 - جماعة سرّية ، ظهرت في القرن الرابع هجري من المعارضين للحكم العباسي ، فقد جاء مذهبهم مزيجا من المذاهب و العلوم خاصة الأفلاطونية المحدثه.

8 - هانز هينرش شيدر : " نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري " ص 51

9 - فارسي الأصل ، توفي سنة 627هـ.

10 - محمد عبد المنعم خفاجي : " الأدب في التراث الصوفي " دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دت ، ص 121

11 - فتح الله عبد الحميد : " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 233 فالفيض يصدر كما يصدر النور عن الشمس دون أن يتغير جوهر الشمس ، فالوجود بالقياس إلى الأول.

و تلتقي هذه النظرية مع الشيعة في قولهم بالإمامة (1) ، فالشيعة رفعوا أئمتهم فوق مقام الطبيعة الإنسانية ، و جعلوا لهم مكانة في العالم العلوي فأضفوا إلى الإمام صفات باطنية مرجعها هو علي بن أبي طالب عليه السلام أو الحسن بن علي الذي هو أول الأقطاب و ممّا ساعد على ذبوعها شيعة علي عليه السلام من العرب .(2)

و هذه العلاقة بين الحقيقة المحمّدية و فكرة الإمام في كونها علة الوجود ، أكدها عبد الرحمن بن خلدون في قوله : " كان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول و إلهية الأئمة ، فأشرب كلّ واحد من الفريقين مذهب الآخر ، و اختلط كلامهم و تشابهت عقائدهم و ظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ... و هو عين ما تقول به الرافضة ، ثم قالوا بترتيب وجود بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء . (3)

و كذلك فكرة القطب والغوث عند الصوفية تضاهي نظرية الإمامة و الخلافة عند الشيعة فكلاهما يحمل معنى خليفة الرسول الله صلى الله عليه وآله و منزلته فنظروا إليه نظرة الإنسان الكامل الذي يحقق العدل لعلمه بتعاليم الإسلام الحقّة التي عمل بها الخليفة في الأرض الرسول صلى الله عليه وآله .

كما يرى كامل مصطفى الشيباني ( 4 ) أنّ مسألة عصمة الولي فقد أخذها الشيعة من الصوفية و لكنهم أخفوها فترة من الزمن فسموها " الحفظ " .(5)

كما تلتقي بنظرية " نور الأئمة " التي قالت بها فرقة " الإثني عشرية " التي ترى أنّ محمّد صلى الله عليه وآله وجود سابق لوجود العوالم و الكائنات وأنه صلى الله عليه وآله و علي عليه السلام وأحد عشر من ولده من نور محمّد صلى الله عليه وآله ، و النور المحمّدي هو نور وضعه الله في صلب آدم إلى صلب نوح ثم جعله يخرج من صلب إلى صلب حتّى أخرجه من صلب عبد المطلب(6) و من هذا النور انبثقت منه الحكمة الإلهية فكانت رمزه القائم في كلّ ولي من آدم إلى الأئمة العلويين مارة بالرسول صلى الله عليه وآله (7) ، و كما قال الصوفية بإفاضة الرحمات و العلوم و الكمالات على جميع الخلق قالت به الإثني عشرية ، كما أثبتوا أيضا بقدّم العقل فقد أثبتته الشيعة في أئمتهم . (8)

كما يرى الدكتور محمود مصطفى حلمي (9) أنّها تلتقي مع الفكر الإيراني المجوسي الزرادشتي (10) في عدة مصطلحات كروح القدس و العقل الفعال ، الإمام المعصوم و الإتحاد و الحلول و القطبية و الإنسان الكامل (11) ، و فكرة الوساطة ، فالفلسفة الفارسية هي تذهب بالقول بوجود وسطاء يصلون بين الله و المادة شأنها في ذلك شأن الصوفية الذين

- 1 - عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمّدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 20.
- 2 - أباكار السقاف : " الحلاج أو صوت الضمير " رامتان للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص 48
- 3 - عبد الرحمن بن خلدون : " المقدمة - كتاب العبر و ديوان المبيدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ، 2002 ، ص 47.
- 4 - ولد الدكتور كامل مصطفى الشيباني بالكاظمية عام 1927 ، و توفي سنة 2006.
- 5 - كامل مصطفى الشيباني : " الصلة بين التصوف و التشيع " ج 1 ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، ص 386 .
- 6 - ينظر عائض بن سعد الدوسري : " الحقيقة المحمّدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 45
- 7 - المرجع نفسه : ص 92
- 8 - المرجع نفسه : ص 48
- 9 - وُلد الدكتور مصطفى حلمي 1932 ، يعد صاحب أهم الدراسات الفلسفية الإسلامية .
- 10 - نسبة إلى زرادشت إيراني الجنسية ، ولد 660 ق م بأذربيجان ، مات مقتولا سنة 583 ق م .
- 11 - صابر طعيمة : " التصوف معتقدا و مسلكا " ص 128



يرون في حقيقته واسطة بين الله و الخلق ، و فكرة صدور كل شيء عن الله (1) و كذلك في قولهم أنّ الإنسان يؤدي وظيفة كونية. (2) و هي كلّها أمور تصطدم مع العقيدة الإسلامية .

و أغلب الصوفية الأوائل الذين نادوا بها كنظرية مستقلة عن وحدة الوجود هم من الفرس كسلمان الفارسي (3) الذي يعدّ أول من أشار إلى فكرة الخلافة و النور المحمّدي. (4)

و تلتقي أيضا نظرية الحقيقة المحمّدية مع الفكر المانوي (5) ، في تأليههم الملوك و قولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر (6) فالصوفية قالت القول نفسه ، كما يظهر تأثيرها في العقائد الإيرانية المجوسية في كون هذه الأخيرة تحتل نفس المنزلة و النشأة في الفلسفة الإيرانية القديمة ، و هذا ما ذهب إليه المستشرق نيكلسون (7) و ماسينيون (8) و هانز هينرش شيدر (9) حيث يرى هذا الأخير في كتابه " الإنسان الكامل عند المسلمين " أنّ فكرة الإنسان الكامل تشبه إلى حدّ ما صورة الإنسان القديم في التفكير الإيراني القديم فهذا الإنسان كان يؤدي وظيفة كونية فهو عندهم النموذج الأول للإنسانية و أصلها. (11)

و كذلك الديانة الزرادشتية ترى أن الوليّ و الصفيّ و الكلمة الذكية - في اعتقادهم - كانت قبل أن تكون السّماء و الماء و الأرض و الأنعام و الأشجار و النّار، و أن هرمز هو إله الخير في هذه الديانة لم يخلق الأشياء الروحية و المادية التي يتألف منها الكون خلقا مباشرا بل خلقها بواسطة الكلمة الإلهية (12) ، فكذلك الصوفية ترى الرسالة صلى الله عليه وآله خلق بواسطة المحمّدية التي هي أول ما خلق الله و منها خلقت الأكوان و لولاها لم يوجد موجود.

فالفكر المانوي في تصوره الباطني للإنسانية يرى أنّها كانت قبل بداية العالم. (13) هو الإنسان الأول والمخلص الوحيد يخلق في صورة نورانية بيده تثبيت السلطة الدنيوية و السلطة الروحية. (14) يرسله الله و معه جنده السّماوي لمحاربة الشرّ و في نفس الوقت تبدأ الحياة الأرضية ، و هنا لا بدّ للإنسان الأول أن يموت لكي ينشأ عنه النّاس الأرضيون. (15)

و الصوفية ينظرون إلى حقيقته صلى الله عليه وآله أنّها الوحيدة المخلصة من الظلم و الاستبداد و أنّه أرسله الله تعالى لمحاربة الشرّ و العنف لتعيش النّاس في سلام و أمان.

- 1 - أبو الوفا التفنّازاني: "مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 26
- 2 - هانز هينرش شيدر: "نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري" ص 21-25.
- 11- و يكنى أبو عبد الله صحابي جليل ، أصله من أصبهان ، عالم بالشرائع وولي إمارة المدائن حتى توفي سنة (32هـ) .
- 4 - صابر عبده أبا زيد: "لويس ماسينيون و جهوده في الفكر الفلسفي الإسلامي " دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية دط ، 2004 ، ص 72.
- 5 - و لقب ماني ينسب إلى الأسرة الفارسية الوسطى ، حيث كان أحد الولاة يسمى باسم الحلقة اللامعة لرسول النور ، كما أنّ الماني ينظر إليه على أنّه البنية الروحية لكنيستته . ينظر عبد الرحمن البدوي: " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 30
- 6 - صابر طعيمة : " الصوفية معتقد و مسلكا " ص 102 .
- 7 - مستشرق إنجليزي ولد سنة 1986 متخصص في التصوف و الأدب الفارسي. له مقالات كثيرة في دائرة معارف الدين و الأخلاق و دائرة معارف الإسلام توفي سنة 1945.
- 8 - من أكبر مستشرقين فرنسا و أشهرهم ، ولد سنة 1883م 1962 ، وقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر
- 9 - هو مستشرق ولد سنة 1896 ، كان بروفيسورا في جامعة هومبولدت و غوتنغن . توفي سنة 1957 .
- 10 - المصدر نفسه : ص 102.
- 11 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 123.
- 12 - هانز هيندر شيدر: " نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين و تصويرها الشعري " ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، ص 5
- 13 - أبو الوفا التفنّازاني: " مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 223
- 14 - هانز هينرش شيدر: "نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها و تصويرها الشعري " ص 39
- 15 - المرجع نفسه : ص 26

كما تلتقي هذه النظرية مع المسيحية ، و ذلك أنّ العرب كانوا على صلة وثيقة بالنصارى في العصر الجاهلي و الإسلامي (1) و كذلك اختلاط المسلمين و النصارى العرب (2) و لما جاء الإسلام دخل بعض المسيحيين في دين الله أفواجا. (3) و في تلك البقاع التي امتدت إليها الفتوحات الإسلامية بل إنّ أكثر المشتغلين بحركة الترجمة في العصور الإسلامية كانت الغالبية العظمى منهم من النصارى. (4)

و من أوجه التلاقي مع الديانة المسيحية قولهم ب " الحلول " فقد لقيت هذه الفكرة رواجاً في الفكر الصوفي و انطلقوا منها لتفسير فلسفاتهم الوجودية أي حلول الناسوت في اللاهوت إذا بلغ درجة قصوى من الصفاء الروحي ، فالصوفية استعملوها للدلالة على الطبيعة الإلهية و الطبيعة الإنسانية بوجه عام كالحلاج مثلاً. (5) يقول معبراً عنها :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ      سِرّاً سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ  
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِراً      فِي صُورَةِ الْأَكْلِ وَ الشَّرَابِ  
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ      كَلْحِظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ (6)

أما الديانة المسيحية فقد اتخذت من هذه الثنائية بين الطبيعة الإلهية و الطبيعة البشرية للدلالة على طبيعة المسيح. (7)

و تلتقي بعض المصطلحات المسيحية مع نظرية الحقيقة المحمدية في قولهم ب " الكلمة " و هو ما ذهب إليه ميغيل أسين بلاثيوس (8) و نيكلسون و أبو العلاء عفيفي فهي في الفلسفة المسيحية التي تعني بها ابن الله و صورته أو الرّوح السارية في الكون ، و الواسطة في خلق العالم مشخصة في صورة المسيح (9) . و في الاصطلاح الصوفي باعتبارها أول مخلوق خلقه الله و أول تعين للذات الإلهية فاضت منه بقية التعينات الأخرى من روحية و مادية. (10)

كما أثرت هذه النظرية في الهند ، و ذلك إثر اتصال المسلمين في القرن الثالث الهجري عن طريق التجارة و حركة الترجمة في عهد المأمون و من بعده الخلفاء العباسيون فطعموها بعض فروع التصوف الإسلامي الخالص (11) و كذلك ترحال و تجوال بعض الصوفية إلى هذه البلاد من بينهم الحلاج و الجيلي الذي سافر إلى الهند و أقام بها فترة و أول من كشف عن التشابه بين مذاهب الهند الصوفية و الصوفية الإسلاميين البيروني و ممن ذكر الحلاج و الشبلي و البسطامي . (12)

- 1- أبو الوفا التفتازاني: "مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 28
- 2- عبد الرحمن البديوي: "تاريخ التصوف الإسلامي" وكالة المطبوعات ، الكويت ، دط ، 1978 ، ص33.
- 3- في الحيرة و الكوفة و دمشق و نجران في مضارب القبائل العربية .
- 4- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: "المذاهب الصوفية و مدارسها" مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط2، 1999 ، ص33
- 5- فيصل عون: "التصوف الإسلامي الطريق و الرجال" ص 63 .
- 6- أبو الوفا التفتازاني: "مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 131 .
- 7- قاسم محمد عباس: "الحلاج أو الأعمال الكاملة" ص 291 ، فهم بهذه النظرية أضفوا صفات الربوبية على المسيح عليه السلام .
- 8- هو مستشرق و قس كاثوليكي إسباني. ولد في سرقسطة سنة 1871 ، و تخرج في معهداها الديني ، واحداً من أبرز علمائها في إسبانية ، توفي سنة 1944
- 9- أبو العلاء عفيفي: "نظريات الإسلاميين في الكلمة" مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج 2 ج 1 ، مايو 1934
- 10- إحسان إلهي ظهير: "التصوف المنشأ و المصادر" إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، ط1 ، 1987 ، ص 96
- 11- المرجع نفسه: ص 115
- 12- المرجع نفسه: ص 128

و من آراء هذه النظرية التي أثرت في الديانة الهندية قولهم " بأسبقية الرّوح على البدن " فالهنود عندهم كذلك الرّوح لا تقنى بل تنتقل من بدن إلى بدن.(1) و هذا ما قالته الصوفية بانتقال نورانيته من صلب إلى صلب.

و تلتقي نظرية زن البوذية و المعرفة الصوفية في فكرة الفناء ، و هي عند الهنود تشير إلى الإشعاع الكشفي المفاجئ الذي يثير الإشراق عند الانفصال بين الإنية الفعلية و إنية الملاحظ و هو الشعور باللاشعور الذي يعد " أول درجة الفناء عند الصوفية " (2) و كان أول من عبر عنه البسطامي (3) و هذا الرأي ذهب إليه فجولد تسيهرو ماسينيون و نيكلسون. (4)

كما يرى المستشرق جولد تسيهر (5) أثرت هذه النظرية في الفكر اليهودي ، و ذلك لما دخلوا إلى الإسلام وضعوا الكثير من الأحاديث تسمى الإسرائيليات ، و أكثر ما تلتقي النظريتين في قولهم ب" الكلمة " فالفيلسوف اليهودي فيلون (6) اعتبر الكلمة أو اللوغوس وسيلة الله العملية التي تحلّ في الوجود و تربط بين الكائنات ، فهي بهذا المفهوم وسيط بين الله و العالم (7) و هو عين ما قاله المتصوفة .

هذه بعض البصمات التي تركتها نظرية الحقيقة المحمّدية كونها نشأت في مرحلة تاريخية تصارعت فيها الأفكار و تنوعت الاتجاهات ، فكان طبيعي أن تأثر فيها و تترك طابعها في مذاهبهم.

1 - عبد الحكيم عبد الغني قاسم: "المذاهب الصوفية و مدارسها " ص 32.

2 - عبد العزيز بن عبد الله: " معلمة التصوف الإسلامي " ص 89

3 - صابر طعيمة : " الصوفية معتقدا و مسلكا " ص 67

4 - أبو الوفا التفتازاني : " مدخل إلى التصوف الإسلامي " ص 25

5 - جولد تسيهر : 1850 - 1921 م مستشرق ألماني يهودي كان معارض للدين الإسلامي ، يعتبر من بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا.

6 - من أشهر فلاسفة اليهود ، يعرف باسم فيلون ألكساندريوس و يوديوس ، أي الإسكندري بمصر عام 20 ق م و توفي عام 50 م.

ولد في القرن الأول للميلاد ، من أسرة نبيلة في الإسكندرية، توفي 54م

7 - عائض بن سعد الدوسري: " الحقيقة المحمّدية أو الأفلاطونية المحدثة " ص 24

# الفصل الأول

## I- الفصل الأول : الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي و الصوفي و الفلسفي

### - المبحث الأول : الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي

- أ - حقيقة المحبة المحمدية
- ب- حقيقته المولدية
- ج- حقيقته الخلقية
- د- حقيقته الخلقية
- هـ - حقيقته البطولية
- و - حقيقة الأماكن المقدسة
- ي - حقيقته التوسلية
- ن- حقيقة معجزاته
- ل - حقيقة آل بيته

### - المبحث الثاني : الحقيقة المحمدية في بعدها الصوفي

- أ- حقيقة الخلافة
- ب- حقيقة الإمامة
- ج- حقيقة الولاية
- د- حقيقة القطب
- هـ - حقيقة المعرفة
- و - وحدة الأديان

### - المبحث الثالث : الحقيقة المحمدية في بعدها الفلسفي

- أ - نظرية الفيض
- ب - نظرية الخلق
- ج - تسلسل حقيقته في الأنبياء و الرسل
- د - علة الوجود
- هـ - أسبقية الروح على البدن
- و - نظرية التقابل

## I- الفصل الأول : الحقيقة المحمدية في بعدا الإسلامي و الصوفي و الفلسفي - المبحث الأول : الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي

اتخذ مفهوم الحقيقة المحمدية في بادئ الأمر بعدا إسلاميا يناسب المبادئ و القيم الإسلامية التي جاء بها صلى الله عليه وسلم ، إذ لم تكن تعرف بهذا المصطلح في حياته ، بحيث كان يطلق عليها " الإنسان الكامل " ، فالشعراء في البداية لم يستطيعوا الاتساع في الحديث عن مفهومها في شعرهم إلا ما نجده في قصائد المديح ، فوجدوا في حقيقته متنفسا جديدا لطاقة المديح المتأصلة فيهم . و- تتجلى حقيقته صلى الله عليه وسلم في بعدها الإسلامي فيما يلي

أ- حقيقة المحبة المحمدية : و محبة الرسول صلى الله عليه وسلم استولت على النفوس و ملكت المشاعر منذ اللحظة الأولى التي استقبل فيها الحياة ، فمحبتة فاقت محبة جميع الأنبياء و الرسل فهي الطريق الموصلة للمحبة الإلهية ، و هناك من الشعراء من أحبوه افتخارا لانتمائهم القبلي فجاء شعرهم استجابة لإبراز رابطة النسب القومي و اعتزاز ابوحدة الأصل<sup>(1)</sup> و هو ما عبر عنه عمه أبي طالب عليه السلام في قصيدة اللامية مفتخرا بأل هاشم و تعداد مآثرهم حيث يقول :

لعمري لقد كلفنتُ وجداً بأحمدٍ وجدتُ بنفسي دونه و حميتهُ فلا زال في الدنيا جَمالاً لأه لها فمن مثله في الناس أي مؤملٍ	و أحببتهُ حبَّ الحبيبِ المواصلِ و دافعتُ عنه بالدرى و الكواهلِ و شريناً لمن عادى وزين المحافلِ إذا قاسه الحكماءُ عندَ التفاضلِ <sup>(2)</sup>
---	--

فأبي طالب هنا يقسم بعمره بحبه للمصطفى صلى الله عليه وسلم الذي بلغ به درجة الوجد رغم أنه لم يؤمن به و هذه المحبة عنده لا زالت تمنح للدنيا جمالا و بهاء لمن اتبع سنته و اهتدى بهداه .

و أكثر ما نجد الشعراء يعبرون عن هذه المحبة في القصائد الاعتذارية ، من ذلك ما نجده في قول العباس بن مرداس السلمي<sup>(3)</sup> لما جاء معتذرا عما بدر منه<sup>(4)</sup> فقال هذه القصيدة يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيها و يشيد بدعوته :

يا خاتم النبأ إنك مرسل إن الإله بنى عليك محبة فأمنت بالله الذي أنا عبده	بالحق كل هدى السبيل هُداك في خلقه و محمداً سَمَاكَا و خالفتُ من أمسى يُريدُ المَمَالِكَا <sup>(5)</sup>
---	---

يريد الشاعر في هذا البيت الإفصاح عن سرّ المحبة الإلهية للحبيب المصطفى محمد التي جعلها بين خلقه و قرنها به ، و كأنه يريد الإفصاح عن المنزلة التي اختص بها دون غيره من الأنبياء .

1- عمر الدقاق : " الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث " مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، حلب ، ط3 ، 1977، ص 76.

2- أبي طالب : " ديوان شيخ الأباطح أبي طالب " شرحه محمد باقر المحمودي ، مطبعة النهضة ، قم المقدسة ، ط1 ، دت ص 28

3- هو الصحابي بن أبي عامر ، و يكنى أبا الهيثم: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية و الإسلام ، و أسلم قبل عام الفتح و شهد مكة ، و يوم حنين توفي في خلافة عثمان، أزر يهود يثرب في حربها ضد المسلمين ، توفي سنة 18هـ (239م)

4- كان يحرض شعراء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم

5- ابن إسحاق : " السيرة النبوية " مجلد2 ، ج6 ، ص 240.

كما عبر عنه عبد الله الزبيري (1) في ميميته :

مَنْعَ الرَّقَادِ بِلَابِلٍ وَ هُمُومٍ      وَ اللَّيْلُ مَعْتَلِجُ الرَّوَاقِ بِهَيْمٍ  
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أُحْمَدَ لِأَمْنِي      فِيهِ فَبِوُتٍ كَأَتَانِي مَخْمُومٍ  
إِنِّي لَمَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِنَ النَّيِّ      أُسَدَيْتُ إِذَا أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ (2)

أما في العصر الإسلامي فقد اتخذت هذه المحبة منحى آخر مثلته النزعة الجهادية ضد المشركين ، فاتخذوه سلاحا ، و ذلك بعد أن حثَّ الرسول ﷺ الشعراء على المشاركة في المعركة و عدَّ الشاعر المسلم مجاهدا لقوله: ﷺ " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَ لِسَانِهِ " (3) فسالت قصائدهم كالغيث المنهمر سلاما على المؤمنين و نقمة على الكافرين ، و جاء شعرهم سلاحا يسلط على رقاب الذين عبثوا بقيم الرسول ﷺ و من هنا توالى أصوات الشعراء ليحفظوا بتأييد من الله و نصرته الرسول الكريم ، و خير من عبر عن محبته في سبيل نصرته ﷺ حسان بن ثابت ، من ذلك قوله في داليتيه مستبشرا بالنصر المبين في معركة بدر :

مُسْتَشْعِرِي حَلْقِ الْمَادِي يَتَقَدَّمُهُمْ      جَلْدُ النَّحِيْزَةِ مَاضٍ غَيْرِ رَعْدِيْدٍ  
مُسْتَعْصِمِيْنَ بِحَبْلِ غَيْرٍ مَنجَذِمٍ      مُسْتَحْكِمٍ مِّنْ جِبَالِ اللَّهِ مَمْدُوْدٍ  
فِيْنَا الرَّسُوْلَ وَ فِيْنَا الْحَقَّ نَتَّبِعُهُ      حَتَّى الْمَمَاتِ وَ نَصْرٌ غَيْرَ مَحْدُوْدٍ  
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ رَكَّابٍ لِمَا قَطَعُوْا      إِذَا الْكَمَّاتُ تَحَامَوْا فِي الصَّنَائِدِ (4)

و تتجلى حقيقة محبته أيضا في مرثي الرسول ﷺ ، حيث وجد الشعراء في هذا الفقد الأزلي ما يغرفون منه لإشباع نزواتهم ، خاصة أولئك الذين عاصروه و عاشوا معه من آل بيته و صحابته الكرام ، فصاغوا قصائدهم بمعاني قدسية جليلة بلغت بهم إلى درجة التضحية بالنفس من ذلك ما نجده في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه (5) :

نَفْسِي فِدَاءَكَ مِنْ مَيِّتٍ وَمَنْ بَدَنِ      مَا أَطْيَبَ الذِّكْرَ وَ الْأَخْلَاقَ وَ الْجَسَدَا  
يَا لَيْتَنِي حَيْثُ نَبِئْتُ الْغَدَاةَ بِهِ      قَالُوا الرَّسُوْلُ قَدْ أَمْسَى مَيِّتًا فَقَدَا  
لَيْتَ الْقِيَامَةَ قَامَتْ بَعْدَ مَهْلِكِهِ      وَ لَا نَرَى بَعْدَهُ مَالًا وَ لَا وَلَدَا  
كَمْ لِي بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ يَنْصُبُنِي      إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي لَا أُرَاكَ أَبَدًا (6)

فالشاعر أحسَّ بالفراغ الذي تركه الحبيب في قلوب المؤمنين، فعبر عن هذا الفقد بأعلى ما يمكن أن يوصف حتى وصل به هذا الحب إلى التضحية بالنفس .

و قد عبر عن هذه الحقيقة حسان بن ثابت في رثاءه للرسول ﷺ في داليتيه المشهورة:

يَا رَبُّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَ نَبِيَّنَا      فِي جَنَّةِ تُفْفِي عُيُونَ الْحُسَدِ  
فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ فَارْتَبِهَا لَنَا      يَا ذَا الْجَلَالِ وَ ذَا الْعُلَا وَ السُّوْدِ

1- هو عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد السهمي الفهري القرشي ، و أحد الشعراء الذين ناهضوا الدعوة الإسلامية أسلم عام الفتح ، فقد نظم أكثر من قصيدة اعتذارية للرسول " ت 15هـ - 636م

2- ابن إسحاق: " السيرة النبوية " مجلد 2 ، ج 6 ، ص 21

3 - ناصر الدين الألباني: " سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة " ج 4 ، ص 172

4 - حسان بن ثابت الأنصاري: " الديوان " تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، " دار الكتاب العربي بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 86

5- هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة بن عامر خليفة رسول الله ، ولد عام 55ق هـ في مكة ، تولى الخلافة سنة 11هـ و توفي سنة 13هـ.

6- محمد بن سعد الواقدي: " الطبقات الكبرى " ج 2 ، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة ، دط ، ص 90

و الله أسمع ما بقيتُ بهالكِ      إلا بكيتُ على النبيِّ مُحَمَّدٍ (1)

و الشعراء في تعبيرهم عن حبّهم قد أضفوا مسحة دينية عكست حرارة الإيمان و عمق العقيدة و كأنّهم أرادوا الإفصاح عن حقيقة صوفية في كونه صلى الله عليه وآله لأجله خلقت الدنيا و أنّه لما وجدنا ، و هم بهذه الألحان الحزينة نظروا إليه صلى الله عليه وآله نظرة ترفعه فوق مستوى البشر بمعنى أنّه لا يمكنه صلى الله عليه وآله أن يموت " (2) لدرجة أنّهم تمنّوا الموت على أن يروه فوق الثرى يوسد . فراحوا يستعدّون نشوة الحبّ و الشوق و الفراق و يتوقون إلى الإتحاد بها.

و انتقلت هذا المحبّة النبوية في العصر الأموي إلى حبّ آله الأَطهار ، فحبّهم سلب العقول و ملك الجوارح ، و خير من عبر عنها هذا الكميّت بن زيد أسدي (3) في هاشمياته حيث يقول:

فاعتبَبَ الشوقُ من فؤادِ و الشدَّ      عرِ إلى منْ إليه معتتبُ  
إلى السراجِ المنيرِ أحمدَ لا      تعدلني رغبة و لا رهبُ  
عنه إلى غيره و لو رفعَ      النَّاس إلى العيون و ارتقبوا  
إليكِ يا خيرَ منْ تضمنتِ الـ      أرضُ و لو عابَ قولِي العيبُ (4)

أما في العصر العباسي قد ساروا في الاتجاه نفسه ، حيث نجدهم يظهرن الولاء لآل البيت و مما زاد من هذا الحبّ خلافتهم و ما ترتب عنها من سلسلة متصلة المآسي، و كذلك لكثرة ما فشا في بغض فئات المجتمع من انحلال أخلاقي فقد بلغ بهم حبّ المصطفى إلى حدّ العشق ، فأصبح عندهم هو الحبّ و الحبيب و كلّ ما في الكون خلق لأجل محبّته ، و ذلك نظرا لاختلاط أقوالهم بالمذاهب الفلسفية و من الشعراء الذين ذرفوا دموع العشق المحمّدي في هذا العصر ابن دقيق العيد (5) في موشح له " ذروا في السرى " :

مُوكَلٌّ طَرَفِي بالسَّهَادِ المُورِقِ      و مجري دَمعي كالحيا المُتدَقِّقِ  
و ملهبِ وجدي في فؤادِ محرقِ      بعينيكِ ما يَلقى الفؤادِ و ما لقي  
و عندك ما تحويه و تخفيه أضلعي (6)

و هو ما عبر عنه أيضا الإمام البوصيري ، فقد جاء ديوانه يفيض بالحبّ الصادق للنبيّ الكريم ، يقول في همزيته " يا سماء " :

إنْ لم يكنْ عَظْمُ زَلَّتِي حَجَبَ رُؤْيَا      لكِ فقدَ عزَّ داءُ قلبي الدَّواءِ  
كيفَ يصدأ بالذنبِ قلبُ محبِّ      و له ذكركِ الجميلِ جلاءِ  
هذهِ علَّتِي و أنتِ طبيبي      ليسَ يخفى عليكِ فدي القلبِ داءِ  
و لقلبي فيكِ الغُلوُّ و أنِّي      للساني في مدحكِ الغلواءِ (7)

1 - حسان بن ثابت : " الديوان " ص 154

2- محمد جلال شرف : " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " دار العلوم العربية ، بيروت ، ط1، 1990، ص 304

3- أبو المستهل الكميّت بن زيد الأسدي الكوفي ، ولد سنة 160 هـ له في مدح الرسول و آله امدحا غزيرا ، لا سيّما قصائده الست المطولة في مدح آل البيت التي عرفت بالهاشميات و هي من أقوى ما نظم في عصره و توفي 226 هـ في خلافة مروان بن محمد.

4- أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: " شرح هاشميات الكميّت بن زيد الأسدي " تحقيق: داود سلوم ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط 2 ، 1986، ص 561.

5- هو الإمام محيي الدين ابن دقيق العيد ولد سنة 625 هـ و توفي سنة 702 هـ

6- يوسف النبهاني : " المجموعة النبهانية " ج 4 ، ص 278

7- شرف الدين البوصيري: " الديوان " شرح و تقديم : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 2001 ، ص 31.



على أن بعض الشعراء غلبت عليهم عاطفة المحبة المحمدية و عبروا عنها في أشعارهم  
تعبيراً فلسفي الطبع ، فأدت بهم إلى الفناء و الاتحاد بذات المحبوب محمد صلى الله عليه وآله ، من ذلك ما نجده  
في قصيدة ابن عربي " جحيم في القلب مستعر " :

<p>رعى الله طيراً على بانه بأن الأحبة شذوا على فسرت ، و في القلب من أجلهم و مالي دليل على إثرهم</p>	<p>قد أفصح لي عن صحيح الخبر رواحلهم ، ثم راحوا سحر جحيم لبينهم تستعر سوى نفس من هواهم عطر (1)</p>
---	---

فالشاعر نذر نفسه لهذه المحبة ، فقدم له رؤية و نظرية سار عليها كل من جاء بعده .

و عن هذه الحقيقة تغنى العلامة ابن خلدون (2) ، و التي يقول في مطلعها :

<p>أسرفن في هجري و في تعذيبي و أبين يوم البين وقفة ساعة لله عهد الظاعنين و غادروا</p>	<p>و أطلن موقف عبرتي و نحبي لوداع مستغرق الفؤاد كئيب قلبي رهين صباية و وجيب (3)</p>
---	---

و من صور هذه المحبة في العهد الزياني قول الشاعر لسان الدين بن الخطيب في قصيدته  
" قلب الهوى " :

<p>أطال الفؤاد فؤاد المشوق فبت أطول ليل التمام و دمعي يساجل دم الغمام فيا ليت شعري و هل من سبيل</p>	<p>و أغرى الشهاد بطرف لئيل بوجد جديد و صبر محيل و شجو الحمايم عند الهديل على الوجد يوماً بصير جميل (4)</p>
---	--

فهو بهذه الألمان الحزينة يستعذب نشوة الحب و الشوق و الفراق و يتوق إلى الإتحاد بها .

و في العهد العثماني زادت لوعة المحبة للحبيب صلى الله عليه وآله ، و من شعراء هذا العهد سعيد  
المنداسي (5) الذي أذابته و أحرقت فؤاده يقول في رأيته معبراً عن محبته لهذا الحبيب :

<p>دعني غذولي فإن القلب مسطور ما لي لا أرى العين لا تهمة مدامعها؟ أنا القليل بلا ذنب و لا حرج نار الصباية قبل الحشر، أوردتها</p>	<p>لما علي من الهجران مسطور و الوصف عصمة التسويف محجور على المليح فإن الذنب مغفور قلبي، ليشفع لي في الموقف النور (6)</p>
--	--

و ذهب لخضر بن خلوف (1) في تصوير المحبة النبوية إلى أن جعلته يصل إلى قمة  
العجز عن الصبر عليها، فلم يبق أمامه سوى البكاء عسى يشفي الغليل ، إذ يقول في قصيدته

1- ابن عربي: " ذخائر الأغلاق و ترجمان الأشواق " دار الأرقم ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، ص156 .  
2- كانت هذه القصيدة أول ما نظم في المدح النبوي و أنشدها السلطان المغربي أبي سالم بمدينة فاس ليلة لمولد النبي 763 هـ .  
3- عبد الرحمن بن خلدون : " شفاء السائل في تهذيب المسائل " تعليق : اغناطيوس ، عبده خليفة ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، 1959 ،  
دط ، ص 17  
4- يوسف النبهاني: " المدائح النبوية " ج 3 ، ص 266  
5- هو سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي ، ولد بغليزان ، عاش في القرن 11 هـ ، توفي سنة 1088 هـ 1677 م بسلمجاسة .  
6- سعيد المنداسي: " الديوان الفصيح " تحقيق: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 1968 ، ص 67 .

" دقة قلب " :

دقة الحب ما جبرت ادواها  
صبري كمن تنوح عن بابها  
وقدت ناري و لا ظهر دُخانها  
و لو نتنهد ما نفع تنهادي  
كيف صبري على الرسول الهادي  
كمدت القلب و لا نفع تكمادي (2)

و من شعراء العهد الحديث الذين عبروا عن حبهم أمير الشعراء أحمد شوقي (3) ، من ذلك ما نجده في ميميته التي يقول فيها :

و محبة الله ألقاها و هيبته  
على ابن أمنة في كل مصطدم (4)

إلى أن يقول :

يا لائمي في هواه - و الهوى قدر -  
لقد أنلتك أذنا غير واعية  
و قول عائشة التيمورية (6) في ميميتها:

دعا فؤادي من بعد السلو إلى  
و هاجني لحبيب عشق منظره  
يمحو سلوي كما يمحو إساءته  
رام الوشاة سلوي عن محبته  
ما كنت أعهد في قلبي من القدم  
يمحو و يثبت ما يهواه من عدمي  
حبي له فعدائي فيه كالنعم  
و لم أوف لهم عدلا و لم أرم (7)

و ظلّ الشعراء متمسكين بشجرة المحبة المحمدية إلى حدّ الساعة ، محبة لذاته الشريفة وشوقا لقياه و عرفانا منهم لما فاض عليهم من نور هدى طلعه الميمونة ، و ما تنزل عليهم بسببه من الرحمات والبركات ، واعترافا و امتنانا لما عاشوه ويعيشونه من معاني السكينة والاطمئنان والإيم-ان والتطلع لمقامات القرب من الله تعالى والسعادة الأخوية الإنسانية و سيظلّ إلى يرث الله الأرض ومن عليها لأنه الأصل في وجود المحبة و لأجلها خلقنا الله.

ب - حقيقة مولده : كانت لهذه البشارة العظمى للحبيب الأسنى صدى في الشعر افتخارا لانتمائه القلبي إليهم فنظموا قصائد تبشيرية على اختلاف عقائدهم ، من ذلك ما قاله عبد المطلب إبان ولادة محمد ﷺ :

و أنت لَمَّـا ولدت أشرق  
فنجح في ذلك الضياء وفي  
الأرض وضاءت بنورك الأفق  
النور وسلب الرشاد نخترق (8)

- 1- هو سيدي لخضر بن خلوف نشأ ناحية مغراوة بمستغانم ، ولد في أواخر القرن 8هـ ، و توفي في أوائل القرن العاشر هجري عن عمر يناهز 125 سنة
- 2 - لخضر بن خلوف : " الديوان " جمع : محمد بخوشة ، نشر ابن خلدون ، تلمسان ، دط ، 2001 ، ص 10.
- 3- هو الشاعر المصري أمير الشعراء أحمد شوقي بك ، من مواليد 1878 ولد في قصر الخديوي اسماعيل من أصل مختلط تركي و يوناني عن أبيه و أمه . و توفي سنة 1932 . -
- 4 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ج 1 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، دط ، دت ، ص 34
- 5 - المصدر نفسه : ج 1 ، ص 190.
- 6 - هي الشاعرة- المصرية عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا بن محمد كاشف تيمور ، ولدت سنة 1840 في أحد قصور "درب سعادة" وتوفيت سنة 1904.
- 7- عائشة التيمورية: " ديوان حلية الطراز " مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، دط ، 1952 ، ص 269
- 8- عباس الجراري: " الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها " مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1982 ، ص 142

و أكثر ما نجدهم يعبرون عن حقيقته المولدية شعراء العصر المملوكي ، خاصة في العهد الزياني ، ففي المغرب مثلاً بدأ الحديث عن حقيقته المولدية في القرن السابع و الثامن هجريين حيث شجع المرينيين و السعديين على إنتاج المولدات خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني ابن يوسف الزياني ملك تلمسان ، حتى أنه جعلوا لمولده احتفالات (1).

و كثرت المولدات في الأندلس خاصة في العصر الموحي في فترة حكم الغني بالله (2) فقد كان هذا اليوم يملأهم بالفيض النوراني المتدفق جمالا و جلالاً محملاً بذكرات الماضي بأريج طيب ينم عما كان لحياته ، و من الشعراء هذا العصر الذين اشتهروا بهذا الفن لسان الدين بن الخطيب فقد نظم في هذا المجال ديوان كامل ، يقول في إحدى قصائده:

أعزّزُ بمولده الكريم و خصّه  
بلييلةٍ تلخُذُ الملائكُ يومهـا  
أضحت لها أصنام مكة سجدا  
و تقاول الكماة أن رئيها  
من نذكرك التّقدّيسُ و التّم-ج عيـدا  
و المُرسلون إلى القيامة عيـدا  
ذلاّ على صفح الرّغام هـمّودا  
أضحى لديك مقرونا مصفودا (3)

يقول يحي الصرصري (4) في قصيدته بمناسبة المولد النبوي :

يا شهرَ مولدٍ خيرَ العرب و العجم  
محمّد صفوة الرحمن من غرر ال  
لأنت حقاً ربيعَ الفضل و النعم  
أعيان عند عظيم الشأن في القدم (5)

و من شعراء الدولة الفاطمية الأكثر تعبيراً عن حقيقته المولدية ما نجده في قصائد البوصري من ذلك قوله في بردته :

أبلن مولده عن طيب عنصره  
و بات إيوان كسرى و هو منصدع  
و النّار خامدة الأنفاس من أسف  
و الجن تهتف و الأنوار ساطعة  
يا طبيب مبعثي منه و مختم  
كشمّل كسرى غير ملتئم  
عليه و النّهر ساهي العين من سدم  
و الحق يظهر من معنى و من كلم (6)

كما عبر عنها شعراء العهد العثماني ، من ذلك ما نجده في قصائد الشاعر عبد الكريم الفكون (7) حيث يقول في مطلع همزيته :

أبدراً بدت في الخافقين سعوده  
أضواء و جود الكائنات ببعثه  
بمولده للأرض فخر على السّما  
و نورا به الأكوان أضحت تلالاً  
و طلعت الغرّ من الشّمس أضوا  
و حق لها بالفخر، و هو المنبأ (8)

1 - و الاحتفال بمولده راجع إلى احتكاك المسلمين ببعض الأمم

2 - هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ثامن سلاطين بني نصر، توفي سنة 793 هـ .

3 - لسان الدين بن الخطيب : " الديوان " تحقيق: محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1، 1989، ص 487

4 - جمال الدين يحي بن يوسف الأنصاري المعروف بالصرصري " نسبة إلى صرصر، و هي قرية قرب بغداد و لدسنة 588 هـ و استشهد عندما اقتحم مغول هولاكو بغداد و أطاحوا بالخلافة العباسية سنة 656 هـ

5- يحي الصرصري: " المختار من مدائح المختار " محمد محمد دويده ، دط ، 2003 ، ص 330.

6 - شرف الدين البوصيري: " الديوان " ص168

7 هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون و لد سنة 988 هـ بقسنطينة توفي سنة 1073 هـ بعد مرضه بالطاعون

8 - أبو قاسم سعد الله : " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ص 207

و من شعراء العصر الحديث الذين خصّصوا قصائد للتبشير بمولده أمير الشعراء أحمد شوقي في " الهمزيته النبوية " المشهورة ، حيث يقول :

ولهذَّ الهُدَى فالكائنات ضياعاً  
يا خيرَ مَنْ جاءَ الوجودُ ، تحيةً  
الرُّوحِ و الملائكُ حوله  
بكَ بشَّرَ اللهُ السَّماءَ فزيَّنتُ  
و فعمُّ الهمز ان تبسبم و ثناء  
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا  
للدين و الدنيا به البشراء  
و تزوعت مسكاً بك الغبراء (1)

و ما زال الشعراء يهتفون بمولده إلى حدّ الساعة مبشرين بنورانيته التي عمت الكون بقدمه .

ج - حقيقة الصفات الخلقية : راح الشعراء يعبرون عن حقيقته الخلقية التي اكتملت عند خاتم الأنبياء و المرسلين كثيراً في قصائدهم ، فرأوا فيه الكامل الذي تهفوا إليه القلوب و الأفئدة. " و لما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس ، معظماً في القلوب ، لم يبعث الله نبياً إلا جميل الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت " ، و من الذين ولعوا بهذا الجمال في العصر الجاهلي عمّه أبي طالب في قصيدة اللامية:

و أبيضَ يُستسقى العمامَ بوجهه  
يلوذُ به الهلاكُ من آلِ هاشم  
ثمّ الّ اليتامى عصمةً للأرامـل  
فهم عندة في نعمةٍ و فواضلٍ (2)

و ما قاله العباس بن عبد المطلب حين أراد مدح الرسول صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله إنني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قل لا يفضض الله فاك ، فقال العباس :

و أنتَ لهماً ولدتَ أشرقَتِ ال  
فنحنُ في ذلكَ الضياءِ وفي  
أرضُ و ضاءتُ بنوركِ الأفقُ  
الزُّورِ وسبلي الرشادِ نخترقُ (3)

وقف الشاعر وقفة إعجاب أمام هذا التكريم الربّاني الذي أضاء به الكون ، و هذه حقيقة عنده حقيقة مشرقة بالأنوار تشبه نور الشمس التي لا يضاهاها نورا ، بحيث يستحيل على العين أن تدركها لشدة تجليها فقد كان نورا بأخلاقه و خلقه .

أما شعراء العصر العباسي فقد رأوا في هذه الحقيقة الصورة الكاملة التي لا تماثلها صور في كلّ أوصاف الجمال الذي خلق الله ، و من شعراء هذا العصر يحيي الصرصري فقد كان من المولعين بهذا الجمال الأدمي ، و حقيقته الخلقية عنده هي عين الكمال ، و هذا الكمال خلقه البديع فأحسن إبداعه فجاء مكمل الخلق ، يقول في لاميته :

مكملُ القدِّ سهلُ الخدِّ أنوره  
و معدنُ الدرِّ و الياقوتِ مبسمه  
هو القسمُ الوسيمُ الخلقِ ليسَ له  
أما به شُفيتُ في الحالِ من رمدي  
و صفّ له محكمٌ ما فيه إخلالٍ  
و ريفه فيه للمجهودِ إبلالٍ  
في حسنه من جميع الناس أشكالٍ  
عيناً عليّ و ما عاتاه كحالٍ (4)

1 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ج 1 ، ص 34  
2 - أبي طالب: " ديوان شيخ الأباطح أبي طالب " ص 28.  
3 - يوسف الصالحي : " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج 1 ، ص 90.  
4 - يوسف النبهاني : " المدائح النبوية " ج 3 ، ص 184

يصف الشاعر ملامحه الخلقية بعبارات تعلوها مسحة عاشق ، و في شوق متزايد يطمح إلى أن يكحل عينيه بمرأى هذا الجمال .

و يقول البوصيري أيضا :

كالشمس تظهرُ للعينين من بعدِ      كالزهر في ترفٍ و كالبدر في شرفٍ  
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفٍ      كأنه و هو فردٌ من جلالتهُ  
صغيرةٌ و تكلُّ الطرفَ من أممٍ      و البحرُ في كرمٍ و الدهرُ في هممٍ  
من معدني منطوقٌ منه و مُبتسمٍ      في عسكرٍ حينَ تلقاهُ و في حشمٍ (1)

وهو عند ابن الفارض النور الذي لا تحببه أي ظلمة حيث يقول في قصيدته "قلبي يحدثني":

قلبي يحدثني أنك متلفي      لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحه  
رُوجي فِداك ، عرفت أم لم تعرف      كملت محاسنه فلو أهدى السنأ  
في وجهه نسي الجمال اليوسفي      للبدر عند تمامه لم يخف (2)

فجمال المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ابن الفارض فاق جمال الكل حتى جمال سيدنا يوسف عليه السلام فتملكه الرغبة في الهروب و الانتماء و الإقامة في هواه راجيا وصاله و هذا الجمال جعله يصون العين عن النظر في سواه ، فتشرفت الأكوان به لأنه الجمال بذاته .

و مثل هذا المعنى ما عبر عنه عبد الكريم الجيلي في عينيته التي يقول فيها :

مرأة معنى الحسن مظهرٌ ما علا      مجلى الكمال عذيب الينبوع  
كلُّ الكمال عبارة عن خردلٍ      متفرق عن حسنه المجموع  
قطبٌ على فلك المحاسن شمسهُ      لا أفلاً ما زال ذا تطليع (3)

فهو كشاعر صوفي يرى صورته في كل جمال خلقه الله في الكون و الطبيعة و البشر و مظاهر الكون العلوية و السفلية ، فهو معنى الحسن و مظهره و مجلى الكمال الذي خلقه الله و فرقه على جميع الخلائق ، و كل كمالات الدنيا إنما هي عبارة عن خردل أمام هذا الجمال " فهو أصل الجمال و الكمال و جوهر المحاسن الذي انبثق منه في جميع الخلائق. " (4)

و من شعراء العهد العثماني الذين عبروا عن حقيقته الجمالية عبد الكريم الفكون ، فقد عبر عن إعجابه بكمالاته في ديوانه ، من ذلك قوله في قصيدته اليائية :

أيأ باهرَ الإشراقِ يا غَايَةَ المُنَى      ومن حازَ في تشريفه الرُتبية العليَا  
لوجهك يا بدرَ الكمالِ تألؤُ      و غيبتُ به الأكوانُ إذ ما بدا تحيَا  
أزحت ظلامَ الشُّركِ بالطلعةِ التي      أضاءتُ كما أوليتُ من نورها هديَا (5)

يرى الشاعر في حقيقته الجمالية الإشراق و الضياء و البدر الذي كمل بهاءه والغيث

1 - شرف الدين البوصيري: "الديوان" ص 168.

2 - عمر ابن الفارض: "الديوان" ص 103-104

3 - عبد الكريم الجيلي: "الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر" ص 07 .

4 - يوسف زيدان: "الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي" ص 119

5 - أبو قاسم سعد الله: "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون" ص 214.

و الغياث التي تحيي النفوس ، و هذه الحقيقة هي غاية المنى التي تطمح إليها كل ذات عاشقة .

كذلك قول المنداسي في لاميته:

إِنَّ لِي طَرْفًا عَلَى عَهْدِ الْهَوَى  
و فَوَادِي بِأَفْيَاءِ الرَّضَى  
كَيْفَ وَ الْحَسَنُ بِقَلْبِي قَاطِنٌ  
مَنْ جَوَابِي كُلِّ حُسْنٍ حُسْنُهُ  
كَلَّمَا عَنَّ لَهُ الْحُسْنُ اِكْتَحَلْ  
نَامَ فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ إِذْ قَفَلْ  
لَمْ يَرِقْ طَرْفِي جَمَالَ مَدُّ نَزَلْ  
وَ بِهِ الْحُسْنُ تَوَشَّى وَ اَعْتَدَلْ (1)

فهو غيره من الشعراء المولعين بجماله فهو يرى فيه السعد و النور الذي أضاء الكون بطلعته و أحياه بصورته البهية منذ اللحظة التي خرج فيها للدنيا ، فأكمل نشأة ظهرت في الموجودات هي الإنسان الكامل .

و من شعراء العصر الحديث الذين انبهروا بجماله ما عبرت عنه الشاعر صابرة محمود العزى (2) في قصيدتها " نور النبوة وضاء و منتشر " ، حيث تقول

وميضُ برقٍ بليلٍ أم هي الدررُ  
أم نورُ أحمدٍ عمَّ الكونُ فاتضتُ  
و الكونُ يبتسم و الدنيا يُزينُها  
فَنُورَتِ ظِلْمَاتُ و انجلى الكدرُ ؟  
به الجبالُ مع الوديانِ تزدهرُ  
نُورُ النُّبُوَّةِ وضاء و مُنتشرُ (3)

كما عبر عنها أمير الشعراء أحمد شوقي في قصائد عدة ، من ذلك قوله في ميميته المشهورة:

سَنَاوُهُ وَ سَنَاهُ الشَّمْسُ طَالَعَةٌ  
فَاقَ الْبُدُورَ وَ فَاقَ الْأَنْبِيَاءَ فَكَمْ  
فَالْجُرْمُ فِي فَلَكَ وَ الضَّوْءُ فِي عِلْمٍ  
بِالْخَلْقِ وَ الْخَلْقِ مِنْ حَصْنٍ وَ مِنْ عَظْمٍ (4)

د - حقيقة الصفات الخلقية : عبر الشعراء عن كمال المصطفى صلى الله عليه وآله ، و الأخلاق الفاضلة التي تحلى بها صلى الله عليه وآله ، فمدحوه إعجابا بالفضيلة و ثناء على صاحبها، و اهتزازا أمام النبيل و الأريحية و إكبارا للمروءة و الشجاعة (5).

و تركيز الشعراء على هذه الحقيقة جاء لتبيان سمو الرسالة المحمدية التي جاء بها في عصر انطماس الأبصار والبصائر عن معاني الإيمان ، و بعدهم عن معرفة الخالق سبحانه وشيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتكالب القوي على الضعيف، إلى أن ولد النور فبدد الظلمات ، و أزال الحجب والموانع عن معرفة الله، وزكى النفوس، وظهر الجوارح ووحده القلوب وألف الأمم ، و بلغ الرسالة ، و أدى الأمانة ، و أوضح السبيل و أنار الطريق و بين الصراط المستقيم ، و عبد اله حتى أتاه اليقين (6) و علم البشرية ما لم تكن تعلم.

1 - سعيد المنداسي : " الديوان الفصيح " تحقيق راجح بونار ، ص 33

2 - هي الشاعرة العراقية خديجة بنت محمود بن علي العزبي السامرائي ولدت في بغداد بحي الرصافة في أسرة محافظة ، وفيها توفيت .

3 - صابرة محمود العزى : " ديوان نفحات الإيمان " دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، دط ، ص 165

4 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ج1 ، ص 195-238

5 - إميل ناصيف : " أروع ما قيل في المديح " دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 11

6 - الحافظ أبي بكر البيهقي : " دلائل النبوة " باب معرفة أحوال صاحب الشريعة ، ص 62 .

و حديث الشعراء عن حقيقته الخلقية في عهده جاءت كرد فعل على المشركين ، فبعد أن جندت قريش شعرائها لهجاء الرسول ﷺ بات لزاما على المسلمين أن يستنجدوا بسلاح الشعر فكان شعرهم سيفا بتارا يذودون به عن العقيدة الإسلامية ، فتصدوا بشعرهم لعناة الإفك من المشركين و اليهود و وصفوه بأعلى ما يوصف به موصوف ، من الذين أحسنوا الوصف حسان بن ثابت فقد أفرغ عليه من الصفات ما تليق بمقامه ﷺ ، وحينما دعاه الرسول ﷺ لهجاء أبي سفيان بن الحارث سأله كيف يهجو و يهجو قومه و هو منهم فقال: " و الله لأسلنك منهم كما يسئل الشعر من العجين. (1)

و حقيقته الخلقية عند عبد الله بن رواحة (2) هي الخير بكلّ تحمله من معاني الكمال و الأخلاق العالية ، من ذلك قوله يوم قال له الرسول ﷺ: " قل شعرا تقتضيه الساعة ، و أنا أنظر إليك " ، فانبعث من مكانه و قال :

إني تفرّستُ فيكَ الخيرَ أعرّفهُ  
أنتَ النَّبِيُّ و من يحرم شفاعتهِ  
و الله يعلم أنّ ما خانني البصرُ  
يومَ الحسابِ فقد أزرى به القدرُ  
فتبّتَ الله ما أتاك من حسنِ  
تثبّتَ موسى، و نصرأ كالذي نُصروا (3)

فردّ عليه النبي ﷺ: " و أنت فتبتك الله يا بن رواحة. " (4)

و من أكثر الشعراء تنويها بهذه الكمالات " شعراء الوفود " ، حيث نجدهم يكثر من صفات العفو و الصّفح و الأخلاق السّامية المحمودة التي تحلى بها ، من ذلك قول النابغة الجعدي (5) في رائيته التي يقول فيها:

أنتِهُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهْدى  
و جاهدتُ حتّى ما أحسّ و منّ معي  
و يهتئو لكتلبا لكالم-جرّة نعيّرا  
سهيلاً إذا ما لآخ تمّت غورا  
و كنتُ من النَّارِ المخوفةِ أحذرا (6)

و لامية كعب بن زهير الاعتذارية هي الأخرى عبرت عن هذه الحقيقته خير تعبير، من ذلك قوله:

أنبئتُ أنّ رسولَ الله أو عدني  
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ  
و العفو عندَ رسولِ الله مأمولُ  
قرآنٍ فيها مواعظٌ و تفصيلُ  
مهندٌ من سيوفِ الله مسلولُ (7)

يرى الشاعر في الرسول ﷺ الحقيقة التي أنارت قلوب المؤمنين ، فبنوره اهتدى

- 1 - أبو الفرج الأصفهاني: " الأغاني " ج 4 ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1970 ، دط ، ص 137.
- 2 - هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي ، شاعر و صحابي كان مقربا من الرسول ، ولد في يثرب من بني الحارث استشهد في غزوة مؤتة في جمادى سنة ثمان للهجرة .
- 3 - وليد قصاب: " ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره " دار العلوم للطباعة و النشر، الرياض ، ط1، 1981، ص 159
- 4 - ابن سيّد الناس: " منح المدح أو شعراء الصحابة ممّن مدح الرسول ﷺ أو رثاه " تحقيق: عفت وصال حمزة ، دار الفكر سوريا 1987 ، ص 167، 187
- 5 - هو أبو ليلي حسان بن قيس بن عبد الله من قبيلة جعدة ، شاعر مخضرم أسلم سنة 9هـ عثر مائة و عشرين سنة ، أسلم و حسن إسلامه ، حينما انتشر الإسلام في الجزيرة وفد على الرسول ﷺ في السنة التاسعة للهجرة. ت 56هـ - 684م.
- 6 - ابن سيّد الناس: " منح المدح أو شعراء الصحابة ممّن مدح الرسول ﷺ رثاه " ص 235 .
- 7- السكري: " شرح ديوان كعب بن زهير " دار الكتب ، القاهرة ، دط ، 1950 ، ص 23.

و طلب العفو لعلمه ما في قلب الحبيب من نورانية العفو و الصفح. و ذلك حين قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد انصرافه من الطائف في السنة الثامنة للهجرة لما عاود بجير الكتابة لأخيه و كان بجير قد شارك في غزوة حنين و قال فيها شعرا يدلّ على مدى إخلاصه للإسلام (1) و لما جاء كعبا كتاب أخيه بجير ضاقت به الأرض و أرجف به أهله ، و قالوا انه مقتول و أبت قبيلته مزينة أن تؤويه قال :

وردناه بنور الله يجلو  
رسول الله يقدمنا بأمر  
دجى الظلماء عنا و الغطاء  
من أمر الله أحكم بالقضاء (2)

و أكثر ما يستخدم هذا المصطلح في الحديث عن ملامحه الخلقية للدلالة على الطهر و الهداية و الصلاح ، من ذلك ما نجده في شعر كعب بن مالك إذ يقول في بانيته:

فيما الرسول شهاب ثم يتبعه  
الحق منطقه ، والعدل سيرته  
نجد المقدّم، ماضيهم ، معتزم  
بداننا ، فاتبعناه نصدقه  
نور مضيء، له فضل على الشهب  
فمن يجبه إليه ، ينج من تبب  
حين القلوب على رجف من الرعب  
و كذبوه، فكنا أسعد العرب (3)

و كعب لم يفقد الأمل في رحاب عفو ﷺ ، رغم أن نبي الله أهدر دمه ، إلا أنه أصرّ على رؤيته و طلب الصفح منه ، فعفا عنه و حسن إسلامه . (4)

كما عبر عن حقيقته العفوية عبد الله الزبيري في ميميته :

فاغفر- فدى لك - والدي كلاهما  
و عليك من علم المليك علامة  
زلي، فإتك راحم مرحوم  
نور أغر و خاتم مختوم (5)

فهذا النور لا يراه إلا العشاق من تدلت لهم الذات المحمدية حالة الوصال و القرب و ابن الزبيري رآه بعد أن رق قلبه بعد عفو المصطفى له و الصفح عنه .

و يكثر الحديث عن حقيقته الخلقية في مرثي الرسول ﷺ ، حيث نجد الشعراء يفتقدون إلى هذه الحقيقة التي طالما عمت الكون بنورها و هداها و أمنها و سلامها ، و خير من عبر عن هذا الفقد حسان بن ثابت في قوله :

يدل على الرحمن من يقتدى به  
إمام لهم يهديهم الحق جاهاً  
عفو عن الزلات يقبل عذرهم  
عزيز عليه إن يجوروا عن الهدى  
وينقذ من هول الخزايا و يرشد  
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا  
و إن يحسنوا فالله بالخير أجود  
حريص على أن يستقيموا و يهتدوا (6)

1 - كما شارك في حصار الطائف و قتال المشركين من ثقيف .

2 - ابن سيد الناس: " منح المدح " ص 319 .

3 - كعب بن مالك: " الديوان " تحقيق: سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط1، 1966 ، ص 291.

4 - سميت هذ القصيدة المدحية المباركة ب " البردة النبوية " ذلك أن الرسول ﷺ صاحبها ببردة مطهرة تكريماً لكعب بن زهير زهير وتشجيعاً للشعر الإسلامي الملتزم الذي يناقح عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني . فهذه القصيدة أول ما نظم بعد إسلامه و قد نظمها على حال الخوف، و هي تعد النموذج الذي قنن الأصول الفنية لبناء القصيدة الشعرية المادحة ، حيث أصبح الشعراء يفتقون أثرها لمدح الرسول فيما بعد.

5 - ابن إسحاق : " السيرة النبوية " مجلد2 ، ج 6 ، ص 213

6- حسان بن ثابت الأنصاري : " الديوان " تحقيق: البرقوقي ، ص 148-149



يرى زكي مبارك أن هذه القصيدة فيها من نزعة شبه صوفية (1) لأن فيها من وصف خلق الرسول ﷺ ومناقبه ما لم تشتمله مدائحه، ولأن فيها من الرقة واللين ما لم نره في شعره من عنف و شدة ، و لا سيما نقائضه و أهاجيه لخصوم الدعوة الإسلامية (2).

مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأُولَى سَلَفُوا      و أَبْذَلَ النَّاسَ لِلْمَعْرُوفِ الْجَادِي (3)

و حقيقته النورانية ظلت مهيمنة على أغلبية القوائد التي رثته ﷺ، فقد كان القصد منها لإبراز مبادئ الإيمان التي حملتها الرسالة المحمدية في حقيقتها ، و تأكيد فضلها على الأمة .

و في العصر الأموي واصل الشعراء النظم في هذا المنحى من ذلك قول الكميت في بانيته التي يقول فيها :

أنت المصطفى المَهْدَبُ المحضُ في      النسبة إن نصَّ قومك النسبُ  
بك اجتمعت أنسابنا بعدَ فرقة      فنحن بنو الإسلام ندعى و ننسبُ (4)

يؤكد الشاعر في هذه القصيدة (5) أحقية آل البيت في الحكم ، مذكرا الأمويين بالخصال التي تحلى بها صاحب الرسالة محمد ﷺ و التي هي بالضرورة خصال آل بيته الكرام مما جعلتهم يكسبون الحق في الخلافة .

كما عبر عنها شعراء العصر العباسي خاصة في العصر المملوكي ، من ذلك ما نجده في قول عفيف الدين التلمساني (6) في قافيته التي يدعو فيها إلى التمسك بأخلاق الحبيب محمد ﷺ إذ يقول :

و إذا دعاك الصبَا نفسُ الصبَا      فأجب رسولَ نسيمه الخفاقِ  
و اخلع سلوكك فهو ثوبٌ مُخلَقِ      و البسْ جديدَ مكارمِ الأخلاقِ (7)

و لعل الإكثار من شمائله ﷺ راجع إلى تشجيع الحكام و الفقهاء على نشر الرسالة المحمدية و دعوة الناس إلى التمسك بأهداب الدين خاصة في فترة حكم الغني بالله .

و من شعراء العهد العثماني الذين عبروا عن حقيقته الخلقية المنداسي في لاميته:

أحمدَ المَبْعُوثُ فينَا رَحْمَةً      خيرَ من قامَ بحقٍ و كفلُ  
أيةُ الله أَمِينٌ صَادِقٌ      و حبيبَ الله بِرٌ مُنتَظِلُ  
قَدْ تَحَلَّى إذ تَجَلَّى بَدْرُهُ      بالبَهَا من ربّه عزّ و جلُّ (8)

و إذا تتبنا القصيدة الحديثة فنجدها هي الأخرى لا تخلوا من التعبير عن حقيقته الخلقية فقد

1 - زكي مبارك: " المدائح النبوية في الأدب العربي " منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1935 ، ص 44

2 - محمود علي المكي: " المدائح النبوية " الشركة المصرية للنشر ، ط 1 ، 1991 ، ص 27.

3 - حسان بن ثابت : " الديوان " ص 98.

4 - أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: " شرح هاشميات الكميت " ص 525

5 - و تظهر في هذه القصيدة الروح الصوفية للشاعر خاصة في صورة الافتداء بالنفس و التي اتخذها الصوفية شعارا لهم.

6 - هو أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله المعروف بعفيف الدين التلمساني ، ولد سنة 610 هـ بتلمسان و بها تلقى بذور التصوف ، توفي سنة 690 هـ بدمشق.

7 - عفيف الدين التلمساني: " الديوان " ج 1 ، تحقيق : يوسف زيدان ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 2 ، 2008 ، ص 159 .

8- سعيد الهنداسي : " الديوان " تحقيق : رايح بونار ، ص 40

رأوا فيه مستكمل الصفات ، من ذلك ما نجده في الهزمية النبوية لأحمد شوقي :

يا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا هَوَى الْعُلَا  
زانتك في الخلق العظيم شمائلُ  
بك يا ابنَ عبدِ الله قامتِ سَمْحَةٌ  
فرسمت بعدك للعبادِ حكومةً  
منها و ما يتعشقُ الكبراءُ  
يعزى به و يُولعُ الكرماءُ  
الحقُّ من مللِ الهدى غراءُ  
لا سُوقَةٌ فيها و لا أمراءُ (1)

كما عبر عنها معروف الرصافي (2) في قصيدته " في حفلة الميلاد النبوي " ، حيث يقول :

وضَّحَ الْحَقُّ الْحَقُّ وَ اسْتَقَامَ السَّبِيلُ  
هَمَّةٌ دُونَهَا الْكَوَاكِبُ نُورًا  
بعظيمِ هَوِّ النَّبِيِّ الرَّسُولِ  
و اعتلاءِ يعلو به و يطولُ (3)

و حقيقته بهذا المفهوم هي المثل المضروب لأفضل الفضائل المقدسة في سجل الإنسانية التي بلغ بها ذروة الكمال الإنساني في سائر أخلاقه وخصاله وفي جميع جوانب حياته ، فلا مقام فوقه ، لأنه أحسنهم خلقا و أكرمهم حسبا ، و أحسنهم جوارا و أعظمهم حلما و أصدقهم حديثا و أعظمهم أمانة ، و جمع فيه الله من الأمور الصالحة (4) فاستحق المختار المجتبي أن يكون حبيب الرحمان فضلا من المنان ورحمته ، ويكون الإنسان الكامل الذي بعثه الله بأسمى و آخر رسالة سماوية لهداية الإنسان وخير البشرية جمعاء ، و هذه الكمالات تمهيدا للقول بنظرية الإنسان الكامل التي اتكأ عليها الصوفية لبناء نظرياتهم في الحقيقة المحمدية .

هـ - حقيقته البطولية : بعد أن كان الشعراء مشجعين للعصبية القبلية أصبحوا مجاهدين في سبيل نصره الدين الجديد مدافعين عن النبي ﷺ و المسلمين ومرافقونه في غزواته و حروبه ، و ذلك بتأييد من الرسول فقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال: " من يحمي أعراض المسلمين ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، و قال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله ، و قال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله ، فقال : نعم أهجم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس." (5)

و بهذا التحفيز النبوي راح الشعراء يؤيدون دعوته و ينشرون رسالته المحمدية و يبثون على شمائله الحميدة ، متخذين من شعرهم أداة لنصرة الإسلام فمن قوله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري : " أهجم فو الله لهجائك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام أهجم و معك جبريل و روح القدس... " (6) ، و من هذا المنطلق فقد وضع الرسول ﷺ لحسان منبرا يهجو من هجا الرسول ﷺ يقول حسان مفتخرا ببطولته :

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ  
و أكرمنا الله الذي ليسَ غيرهُ  
بنصرِ الإلهِ و الرسولِ و دينهُ  
فلَمَّا أتى الإسلامُ كانَ لنا الفضلُ  
إلهُ بأيامٍ مضتْ ما لها شكْلُ  
و ألبسناه أسما مضى ما له مُثلُ (7)

1 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ج1 ، ص40-41

2 - ولد ببغداد 1877هـ و نشأ بها و رحل إلى دمشق و القدس ، توفي سنة 1954م.

3 - معروف الرصافي : " الديوان " ج1 ، دار العودة ، بيروت ، دط ، 1972 ، ص 490.

4 - ابن هشام : " السيرة النبوية " مجلد 1 ، ج1 ، دار الحديث ، القاهرة ، ط2 ، 1998 ، ص 162.

5 - أبو الفرج الأصفهاني : " الأغاني " ج4 ، ص 145.

6 - محمد ابن سلام الجمحي : " طبقات فحول الشعراء " ج1 ، بيروت ، دار النهضة العربية ، دبت ، دط ، ص 217 .

7 - حسان بن ثابت : " الديوان " ص 328

و قول سراقه بن مالك (1) لما رجع خائبا في الحاق بالنبي ﷺ لينال جائزة قريش فغضب منه أبو لهب و قال سراقه يخاطبه :

أبَا الْحَكْمِ و الله لو كنتَ شاهداً  
عجبتُ ولم تشكك أن مُحَمَّدًا  
لأمرِ جَوَادِي إذ تسوخ قوائمه  
رسول و برهان فمَن ذا يقاومه (2)

ومن شعراء العصر العباسي قول الشاعر مهيار الديلمي (3) في ميميته :

ما بَرَحْتُ مَظْلَمُهُ دَنِيَاكُمْ  
بِنْتُمْ بِهِ و كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ  
حَلَلْتُمْ بَهْدِيَّةً و يُمْنُهُ  
تَحَقَّقَ رَايَاتِكُمْ مِنْصُورَةٌ  
حَتَّى أَضَاءَ كَوَكِبٌ فِي هَاشِمٍ  
سَرًّا يَمُوتُ فِي ضُلُوعِ كَاتِمٍ  
و بعد الوهاد في ذرى العواصم  
إذا ادَّرَعْتُمْ بِاسْمِهِ فِي جَاحِمٍ (4)

وجد الشاعر في هذه الأبيات يعدد مآثر نبي الإسلام على العرب و اعتلاء شأنهم ، و ندد بما لقيه من قومه قريش في حياته .

كما عبر عنها البوصيري في برده ، حيث نجده يرسم لنا بسالة الرسول ﷺ و شجاعته فقد أطال الوقوف على ملامحه ، كما ركز على تصوير شجاعة المسلمين في غزواتهم مع الرسول ﷺ خاصة غزوة بدر و أحد ، إذ يقول فيها :

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ  
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءَ بَعَثْتَهُ  
ما زالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ  
و دَوَا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغِيبُونَ بِهِ  
سَعِيًّا و فَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنِقِ الرَّسْمِ  
كَنْبَاءُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْغَنَمِ  
حَتَّى حَكُوا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِّ  
أَسْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعَقْبَانِ و الرَّخَمِ (5)

و غاية الشاعر من تصوير بطولاته في الغزوات و الحروب لدفع الشعوب العربية للجهاد و الوحدة للغزو الصليبي .

أما العهد العثماني فقد كان أكثر الشعراء من التركيز على حقيقته البطولية ، و ذلك نظرا للحالة التي كانت تعيشها الجزائر و هي الاحتلال الاسباني الذي أعقبه الاحتلال التركي مباشرة مما أدى إلى عدم استقرارها ، يقول المنداسي معبرا عنها في نونيته :

كَأَنَّ مُحَمَّدًا فِي الدِّينِ سَيْفٌ  
بِهِ قَطَعَ الْوَتِينَ اللهُ حَقًّا  
كَأَنَّ أَسْنَةَ الْأَنْصَارِ أَيْكُ  
و فِي أَهْلِ الرَّدَى الْفَجْرَ الْمَتِينُ  
مِنَ الْكُفَّارِ ذُو الْبَطْشِ الْمَتِينُ  
و مُحَمَّدَ لَيْثُهَا ، و هِيَ الْعَرِينُ (6)

1 - هو الصحابي الجليل ابن جشعم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة ابن كنانة ، توفي سنة 24هـ .  
2- الهرفي بن علي : "مدائح الرسول ﷺ و مراثيه في عصره " مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط2، 2005 ، ص 97 .  
3- هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الديلمي الكاتب الفارسي ، ولد في بغداد في أوائل العقد السادس من القرن الرابع الهجري ، كان مجوسيا و اعتنق الإسلام سنة 394هـ أسلم على يد الشريف الرضى ، توفي سنة 428هـ .  
4 - مهيار الديلمي: "الديوان " ج 2، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط 1، 1925 ، ص 234 .  
5 - شرف الدين البوصيري : "الديوان " ص170-171 .  
6 - سعيد المنداسي : "الديوان " تحقيق : رابح بونار ، ص 63

أما في الشعر الحديث فقد حظي الجانب البطولي في شخصيته صلى الله عليه وسلم باهتمام كبير من الشعراء في قصائدهم ملتسمين في ذلك التاريخ الإسلامي القديم (1) ، و سرّ هذا الاهتمام واقع الأمة العربية ، فكانت حقيقته البطولية هي الأقرب إلى واقع العصر الذي شهد صراعا سياسيا وعسكريا على الأرض الإسلامية والعالم العربي ، فنظروا إليها الشخصية المنقذة من التردّي (2) متخذين من حروب الرسول صلى الله عليه وسلم و غزواته قناعا لمعالجة الواقع و خير من أعجب بها عنها الشاعر أحمد محرم ، بحيث يعد أول من طرز في حروب النبي صلى الله عليه وسلم و غزواته فبطولته صلى الله عليه وسلم عنده فاقت سمو الأبطال ، سمو لا يمكن أن يكون موضع اختيار الرجل العادي و هو ما عبر عنها في " الإلياذة الإسلامية " التي يفتتحها بقوله :

إملاً الأرضَ يا محمّداً نُورا      و اغمُر النَّاسَ حُكْمَةً و الدُّهوراً  
حَجَبَتْكَ الغُيوبُ سرّاً تجلّى      يكشِفُ الحُجُبُ كُلَّهَا و السُّتورا  
أنتَ أنشأتَ للنفوسِ حياةً      غيَّرتَ كلَّ كائنٍ تغييراً (3)

وهذه الإلياذة تعدّ من أجمل ما دبجته يراعات الشعراء ، فقام من خلالها بتحديد أهم معالم الرسالة المحمّدية و مضمونها السماوي في صورة مشرقة لحياة آمنة و دعوته صلى الله عليه وسلم إلى تحقيقها فوصف الصراع بين الخير و الكفر و بيّن لنا كيف انتصر الخير.

و هكذا ظلّ الشعراء منذ حسان بن ثابت حتّى أحمد محرم يتبارون في إظهار عظمته صلى الله عليه وسلم و بطولته بحثا عن عالم أكثر نقاء و صفاء ، و عن ذات أكثر طهرا رغبة منهم في إعادة الناس إلى الصورة الصحيحة للشخصية المحمّدية لاجتياز المحن .

و - حقيقة الأماكن المقدسة : نظم شعراء الحنين إلى البقاع المقدسة شعرا غزيرا وألحوا عليها كثيرا في قصائدهم ، و ذلك لارتباطها بأعظم موجود عرفته البشرية و لاحتوائها قبر الحبيب الهادي . و مما يزيد لها قدسة قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا

الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٤﴾ فهذا دليل على شرف هذا المكان و أهله ، سيّدنا إبراهيم وولده

إسماعيل لزيادة التعظيم ، فهي خير البقاع على وجه الأرض و ظهرت فكرة تقديس الأماكن بشكل ملحوظ في العصر الإسلامي ، خاصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث نجد الشعراء يلتفتون إلى الديار المقدسة استمدادا للصبر " ، فأرواحهم تتشوق لزيارة قبر الرسول الشريف و مجده المنيف ، فقد اتفق المسلمون على أن هذه الزيارة تعتبر من أعظم القربات و أرجى الطاعات و هي السبيل إلى الوصول إلى أعلى الدرجات " (5) ، و من الشعراء الذين ولعوا بهذه المرافق حسان بن ثابت ، حيث يقول في داليته :

فبُوركتَ يا قَبِرَ الرُّسُولِ و بُوركتَ      بلادُ ثَوَى فيها الرّشيدُ المسدّدُ  
و بُوركَ لحدّ منكُ ضمّنَ طيّباً      عليه بناءٌ منْ صفيحٍ منضدٍ (6)

1 - حلمي القاود : " محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث " دار الوفاء للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط1 ، 1987 ، ص 200

2 - المصدر نفسه : ص 203

3 - أحمد محرم : " مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية " مطبعة الفتوح الجديدة ، دط ، 1922 ، ص 30 .

4 - سورة البلد : الآية 01

5 - محمد أحمد درنيقة : " معجم أعلام شعراء المدح النبوي " دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 1996 ، ص 26 .

6 - حسان بن ثابت : " الديوان " تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، ص 92

سكب الشاعر على القبر دموع اغترابه و نثر عليه ورد عذابه و كتب على مرمر الوهم  
بأس المرثي والحزن ، فأصبح عندهم بمثابة النور الذي يغمر أفئدتهم مسكا يتطبب به المسلمون  
و قوله أيضا:

بطيبة رسم للرسول و معهد  
و لا تنمحي الآيات من دار حرمة  
منير و قد تعفو الرسوم و تهمد  
بها منبر الهادي الذي كان يصعد<sup>(1)</sup>

استمر الشعراء ينظمون القصائد الشوقية في العصر العباسي ، و هذا الحنين كان باعثا على  
نظم الحجازيات فيما بعد ، ومن الذين نظموا في هذا الفن فأجادوا الشريف الرضي ، فله في  
الحنين إلى أرض الحجاز و أهلها ، من شعره في الشوق إلى مرابعه قصيدته الدالية التي يتغزل  
فيها بنجد و أهلها ، حيث يقول:

أسائل بسيفي أي بارقة تجدي  
و أطلب في الدنيا العلاء و ركائبي  
و لمين خير الأرض أهلاً و تربة  
و لي رغبة ممن يعلل بالوعد  
مقلقلة ما بين غور إلى نجد  
يحط بها رحل المكارم و المجد<sup>(2)</sup>

و من أكثر الشعراء شوقا إلى حماه شعراء الأندلس ، و ذلك راجع لظروف العصر التي  
منعتهم من الاكتحال بروية مرابعه المقدسة ، فبعد المزار جعل الشعراء يلتفتون إلى شخصيته  
و يبثون فيها أحزانهم و أشواقهم ، و من الشعراء الذين تغنوا بمابعه بشكل مكثف ابن زمرك  
(6<sup>3</sup>) في نونيته التي يقول فيها:

لعل الصبا إن صافحت روض نعمان  
و ماذا على الأرواح وهي طليقة  
و ما حل من يستودع الرياح سره  
أسائل عن نجد و مرعى صبابه  
تؤدي أمان القلب عن طيبة الباني  
لو احتملت أنفاسها حاجة العاني  
و يطلبها و هي النجوم بكتماني  
ملاعب غزلان الصريم بنعمان<sup>(4)</sup>

و من الشعراء الذين تاهوا هياما ووجدا ابن عربي ، حيث يقول في قافيته :

فيا واردين مياه القليب  
و يا طالباً طيبة زائراً  
قد أسلمه الحب للحادثات  
و يا ساكنين بوادي العقيق  
و يا سالكين بهذا الطريق  
بهذا المكان بغير شفيق<sup>(5)</sup>

و من شعراء المشرق الذين تلهفت قلوبهم إلى المشاهد النبوية الإمام شرف الدين  
البوصيري ، و هو ما أفصحت عنه ميميته التي يفتتحها بهذه المقدمة الغزلية :

أم من تفكر جيران بذي سلم  
أم هبت الرياح من تلقاء كاظمة  
مزجت دمعاً جرى من مقلعة بدم  
وأومض البرق في الظلماء من إضم

1 - المرجع نفسه :ص 85

2 - الشريف الرضي: "الديوان " ج 1 ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، 1981 ، ص351.

3- هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي كنيته أبو عبد الله ، و يعرف بابن زمرك ، ولد بغرناطة سنة  
733هـ ، و هو تلميذ ابن الخطيب ، قتل سنة 793هـ.

4- أحمد المقري: " نفح الطيب " ج 5 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، دط ، 1968 ، ص 47- 48 .

5 - محيي الدين ابن عربي: "ترجمان الأشواق " ص 97

لولا الهوى لم ترق دمعاً على ظللٍ      ولا أرقّت لذكرِ البانِ و العلمِ (1)

كما عبر عن هذا الشوق لإمام الصرصري ، فقصائده في مجملها جاءت لوصف الشوق إلى أرض الحمى ، من ذلك قوله في قصيدته " ركب الحجاز " :

ركبُ الحجاز و منك الخيرُ مأمولُ      هلْ عندك اليومَ للمشتاقِ تنوِيلُ  
عللٌ بما طابَ للبطحاءِ من خبرِ      ذا الوجدِ إن كانَ يشفي الصبَّ تغليلُ  
هلْ ربّةُ السترِ بعد النأيِ دانيةٌ      أم حبلها بعد طولِ القطعِ موصولُ  
أم هلْ تحلّ مطايانا ساحتها      و ربعها الرّحْبُ بالأحبابِ مأهولُ (2)

و من شعراء العهد الزياني الذين نسجوا قصائد شوقية السلطان أبو حمو موسى الثاني حيث يقول في يائئته:

قفًا بينَ أرجاءِ القُبابِ و بالحيِّ      و حيِّ ديارًا للحبيبِ بها حيِّ  
و عرّجِ على نجدٍ و سلعٍ و رامةٍ      و سائلٍ فدتكَ النفسُ في الحيِّ عن ميِّ  
و بُثِّ لهمْ و جدي و فرطٌ صبابتي      و أرو حديثي أغربَ مزويِّ  
يُعبئني شوقي و يضعفني الهوى      و قلبي على جمرٍ من الشوقِ محميُّ (3)

و أكثر ما نجد الشعراء يتوقون إلى زيارة مرابعه شعراء العهد العثماني فلا نكاد نجد موشح أو قصيدة إلا كان الحنين إلى البقاع في مقدمة قصائدهم من ذلك ما نجده في قصيدة المنداسي اللامية التي فيها يشكو بعد المزار ، و تعذره اللحاق بأرض الحمى :

قفُ بنا حادي السّيرِ حتّى نرى      بالعرا دارًا عهدنا و الطلّلِ  
سرّ بنا نحو أنثيلاتِ الحمى      علّ منّا البرء يسري في العللِ  
شاب فوق الهوى ، لنا الجفأ      و الشّباب الغضُّ بالوصلِ اكتحلِ (4)

و خير من عبر عن شوقه إلى منازل الحبيب في العصر الحديث محمود سامي البارودي (5) في قصيدته " كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة " و التي يفتتحها بقوله :

يا رائدَ البرقِ يممّ دارةَ العلمِ      واحدُ الغمامِ إلى حيِّ بذني سلمِ  
و إن رمتْ على الرّوحاءِ فأمرٌ لها      أخلاقٌ ساريةٌ هتانةُ الدّيمِ  
من الغزارِ اللّواتي في حوالبها      ريّ النواهلِ من زرعٍ و من نعمِ  
عهدٌ تولّى و أبقي في الفؤادِ لهُ      شوقًا يغلّ شبابة الرّأيِ و الهممِ (6)

يفتح الشاعر هنا قصيدته على عادة الشعراء القدامى من ذكر المواقع الحجازية ، حيث نجده يهدي له السلام مع الريح و البرق ، و كذلك قول الشاعر محمد الفيتوري في قصيدته " يوميات حاج إلى بيت الله الحرام " :

1 - شرف الدين البوصيري: " الديوان " ص 165  
2 - يوسف النبهاني: " المدائح النبوية " ج 3، ص 21  
3 - يحيى بن خلدون " بغية الرواد " مجلد 2 ، تحقيق : ألفريد بال ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، دط، 9111، ص 65، 66 ، 43.  
4 - سعيد المنداسي: " الديوان " تحقيق: رابح بونار ، ص 39  
5 - عاش في النصف من القرن التاسع عشر ، توفي سنة 1904 م .  
6 - محمود سامي البارودي : " كشف في مدح سيد الأمة " تحقيق : سعد ظلام ، دار القادري للطباعة و النشر، دمشق ، ط 1998 ، ص 44.

قوافلٌ يا سيّدي قلوبنا إليك  
تحجُّ كلَّ عامٍ  
هياكلٌ مثقلةٌ بالوجدِ و الهيام  
تسجدُ عندَ عتباتِ البيتِ و المقام  
تُقرئُك السّلامُ (1)

يمكن القول أن الشعراء عبّروا حقيقةً مرابحةً لبعدهم و اغترابهم عن الحبيب صلوات الله عليه حيث تبدو الذات الشاعرة مفارقةً لذاتها مستسلمةً لذلك الواقع تائهةً في عالم الغربة و غواشي البدن فتوقها إلى الرحلة نحو الذات المحمّدية رفضاً منها للواقع المعيش ، و سفرها نحو البقاع المقدسة ليس سوى معادلاً موضوعياً لرحلة الذات المغتربة محاولةً منها أن تستعويض غيابها بحضورها الرّوحي بواسطة الشخصية المحمّدية .

ل - حقيقته التوسلية : ملئت قصائد الشعراء بالاستجارة بالرسول صلوات الله عليه ، و التوسل به منذ القدم ، و نظراً لظروف الأمة العربية المتردية و ما نتج عنها من خيبات أمل متكررة أدت إلى الشعور بالإحباط فلم يجد الشعراء متنفساً من هذا الواقع إلا في اللجوء إلى تيار التوسل فراحوا يستغيثون بالنبيّ الكريم بعد أن أحاكت بهم الآلام و انقلبت عليهم الأحداث خاصة في العصر الأموي و العباسي فقد سال حبر الشعراء مستجدين به بما سيلحق البلاد من فتن و حروب بين الأمويين و العلويين (2) فقد كانا عصر سفك الدماء و انتهاك الحرمات مما أدى بالشعراء إلى نظم قصائد تشكوا الوضع الذي إليه آله بيته صلوات الله عليهم ، من ذلك قول الشريف الرضي في قصيدته " كربلاء كربا و بلا " يستغيث بالرسول صلوات الله عليه بما لحق آل بيته :

يا رسولَ الله لو عاينتهم      و هم ما بين قتلى و سباً  
من وميض يمنع الظلّ ، و من      عاطش يُسقى أنابيب القنّاء  
هاتفاتٍ برسولِ الله في      بهر السّعي ، و عثراتِ الخطى (3)

و أكثر ما نجدها في المغرب في فترة الفتن و الثورات التي ما كانت تهدأ إحداها حتّى تهبّ الأخرى خاصة في غزو البربر الأراضي الأندلسية و تساقط مدنها و هزائم الحكام ابتداءً من القرن الخامس و السادس هجريين ، (4) و في ظلّ الوضع الذي ألت إليه البلاد الأندلسية نظم الشعراء مديحاً لجوءاً إلى النبيّ محمّد صلوات الله عليه . و من شعراء هذه الفترة الذين استنجدوا بحقيقته مالك بن المرحل السبتي في قصيدته " العتقاء " ، التي يقول فيها :

ألا عتقاء المصطفى إن حقّه      عظيم فكونوا أكرم العتقاء  
أترجون في يوم القيامة غيره      إذا قيل : هل للناس من شفعاء  
ألا يا رسول الله : أنت ملاذننا      و طبّك مذخورٌ لأعظم داء  
أياديك يا خير الوري عمّت الوري      فجزاك ربّ الناس خير جزاء (5)

1 - محمد الفيتوري : " الديوان " دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1979 ، ص 487 .  
2 - سامي مكي العاني : " الإسلام و الشعر " سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، دط ، 1996 ، ص 147  
3 - الشريف الرضي : " الديوان " ج1 ، ص 33 .  
4 - الأمر الذي أدى إلى انقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة عرفت باسم ممالك الطوائف .  
5 - عبد الله كنون : " مالك بن المرحل السبتي " دار الكتاب اللبناني للطباعة ، بيروت ، ط1 ، 1900 ، ص 184

و ظَلَّتْ حَقِيقَتُهُ التَّوَسُّلِيَّةَ مَهِيْمَةً عَلَى الْقَصَائِدِ الْمَدْحِيَّةِ حَتَّى فِي قَصَائِدِ الْمُلُوكِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلِ  
أَبُو حَمُو مُوسَى الثَّانِي فِي دَالِيَتِهِ الَّتِي تَوَسَّلَ بِهَا إِلَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَوَسَّلْتُ بِالْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      أَجْرَنِي مِنَ النَّارِ الَّتِي أَضْرَمْتُ وَقَدْ  
هُوَ الرَّحْمَةُ الْهَادِي الشَّفِيعُ لَنَا غَدَا      هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ يُلْهِمُنَا الرُّشْدَا  
هُوَ الذُّخْرُ لِلْهُولِ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى      وَمَنْ ذَا سِوَاهُ لِلْمَخَافِ إِذَا اشْتَدَّا (1)

و ما نجده في قصيدة " البردة " (2) للبوصيري فقد حظيت باهتمام كبير على مستوى  
الصفوة لدرجة أنها أصبحت مصدر بركة إلى حد الاستشفاء (3) ، يقول فيها :

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ      سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ  
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي      إِذَا الْكَرِيمَ تَحَلَّى بِاسْمِ مَنْتَقِمِ  
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا      وَ مِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ (4)

كما توسل بها الإمام الصرصري في جيميته التي يقول فيها:

أَجْرَنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي زَمَنِ لَهْ      عِرَامٌ لِأَهْلِ الْحَلَمِ أَصْبَحَ مَرْعَا  
وَلَسْتُ أَرَى مَعِينًا أَبُتُّهُ      شَجُونِي فَمَا أَزْدَادُ إِلَّا تَوَهُّجَا  
لَأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْجَحُ شَافِعِ      لِدَفْعِ الْمَلَمَاتِ الشَّدَائِدِ تَرْتَجَى (5)

يتوسل الشاعر في هذه الأبيات بالحبیب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حلَّ الأمة الإسلامية من هجمات من الشرق  
و الغرب الصليبيين من ناحية و التتار من الغرب ، و فساد كثير من الحكومات و ظلمها للرعية  
إلى أن قدر له أن يكون واحد من أولى ضحايا اكتساحهم لبلاد.

و أكثر ما نجدهم يتوسلون به في العهد العثماني خاصة فترة الغزو الصليبي لما تكثفت  
الحمالات الصليبية على الشواطئ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المغربية منذ سقوط غرناطة سنة 897 هـ (6) حيث أخذت  
الدول الغربية و في مقدمتها اسبانيا تشن حملاتها على سواحل الجزائر ، و بعض مدنها  
كوهران (7) ، فكانت حقيقته وسيلة للنجاة ، و واسطة يتوسلون به فنجدهم يمجّدونه و يقدسونه  
فلم يجدوا السبيل غير حقيقته و الانضواء بنورها ، و من شعراء هذه الفترة الذين عبروا عنها  
الشيخ عبد الكريم الفكون " من ذلك قوله في يائيته التي يتوسل بنوره الذي أحيا الكون لرفع الضر  
و إزالة السوء و طلب الرضا إذا ما حضره الموت . :

لَوْجْهَكَ يَا بَدْرَ الْكَمَالِ تَلَأُو      وَ غِيثٌ بِهِ الْأَكْوَانُ إِذْ مَا بَدَا تَحْيَا  
أَيَا مَنْ سَمَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا      وَ جَاوَزَ كُلَّ الْحَبَبِ يَرْقَى إِلَى الْبَغْيَا

- 1 - يحي بن خلدون: " بغية الرواد " ص 226
- 2 - عاشت البردة في ضمير الأجيال و نهج على منوالها و تجاوزت شروحا خمسين شرحا و تنافس أكثر من مائة شاعر على معارضتها المشطرين و المخمسين و المسبعين ، وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى و المحدثين
- 3 - نظمها توسلا منه إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذ يعلل لنا سبب نظمها فيقول: "...ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة ، فعملتها و استشفيت بها إلى الله أن يعافيني و كررت إنشادها و بكيته و دعوت و توسلت و نمت فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح على وجهي بيده المباركة و ألقى عليّ بردة فانتهيت و وجدت في نهضة ، فقممت و خرجت من بيتي". ينظر : " شاعر البردة البوصيري " ص 33
- 4 - شرف الدين البوصيري: " الديوان " ص 173.
- 5 - نقلا عن محمود علي مكي: " المدائح النبوية " ص 104.
- 6 - عبد الرزاق قسوم: " عبد الرحمن التعلالي و التصوف " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 1978 ، ص 96
- 7 - عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1981 ، ص 49



بحضرتك الحسناً ، تصلح لي الوصيا  
ببائك راج ما تلبثت الدنيا<sup>(1)</sup>

أغثني إذا ما الموت احكم سكرت  
أما و الذي أحيا بك الكون إنني

و هناك من توسل به ليغفر الله عن ذنوبه ، من ذلك ما نجده في قول المنداسي في لاميته :

لم يفز من لا لها منك دخل  
يا رسول الله غث عبداً حصل  
يقبل الله من العبد العمل  
عن أمين الله من وحي نزل<sup>(2)</sup>

أنت باب الله للدار التي  
ما ذنوبي إن تجلي فضلكم  
صل يا رب على من باسمه  
أحمد الداعي إلى الله بما

و من توسلات العصر الحديث ما نجده في قول الشاعر صابرة محمود العزى حيث تقول في قصيدتها " من وحي حب الرسول ﷺ " :

و الشوق في الأعماق أودى بيه  
فارق بأشواقِي و الأميهِ<sup>(3)</sup>

يا سيدي قد ضاق بي مسلكي  
يا سيّد الرُّسل لك المشتكى

و قول أحمد شوقي في همزيته :

في مثلها يلقي عليك رجاء  
ركبت هواها و القلوب هواء  
ثقة ، و لا جمع القلوب صفاء<sup>(4)</sup>

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة  
أدري رسول الله أن نفوسهم  
متفككون ، فما تضم نفوسهم

كما شكا الشعراء للرسول ﷺ حقيقة الواقع المزري ، فوجدوا في حقيقته لما افتقده في الواقع من راحة و سكينه ، " و يكثر هذا النوع من التوسل به في زمن تدهور عقائد الناس و فساد أخلاقهم و اهتزاز القيم الإسلامية. " <sup>(5)</sup>

م - حقيقة معجزاته : عبر الشعراء عن حقيقة معجزاته خير تعبير ، و من أكثر المعجزات ذكر معجزة الإسراء و المعراج <sup>(6)</sup> ، باعتبارها المعجزة الوحيدة التي ارتكز عليه الصوفية فيما بعد لبناء نظريتهم ، فالرسول ﷺ بهذا الارتقاء أعطى للصوفية حق الارتقاء الروحي من ذلك ما نجده في قول كعب بن مالك في ميميته :

على جبل الطور المنيف المعظم  
على الموضع الأعلى الرفيع المسوم  
سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمم  
صغار الحصى في كفه بالترنم<sup>(7)</sup>

فإن يك موسى كلم الله جهرة  
فقد كلم الله النبي محمدا  
و إن يك نمل البر بالوهم كلمت  
فهذا نبي الله أحمد سبحت

1 - أبو القاسم سعد الله : " عبد الكريم الفكون شيخ الإسلام " ص 214-216

2 - سعيد المنداسي: " الديوان " ص 44 .

3 - صابرة محمود العزى : " الديوان " ص 359.

4 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ج 1، ص 41

5 - يحيى بن خلدون : " بغية الرواد " ص 22

6- اختلفت روايات الإسراء و المعراج ، و تباينت آراء الفقهاء في طريقة حدوثها ، هل كانت في ليلة واحدة أم لا ، و هل كانت في البقعة أم في المنام ، و هل كانت مرة أو مرتين ، فذهب جمهور من المفسرين و المحدثين و الفقهاء و المتكلمين إلى أنها وقعت في ليلة واحدة و في البقعة .

7 - كعب بن مالك : " الديوان " ص 270

كما عبر عن معجزاته شعراء العهد المملوكي خاصة في القرن السابع و الثامن ، من ذلك ما نجد عند البوصيري في قصيدته ميميته التي يسرد فيها معجزات الليلة التي ولد فيها فيقول:

جاءتْ لدعوتهِ الأشجارُ ساجدةً      تمشي إليه ساق بلا قدم  
كأنَّما سَطَّرتْ سَطْرَ لَمَّا كَتَبْتَ لها      فروعها من بديع الخطِّ في اللقم  
مثل الغمامةِ أنَّى سارَ سائرةً      تقيه حرًّا و طيسٍ للهجيرِ حمي  
أقسمتُ بالقمرِ المنشقِّ إنَّ له      من قلبه نسبة مبررة القسم<sup>(1)</sup>

و زادت هذه المعجزة ذكرا عند الشعراء في القرون اللاحقة أكثر ، و من الشعراء الذين عبروا عنها في العهد العثماني عبد الكريم الفكون ، من ذلك قوله في همزيته :

حوى ليلة المعراج كل فضيلة      و أم بها ، نعم الإمام المبرراً  
قرير لعين عاد بالسؤل و المني      و توجه المولى بما هو أهناً  
أتم له بالفرض أشرف خلعة      و أذفه الأفلاك ، و الحجب توطأ  
له المعجزات الغر أسطع نورها      و أرفعها قدراً من الدهر يقرأ<sup>(2)</sup>

و قول المنداسي في رائيته التي يسرد فيها معجزاته صلى الله عليه وسلم التي سبقت مولده :

يا غرة ضحك السعد لطلعتها      كما استضاءت بضوئها التبشير  
بات السرور يعاطي الكون صهته      و للنفوس قبيل الفجر تكبير  
إذا تغنى الحجاز و أنشئ طرباً      تكاد ترقص من تهامة الدرر<sup>(3)</sup>

و الحديث عن حقيقة معجزاته جاء بشكل ملفت للنظر في فترة الصراع مع الصليبيين و كذلك الصراع العقائدي الذي دفع الشعراء إلى مجارة الأعداء في صفة المسيح وطبيعته حيث نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحتل مكانا خاصا و فريدا بين الخالق و مخلوقاته ، فإذا كان المسيح عيسى عليه السلام بن مريم ابن الله ، فإن محمد صلى الله عليه وسلم أرفع شأننا منه ، لأنه القادر على كل شيء. <sup>(4)</sup> و آياته كما قال أحمد شوقي في ميميته :

آياته كلما طال المدى جدد      يُزيّنهنَّ جلال العتق و القدم  
يكاد في لفظه منه مشرفة      يُوصيك بالحق و التقوى و بالرحم  
يا أفصح الناطقين بالصاد قاطبةً      حديثك الشهد عند الذائق الفهم  
أسرى بك الله ليلاً إذ الملائكة      و الرسل في المسجد الأقصى على قدم<sup>(5)</sup>

ن - حقيقة آل بيته : باتت حتمية تقديم الولاء و الطاعة لهذه الدوحة النبوية و تعداد محاسنهم و مناقب بني هاشم أمرا مقضيا ، لأنهم ينتسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، و لأنهم صفوة عباد الله و لما لهم من مكانة عند المولى لقوله

1 - شرف الدين البوصيري : " الديوان " ص 169 .  
2 - أبو القاسم سعد الله : " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون " ص 48 .  
3 - سعيد المنداسي : " الديوان " تحقيق: رابح بونار ، ص 68 .  
4 - زكي مبارك : " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " ج 1 ، ص 235 .  
5 - أحمد شوقي : " الشوقيات " ص 237-238 .

تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

شَكُورٌ ﴾ (1) و قوله أيضا: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا " (2)

و قوله ﷺ: " من أحببني و أحبّ هذين و أحبّ أباهما و أمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .  
(3) و قوله ﷺ: " مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق " (4)  
و قد روى البخاري في صحيحه ، أنّ الرسول ﷺ كان حامل الحسن عليهما السلام على عاتقه و هو يقول  
قال: اللهم إني أحبه فأحبه. " (5)

و غيرها من الأحاديث التي تؤكد عقيدة المحبة لهذه الشجرة المباركة لأنّ " أسرته خير  
أسرة و شجرته خير شجرة ، أغصانها معتدلة ثمارها متهدلة. " (6)

و تظهر صور المحبة لهذه العترة النبوية بشكل ملفت للنظر في العصر الأموي و ذلك لما  
اشتدّ عود الحركات الانفصالية ، حيث اشتد معها الحرص على محبة الأشراف من آل  
البيت و التبرك بهم و ذلك منذ القرن الثاني و الثالث هجري ، فتحدثوا عن شمائلهم التي هي  
شمائله و لأنهم أولى الخلق اقتداءً بسيرته و التغني بخلقهم و مكارمهم ، و من أكثر الشعراء  
مدحا لهم الفرزدق (7) ، حيث يقول في ميميته (8) :

هذا الذي تعرف الطحاء وطأته      و البيت يعرفه و الحللّ و الحرم

و يزيد من شرفه و نسبه إلى البيت النبوي ، مقرنا ذلك بأعظم آية شرفه الله بها حيث يقول:

ه ذا ابنُ خيبرِ عبادِ اللهِ كلِّهمْ	ه ذا اليتّقي الطّاهِرُ العليمْ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلُهُ	بجدّه أنبياءِ الله قد ختمُوا
من جدّه و إنّ فضلُ الأنبياءِ لهُ	و فضلُ أمته دانّت له الأممُ
ليس قولك من هذا بضائره	العربُ تعرفُ من أنكرتُ و العجمُ (9)

يرى الدكتور زكي مبارك أن القصيدة فيها " نفحات من التصوف حيث يقرن الشاعر شكر  
الله بشكر آل الرسول ﷺ و يرى حبهم دين و بغضهم كفر، و تلك أق صى غايات الصّدق في  
الحبّ. " (10)

و يزيد من هذا الولاء لهم الشاعر الكميّ بن زيد في بائيته المشهورة:

- 1 - سورة الشورى : الآية 23
- 2 - سورة الأحزاب: الآية 33
- 3 - ينظر يوسف الصالح: " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج1، ص 77 .
- 4 - أبي عبد الله الحاكم النيسابوري: " المستدرک على الصحيحين مع التلخيص " ج2، كتاب معرفة الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، دت ، ص 343
- 5 - ينظر يوسف الصالح: " سبل الهدى و الرشاد " ج 11 ، ص 62
- 6 - علي بن أبي طالب: " نهج البلاغة " شرح: محمد عبده ، المكتبة العصرية ج1، بيروت ، 2002 ، دط ، ص 207
- 7- هو أبو همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، و لد بالبصرة له في مدح آل البيت قصائد عدة . توفي سنة 114 هـ
- 8 - و مما يروى أن الفرزدق حج وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام ، فرأى علي بن الحسين في غمار الناس تنتحى له فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة، وكان الفرزدق حاضرا فقال : " أنا أعرفه " ثم أنشد قصيدته.
- 9 - الفرزدق : " الديوان " ج2 ، شرح : إليا الحاوي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، ص 353.
- 10 - زكي مبارك: " المدائح النبوية في الأدب العربي " ص 62 .

و لا لعباً منّي و ذو الشَّيْبِ يلعبُ  
و خيرُ بني حواء و الخيرُ يُطلبُ  
إلى الله فيما نابني أتقربُ  
بهم و لهم أَرْضَى مراراً و أغضبُ<sup>(1)</sup>

طربْتُ و ما شوقاً إلى البيضِ أطربُ  
و لكنْ إلى أهلِ الفضائلِ و النهي  
إلى النَّفرِ البيضِ الذين بحبِّهم  
بني هاشم رهطِ النَّبيِّ فأني

مثل الشاعر في هذه البائية الروحانية أصدق تمثيل حيث يصف حبه لهم " و الله ما أحببتهم  
للدنيا ، و لو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه ، و لكن أحببتهم للأخرة " <sup>(2)</sup> فحبه وولائه و  
إخلاصه لهم كان من أقوى عواطف الشعراء لذلك العهد ، فقد كان غير مكترث بسطوة الأمويين  
و قد تعرض في سبيل ذلك للهلاك .

و هذه المبالغة في الثناء على آل البيت جاءت كرد فعل للإسراف في ذم و قتل آل البيت  
خاصة و أنه عصر سفك الدماء و انتهاك الحرمات، لذا جاء حديثهم عن هذه الفكرة أشبه  
بالبكائيات مشيدين بأرومة آل البيت و أخلاقهم . بدءا بفاطمة الزهراء رضي الله عنها ، فما  
تعرضت له حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله يعتبر البذرة الأولى لما آل لآل البيت ثم الطعنة الغادرة التي  
أنهت حياة الدنيا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه <sup>(3)</sup> ، و التي قد وضعت آل البيت في نقطة المفترق الدم  
المهدر على أرض كربلاء <sup>(4)</sup> ، فالسيف الذي جز رأس الحسين بن علي  
رضي الله عنه <sup>(5)</sup> حز معه وحدة المسلمين و خير من عبر عن هذا الفقد ابنته سكينة <sup>(6)</sup> في قولها:

لا تبكٍ ولداً و لا أهلاً و لا رفقة  
دماً و قيحاً ، و في إثريهما العلقه <sup>(7)</sup>

يا عينُ فاحتفلي طوالَ الحياةِ دماً  
لكنْ على ابنِ رسولِ اللهِ فأنسكبي

و زادت حدة العداة لهذه الدوحة المباركة في العصر العباسي أكثر مما كانوا عليه من قبل  
و زاد معها الولاء و الطاعة لآل البيت ، فقد ظلَّ الخلفاء يتتبعون آل البيت و من  
يشيعون لهم ليقتلوهم . <sup>(8)</sup>

فهذه السلسلة المتصلة المآسي أدت إلى تشتت آل البيت ، فبات لزاماً على شعراء العصر  
اتخاذ سلاح الكلمة الذي هو أبقى أثراً و أشد تنكيلاً ، فجاشت صدورهم بالرتاء و السخط والألم  
مما جعلهم يعزفون الألحان الباكية . من ذلك ما عبر عنه دعبل الخزاعي <sup>(9)</sup> في تائيته الكبرى  
المشهوره و التي يفتتحها بقوله :

أزكى و أنفغُ لي من القُرَيباتِ  
و هم خيرَ قاداتٍ و خيرَ حُماة

إنَّ النشيدَ بحبِّ آلِ محمَّدٍ  
هم أهلُ ميراثِ النَّبيِّ إذ اعتزوا

1 - أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: " شرح هاشميات الكميت " ص 515

2 - زكي مبارك: " المدائح النبوية في الأدب العربي " ص 100

3 - قتل سنة 41هـ في مسجد الكوفة.

4 - وقعت هذه الحادثة في العاشر من محرم 61هـ .

5 - فقد قتل سيد الشهداء الحسين رضي الله عنه و معه سبعة عشرة من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ببيع سنة 40هـ و قتل وهو ابن سبع و  
و أربعين سنة.

6 - اسمها أمينة باسم جدتها أم النبي صلى الله عليه وآله وسكينة لقب لها ، ولدت سنة 47هـ وتوفيت سنة 117هـ.

7 - عائشة عبد الرحمن : " سكينة بنت الحسين " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دط ، 2007 ، ص 20.

8 - فقتلوا بالفتك و الغيلة و الاحتيال و بني على كثير منهم و هم أحياء ، فقد قتل علي و عبد الله ( ولدا الحسين ) ، و أبو بكر و عبد الله و  
القاسم ( أولاد الحسن ) ، و عون الأكبر و محمد و لذا ( عبد الله بن جعفر ) و جعفر و عبد الرحمن و عبد الله ، و عذبوا بالجوع و العطش

و كتمان نسبهم عن أكثر الناس . و الجثث التي أحرقت و الأجسام التي صلبت و بقيت أياما ، و القبور التي هدمت .

9 - هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان ، و يكنى أبا علي ، ولد سنة 148هـ ببلدة الطيب .

ملاؤك في أهل النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحِبَّايَ مَا عَاشُوا وَ أَهْلَ ثِقَاتِي (1)

و من الشعراء أيضا الذين اتخذوا من كربلاء بيت أجزانهم و من الحسين قيثارة عزفوا عليها أشعارهم الباكية الشريف الرضي (2) ، فقد عبّر عن ثورته المكبوتة على العباسي في مرثيته للحسين و آل البيت ، حتى أطلق عليه الأديباء لقب " النائحة الثكلى " (3) في قصيدته " كربلا لا زلت كرب و بلا " و التي قالها في رثاء الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

كربلا لا زلت كرب و بلا  
كم على تترك لمّا صرّغوا  
تمسّح الثوب على إغجالها  
مـا لقيت عندك آل المصطفى  
من دم سـال ومن دمـع جرى  
عن طلي زحرم على بلدم (4)

و لمهيار الديلمي قصائد عدة في مدح آل البيت وراثتهم (5) يقول في عينيته معبرا عن حزنه لما حلّ لآل البيت:

هل بعد مفترق الأظعان مجتمع  
مغربين هم و الشمس ، قد ألفوا  
شاكين للبين أجفانا و أفئدة  
أم هل زمان بهم قد فات يرتجع ؟  
ألا تغيبت مغيبا حيثما طلّوا  
مفجعين به أمثال ما فجّوا (6)

و تبقى مصائب آل البيت تعتصر محبيهم ألما و حزنا مما زادت من شعلة الحبّ و إن كان بعض الشعراء يعرضون لحقيقته عليه السلام من خلال عرض قضية آل البيت و واقعهم و يؤرخون تلك المأساة التي ألمت بالمسلمين (7) ، أما عند غيرهم فكانت له دوافع أخرى هي التقرب من الله عز و جل عن طريق مدح نبيّه . (8) و نظرا للظروف السياسية التي آل إليها العصر الأموي

و العباسي ، خاصة و أنّه عصر سفك الدماء و انتهاك الحرمات فقد جاء مديحهم أشبه بالكائنات مشيدين بأرومة آل البيت و أخلاقهم .

و زاد هذا التعلق بهذه الدوحة النبوية في العهد الفاطمي في القرن السابع و الثامن الهجريين فقد كانت الدولة الفاطمية تعيش حالة اضطراب سياسي ، مما أدى إلى تقوية الشعور الديني و تغذية النزعة الروحية بإنتاج القصائد النبوية . (9) و من الشعراء الذين عبروا عن هذا الحبّ لهم لهم الإمام البوصيري من ذلك قوله في همزيته :

- 1 - دعل بن علي الخزاعي : " الديوان " تحقيق: إبراهيم الأميوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ص54
- 2 - أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الرضي العلوي الحسيني الملقب ذي المناقب ، 969 م و بهذا النسب بالشر يف الرضي ولد سنة 359هـ انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده ، توفي ببغداد توفي 406هـ 1015 م و دفن بداره أولاً ثم نقل رفاته ليُدفن في جوار الحسين عليه السلام بكربلاء.
- 3 - ينظر : محمود علي المكي : " المدائح النبوية " ص 80 حيث نجده يذهب مذهب التصوف في مدح الرسول صلى الله عليه وآله آل بيته.
- 4 - الشريف الرضي : " الديوان " ج 1 ، ص 44 .
- 5 - بلغ فيها ذروة التعبير ، ذلك أنه جمع بين الفخر و الرثاء ، فهو يرى قتلهم شرك و ظلم في حقهم ، فكان مدحه بدافع العصبية . زكي مبارك : " المدائح النبوية " ص 18
- 6 - مهيار الديلمي : " الديوان " ج 2 ، ص 181
- 7 - فإنهم في الواقع كانوا يخفون في بعض الأحيان تشييعا سياسيا لآل البيت
- 8 - سهير القلماوي : " أدب الخوارج في العصر الأموي " مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 1945 ، ص 140.

- 9 - عبد المنعم جاد الله : " التصوف في مصر و المغرب " منشأة المعارف ، الاسكندرية ، دط ، دت ، ص 14

آل بيت النبيّ إن فؤادي  
أل بيت النبيّ طبئتم فطابّ آل  
لئس يُسليهُ عنكم التأساء  
مدح لي فيكم و طابّ الرثاء  
تُ عليكم فاتني الخنساء (1)

و هناك من الشعراء من خصص قصائد لمدح آل البيت و تعداد مناقبهم كابن درّاج ، فهو يعد أول من ذكر مناقب آل البيت ، إذ يقول في لاميته :

ووالدكم خاتم الأنبياء  
تلذُّ بحملكم عاتقاه  
لكم منه مجدٌ حفيّ كفيلاً  
على حملة كلّ عبءٍ ثقیلاً (2)

يمكن القول أن حقيقته في بعدها الإسلامي جاءت لتضيء جوانب هامة من السياسة السمحة المتفهمة التي اتبعتها الرسول في نشر دعوته بين العرب و تأكيداً على المكانة السامية التي حظي بها لكنّ دون الوقوف عليها كثيراً ، و هذه الحقيقة تستمد الأجيال في أعصرها المختلفة من هديه نورا يضيء لها آفاق الحياة من تحمل أمانة الله في إدراك الحقائق الكونية بعِظْمة تراكمه وزيغ متواصل و ضلال ليس فوقه ضلال ، حتّى تبدلت الأرض غير الأرض و القلوب غير القلوب و عاد الإنسان إلى أصله و مبتدأ ، أمره يتطلع إلى حسن خاتمته .

1- البوصيري : " الديوان " ص 27

2- محمود علي المكي : " التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية " مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 ، ص 54 .

## 2- المبحث الثاني: الحقيقة المحمدية في بعدها الصوفي:

تغيرت فكرة المسلمين عن شخصية الرسول ﷺ تغيراً يتفق و مقتضيات الشعور الديني و تطوره (1) بحيث نقلوا مفهوم الإنسان الكامل من مستواه المرتبط بالنبي ﷺ وبزمنه إلى المستوى الروحي العرفاني ، لأنه " شتان بين التصور الواقعي البشري كما صوره شعراء المديح النبوي الأوائل من أمثال كعب بن زهير ، و كعب بن مالك ، و حسان بن ثابت ومعاصريهم ، و بين التصور المتأخر للرسول ﷺ الذين أحالوا شخصيته إلى سلسلة من الخوارق و القدرات فوق الطبيعة (2) ، و هذه الطبيعة هي الحقيقة المحضة لذات النبي ﷺ و التي رأوها تتجلى فيما يلي :

أ - الخلافة : ارتبط مفهوم الحقيقة المحمدية في بادئ الأمر بالخلافة ، لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (3) فكان ﷺ هو الخليفة في الأرض من قبل آدم ﷺ و حقيقة الخلافة المحمدية هي الحقيقة " التي يتم من خلالها كشف أسرار كنوزها الغيبية حتى تنفتح أبواب البركات و تتشقق عيون الخيرات و ينفلق الصبح الأزلي و يتصل الآخر بالأول فيصدر الأمر باللسان الغيبي من مصدر الغيب على الحجاب الأكبر و الفيض الأقدس بالظهور في ملابس الأسماء و الصفات ، فأطاع أمره و أنفذ رأيه . " (4)

وأسندت الخلافة له ﷺ لكونه مظهر الحق فيكون الإسناد إليه . " (5) و ذلك هو مضمون المسؤولية و أساسها في الإسلام " (6) ، و قد ظهرت فكرة الخلافة عن الله بصورة أوضح في الفترة الأموية ، و خاصة لما نظر الأمويون إلى معاوية بن أبي سفيان بأنه خليفة الله على الأرض " (7) بعد وفاة الرسول ﷺ رأوا أن هذه الخلافة هي من حق علي بن أبي طالب لكونه من الهاشميين ، و اختارهم علياً من بين الهاشميين لكونه الأخ الروحي للنبي ، فعن ابن عمر قال: «أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ ﷺ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم توأخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: " أنت أخي في الدنيا و الآخرة (8) ، و بصفته ابن عم النبي ﷺ فقد وجد النبي في عمه أبا طالب ما عوضه عن حنان الأب و في زوجته حنان الأم و من ناحية أخرى فقد تكفل النبي علياً ﷺ حين أصاب القحط قريشا . (9) و هذه الأحقية أكدها الرسول ﷺ في أحاديث عدة لقوله ﷺ في حديث الغدير عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه أنه قال: لما رجع الرسول ﷺ من حجة الوداع إلى غدير خم (10) فقام خطيباً في المسلمين بعد أن أخذ بيد علي رضي الله عنه : فقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه . " (11)

- 1 - رينولد نيكلسون: " في التصوف الإسلامي و تاريخه " تحقيق: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1375هـ، ص 159
- 2 - محمد النجار: " دراسة البردة " ص 26
- 3 - سورة البقرة: الآية 29
- 4 - الإمام الخميني: " مصباح الهداية إلى الولاية و الخلافة " ص 23
- 5 - نقلاً بتصريف عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي " ص 175
- 6 - نقلاً بتصريف عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي " ص 175
- 7 - وجيه لطفی طالب دوقان: " ولاية العهد في العصر الأموي 661-750م " جامعة النجاح الوطنية ، 2005، ص 18.
- 8 - الترمذي: " السنن " ج 2، كتاب المناقب عن رسول الله ، مناقب علي بن أبي طالب الحديث 3654 ، ص 299
- 9 - أحمد محمود صبحي: " في علم الكلام - الزيدية " ص 34
- 10 - يقع بين قلة و المدينة قرب الجحفة بناحية رابغ
- 11 - الحجاج بن مسلم: " الجامع الصحيح " ج 5 ، ص 25 ، 27

و عن أم سلمة أنها قالت : أشهد أنني سمعت رسول ﷺ يقول: " من أحبّ عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، و من أبغض عليا فقد أبغضني و من أبغضني فقد أبغض الله. " (1)

و عن البراء بن عازب و زيد بن الأرقم رضي الله عنهما قالوا: لما كان عند غزوة تبوك قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب إنه لا بدّ من أقيم أو تقيم ، فخافه ، فلمّا فصل رسول الله ﷺ غازيا قال الناس: ما خلف عليا إلا لشيء كرهه منه. فبلغ ذلك عليا فاتبع رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه ، فقال له: ما جاء بك يا علي ؟ قال: لا يا رسول الله إلا إنني سمعت ناسا يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته مني ، فتضاحك رسول الله ﷺ ، و قال : يا علي أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى غير أنك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله : فإنه كذلك " (2) و لما كان هارون خليفة في حياة موسى دلّ ذلك على تخصيص علي ﷺ للنبي ﷺ بحياته. (3)

و أكثر ما نجد الحديث عن هذه الحقيقة في العهد الأموي ، و إثر النزاع على السّلطة و ذلك بعد أن انتزع معاوية بن أبي سفيان (4) ، و من هنا بدأ الشّعر الصوفي في الذبوع لما فيه من صدق الحبّ للرسول ﷺ و آل بيته (5) ، و لم يتركوا برهاننا و لاجحة إلا وجاءوا بها إذ لم يعد مقتصرًا على الصفات الخلقية ، بل تجاوزوا ذلك إلى مفهوم الأفضليّة و السّيادة و النّورانية و أسبقية الخلق ، و أول من اتجه في شعره لتأييد العلويين في الخلافة الشاعر الكميّ ، يقول في بانيته المشهورة :

و قالوا: ورثناها أبانًا و أمنا  
و لكن مواريت ابن أمانة الدّي  
فإن هي لم تصلح لحّي سواهم  
يرون لهم فضلًا على الناس واجبًا  
و ما ورثتهم ذاك أمّ و لا أب  
به دان شرقي لكم و مغرب  
فإن ذوي القربي أحقّ و أقرب  
سفاهاً و حقّ الهاشميين أوجب (6)

لا يرى الكميّ في الأمويين سياسة الحكم ، فالبيت هم أولى بهذا المنصب لأنهم من أصلاب الحقّ و هو ما أشار إليه الفرزدق في ميميته ، فهو يرى أن خلافة الرسول ﷺ و آله حقّ إلهي و أصل من أصول العقيدة ، و لأنّ " طينتهم غير طينة سائر البشر ، طينة مكنونة تحت العرش ، أسكن الله فيها النور ، فكانوا بشرًا نورانيين و إلهيين ، بحكم النور المكنون في سيّد الخلق (7) و يواصل في تأييد أحقيتهم إذ يقول:

هذا ابن فاطمة ، إن كنت جاه له  
الله شرفه قدماء و عظمه  
من معشر حبهم دين و بغضهم  
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم  
بجده أنبياء الله قد ختموا  
جرى بذاك له في لوحه القلم  
كفر و قربهم منجى و معتصم  
في كل بدء و مختوم به الكلم (8)

- 1- الحجاج بن مسلم : " الصحيح " ج 2 ، باب الفضائل - فضائل علم ﷺ ، ص 362.
- 2 - المصدر نفسه : ج 3 ، كتاب فضائل الصحابة - فضائل علي ﷺ ، ص 360
- 3 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 283.
- 4 - سهير القلماوي : " أدب الخوارج في العصر الأموي " ص 140.
- 5 - فقد برع فيها في الاحتجاج لحق آل علي في الخلافة ، محمود علي المكي : " المدائح النبوية في الأدب العربي " ص 61.
- 6 - أبي ريش أحمد بن إبراهيم القيسي : " شرح هاشميات الكميّ بن زيد الأسدي " ص 59.
- 7 - صابر طعيمة : " الصوفية معتقدا و مسلكا " ص 102.
- 8 - الفرزدق : " الديوان " ج 2 ، ص 355



و هذا التّشريف القديم الذي قصيدة الفرزدق هو ما اصطلح عليه الصوفية بالخلافة فخلافته في الأرض كانت قبل أن خلق الله آدم ﷺ ، فتجلت حقيقته في آدم ﷺ ، فكان ﷺ هو المقصود بالخليفة على الأرض ، و وجوده البشري في وقته إنما كان مجرد تعيين جديد ، وتجسد جديد لذات الرّسول ﷺ .

واستمر الشعراء في العهد العباسي مؤكدين هذه الأحقية ، فبعد أن تولى العباسيون الحكم على الخلافة باعتبارهم من سلالة النّبِيِّ ﷺ و بانتسابهم له ، فاتخذوا ذلك ذريعة لتوطيد مركزها الديني (1) و شعور العلويين بأنهم أحق بالخلافة من بني عمومتهم ، فقد كان أملهم أن ينصفهم أبناء عمومتهم بعد طول معاناة مع الحكم الأموي بعد أن كانت الحركة العباسية لإنصاف آل البيت العلويين ووضعهم محل القيادة ، إذ بالخلفاء يغتصبون البيعة لأنفسهم على أصحاب الحقّ بالقتل و التّشريد و اعتدائهم على الذرية النّبويّة بسفح دمائهم و سفكها .

ومن هنا صار عامل القرابة من الرّسول ﷺ عاملاً مشتركاً بين الحزبين ، وموضع جدال مستمر بين شعراء كل منهما ، و كانت حجة العباسيين أقوى لأنّهم أبناء عمّ بينما العلويين أبناء بنت وبنوا العمّ أولى (2) ، و خير من دافع عن هذه الخلافة في هذا العصر دعبل الخزاعي في تائيته التي يقول فيها :

مَلَامُكَ فِي آلِ الْبَيْتِ فَإِنَّهُمْ  
تَخَيَّرْتَهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَلَيْتَهُمْ  
رَبِّفْتُ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ جَاءَ بَدَا  
أَحْبَابِي مَا عَاشُوا وَ أَهْلُ ثُقَاتِي  
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ  
وَ سَلَّمْتُ نَفْسِي طَائِعًا لِعَوْلَاتِي (3)

ومن الشعراء الذين تعصبوا لآل بيتهم و احتجوا لأحقّيتهم في الخلافة السيّد الحميري (4) حيث يقول في قصيدته البائية التي تلقب ب" القصيدة المذهبة " التي قالها في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام فهي تعد من أجود شعره و من أشهره .

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ أَحْمَدٍ مِنْ لَهْ  
صَهْرُ النَّبِيِّ وَ جَارُهُ فِي مَسْجِدِ  
مُنَى الْهَوَى وَ إِلَى بَنِيهِ تَطْرِبِي  
طَهْرَ بَطْحِيَّةٍ لِلرَّسُولِ مُطِيبٌ (5)

فتعبيره عن ولائه لآل البيت و التّفاني في الدّفاع عن قضيتهم يتّسم بالصدّق و الحرارة فهو كعادة لشعراء لآل البيت في الخلافة و يصور ما لحقهم من ظلم على أيدي العباسيين:

هَذَا قَضَايَا رَسُولِ اللَّهِ مَهْمَلَةٌ  
وَ النَّاسُ لِلْعَهْدِ مَا لَاقُوا وَ مَا قَرَّبُوا  
وَ آلِهِ وَ هُمْ آلُ الْإِلَهِ وَ هُمْ  
غَدْرًا وَ شَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ مَنْصَدُ  
وَ لِلْخِيَانَةِ مَا غَابُوا وَ مَا شَسَعُوا  
رِعَاةَ ذَا الدِّينِ ضَيَّمُوا بَعْدَهُ وَ رَعُوا (1)

1- مروة حسين : " النزعات المادية - في الفلسفة العربية الإسلامية تبلور الفلسفة - التصوف - إخوان الصفا - " ج 3، دار الفارابي ، بيروت 2002 ، ص 98

2- محمد مصطفى هدارة: " اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني " دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، 1925 ص 387.

3 - دعبل الخزاعي : " الديوان " ص 309

4 - هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، ولد بنعمان ( واد قريب من الفرات ) سنة 723م عاش بين الكوفة و البصرة ، وكان من مخضرمي الدولتين الأموية و العباسية ، له ديوان شعر يكاد يكون كلّه في مدح الرّسول ﷺ و آل البيت و هجاء خصومهم ، توفي في بغداد سنة 789م .

5 - السيّد الحميري : " الديوان " جمع و تحقيق: شاكّر هادي شكر ، بيروت ، 1971 ، ص 93

6- مهيار الديلمي: " الديوان " ج 2 ، ص 182

فجاء شعرهم معانقا للتيارات السياسية و الحزبية متأثرين بالتصوف تارة و التشيع تارة أخرى (2) ، فلولا وساطتهم لما وصلت رحمة الله إلى الخلق ، فدولتهم هي امتداد لدولة النبي ﷺ و أئمتهم أئمة المسلمين و خلفاء الله في أرضه . (3)

و من الشعراء الذين عبروا عن فكرة الخلافة أيضا ابن عربي فيقول : " أن الكمال المطلوب الذي خلقه الله إنما هو الخلافة ، فالإنسان الكامل هو ظلّ الله في خلقه " (4) إذ يقول:

مَنْ اللهُ عَلَيْنَا فِي خِلَافَتِنَا      بِخَاتَمِ الْحَكْمِ لَمْ يَخْصَنَّ بِهِ بَشَرًا (5)

يرى ابن عربي في ذات النبي محمد ﷺ الخليفة ، وهذه الخلافة حازها لأنه خاتم الأنبياء و المرسلين و من هذا المفهوم رأوا الصوفية أنفسهم خلفاء النبي ﷺ فوصفوا أنفسهم بالحقيقة المحمّدية. (6) و قوله في هائيته :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ مَنْ كَانَتْ إِمَامَتُهُ      مِنْ صَوْرَةِ الْحَقِّ وَ الْأَسْمَاءِ تَعَضُّدُهُ  
لَيْسَ الْخَلِيفَةُ مَنْ قَامَتْ أَدْلَتُهُ      مِنْ الْهَوَى وَ هَوَى الْأَهْوَاءِ يَقْصُدُهُ (7)

و هذا الرأي ذهب إليه تلميذه ابن قضيبة البان في شرحه لمفهوم الإنسان الكامل في "موقف مفاتيح الغيوب " ، حيث يقول : " فهو وارث الخلافة بمظهر الوحدة و الكثرة " (8) فهذه الخلافة هي التي ظهرت بمظهر الوحدة في كونه الأول و الآخر في الخلق و لا أحد يمكن أن يضاهاها هذه الحقيقة فهي حقيقة واحدة و خلافة واحدة و متكررة عبر الأزمنة ، و لا ينالها إلا من حاز الختم المحمّدي . (9)

كما عبر عنها الإمام البرعي في لاميته :

فِعْظَمَ هَذَا عِنْدَ آدَمَ جَاهَهُ      فَحِينَ جَنَى أَضْحَى بِهِ مَتَوَسِّلًا (10)

ففي هذا البيت إشارة إلى مفهوم الخلافة ، فالخلافة الأولى كانت للرسول ﷺ فالله تعالى كان يقصد الرسول ﷺ و لهذا توسل به لما ارتكب الخطيئة ، و الصوفية في سعيهم لبلوغ إلى مقام الخلافة لانتشار السلام في الوسط الإسلامي فلولا هذه الخلافة لعمّت الفوضى. ( )  
و من شعراء العصر العثماني الذين عبروا عنها سيد الشيخ في قوله :

و أَشْهَدُنِي عَوَالِمَ الْخَلْقِ كُلِّهَا      وَ خَيْرَنِي فَاخْتَرْتُهُ دُونَ مَرِيَّةٍ  
فَلَمَّا رَأَى رِضَائِي لَيْسَ بَدُونِهِ      كَسَانِي رِذَاءَ قُرْبِهِ وَ الْخِلَافَةَ (11)

2- عبد المنعم جاد الله : " التصوف في مصر و المغرب " ص 150

3 - حسين مروة: " النزعات المادية " ج 3 ، ص 106.

4 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، ص 354

5 - محيي الدين بن عربي : " الإنسان الكامل أو القطب الغوث الفرد " مطبعة الكتاب العربي ، دمشق ، 1990 ، ط 2 ، ص 24

6 - ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 3 ، ص 560

7 - المصدر نفسه : ج 4 ، ص 04.

8- محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 354

9 - عبد الرحمن البدوي : " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 203

10 - يوسف النبهاني : " المجموعة النبهانية في المدائح النبوية " ج 3 ، ص 188 .

11 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 354.

يعبر الشاعر هنا عن رغبته إلى بلوغ المقام ، حيث نراه يتحدث بلسان الجمع عن حقيقته الخلافية التي حازها عليه السلام في المظهر و التي هي أمل الشاعر في أنه ينالها ، و يبدو أنه في حالة شطط من أمره ذلك أنه و كأنه رأى الرسول عليه السلام و كساه هذا مقام القرب ، و الخلافة التي لا ينالها إلا الصديقين من الخلفاء رضوان الله عليهم.

يفهم من هذا أن الخلافة أخذت طابع الكمال نسبة إلى صاحبها الحبيب عليه السلام ممثلاً النبوة و الشريعة ، لذلك جعلها الصوفية موضع المسيطر الروحي لكونه خليفة الله في الأرض. (١)

ب - الإمامة : نظر الصوفية إلى حقيقة الإمامة نظرة الإنسان الكامل بالمفهوم الصوفي الذي يحقق العدل لعلمه بتعاليم الإسلام الحقّة التي عمل بها الخليفة في الأرض محمد عليه السلام ، و الإمام في المفهوم الصوفي هو الخليفة و هما مصطلحان لمعنى واحد و كلاهما يحمل معنى خليفة الرسول الله عليه السلام و منزلته و أول ما ظهرت هذه الفكرة في العصر الأموي فقد وجدت هذه الفكرة التربة الخصبة لنموها في الفكر الشيعي حيث المعاناة النفسية و الشعور بالإحباط و الظلم و انتشار الفساد فرأوا حاجتهم الملحة إلى إمام عادل يملأ الدنيا عدلاً بعدما ملئت جوراً (٢) و دعوتهم بشرعية الإمامة الكبرى دون غيرهم من سائر البشر لأنهم محل العناية الإلهية الكاملة ، فهو العلة و الغاية و سرّ الله في وجود الكون (٣) و هذا ما ذهب إليه الصوفية من ذلك الحلاج ، حيث يرى أن النور الذي أودعه الله في الرسول عليه السلام هو بدوره يتجلى في ذريته و آل بيته بطريقة تنازلية في الإمامة " (٤) و هذه الإمامة عنده سلسلة تعاقبية لا تنقطعو كل حلقة منها تكون أبهى من التي سبقتها و أعلى درجة و كمالاً " (٥)

و تلتقي هذه الحقيقة مع الشيعة في فكرة العصمة ، فكما أن محمد عليه السلام معصوم من الخطأ فكذلك الإمام معصوم من الأخطاء ، لكونه الواسطة بين الحقّ و الخلق " (٦) ، و ما صدر عنهم من الكرامات ليس إلا كمالات مستقاة من منبع واحد ، و جميعهم مشتركون في كمال واحد و موروثون لتراث محمدٍ واحد ، و لا يكاد يختلف أحدهم عن الآخر إلا في المظهر الذي تعين به ذلك الكمال ، و الجزء الذي اختص به من هذا التراث " (٧) يقول الكميت معبراً عن وراثة الإمامة للسلسلة المحمدية رضوان الله عليهم في مطولته الميمية:

سم فرغ القدامس القُدّام	أسرة الصادق الحديث أبي القا
م طراً مأمومهم و الإمام	خير حيّ و ميّت من بني آد
خير كهّل و ناشئ و غلام	و غلاماً و ناشئاً ثمّ كهلاً
و جنين أقرف في الأرحام (٨)	خير مسترضع و خير فطيم

1- نقلا عن بودوايه بلحيا: " التصوف في بلاد المغرب " دار القدس العربي ، وهران، ط1 ، 2009 ، ص 108

2 - حسين مروة : " النزعات المادية " ج3 ، ص 98

3 - حميدي خميسي: " نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط " ص 163.

4 - المرجع نفسه : ص 121.

5 - أباكار السقاف : " الحلاج أو صوت الضمير " ص 43.

6 - المرجع نفسه : ص 169 .

7 - نقلا عن بتصرف محمد مصطفى حلمي: " ابن الفارض و الحب الإلهي " دار المعارف ، ط3 ، دت ، ص 283 .

8 - المرجع نفسه : ص 377-378

9 - أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي: " شرح هاشميات الكميت " ص 27.

يرى الكميت أنّ أسرة الصادق الأمين هي خير مخلوقات الله من البشر على وجه الأرض فهم أبناء الإمام الذي لا إمام مثله و لا أحد يستطيع أن يتولى هذا المقام إن لم يكن من ذريته.

و زاد صوفية العصر العباسي من توضيحها ، فهي عند ابن عربي السرّ الذي أودعه الله في قلب كلّ إمام ، السرّ في تخصص بالكمال ، يقول على لسان الحقيقة المحمّدية موضحها في نونيته

وَأَنَا أَسُّ الْأَغَانِي      وَأَنَا أَسْلُ الْمَعَانِي  
فَأَضِلُّ سَامِي الْمَكَانِ      وَأَنَا سِرَّ إِمَامِ  
بِحَالِ الْعَالِ وَالِدُونَ (1)

و شرحها السّهروردي (2) في نظريته الإشرافية إذ يرى أنّ الأئمة " هم الأقطاب و الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود ، فلا يمكن أن تخلو الأرض من الإمام لأنّه علّة وجودية و أساس التكوين وهو الواسطة بين عالم الأمر و عالم الحق " (3) و حتّى تكتمل إمامة الإنسان الكامل عليه الاتصال بالنّفوس الكاملة من أهل بيت النّبوة .

و من شعراء الصوفية الذين عبروا عنها إبراهيم الدسوقي يقول في تائيته :

و خَاطَبَنِي مَتَى يَكْشِفُ سَرَائِرَ      تَعَالَتْ عَنِ الْأَعْيَانِ لَطْفًا وَ جَلَّتْ  
فَقَالَ: أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ قُلْتُ: أَنْتَ يَا      مُنَايَ أَنَا إِذْ كُنْتَ أَنْتَ حَقِيقَتِي (4)

و هذا النّور عند الدسوقي سيظلّ ينتقل من إمام إلى إمام إلى أن حلّ فيه (5).

كما عبر عنها السيّد الحميري في قصيدته الدالية التي يمدح فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) و التي يشير فيها إلى تسلسل نور الحقيقة المحمّدية في الأئمة الأطهار :

عَرَسْتَ نَخِيلٍ مِنْ سَلَالَةِ آدَمَ      شَرَفًا فَطَابَ بِفَخْرِ طَيْبِ الْمَوْلِدِ  
زَيْتُونَةٌ طَلَعَتْ فَلَا شَرْقِيَّةَ      تَلْفَيْ وَ لَا غَرْبِيَّةَ فِي الْمُحْتَمِ  
مَا زَالَ يُشْرِقُ رُؤُوسُهَا مِنْ زَيْتِهَا      فَوْقَ السُّهُولِ وَ فَوْقَ صَمِّ الْجَلْمِ  
وَ سَرَّاجُهَا الْوَهَّاجُ أَحْمَدُ وَ الَّذِي      يَهْدِي إِلَى نَهْجِ الطَّرِيقِ الْأَرْهَمِ (6)

يشير الحميري في هذه الأبيات إلى النّور المحمّدي التي تسلسل في الأئمة و الذي لا زال يشرق نوره ، و هداية الإمام من آل البيت الخلق إلى النهج السليم هو من هداية المصطفى فهو ورث هذه الأخلاق و الهداية من لدنه ، فهو الأولى بالإمامة من سائر البشر لكونه "مطهر من الذنوب مبرأ من العيوب متحلّ بالفضائل الإلهية معدن القدس و الطّهارة و النّسك و الزهادة و العلم و العبادة مخصوص بدعوة الرسول و نسل المطهّرة البتول " (7)

1 - ابن عربي : " الديوان " ص 41

2 - حميدي خميسي : " نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط " ص 162 .

3- ينظر علي سامي النشار : " نشأة الفكر الفلسفي " ج 2 ، ص 368 .

4 - نقلا عن عامر النجار : " الطرق الصوفية في مصر " ص 197 .

5 - المرجع نفسه : ص 159 . و طبيعي أن يتأثر بمثل هذه الأفكار لأنه ينتمي إلى سلالة آل البيت .

6 - السيّد الحميري : " الديوان " ص 186 ، محمود علي المكي : " المدائح النبوية " ص 72

7 - أحمد أمين : " ضحى الإسلام " ج 3 ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ، ط 10 ، دت ، ص 216

وقد عبر عن هذا المعنى عبد الكريم الجبلي في " قصيدته الناذرات العينية و الناذرات الغيبية " و التي تعد تجربة صوفية لسيرته الذاتية ، يقول فيها :

فَأَنْتَ الْوَرَى حَقًّا وَ أَنْتَ إِمَامُنَا      وَ أَنْتَ لَمَّا يَعْلُو وَ مَا هُوَ وَاضِعٌ  
وَ مَا الْخَلْقُ فِي التَّمَثَالِ إِلَّا كَتَلْجَةٍ      وَ أَنْتَ بِهَا الْمَاءُ وَ هُوَ نَابِعٌ (1)

يرى الجبلي في إمامة الرسول محمد ﷺ النبع الذي يفيض بنوره على كل من استمسك بها و خطى سبيلها ، و ما الخلق إلا كتلجة إذ سرعان ما تذوب إذا أشرقت شمس الإمامة المحمدية أمامها.

يقول الشيخ البرعي في قصيدته النونية معبرا عن نورانية الإمامة المحمدية:

إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ وَ مُنْتَقَاهُمْ      وَ أَكْثَرُ غَيْثِهِمْ طَلًّا وَ مُزْنًا  
وَ خَيْرِ مَغَارِسِ الْأَكْوَانِ أَصْلًا      وَ أَطْيَبَ مُنْبِتًا وَ أَنْتَمَّ غُصْنَا  
وَ أَسْرَعَهُمْ عَلَى الْمَلْهُوفِ عَطْفًا      وَ أَسْمَعَهُمْ لِدَاعِي الْخَيْرِ أَدْنَا (2)

كما نجد لهذه الفكرة رواجاً عند شعراء الجزائر خاصة في العهد العثماني و ذلك بعد الاحتكاك بأقطاب الصوفية المعروفين ، فالمنجلاتي يرى إمامته خير إمامة و منبته خير منبت يقول في ذلك :

مُحَمَّدٌ خَيْرٌ مَرْسَلٍ      شَمْسُ الضُّحَى الْبَدْرُ الْأَكْمَلُ      هُوَ الْمَرَامُ  
وَ مَدَّحِهِ دِينِي      وَ هُوَ حَجِّي السَّنِي      فِي كُلِّ عَامٍ  
مَنْ طَابَ حَيًّا وَ مَيِّتًا      وَ فَاقَ أَصْلًا وَ نَعْتًا      هُوَ إِمَامٌ (3)

و هي كما يرى الشيخ محمد بن علي (4) في سمطيته " هاج الغرام " التي بلغت الثمانين بيتا قديمة خلقت قبل آدم ، فالنبي ﷺ كان موجودا قبل آدم ، و أن الأنبياء استمدوا من معين الحقيقة المحمدية و تحلوا بنوره و، و ابتهلوا به ، يقول فيها :

الْمُصْطَفَى قَبْلَ آدَمَ      مِنْ مَجْدِهِ قَدْ تَقَادَمَ      طَةَ الْإِمَامِ  
لَهُ الْمَقَامُ الرَّفِيعُ      وَ شَفِيعَ الْجَمِيعِ      يَوْمَ الْقِيَامِ  
طَابَتْ بِهِ أَرْضُ رَامَةَ      وَ عَمَّمَتِهَا الْكِرَامَةَ      بَابِنِ الْكِرَامِ (5)

و من شعراء المحدثين الذين عبروا عنها ما نجده في قول الشاعر عبد الله الطيب في هائيته:

رَأَيْنَاكَ فِي الْأَفَاقِ نُورًا سَاطِعًا      وَ حَجَّتَكَ الْكُبْرَى مَبِينًا مَقَالَهَا  
وَ أَنْتَ إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ وَ خَاتَمَ الْـ      نَبِيِّنَ وَ الْغَايَاتُ فِيكَ اكْتَمَالَهَا (6)

1 - عبد الكريم الجبلي " الناذرات العينية " تحقيق يوسف زيدان ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، دط ، ص 75

2 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبهانية في المدائح النبوية " ج4 ، ص 137 .

3 - أبي العباس أحمد ابن عمار : " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " مطبعة فانتانا ، الجزائر ، دط ، 1902 ، ص 29

4 - هو المفتي محمد بن محمد بن محمد المهدي بن رمضان بن يوسف العليج ، ولد سنة 1090 هـ بمدينة الجزائر ، من أعلام الجزائر في القرن الثاني عشر ، توفي سنة 1169 هـ .

5 - المرجع نفسه : ص 35 .

6 - عبد الله الطيب : " بانات رامة " ص 295

ج - الولاية: كان أول من أدخلها إلى اصطلاحات التصوف الحكيم الترميذي " (1) في كتابه " ختم الولاية و علل الشريعة " و ذلك في القرن الثالث هجري ، ثم تبلورت عند الحارث المحاسبي ، حتى وصلت إلى أوج عظمتها عند أبي بكر الكتاني (2) فهو أول من ذكر مراتب الأولياء و عدد كل مرتبة و مكانها و أين تقيم . (3) و الولي المحمدي هو " الخليفة و القطب و محل النظر و التجلي و منه تصدر الآثار على ظاهر العالم و باطنه (4) الذي يمثل الغاية القصوى التي تنشدها و تنتهي إليها كل حياة روحية ، فولاية الولي لا تعني شيئاً أكثر من مجرد الاشتراك أو الوراثة في ولاية النبي (5) ، و تمسك الشعراء بمفهوم لولاية ناتج عن الظروف السياسية التي جعلتهم يلتفتون إلى ولي صالح لما له من البركات الربانية كما هو الحال في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، و الذي عرف توالي عدد من الخلفاء على الخلافة العباسية خلال أعوام قليلة و انتشار وسائل القتل مما أدى بهم إلى بلوغ هذا المقام و طريق الولاية هي الطريق الموصلة لمعرفة الله و رضاه و للوصول إلى هذه الدرجة لا بدّ من حبّ رسوله الكريم الذي يضمن للصوفي طريق الولاية (6) لأنه المثل الأعلى للولاية فهو وليّ من حيث باطنه ، رسول من حيث ظاهره و مقامه من حيث الولاية أعظم و أعلى . (7) فهي عند ابن سبعين للذي تخلق بالدين الإسلامي و وافق الشرع فكان من عباد الله الصالحين خليق له أن يقال له ولي " حيث عدّ المحقق هو الذي يشكل الوساطة بين الله و العالم . (8)

و حقيقتها عند ابن عربي هي حقيقة الختمية التي لا تتبغى إلا لرجل واحد في كل زمان حيث يقول حالة بلوغه هذا المقام في لاميته:

جاء المبشرُ بالرسالةِ يبتغي	أجرَ المجيءِ منَ الكريمِ المرسلِ
فأتى به ختم الولاية مثل ما	ختم النبوة بالنبي المرسلِ
و لنا من الختمين حظّ وافرٌ	ورثا أتانا في الكتاب المنزلِ (9)

ففي هذه الأبيات إشارة إلى بلوغه مقام الولاية العظمى ، فالأولياء يختمون لكأنبياء ف كما أنّ الله ختم بمحمد صلى الله عليه وآله نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله الولاية بالختم المحمدي الجامعة له دون سائر الخلق التي تحصل من الورث المحمدي ، و هو واحد في العالم فلا يكون في الولاية المحمدية أكبر منه . (10) وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن نقيّ يكون في الناس وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم . (11)

1 - هو أبو عبد الله ابن علي الحكيم الترميذي ، ولد بخراسان سنة 205 هـ و توفي سنة 320 هـ .

2 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 48

3 - المرجع نفسه : ص 354

4 - نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 162

5 - علي شود كيفيتش : " الولاية و النبوة عند ابن عربي " ترجمة : أحمد الطيب ، دار القبة الزرقاء ، المغرب ، دط 1998 ، ص 75

6 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 355

7 - محمد جلال شرف : " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " ص 354

8 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 115

9 - ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 3 ، ص 83

10 - و خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له من الوجهة الإسلامية و كلّ منهم يدعي أنه أفضل من النبي صلى الله عليه وآله من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر و البهتان، و كل ذلك طمعاً في رياسة خاتم الأولياء لما فانتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار، و خير هذه الأمة بعد نبيها الصحابة الكرام ، و خير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وآله ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . ينظر ابن تيمية : " الفتاوي " ج 11 ، ص 444.

11 - ابن تيمية : " الفتاوي " كتاب الإيمان ، ج 11 ، ج 7 ، جمع و تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم ط 1 ، 1382 هـ ، ص 444

و مصطلح القطب يرادف مصطلح الولاية فقد كان في بادئ الأمر تلقب بالإمام ، و هو ما عبر عنه في همزته ، حيث يقول:

شمس الحقيقة قُطْبُهَا و إِمَامُهَا سرُّ العبادِ و عالمَ العلماءِ (1)

بالغ الشاعر في الحديث عنها إلى أن بلغ به الأمر إلى تقديس و تفضيل الولي على النبي محمد ﷺ لزمه أن " مقام الولي أعظم من مقام الرسول و النبي " (2) فالولاية عنده تتواتر فلا تنقطع. (3) فهو بهذا المفهوم يجعل خاتم النبوة أدنى درجة من خاتم الولاية وأن الولاية فوق مرتبة النبوة (4) و أنه ﷺ من حيث هو ولي أتم من حيث أنه نبي و رسول (5) و أن جميع الأنبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء. (6) و " لأن جوهر النبوة هو الولاية و لكونه الإنسان الكامل الذي داوم على مجاهداته حتى اجتباه الله فتجلى عليه بذاته و لأنه الخليفة في الأرض ، و الوريث للنور المحمدي الظاهر و هو في الباطن حقيقتهم. " (7) فللولي يتلقى معرفته معرفته و علمه من العلم الإلهي مباشرة و النبي يأخذ بوساطة الملاك ليوحى به بلا وساطة (8) ، ولهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة من النبوة فصارت تظهر في الأولياء. (9)

و هذا الاعتقاد يماثل اعتقاد البرعي فهو كغيره من أهل التصوف يرى أن الأولياء الصالحين يجالسون النبي ﷺ بعد موته و يتلقون عنه الأوامر و النواهي والأوراد ، و يمنحهم حق التصرف في الكون ، وكذلك يخصهم بالعلوم العظيمة التي لا يخص بها غيرهم. " (10) كما عبر عن ولايته المتجددة كل وقت في أصفى أصفياءه تلميذه أبي مدين التلمساني في نونيته التي يقول فيها :

لَهُ الْقَدْمُ الْمَحْضُ الَّذِي شَفَعَتْ بِهِ  
يُعِيدُ وَيُبْدِي فَعْلَهَا كُلَّ مُحَدَّثٍ  
فَمَا وَجَدَ الْأَبَاءَ مِنْ لَطْفِ صَنِيعِهَا  
بِقَاءِ يَفْنَى الزَّمَانُ وَ لَا يَفْنَى  
وَ كُلَّ قَدِيمٍ فَهِيَ قَدْ حَازَتْ الْمَعْنَى  
عَلَى قَدَمِ الْأَحْيَانِ مَا أَنْكَرَ الْأَبْنَا (11)

كما عبر النابلسي (12) في القرن العاشر فهو يذهب مذهب ابن عربي في حديثه عن الولاية باعتبارها أعلى مرتبة من النبوة و الرسالة ، و هذه الولاية تستمد من الله بلا واسطة حيث يقول : " لي وقت لا يسعني فيه ملك مقرب و لا نبي مرسل " (13) و من هذا القول يتضح لنا تقديس الأولياء على الأنبياء ، كما يرى أن حقيقة الولاية المحمدية من حيث رتبته الفرد هو مقام الولاية

- 1 - ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 1 ، ص 59-58
- 2 - محمد جلال شرف : " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " ص 354
- 3 - عبد الحميد مفتاح : " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 103
- 4 - وهذه نتيجة مؤامرة اليهود للقضاء على الإسلام و دعوة خاتم النبيين الناطق بالوحي محمد ﷺ ، ينظر : إحسان إلهي ظهير : " التصوف المنشأ و المصادر " 162
- 5 - ابن عربي : " فصوص الحكيم " فص العزيمي ، ص 134-135
- 6 - محمد جلال شرف : " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " ص 103
- 7 - يوسف زيدان : " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " ص 210
- 8 - توفيق سلوم : " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 341
- 9 - و هذا القول ما أدى أهل الظاهر إلى تكفير كل ما ادعى بمثل هذه الأقوال ، فابن تيمية يرى أن تقديس الولي على النبي كفر حيث يقول : و كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود و النصارى بل و مشركي العرب. "
- 10 - صابر طعيمة : " الصوفية معتقدا و مسلكا " ص 238.
- 11 - أبي مدين شعيب التلمساني : " الديوان " ص 138
- 12 - ولد بدمشق 1050 هـ و توفي سنة 1143 هـ ، له ديوان كامل في مدح الرسول ﷺ " نفحة القبول في مدحة الرسول "
- 13 - ينظر محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 142

تظهر في كلّ وقت في صور مختلفة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها إذ لا مقام فوق المقام النبوي إلا مقام الألوهية و الربوبية و القرآن نفسه يؤكد هذه الصّفة البشريّة فيه : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ

هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾<sup>(1)</sup>

أما في العهد العثماني فقد أصبحت فكرة الاعتقاد في الشيوخ و الأولياء و تقديسهم و التبرك بهم و تعظيمهم سلوكا اجتماعيا تؤمن به جميع الشرائح على تفاوتها الطبقي بما في ذلك الفقهاء<sup>(2)</sup> ، ممّا زاد انخراط الشعب في الطرق الصوفية ، فلا نكاد نجد إماما أو شاعرا أو حتى عامة النَّاس ينتمون إلى طريقة صوفية ، لكون الأولياء منوط بهم حفظ الأكوان و استمرارية الرؤية المحمّدية حتى على صعيد التشريع ، باعتبارهم على صلة مباشرة بالروح المحمّدي<sup>(3)</sup> يقول سيد الشيخ معبرا عن فكرة الولاية في قصيدته " الياقوتة " :

رقيتُ ما الذي يفوقُ مقامنا      سوى السلفِ الأخيارِ أهلُ الولايةِ  
فأبى وصولٍ كانَ من غيرِ بانا      و أيّ دخولٍ منه دون إشارةِ  
كذا محبٌ خيرِ الخلقِ فازوا برويةِ      تقاعسَ عنها الغير من دون مريّةِ<sup>(4)</sup>

يرى سيد الشيخ أن الولاية هي وراثة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله يتوارثها السلف الصالح و هو لكونه صوفي مثل الطريقة الصوفية خير تمثيل و رسم منحى الولاية و كيفية الوصول إليها في شكل يمكن الاستناد عليه لبلوغ المقام المحمّدي. فالصوفية يرون في الولاية الصورة الكاملة للإنسان الكامل بحكم الوحي المنزل عليهم حسب زعمهم فعلى غرار الوحي المنزل على الأنبياء ، هناك الوحي المنزل على الأولياء في وقت الضرورة.

**د - القطب:** يرجع الصوفية مفهوم القطبية إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أو الحسين بن عليّ عليه السلام الذي هو أول الأقطاب ، و يرى بعض الباحثين أنه أول من تكلم عن مقامات الأولياء ذي النون المصري<sup>(5)</sup>.

و القطبية عند ابن عربي يراها في محمّد صلى الله عليه وآله من حيث الظاهر و الباطن و غيره من البشر لمن حازوا هذا المقام و صح تسميتهم بالإنسان الكامل<sup>(6)</sup> و يبتدئ أكمل تجسد لها في عالم الشهادة في مسمّى محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذي هو باطن الإنسان الكامل أو القطب الغوث الوارث لها في كلّ زمان و به يحفظ الكون وجوده و نظامه<sup>(7)</sup> و هو ليس وليّا من الأولياء أو نبيا من الأنبياء بل قوة عاقلة يظهر أثرها في العالم أجمع<sup>(8)</sup> يقول في نونيته :

1 - سورة الإسراء : الآية 93  
2- الشريف كمال دحومان الحسيني : " أشرف الجزائر و دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري " دار الخلدونية ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 60  
3 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 171  
4 - نقلا عن بودواية بلحيا : " التصوف في بلاد المغرب العربي " ص 109  
5- أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الشهير بذي النون المصري المتوفي سنة 245 هـ في القرن الثالث ، و أول من لقب بحاله بالقطب و الغوث أبي بكر الكتاني هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني ولد ببغداد في القرن الثالث هجري و توفي سنة 322 هـ .  
6- محمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 357  
7- نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 86  
8- محمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 362



رأيتُ الذي لا بدَّ لي منه جهرَةً  
و لكنَّهُ منه على ما رأيتهُ  
فلولاهُ لم أوجدُ و لولاي لم يكنُ  
و لم يكُ إلا ما رأيتُ من الكونِ  
كإنسانٍ عينَ الشخْصِ فيه من العينِ  
و لا بدَّ لي في كونِ ذاتي من اثنين (1)

و قد عبر عفيف الدين التلمساني عنه في بائيته في قوله :

بمعنايَ قلبي نحوكم أبدأ يصبو  
تدور على بعدٍ من المركز الذي  
فلو قيست الأبعادُ من كلِّ جانبٍ  
و عندي لكم وجدُّ جميعي له نهبُ  
به أنتم إذ كان شخصكم القطبُ  
تساوت فلا بعدُ هناك و لا قربُ (2)

و مقام القطب المحمّدي حسب فهمه " سيّد الوجود في كلِّ عصر و هو بمنزلة الرّوح للجسد (3) للجسد (3) فهو الفيّاض الذي يفيض عنه خير الله و الحاوي لكلمات الوجود ، و هو الذي يرث النبي ﷺ (4) و خير من مثل هذا المقام سلطان العاشقين عمر ابن الفارض فهي عنده " أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية ، و هو إنسان اختص بما يختص به غيره من الكمال في العلم و القدرة على التصرف. (5) و هي واحدة منذ القدم لم يتقدم عليها قطب و لن يلحقه قطب آخر. (6)

و يتشكل عبر تجربة ذاتية فردية ذوقية تنسج رداءها و مفاهيمها عبر سلوكها و مجاهداتها الصوفية للوصول إلى معني الإنسان الكامل الكامن فيها ، الذي يتقاطع مع مفهوم الآخرين من حيث المفهوم الأساسي و يتفرق من حيث الصياغة الفردية في الوقت نفسه (7) ، و هذه المجاهدة و المشاهدة الروحية التي ينظر إليها ابن الفارض في مرآة الإنسان الكامل لتشهد حقيقة أمرها و تدرك معنى أفعالها الصادرة منها ، و هو ما أشار إليه على لسان القطبية في تائيته التي يقول فيها :

في دارتُ الأفلاكُ ، فأعجب لقطبها  
و لا قطب قبلي ، عن ثلاثٍ خلفتُهُ  
المُحيطُ بها ، و القطبُ مركزُ نقطة  
و قطبية الأوتادِ و عن بديلية (8)

فهنا إشارة إلى كمال الأنا المحمّدية حالة الترقّي و وصولها إلى مقام الإنسان الكامل في الوجود لأنها بدورها قد ورثتها عن مفيض الجمع ، فهو ببلوغه مقام القطبية أصبح بإمكانه الإحاطة بالأفلاك و التي تكون بالعلم و القدرة و الشرف و الرتبة ، و هذا المقام هو نقطة المركز الذي تدور حوله جميع الموجودات و الكائنات و الأفلاك باعتبارها أصلها وهي فرعه أو باعتباره هو القوى المنفصلة به و الناشئة عنه. (9)

1 - ابن الفارض : " الديوان " 113- 114

2- عفيف الدين التلمساني : " الديوان " ج1 ، ص 85

3 - أبو بكر الجزائري : " إلى التصوف يا عباد الله " دار البخاري ، القصيم ، السعودية ، 1404 هـ دط، ص 40

4 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 115

5 - محمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 35

6 - المرجع نفسه: ص 353

7 - المرجع نفسه: ص 353

8- عباس يوسف الحداد: " الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض انموذجا- " دار الحوار للنشر و التوزيع ، سورية، ط3 2009، ص 264.

9 - ابن الفارض : " الديوان " تحقيق: البوريني ، ص 58.

9 - ينظر ابن عربي : " الرسائل " وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2004

و حقيقة القطب عنده أول الموجودات و التي عليه مدارها ، و رمزها الذي إليه إشارتها " (1) (1) و هي واحدة منذ القدم لم يتقدم عليها قطب و لن يلحقه آخر (2) فابن الفارض هنا يصل إلى حال الاتصال بالذات المحمّدية و التي بدورها هي الطريق الموصلة إلى الذات الإلهية . (3)

يقول عبد الكريم الجيلي معبرا عنها في بانيته :

حظيت بك الأكوان يا خير الورى  
أنت الحبيب و كلّها لك نسخة  
و كذا الفروع بأصلهنّ تطيبُ  
و جميع ما هو للحبيب حبيب (4)

و لهذه الحقيقة تنوعات و صور في كل زمان (5) و اسمه في كلّ عصر يحمل اسما مناسباً (6) و هذا المعنى ما ذهب إليه إبراهيم الدسوقي (7) في تائيته ، و التي يقول فيها على لسان القطبية :

بداتي تقومُ الذاتُ في كلّ ذرورة  
أنا كنتُ في العلياء مع نور أحمد  
أجددُ فيها حلّةً بعدَ حلّةٍ  
أنا العبدُ إبراهيمَ شيخَ الطريقةِ (8)

يرى الدسوقي ذاته تتجلى في كلّ ذات صافية ، فهو كان في العلياء مع نور أحمد القطب

الغوث الوارث لها ، ثم أخذت ذاته تتجلى إلى أن تجلت فيه القطب الغوث الوارث لها (9) و كلّ ما في الطبيعة كائن لأجله ، و لا هذه القطبية لما وجد طينة البشر ، يقول موضحاً ذلك :

و أنّ مدارَ الكلِّ من حولِ ذروتي  
و تالي كتابِ الله في كلّ ساعةٍ  
أنا ذلك القطبُ المباركُ قدره  
و قالوا فأنت القطبُ قلتُ مشاهداً

وهي عند ابن قضيبة البان (10) " قطب الشأن الإلهي و غوث الآن الزماني والنائب الرحماني " (11) و النيابة و الخلافة ، حيث يقول في موقف القطبية : " أوقفني الحق على بساط القطبية ، و قال لي: الإنسان الكامل قطب الشأن الإلهي و غوث الآن الزماني ، وأول ما أسلم له : التصريف في قطر نفسه حتى يبلغ الأشد ، ثم أسلم له ما وافقه من أقطار الأقاليم ، ثم أسلم له الأرض ، ثم يسلم له الملك ، ثم يجمع له الملك والملكوت و هذا هو النائب الرحماني " (12) و قال

1 - محمد مصطفى حلمي: " شعر عمر بن الفارض " ص 210

2 - المرجع نفسه: ص 353

3 - و لما كان قول الصوفية بالإتحاد ، هذا ما جرّ إليهم سهم الطاعنين فمثل هذه الأقوال أغضبت الفقهاء و أدى في بعض الأحيان إلى الإفتاء بإهدار دم بعضهم فالاتصال يجب أن يكون بالله مباشرة ، كما قال الغزالي . ينظر محمد عبد الرحم البوريني: " مشكلة الفيض عند الفلاسفة الإسلام " ص 150

4 - عبد الكريم الجيلي: " الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية " دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص 18 .

5 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 85

6 - عبد الكريم الجيلي : " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " ص 248

7 - هو الإمام برهان الدين بن عبد العزيز أبي المجد ، بن عليّ قریش ، بن محمد أبي الرضا ، ينتهي نسبه إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ، ولد سنة هـ ، و توفي سنة 656 هـ

8 - أبو الوفا التفتازاني : " مدخل إلى التصوف الإسلامي " ص 244

9 - ينظر عامر النجار: " الطرق الصوفية في مصر " ص 159 .

10 - عبد القادر بن محمد محيي الدين أبو الفيض ابن قضيبة البان ولد سنة 971 هـ من مواليد حماة كان نقيب الأشراف فيها توفي سنة 1040 هـ بجلب .

11 - ينظر محمد الراشد: " مسارات وحدة الوجود " ص 115

12 - المرجع نفسه: ص 115

لي : .... بصره في أسرار الوجود ووجوه القلوب و هو نكتة إنسان العين في الأبد و الأزل ، و هو مرآة لرؤية وجه و عنده مقرّ قاب قوسين ... " (1)

و من شعراء العهد العثماني الذين عبروا عن حقيقته القطبية ما نجده في قول الشاعر ابن عمّار في موشح له :

أَنْتِ قُطْبُ و عَلَيْكَ الْعَامَ دَارُ      أَخْرَ الدَّهْرَ  
قَدْ سَقَيْنَا مِنْ أَيْدِيكَ الْغِرَارُ      بِالْحَايَا الثَّرِيرِ (2)

**هـ - المعرفة:** فحقيقته المعرفية هي مصدر العلم الباطن و منبعه (3)، فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ و جميع الأولياء ما منهم أحد إلاّ و يأخذ المعرفة من مشكاة خاتم النبيين (4) و إن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود (5)، ففي عالم الغيب تظهر في مسمى القلم المشتمل على ما كان و ما سوف يكون ، فالإنسان عبارة عن تجلّ للقدرة الإلهية لما يتمتع به من صفات أهله لأن يكون ممثلاً لله في هذا الكون ، ومن ثمّ كان الإنسان هو لبّ الكائنات و جوهرها من حيث أنّه الوحيد بعد الله القادر على وعي حقيقته ووعي وجود العالم بأكمله" (6)، يقول الحلاج معبراً عنها :

و خَضْتُ بَحْرًا و لَمْ تَرَسِبْ بِهِ قَدَمِي      خَاضَتْهُ رُوحِي و قَلْبِي مِنْهُ مَرَعُوبُ  
شَرِبْتُ مِنْ مَائِهِ رِيًّا بَغَيْرِ فَمٍ      و الْمَاءُ مَذْكَانٌ بِالْأَفْوَاهِ مَشْرُوبُ  
لَأَنَّ رُوحِي قَدِيمًا فِيهِ قَدْ عَطَشْتُ      و الْجِسْمُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَبْلُ تَرْكِيْبُ (7)

و من الشعراء الذين عبروا عن حقيقته العرفانية محيي الدين ابن عربي ، فهو يرى أنّها الأكمل علماً و الأعظم شأناً ، و حتّى يبلغها الصوفي لابدّ من بلوغه مقام الكمال الذي يكون بالعلوم النظرية أي بالحكمة و المجاهدة الرّوحية و الذوق القائم على أساس العلم . (8) و هو ما عبر عنها في نونيته :

و لِي مِنْهَا وُجُودَ مَا      عَلَيْهِ اللهُ يُحْيِيْنِي  
عِلْمُهُ أَكْمَلُ عِلْمٍ      شَأْنُهُ أَعْظَمُ شَأْنِ  
هَآمَ بِي لِمَا رَأَيْتِي      فِي مَقَاصِيرِ الْجَنَانِ  
فَأَوَافِي عَالَمِ النُّورِ      و إِنِّي فِي عَالَمِ الطِّينِ (9)

و هذا العلم أعطاه الله إياه ليبيّن ما خفي من الحقائق الإلهية ، و هو ما أوضحه لنا في كتابه الفتوحات المكيّة : " و على أيّ مثالوجد ؟ على المثال القائم بنفس الحق المعبرّ عنه بالعلم به و لم وجد؟ لإظهار الحقائق الإلهية. " (10) و بقدر كلّ إنسان أن يصل إلى تحقيق هذه المرتبة الجامعة

1 - عبد الرحمن البديوي : " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 189

2- ابن عمّار : " الرحلة " ص 25

3 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 342

4 - عبد الحميد مفتاح: " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 103

5 - محيي الدين ابن عربي: " الرسائل " كتاب منزل القطب و مقامه و حاله ، ص 252

6 - عبد المجيد الصغير: " التصوفي في الفكر الصوفي كوعي و ممارسة " ص 17

7 - قاسم محمد عباس: " الحلاج أو الأعمال الكاملة " ص 292.

8 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 107

9 - ابن عربي : " الديوان " ص 41

10 - ابن عربي : " الفتوحات المكيّة " ج 2 ، ص 218

للكلمات الإلهية. (1) عن طريق الغنوص أي العرفان الإشراقي (2) فالإنسان العارف المؤمن الطاهر، يمكن أن تفيض على نفسه من العالم الأعلى معانٍ وحقائق يخصّه بها الله سبحانه وتعالى فالنفس الصافية الطاهرة المتحررة مصقولة كالمرآة تتلقى الصور من الغيب بعد أن تتصل به.

يقول أحمد البدوي (3) في تائيته و التي مطلعها:

دَعْنِي لَقَدْ مَلِكُ الْغَرَامِ أَعْنَتِي      وَ لَكُنِّي خُضْتُ الْبَحَارَ بِهَمَّتِي  
فَقَرَأْتُ مِنْ تَوْرَةِ مُوسَى تَسْعَةً      لَهَا لَمْ يَثْبُتْ تَلِيْتُ عَلَى مُوسَى  
وَ قَرَأْتُ مِنْ إِنْجِيلِ عَيْسَى عَشْرَةً      تَلِيْتُ عَلَى عَيْسَى فزادتُ رَفْعَتِي (4)

يرى الشاعر أنّ المعرفة تحصل أثناء آلية الاستشراق القلبي ، و بوسع الإنسان أن يصل إلى مرتبة الاستشراق والاستلهام إذا طوى منازل السائرين ، و بحكم وساطته بين الله و العالم فيستطيع أن يأخذ العلم والمعرفة عن الله وينشرها بين البشر، و هو ما حصل له .

و هذا العرفان المحمّدي عند عفيف الدين التلمساني هو البحر الذي لا ساحل له يستقي منه أهل العرفان كلّ حسب الدرجة التي بلغها ، حيث يقول في حائيته :

هُوَ الْبَحْرُ لَا سَطْحَ وَ لَا سَاحِلَ لَهُ      فَمَنْ طَائِرَ فِيهِ وَ مَاشٍ وَ سَابِحٍ  
شَجَّتْ مَآؤُهُ وَ اسْتَوْقَفَتْ مِنْهُ فُلُكُهُ      سِرَائِرَ يُبْدِي صَوْنَهَا كَلِّ بَائِحٍ (5)

و ازدهرت هذه النظرية وحققت وجوداً متميزاً في بيئة المتصوفة خاصة في العصر المملوكي و ذلك في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري، في عصر الدول والإمارات المتتابعة وكثرت القصائد التي نوهت بها ، من ذلك قول البوصيري في بردته :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَ خُلِقَ      وَ لَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَ لَا كَرَمٍ  
وَ كَلَّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمَسٌ      غَرَفًا مِنْ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنْ الدِّيمِ (6)

وهي عنده حضرة العلم الجامع (7) الذي يغرف منه الكلّ حتّى الأنبياء و المرسلين من قبله و الأولياء (8) فكلّ علم ليس إلاّ من علمه و معرفته عن طريق الإشراق و الفيض الإلهي. و قول عبد الكريم الجيلي في هائيته :

هُوَ نَقْطَةُ التَّحْقِيقِ وَ هُوَ مُحِيطُهُ      هُوَ مَرْكَزُ التَّشْرِيعِ وَ هُوَ مَكَانُهُ  
هُوَ دَرُّ بَحْرِ الْوَهَةِ وَ خَصْمُهَا      هُوَ سَيْفُ أَرْضِ عِبُودَةٍ وَ مَعَانُهُ (9)

و حقيقته <sup>صلى الله عليه وآله</sup> عند عبد الكريم الجيلي هي المنطلق المعرفي باعتباره علة التكوين ، و هنا تبرز لنا العلاقة التلازمية بين وحدة الوجود و نظرية الإنسان الكامل فهي نظرية واحدة باعتبار

1 - صادق سليم صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية" مكتبة الرشد ، الرياض، ط1، 1994، ص 83

2 - محمد إبراهيم الفيومي: "ابن عربي صاحب الفتوحات المكية" ص 64

3 - ولد بفاس سنة 596هـ و توفي بطنطا 675هـ

4 - عامر النجار: "الطرق الصوفية في مصر" ص 197

5 - عفيف الدين التلمساني: "الديوان" تحقق: يوسف زيدان، ص 162

6 - شرف الدين البوصيري: "الديوان" ص 168

7 - عبد الرحمن البدوي: "الإنسان الكامل في الإسلام - كتاب المواقف الإلهية لابن قضيبة البان" ص 19

8 - نقلا عن بتصرف الحلاج: "الطواسين" دار النديم للطباعة و التوزيع، القاهرة، دط، 1989، ص 03

9 - عبد الكريم الجيلي: "الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر" ص 89

المبدأ الرئيسي التي تقوم كلتا النظريتين، كما أنها تعلم الغيب كله ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات ، فهو هنا يدعي أنه يعلم الغيب كله وأنه يتصرف في الأكوان. إذ يقول على لسان المقام المحمدي في عينيته :

و أعلم ما قد كان في زمنٍ مضى  
و أجري على لوح المقادير ما أشأ  
و حالاً و أدري ما أراه مُضارعٌ  
و بالقلم الأعلى فكفّي بارغ (١)

وهذه الحقيقة أزلية قديمة فياضة بالعلم والمعرفة تامة كاملة في صورة سيدنا محمد ﷺ فهي منبع العلم و مفيض القدرة على التصرف ، و حقيقته ﷺ عند عبد الكريم الجيلي هي المنطلق المعرفي باعتباره علة التكوين لذلك استحق الأسماء و الصفات الإلهية ، و هنا تبرز لنا العلاقة التلازمية بين وحدة الوجود و نظرية الإنسان الكامل ، فهي نظرية واحدة باعتبار المبدأ الرئيسي التي تقوم كلتا النظريتين .

يقول ابن الفارض في تائيته معبرا عنها :

فما عالم إلا بفضلي عالم  
ومن مطلع ، النور البسيط كلمعة  
و لا ناطق في الكون إلا بمدحتي  
و من مشرعي ، البحر المحيط كقطرة  
فكلي لكلي طالب ، متوجه  
و بعض لبعض ، جاذب بالأعنة (٢)

فمحمد ﷺ عنده هو أكمل إنسان متمكن في العلم و القدرة على التصرف. (٣) و ما البحر إلا كقطرة أمام علمه و معرفته .

و زادت هذه الحقيقة ولو عا عند أصحابها خاصة في العهد العثماني ، و ذلك راجع إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها أصحابها و التي كانت كلها طرقية حتى كاد المجتمع الإسلامي كله يصبح زاوية صوفية (٤) ، مما زاد رغبة كل مرید إلى حصوله هذا المقام كان جل المنخرطين في الطرق الصوفية من المثقفين و الفقهاء و كذلك التجار و الجنود (٥) ، من ذلك قول الشيخ عبد الكريم الفكون :

حَلَّتْ مَنْ العَرِفَانِ كَلَّ مَحَلَّة  
قَرَأَتْ سَطُورَ السَّرِّ لَمَّا سَرِينَا إِذْ  
بِذَا كَانَتْ الأَرْسَالُ تُنْبِي و تَخُطِبُ  
تَقَدَّمَتْ عَنْ جِبْرِيلَ تَدْنَى و تَقْرُبُ (٦)

و هذه الحقيقة العرفانية تفيض كل العلوم وتنزل كل الرسائل ، ويعبرون عن ذلك بقولهم إن الرسل جميعاً والأولياء أيضاً لا تفيض ولا تنزل عليهم العلوم الإلهية إلا من ذا الرسول ﷺ في الأزل والأبد أي قبل أن يوجد الرسول بذاته الترابية في الأرض و بعد أن وجد ، ثم بعد أن خرجت ما يسمونه بذاته الترابية من هذه الأرض..

1 - عبد الكريم الجيلي : " النادرات العينية " ص 501-530

2 - ابن الفارض : " الديوان " ص 47-56

3 - محمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 353

4 - أبو قاسم سعد الله : " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون " ص 58.

5 - ينظر أبي قاسم سعد الله : " تاريخ الجزائر الثقافي " ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 2، 1985 ، ص 183

6 - أبو قاسم سعد الله : " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون " ص 209

و هي عند سيد الشيخ هي الحكمة الربانية و العلم التي تشفي أمراض الأمة من الأهواء و تهدي إلى سواء السبيل ، يقول في ياقوته :

و لستُ أدعي الرسالة غيرَ ما  
فدونك فاشرب و ارتو من بحورنا  
و تلكم من بحر النبوة نشئت  
عليك بهم في كل شأن تشاءه  
تَحَصَّلَ لي من علمٍ و حُكْمَةٍ  
فلها شفاءٌ من الأهواءِ المضلةِ  
و منه استمدتُ الفحولَ الدِرايةِ  
توسَّلَ بهم تنلُ سريعَ الإجابةِ (1)

و هذا العرفان الذي بلغه سيد الشيخ هو من بحر النبوة المحمّدية و لا زال يستمدها كلّ فحل خاض في بحر الولاية المحمّدية.

و هي عند شعراء العصر الحديث ، من ذلك قول أحمد شوقي في ميميته :

حَطَّطْتَ لِلدِّينِ وَ الدُّنْيَا عُلُومَهُمَا  
أحطتَ بينهما بالسِّرِّ وَ انكشفتُ  
يَا قَارِيَّ اللُّوحِ بِلِ يا لَامِسَ القَلَمِ  
لَكَ خَزَائِنُ من عِلْمٍ وَ من حِكْمٍ (2)

د - وحدة الأديان : تجعل نظرية الحقيقة المحمّدية الاختلاف في الأديان في التسمية ليس إلا ، فهم بهذا يوحدون طرق العبادة عند بني الإسلام في روحها و حقيقتها و ذلك بالرجوع إلى الأصل الملائكي للإنسان ، (3) و يبدو أن أصول هذه النظرية مستمدة من الأثر الغنوصي الذي يرى أنه ليس هناك حواجز أو فروق بين الأديان ، فكل الأديان تدعو إلى الإيمان بالله و اتباع سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله و هذا ما ذهب إليه الحلاج ، حيث يقول:

تفكرتُ في الأديان جدًّا محققًا  
فلا تطالبن للمرء دينًا فإنّه  
يُطالبه أصلٌ يعبرُ عنده  
فألفيتها أصلا له شعبٌ جمًّا  
يصدُّ عن الوصل الوثيق و إنّما  
جميعَ المعالي و المعاني فيفهما (4)

وكذلك ابن عربي في نونيته التي يقول فيها :

بعد أن كنتُ قبلَ اليومِ أكرهُ صاحبي  
لقد صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ  
و بيتٌ لأوثانٍ و كعبٍ لطائفٍ  
أدينُ بدينِ الحبِّ أنأى توجّهتُ  
إذا لم يكنْ ديني إلى دينه داني  
فمرعى لغزلانٍ و ديرٍ لرهبانٍ  
و ألواحُ توراةٍ و مصحفَ قرآنٍ  
رُكائبُهُ فالحبُّ ديني و إيماني (5)

فالدyanات عنده كلّها ذات معنى واحد و مغزى واحد ، فكلّ صور الأديان تنطوي تحت ظلّ واحد فما جاء به القرآن الكريم و توراة موسى و صحف إبراهيم عليه السلام كلّها واحدة .  
كما نجد بن الفارض يعبر عنها في تائيته ، يقول :

و ما زاغتُ الأبصارُ من كلِّ ملّةٍ  
و ما زاغتُ الأفكارُ في كلِّ نحلّةٍ

1 - نقلا عن بوداوية بلحيا: "التصوف في بلاد المغرب" ص 113-122

2 - أحمد شوقي: "الشوقيات" ج1، ص 239.

3 - محمد جلال شرف: "التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته" ص 193

4 - قاسم محمد عباس: "الحلاج أو الأعمال الكاملة" ص 322

5 - محي الدين بن عربي: "ديوان ترجمان الأشواق" ص 149، 150

كما جاء في الأخبار في ألف حجة  
سوايَ و إن لم يظهروا عقدَ نبيّتي  
نارا فضلّوا في الهدى بالأشعة<sup>(1)</sup>

و إن عبد النارِ المجوسِ و ما انطفت  
فما قصدوا غيري و إن كان قصدهم  
رأوا نُوري مرةً فتوهموه

فمحبته للرسول ﷺ أدت به إلى القول بأن الأديان مختلفة من حيث الظاهر ، أما من حيث حقيقة جوهرها فهي واحدة ، و مهما اختلفت صور العبادة فهي تدعوا إلى عبادة الله .

كما عبر عن هذه الفكرة الدسوقي حالة بلوغه مقام الكمال المحمّدي حيث يقول في تائيته :

لما قامت الأشخاص من فلك طينتي  
بمختلف الآراء و الكلّ أمّتي<sup>(2)</sup>

و لولاً زنادي في الطبيعة قاذح  
و بي فاضت الأنباء من كلّ ملة

و حقيقته عند الدسوقي هي التي فاضت على الوجود و عبرت عنها كلّ الملل و النحل فكلّ ملة عبرت عنها وفق ما جاءت ديانتها ، إلا أنها تبقى في الأخير أمة كلّ الأمم التي خلقها الله فنسخ كلّ شرع و إن كان الشرع واحداً<sup>(3)</sup> ، فشرائعهم بصفة عامة في الأصول تتفق مع شريعة الدين الإسلامي التي جاء بها محمّد ﷺ لقوله ﷺ: " بعثت إلى الناس كافة " أي بعثت لجميع الناس أولهم و آخرهم<sup>(4)</sup>.

و من الشعراء المحدثين الذين عبروا عنها أحمد حيدر ، فقد كان رؤيته الفكرية و الرؤيوية للعالم تنطلق من كون أنّ الأديان كلّها واحدة ، يقول معبرا عنها في قوله :

أنّ المذاهب كلّها نور الهدى كاشعة الشمس افترقن إلى مدى  
و لقاءها مصدر الأنوار<sup>(5)</sup>

يرى أحمد حيدر الأديان كلها واحدة و منطلقها واحد ، و أنها كلها تنطلق إلى باري الأكوان و إن حملت بذور الاختلاف و مظاهر التشنت و أشكال التفرقة.

1 - عمر بن الفارض : " الديوان " ص 72

2 - عامر النجار : " الطرق الصوفية في مصر " ص 198

3 - ينظر يوسف الصالحي : " سبل الهدى و الرشاد " ج 1، ص 100

4 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 235

5 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 18

## ج - المبحث الثالث : في التصوف الفلسفي:

و نظرية الحقيقة المحمدية تتفق إلى حدّ ما و نظريات الفلاسفة فتطورت من قولهم بالولاية و الإمامة و الخلافة و القطب إلى القول بالحقيقة المحمدية و النور المحمدي و أخذوا يؤيدون فكرتهم بما تيسر لهم من شتيت المدارس الفلسفية و الدينية القديمة و التأمّلات الميتافيزيقية (1) و نظريات بعض الفلاسفة الإسلاميين خاصة الفارابي و ابن سينا ، و أخرى غير إسلامية كالفلسفة الأفلاطونية اليونانية ، فوجدوا في أفلاطون و مدرسته عناصر و رموز لما يوافق مواقفهم و أخذوا منها ما يلاءم تصوراتهم و مزاجهم الروحي.

نقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي أيام الفتوحات الإسلامية لما فتحت مصر مهد الحضارات الوارثة لحضارة قدماء المصريين و اليونان و الرومان (2) ، و ازدهار حركة الترجمة في القرن الرابع هجري في العصر العباسي خاصة في عصر المأمون (3) ، و كذلك أصل التنشئة العباسية ، ليست عربية المنشأ كالتنشئة الأموية (4) و تجلّى حقيقته صلى الله عليه وآله في بعدها الفلسفي فيما يلي :

أ - نظرية الفيض : و نظرية " الفيض " أو " الصدور " أخذت من الأفلاطونية المحدثة (5) أو كما يسميها بعض الفلاسفة نظرية " بنيان الكون " ترى أن المبدأ الإلهي يخلق بغير زمان العقل الأول الذي عنه تصدر النفس الكلية و العقل الثاني الباعثة للحياة في الطبيعة كلّها. (6) و تتجلى بوضوح في ترتيبهم للموجودات في شكل فيض و صدور عن الأول (7) و أول ما ظهرت هذه النظرية على يد القرامطة (8) فلفيض الإلهي عندهم يع ني " النور المحمدي (9)

و أول من نادى بها صوفية المشرق ، فكان الحلاج أول من بلورها كمصطلح في طواسينه فأصبحت تعرف عنده بنظرية " النور المحمدي " (10) حيث قال: " أنوار النبوة من نوره برزت و أنوارهم من نوره ظهرت ، و ليس في الأنوار نور أنور و أظهر و أقدم من القدم ، سوى نور صاحب الكرم (11) ، و يزيد من شرحها شعرا حيث يقول في رائيته :

لأنوارِ نُورِ النُّورِ في الخلقِ أنوارُ  
و للكونِ في الأكوانِ كونٌ مكوّنُ  
تأملُ بعينِ العقلِ ما أنا و اصفُ  
و للسرِّ في سرِّ المُسرِّينِ أسرارُ  
يكنُّ له قلبٌ و يهْدِي و يَخْتارُ  
فللعقلِ أسماعٌ و عاةٌ و أبصارُ (12)

1 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 139

2 - و لا ننسى أن الإسكندرية كانت جامعة للمذاهب الفلسفية و الطوائف الدينية و ملتقى الآراء الشرقية و الغربية و فتحت بلاد المغرب من برقة إلى تونس و الجزائر و مراكش إلى مضيق جبل طارق " ينظر أحمد أمين : " فجر الإسلام " مكتبة النهضة العربية مصر ، ط 11 ، 1975 ، ص 84-85

3 - ينظر عبد الفتاح أحمد فؤاد: " الأصول الرواقية في الفلسفة الإسلامية " دار الوفا لدنيا للطباعة و النشر، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003 ، ص 202 .

4 - مرحبا عبد المؤمن : " من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية " الجزائر ، ط 3 ، 1983 ، ص 299

5 - ينظر المدخل : ذات أصول يونانية

6 - توفيق سلوم: " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 124

7 - عبد الحميد مفتاح: " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 241.

8 - المرجع نفسه : ج 3، ص 267

9 - بودوايه بلحيا: " التصوف في بلاد المغرب " ص 11

10 - محمد إبراهيم الفيومي : " ابن عربي صاحب الفتوحات المكية " ص 64

11 - الحلاج : " الطواسين " ص 06

12 - قاسم محمد عباس : " الحلاج أو الأعمال الكاملة " ص 3



فهنا إشارة إلى حقيقته التي ظهرت في القدم ، فهذا النور هو السرّ في خلق النور الإلهي و الأنوار التي تنير في القلوب ، و هي الأصل في تكوين الكون و تدبيره. فنوره أول فيض مخصوص بالقدرة و ظلّها ، فهو النور الذي انبثق عنه الوجود و الكون، ذلك النور الذي أشرق قبل أن يكون الخلق " فرأى فيه الحلاج سراجاً ، حيث يقول في كتابه الطواسين: " سراج من نور الغيب بدا و عاد و جاوز السراج و ساد قمر تجلى من بين الأقمار... " (1)

و هذا النور هو الأساس الذي اعتمد عليه حكيم الإشراق يحيى شهاب الدين السهروردي المقتول كان عارف بالفلسفة الأفلاطونية و المشائية و الحكمة الفارسية و مذاهب الصابئة و الفلسفة الهرمسية و الفلسفة الإسلامية في من تصف القرن السادس في بناء نظريته الإشرافية (2) فهو يرى أنّ الوجود مـراتب نورانية تستمد وجودها من الله أو نور الأنوار (3) " (3) باعتباره الصادر الأول من الواحد الحقيقي و هذا النور هو الوساطة بين نور الأنوار و الموجودات (4) و فهو في الهياكل " يسميه النور الإبداعي " و في حكمة الإشراق " النور الأقرب (5) و في " الحكيم المتأله " يسميه نور الأنوار .

و غاية هذه النظرية هو الاغتراب عن هذا العالم ، رغبة منهم بالتطهير و الارتقاء إلى أفق أرحب و هو العالم الروحاني حيث الذات النبوية و نورانيتها المشرقة بالأنوار و السناء و كشف الحقائق الكونية ، و هذا الارتقاء إلى حيث الذات الصافية هو عين ما يسميه الصوفية بالمعراج الروحي و حتى يتم هذا المعراج لابد من خلع الجسد ، و رفض الحواس و التجرد من المادة للدخول في ذاته الحقيقية ، و إذا وصل إلى ذلك يرى بهاءً و سناءً و جمالاً و أنّ بإمكانه الاتحاد بمن انفصل عنه ذات وقت ، يقول في رائيته معبراً عن ذلك :

و للسرّ في سرّ المحبّين أسرارُ يطوفُ بها من جوهر العقلِ خمّارُ أضاءَ لنا منها شمسٌ و أقمارُ و لم تسبقَ فينا بعدَ ذلك أثارُ (6)	لأنوار نور الله في القلبِ أسرارُ ودارتْ علينا للمعارفِ قهوةٌ فلماذا شربناها بأفواه فهمنّا فغبنا به عنّا و نلّنا مرادنّا
---	--

ففي النصّ ذات و روح و نفس مغتربة ، و تائهة ترغب بالتطهير من رجس المادة و السفر بالوجدان للكشف عن الحقيقة إشرافاً حيث يمكن الوصول إليها بإشراق قلبيّ و فيض روح فالشاعر يريد أن يشرح كيفية عودة الروح الإنسانية إلى إشراقها و بهائها و تجوهرها في النور الإلهي ، و ذلك لاتحادها بإشراق العقل الفعال (7) و هو لكونه فيلسوفاً صوفياً جمع بين منهج النظر الفلسفي الذي اعتمدت عليه نظرية الفيض المشائية الشرقية فالمشائون يسمون الصادر الأول عن الله " عقل كليّ " و ما يوافق مذهبه في النور الأنطولوجي الكوني (8) فالنفس الإنسانية

1 - الحلاج : " الطواسين " ص 03

2 - فالإشرافية سميت الإشرافية نسبة إلى المشاركة الذين هم أهل فارس و حكمتهم الذوقية ، التي تعتمد على الكشف و ظهور الأنوار العقلية و فيضانها في النفس ، و كان اعتماد الفارسيين على الذوق و الكشف مثل قدماء اليونان عند أرسطو الذي كان اعتماده على البحث و البرهان. ينظر أبو الوفا النفتازاني: " مدخل إلى التصوف الإسلامي " ص 195

3 - يوسف زيدان: " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " ص 167

4 - محمد جلال شرف: " دراسات في التصوف الإسلامي " ص 355

5 - المرجع نفسه : ص 362

6 - كامل مصطفى الشبيبي: " ديوان السهروردي " مطبعة الرفاه ، 2005 ، ص 14 يوسف زيدان : " شعراء الصوفية المجهولين " ص 25

7 - ماسنيون و مصطفى عبد الرزاق: " التصوف " ترجمة: إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1984 ، ص 40.

8 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 11

عنده بعد تخلصها من لذات الدنيا تقوي نفسها بالفضائل الروحانية تستطيع أن تخلص إلى عالم الأنوار و تتصل بالنفوس الفلكية و تصبح كالمرآة .<sup>(1)</sup>

و حقيقته الفيضية عند عبد الكريم الجيلي هي التي تعطي كل رتبة من مراتب الموجودات<sup>(2)</sup> و هي الكنز المخفي الذي أشار إليه الحديث النبوي " كنت كنزا مخفيا...." يقول معبرا عنها في قصيدته " الناذرات العينية " على لسان الجمع :

جَلَوْتُ جَمَالِي فَأَجْتَلْتُ مِرَاتِي      لِيَطْلَعَ فِيهَا الْكَمَالُ مَطَابِعُ  
فَشَمْسِي فِي أَفْقِ الْأَلُوْهَةِ مَشْرُقَةٌ      وَ بَدْرِي فِي شَرْقِ الرَّبُّوبَةِ طَالِعُ  
فَمَنْ نَظَرْتَهَا عَيْنُهُ فَهُوَ نَاطِرُهُ      وَ تَبصِيرَهَا عَيْنٌ إِلَيَّ تُطَالِعُ<sup>(3)</sup>

يرى الشاعر في هذه الأبيات منزلته تظهر في كل مظاهر الوجود بإشراقها فهي كالشمس التي تنير العالم بأكملها ، فأينما أبصرت وجدتها.

و هو ما ذهب إليه ابن الفارض حيث يراها المنبع الفياض بأنواع الكمالات العلمية و العملية التي ظهرت في أكمل مخلوق من الأنبياء و المرسلين ، يقول عن الحقيقة المحمدية النورانية التي استمدها:

وَ لَا فَلَكَ إِلَّا وَ مَنْ نُورِ بَاطِنِي      بِهِ مَلِكٌ يَهْدِي الْهُدَى بِمَشِيئَتِي  
وَ لَا قَطْرٌ إِلَّا حَلَّ مِنْ فِيضِ ظَاهِرِي      بِهِ قَطْرَةٌ ، عَنْهَا السَّحَابُ سَحَّتِ  
وَ مَنْ مَطَّلَعِي النُّورِ الْبَسِيطِ كَلْمَعَةٌ      وَ مَنْ مَشَرَ عِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ كَقَطْرَةٍ<sup>(4)</sup>

يجعل سلطان العاشقين في هذه الأبيات النور المحمدي حقيقة قديمة جامعة تفيض عنها الموجودات ، و هو ما أوضحه لنا ابن قضيبة البان في " موقف الحقيقة المحمدية " حيث يقول :

" كليات الوجود مندرجة تحت إشراقه ."<sup>(5)</sup>

كما عبر عنها الإمام البرعي في قصائد شتى من ذلك قوله في لاميته :

مَحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّادَاتِ مِنْ مَضْرٍ      سُرُّ السِّيَادَةِ شَمْسٌ مَا لَهُ طِفْلُ  
مَا زَالَ بِالنُّورِ مِنْ صَلْبِ إِلَى رَحِمٍ      مِنْ عَهْدِ آدَمَ فِي السَّادَاتِ يَنْتَقِلُ  
حَتَّى انْتَهَى فِي الذَّرَى مِنْ هَاشِمٍ وَ سَمَا      حَمَلًا وَ طِفْلًا وَ وَفَى وَ هُوَ مَكْتَمَلُ  
فَكَانَ فِي الْكُونِ لَا شَكْلَ يُقَاسُ بِهِ      وَ لَا عَلَى مِثْلِهِ الْأَقْطَارُ تَشْتَمَلُ<sup>(6)</sup>

فهذا النور هو الشمس التي أنارت الكون بسنائه ، و مازال يفيض من نبي إلى آخر إلى وصل إلى سيد المرسلين محمد صلوات الله عليه ، فاكتمل وجود الكون و حاز السيادة على سائر الأنبياء و المرسلين. و يزيد في شرح هذه الفكرة في قصيدة أخرى قائلا :

من نُورِ ذِي الْعَرْشِ مَعْنَاهُ وَ صَوْرَتُهُ      وَ مَنْشَأُهُ النُّورُ مِنْ نُورِ يُجَسِّمُهُ

1 - محمد عبد الرحيم الزيني: " مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1993 ، ص 301  
2 - توفيق سلوم: " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 304  
3 - عبد الكريم الجيلي: " الناذرات العينية " ص 116  
4 - عمر بن الفارض : " الديوان " ص 56  
5 - عبد الرحمن البدوي : " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 196  
6 - يوسف النبهاني : " المجموعة النبهانية في المدائح النبوية " ج3 ، ص 178

و مودع السرّ في ذات النبوة من

علم و حسن و إحسانٍ يقسمه<sup>(1)</sup>

كما عبر عنها النابلسي في لاميته :

يا من عرفنا الله حيث مضى  
يا زبدة الكون يا نور الوجود و يا  
يا من لأمته يوم القيامة من

عنا بهديك تشبيه و تعطيل  
شمس الهدى بك للإتباع تكميل  
و ضوءهم غرة تبدو و تحجيل<sup>(2)</sup>

فهو كشاعر صوفي تسامى بقصيدته في الآفاق العلوية ، جاعلا منه ﷺ النور الذي لأجله أنار الله الوجود ، فحقيقته ﷺ بهذا المفهوم أنزل الموجودات مرتبة في الظهور و مراتب الوجود عنده على سبع مراتب و مرتبته ﷺ تأتي المرتبة الثانية التي هي مرتبة التعيين الأول بالذات و الصفات و الموجودات و تسمى مرتبة الواحدية و أعلاهم مرتبة في الكمالات<sup>(3)</sup> و مما جعله أكمل مخلوق في العالم كمالاته التي لا يضاهيها كمال.

و من الصوفية الذين عبروا عنها شعراء الأندلس، من ذلك ما نجده عند ابن عربي فقد طفت عليه النظرية الفيضية مما جعل شعره يطبع بطابع فلسفي ، فشعره في مجمله نظرات فلسفية دعا إليها<sup>(4)</sup> ، و هو ما عبر عنها في عينيته ، إذ يقول على لسان الجمع و الإتحاد بنوره ﷺ :

أنا العقابُ لي المقامُ الأرفعُ  
أنا فيضة السّامي و نور وجوده  
و أنا الذي مازلت قبضة موجدي  
نحوي لتطلب مالها لشربها  
و الحسنُ و النورُ البهيّ الأسطعُ  
و أنا الذي أدعو الوجودَ فيخضعُ  
فالجودُ جودي و الخلائقُ توضعُ  
فأعطي من أشاء و أمنعُ<sup>(5)</sup>

فحقيقة محمد ﷺ عنده هو أول الصادرات و أول مرحلة مراحل التنزلات الإلهية في صور الوجود في شكل تنازلي وفق تسلسل ، و ذلك لما يقتضيه وجود الحق<sup>(6)</sup> ، فهو كغيره من الصوفية يقول بفكرة أنّ الواحد يفيض عنه العقل الفعال و هذا الفيض عنده هو تجل دائم للذات الإلهية المطلقة عبر مراحل يكون ترتيبها اعتباريا حسب الزمن .<sup>(7)</sup>

و يختلف ابن عربي عن الفلاسفة الإشرقيين المتأثرين بالفلسفة الأفلاطونية ، فهو لا يرى الوجود على خطية هابطة بل عنده دائرة ذات مركز محيط ، و هذا التصور الدائري هو تصور يجعل من الكثرة عن الواحد أمرا مقبولا دون تعارض منطقي<sup>(8)</sup> ، أدت بهم إلى القول أن النبوة فيض دائم و مستمر ، و أنّها سلسلة تعاقبية دورية لا تنقطع و دائرته لم تنغلق على الإطلاق<sup>(9)</sup> و من ثم فالأنبياء لا ينقطعون ، فكل حلقة تكون أبهى من التي قبلها<sup>(10)</sup> ممّن زعموا " أنّها صفة

1 - المصدر نفسه : ج 4 ، ص 23

2 - المصدر نفسه : ج 4 ، ص 125

3 - عبد الرحمن البدوي : " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 147

4 - حسن حنفي : " من الفناء إلى البقاء - الوعي الذاتي " ج 2 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2009 ، ص 562

5 - محيي الدين بن عربي : " الديوان " ص 40

6 - ابن عربي : " الذرة البيضاء " تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 1 ، 1993 ، ص 23

7 - محمد جلال شرف : " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " ص 158

8 - ينظر علي الخطيب : " اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج و ابن عربي " دار المعارف ، القاهرة ، دط ، 1404 هـ ، ص 300

9 - علي سامي النشار : " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - نشأة التشيع و تطوره - " ج 2 ، ص 299

10 - عبد الحميد مفتاح : " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 99

يمكن للإنسان اكتسابها و الوصول إليها عن طريق الرياضة و تصفية النفس (1) ، فهو بهذا التعريف رأى فيه إنساناً كاملاً مقتربا من الألوهية فهو بشر و لكنه ليس ككلّ البشر ، هو بشر لأنه مخلوق و ليس كالبشر لأنه يفيض الوجود على الناس بنوره في الأنبياء و المرسلين و الأولياء (2) و يشرح الدكتور زكي مبارك هذه العبارة في قوله هو من الناس لأنه مخلوق و ليس من الناس لأنه يفيض الوجود على الناس فهو المهيم على جميع الخلائق . (3)

و هذا الرأي ذهب إليه تلميذه عفيف الدين التلمساني في بائيته التي يقول فيها :

أفاضته أنوار الغيوب على الورى      إفاضة وهب خارج عن تكسب  
فأخبر عما عاب بالشاهد الذي      يُبرهن بالأعجاز في كل مطلب  
إذا نظرت عينا بصيرته إلى      حقيقة المثلى فأحسن و أطلب (4)

من ذلك قول ابن زمرك الغرناطي:

هو آية الله التي أنوارها      تجلوا ظلام الشرك أي جلاء  
يا مظهر الحق الجلي و مطلع      النور السنّي الساطع الأضواء (5)

و ابن الخطيب من القائلين بهذه النظرية ، خاصة و أنّ القرن الذي عاش فيه كان مسرحا للعديد من التيارات الفكرية ، فقد عبر عن فكرة النور التي كانت مثار جدل العديد من المتصوفة يقول: " و النور الأدمي حقيقة الإنسان ، و النور المحمّدي علة هذه الحقيقة ، و به صارت حقيقة و هذا النور هو حقيقة الرسالة ، و سرّ القرآن و الرحمة المنزلة ، و هي العناية في الدنيا ، و سرّ الإيجاد و مقتضى الإرادة العلية ، و معنى الكون ، و مميز الشهادة من الغيب ... " (6) يقول موضحا فكرة النور في داليته :

فمن عالم الأسرار ذاتك تجتلي      ملامح نور لآخ للطور فانهدا (7)

و يقول أيضا:

يا مُصطفى الرحمن و النور الذي      أخفي الضلال و أظهر التوحيد  
المنتقى من سرّ هاشم في الدرا      حيث استقرّ مدى الفخار صعودا (8)

و الواضح أنهم تأثروا بنظرية الاتصال التي قال بها فلاسفة الإسلام في القرن الرابع هجري كالفارابي هي نظرية فلسفية صوفية عرفت في المغرب و الأندلس فالإتصال عنده فيض و تسلسل الموجودات عن بعض، فالعقل الأول يفيض عن الواحد " الله " ، و من العقل الأول عقل ثاني ، و من العقل الثاني عقل ثالث ، و هكذا في شكل تسلسل حتى يصل إلى العقل

1 - المرجع نفسه : ص 102  
2 - زكي مبارك: " التصوف في الأدب و الأخلاق " ج1، ص 230  
3 - المرجع نفسه: ج1، ص 230  
4 - عفيف الدين التلمساني: " الديوان " تحقيق : يوسف زيدان ، ص 112  
5 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبّهانية في المدائح النبوية " ج1، ص 165  
6 - لسان الدين ابن الخطيب: " روضة التعريف بالحبّ الشريف " تحقيق: محمد الكناي ، ج 1 ، دار الثقافة ، الدر البيضاء دط ، 1970 ، ص 158  
7 - لسان الدين ابن الخطيب : " الديوان " ص 349  
8 - المصدر نفسه : ص 35

العاشر، كما ترى أنّ الواحد هو الواجب بذاته ، و كلّ ما عداه إنّما استمد الوجود منه. و أخذ الرازي و الإسماعيلية من بعده بنظرية شبيهة بالنظرية الفلسفية ، و إن اختلفت في بعض الوسائط و الحلقات ، و انتقلت هذه الأفكار الفلسفية إلى دول المغرب عن طريق ترحال المشاركة إلى المغرب محملين بمذاهب الفلاسفة اليونان و الفرس و الهند (1) كابن سبعين الذي هاجر إلى شمال إفريقيا ومعه فريقا من تلاميذه سنة 640هـ و ذلك نتيجة ضعف الدولة الموحدية ، و انتهاء عهد الحرية الفكرية في الأندلس و لهجوم بعض الفقهاء على تلك الآراء الفلسفية (2).

و من الشعراء الذين عبروا عن هذه النظرية في العهد العثماني سيد الشيخ في ياقوتته حيث يقول :

إلى تاج من أوفى القيامة جملةً      و نوره عينٌ لكونٍ من دون مرية  
محمد الهادي إلى الناس رحمةً      و معدن أسراري و عنصرُ نعمة (3)

و نجده في بائية الشيخ عبد الكريم الفكون التي يفتتحها بقوله :

أحببتنا إنني كلفت بحب من      له العزّ قدامًا و الرسالة مُنصب  
لدى نوره الأنوارُ تحبو و كيف لا      و منه استمدت و الشواهدُ تكتب  
أيا سيّدًا فاق النّبيين كلّها      و بدرٌ له فوق المراتب مرتب (4)

و نجد كذلك ابن عجيبة يعبر عنها في القرن الثالث عشر هجري ، فأول موجود عنده هو تلك القبضة النورانية التي خلق منها محمد صلى الله عليه وآله (5) "... فأشرقت فيه شمس كثيرة فامتلت فامتلت بالأنوار ، و لذلك جمع الحقيقة و إن كانت في الأصل واحدة لأنه عليه السلام اجتمع فيه من الحقائق ما افترق في غيره ، فكان باطنه عليه السلام معمورا بأنوار الحقائق و ظاهره معمورا بأنوار الشرائع ..." (6) يقول معبرا عن نوره الذي ظهر قبل الكون:

تقدّم كلّ الكون نورَ بهائه      فكان إلى الرحمن " أول عابد " (7)

كما عبر عنها شعراء العصر الحديث ، فقد ظلوا متأثرين بها، من ذلك ما نجده في قول شكيب أرسلان (8) في نونيته :

كيف الخلاص و للفؤادِ تأثرٌ      بجميع ما مرّت به العينان  
أو كيف لا أهوى الجمال و قد بدا      من نور ذلك العالم الربّاني (9)

و قصيدة الشاعر عبد الله الطيب (10) في هائيته :

- 1 - أبو الوفا التفتازاني : " مدخل إلى التصوف الإسلامي " ص 208
- 2 - ينظر المرجع نفسه : ص 207
- 3 - نقلا عن بوداية بلحيا : " التصوف في المغرب العربي " ص 127
- 4 - أبو قاسم سعد الله : " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون " ص 209
- 5 - عبد المجيد الصغير : " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة " ص 11
- 6 - المرجع نفسه : ص 175
- 7 - نقلا عن عبد المجيد الصغير : " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي و ممارسة " ص 174.
- 8 - ولد سنة 1869 بقرية الشويقات و توفي سنة 1949 في بيروت .
- 9 - شكيب أرسلان : " الديوان " ديوان مطبعة المنار ، مصر ، 1935 ، ص 146.
- 10 - شاعر سوداني معاصر ، و أستاذ بجامعة المغرب. ولد بقرية التميزاب غرب الدامر سنة 1921 و توفي 2003 م.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ سِرِّهَا      وَ مَجْلَى مَجَالِي نُورِهَا وَ جَمَالِهَا (١)

يشير الشاعر هنا إلى نظرية النور المحمّدي التي هي سرّ من أسرار نظرية الحقيقة المحمّدية:

و قول محمود حسن إسماعيل " يا أول نور " :

يَا أَوْلَ نُورٍ  
سَكَبَ اللَّهُ النَّوْرَ الْأَعْظَمَ مِنْ شَفْتَيْهِ  
يَا أَوْلَ نُورٍ  
كُلَّ النَّوْرِ تَأَلَّقَ مِنْهُ ، وَ جَابَ الْكُونُ عَلَى كَفِيهِ . (٢)

ب - نظرية الخلق : ظهرت هذه النظرية على يد ابن عربي ، فقد ردّها كثيرا في شعره بحقيقتها مبدأ الخلق (٣) و يشرح هذه في قوله : " لما أراد الله وجود العالم انفعل عن تلك الإرادة حقيقة تسمى الهباء ، وهو أول موجود في العالم و أول موجود في الهباء هو الحقيقة المحمّدية ، ثم شاء الحق أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كلّ و يكون جلاء لمرأة العالم غير المجلوة ، فخلق آدم فكان عين جلاء المرأة " (٤) يقول في نونيته شارحا نظريته في الخلق :

رَأَيْتُ الَّذِي لَابَدُّ لِي مِنْهُ جَهْرَةً      وَ لَمْ يَكُ إِلَّا مَا رَأَيْتُ مِنَ الْكُونِ  
وَ لَكِنَّهُ مِنْهُ عَلَى مَا رَأَيْتُهُ      كَأِنْسَانٍ عَيْنَ الشَّخْصِ فِيهِ مِنَ الْعَيْنِ  
وَ يَأْتِي عَلَى مَا يَأْتِي لِلْفَصْلِ وَ الْقَضَا      وَ قَدْ كَانَ قَبْلَ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ الْعَيْنِ (٥)

فمحمّد ﷺ عنده " أولهم في المسطور و آخرهم في الظهور " (٦) ، فلما أراد الله أن يخلق محمدا ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي في قلب الأرض و بهاؤها و نورها فهبط جبريل و ملائكة الفردوس و ملائكة الرّوح الأعلى ، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف ، و هي بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم ، حتّى صارت كالذرة البيضاء لها شعل عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش و حول الكرسي و السّموات فعرفت الملائكة محمدا ﷺ قبل أن تعرف آدم أبا البشر ، ثمّ كان نور محمّد ﷺ يرى في جبهة غرة جبهة آدم و قيل له : يا آدم هذا سيّد ولدك من المرسلين . " (٧)

و يوضحها لنا أحمد حيدر في كتابه " التكوين و التجلي " حيث يقول : " الله خلق الأشياء كلّها دفعة واحدة بالقوة في إبداعه الأوّل " و الخلق الإلهي يتم بكلمة " كن " لقوله تعالى : " و يحق الحق بكلماته " و كلماته هي موجوداته لا ألفاظ و لا حروف بقوله " كن " التي هي العقل الأوّل . (٨)

- 1 - عبد الله الطيب : " بانات رامة " الدر التونسية ، الخرطوم ، ط 1 ، 1970 ، ص 293 .
- 2 - محمود حسن إسماعيل : " ديوان نهر الحقيقة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972 ، ص 190 .
- 3 - ابن عربي : " الرسائل - كتاب منزل القطب و مقامه و حاله - " ص 252
- 4 - ابن عربي : " فصوص الحكم " ص 49
- 5 - ابن عربي : " الديوان " ص 113
- 6 - ابن عربي : " شجرة الكون " ص 06
- 7 - يوسف الصالحي : " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج 1 ، ص 91
- 8 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 179

و هذه الحقيقة خلقت : " حيث تجلت الذات الإلهية ، و ما هي إلا ذلك النور الساري في الكائنات ....إنها روح الكائنات و بنيتها و جوهرها ... " (1) و الخلق مستمر ما دامت الحقيقة المحمدية سارية أبداً في الناس و الكواكب و الكائنات و النجوم و الأقمار و البحار.... (2)

و يزيد من توضيحها قائلاً : " ...ذلك أنّ الأحدية المطلقة اقتضت تكوين الروح الأعظم " و الحقيقة المحمدية " روحا لما سيكون بأجمعه ، و أودع الله بها حقائق جميع الأشياء و صورها بوجه كلي فهو الوجود بهوية الوجود و خلق منها وسائط للتكوين يفيض عليها من نوره المفاض من مكونه ، و جعلها مؤثرة بما دونها من العوالم. " (3) فرؤيته اعتمدت مقولة العقل الفعّال كفيض مبدئي أول عن الذات الإلهية. (4)

ج - تسلسل حقيقته في الأنبياء و الرسل: و روحانيته موجودة في كلّ نبيّ و رسول (5) و الأنبياء جميعهم مشخصين في وجود الرسول ﷺ ، ومنه استمد الأنبياء هديهم وهو ما عبّرت عنه تائية أحمد البدوي (6) التي يقول فيها :

لَمْ يَشْرَبِ الْعُشَاقُ مِنْ بَحْرِ الْهَوَى	إِلَّا بَقِيَّةَ نَقْطَةٍ مِنْ طِينَتِي
سَكُرُوا بِهَا فَتَهَتَّكُوا وَ تَصَنَعُوا	وَ أَنَا طَوَيْتُ الْحَبَّ تَحْتَ طَوَيْتِي
فَقَرَأَتْ مِنْ تَوْرَةِ مُوسَى تِسْعَةَ	تَلَيْتُ عَلَى مُوسَى لَهَا لَمْ يَثْبِتْ
وَ قَرَأَتْ مِنْ إِنْجِيلِ عَيْسَى عَشْرَةَ	تَلَيْتُ عَلَى عَيْسَى فزادت رفعتي (7)

و هذا ما أوضحه صفي الدين الحلي (8) في هائيته التي يقول فيها :

إِلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ	إِلَى خَيْرِ مَعْبُودٍ دَعَاهَا بِشِيرُهَا
وَ مِنْ نَطَقَتْ تَوْرَةَ مُوسَى بِفَضْلِهِ	وَ جَاءَ بِهَا أَنْجِيلُهَا وَ زُبُورُهَا (9)

فالنبي محمد ﷺ نورٌ في القدم ، وكان نبياً و آدم في طينه ولما نفخ الله في آدم عليه السلام وأحل بصلبه نور النبي ﷺ كان هذا النور سبباً في نجاته حين توسل به ، كما عبر عنها الإمام الصرصري في قصائد عدة من ديوانه ، من ذلك قوله في داليته:

نَقَلْتَ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَابَ مَحْتَدُهُ	إِلَى بَطُونٍ زَكَّتْ مَا شَأْنُهَا نَكْدُهُ
حَلَلْتَ صُلْبَ أَبِيْنَا عِنْدَ مَهْبَطِهِ	وَ صُلْبَ نُوحٍ وَ قَدْ غَشَى الْوَرَى الزَّبْدُ
وَ حَازَ نُورُكَ إِسْمَاعِيلَ يُوَدِّعُهُ	أَبْنَاءَهُ الْغُرَّ حَتَّى حَازَهُ أَدُّ
حَتَّى سَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ مَنْصِبُهُ	مَنْ شَيْبِهِ الْحَمْدُ لَمَّا اسْتَوْثِقَ الْأَمْدُ
وَ كُنْتُ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَتِرًا	وَ نَارُ نَمْرُودُ أَشْقَى الْخَلْقِ تَنْقُدُ (10)

1 - أحمد حيدر : " كتاب التكوين و التجلي " دار الشمال ، طرابلس ، دط ، 1987 ، ص 179.

2 - المصدر نفسه : ص 177

3 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الجود " ص 171

4 - المرجع نفسه : الصفحة نفسها

5 - ابن عربي: " الرسائل " كتاب منزل القطب و مقامه و حاله ، ص 252

6 - ولد بفاس سنة 596هـ ، في أيام الملك الظاهر بيبرس الملك العاشر ، و توفي بطنطا سنة 675هـ.

7 - نقلا عن عامر النجار: " الطرق الصوفية في مصر " ص 197

8 - هو عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي ، السننسي ، ولد 677هـ ، 1277م ، و توفي 752هـ ، 1339م.

9 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبهانية " ج2 ، ص 184

10- يحي الصرصري: " المختار من مدائح المختار " ص 123

وهذا النور الذي خلق منه حازه حتى الأنبياء و المرسلين من قبله ، و ظلّ منتقلا حتى سلمه عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام و حازه .

و يزيد من شرح هذه الفكرة ابن نباتة المصري في رائيته :

تَنَقَّلَ نَوْراً بَيْنَ أَصْلَابِ سَادَةٍ      فَللَّهُ مِنْهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ نَيْرٌ  
بِهِ أَيْدِ الظُّهْرِ الْخَلِيلِي فَاثْتَحَتْ      يَدَاهُ عَلَى الْأَصْنَامِ تَغْزُرُو وَ تَكْسُرُ (1)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى تسلسل حقيقته في الأنبياء ، فبحقيقته توسل يونس عليه السلام و نجا و بها أحس سيدنا يوسف بالأمان لما رموه في الجب ، و حقيقته هي التي أنجت سيدنا إبراهيم من نار النمرود ، كما كانت متواجدة في الطور لما أبصرها سيدنا موسى عليه السلام " فكان له الحكم أولاً باطنا في جميع الشرائع على يدي الأنبياء و الرسل عليهم السلام صار له الحكم ظاهراً." (2)

كما عبر عنها شعراء العهد العثماني ، من ذلك ما نجده في قول الشعر محمد الشاهد في موشح له :

بِعِثْتِهِ دَعَا الْخَلِيلَ      وَ بُشِّرَ الرَّوْحَ  
وَ نَالَ أَمْنًا جَبْرئِيلَ      رَفِيقَهُ الرَّوْحَ  
وَ أَدَمَ نَجَايَ الْجَلِيلَ      بِهِ ، كُذِّبَ نَوْحُ (3)

ومن شعراء العصر الحديث قول عبد الله الطيب في هائيته :

وَ قَدْ أَرْسَلَ اللهُ النَّبِيِّينَ حَجَّةً      عَلَيْنَا حَالَ الزَّهْدِ وَ الْوَجْدِ حَالَهَا  
تَذَكَّرْنَا ذِكْرًا هَمُّوا بِأُصُولِنَا      إِذَا أَنْكَرْتُ الْيَمِينَ مَنَا شِمَالَهَا  
وَ يَذْكُو بِهِمْ غَرَسَ الْعِبَادِ إِذَا حَبَا      سَنَا مُزْنُهَا وَ صَارَ غُورًا زَلَاهَا (4)

و قول محمود سامي البارودي في قصيدته " كشف الغمة في مدح سيّد الأمة " :

قَدْ كَانَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ مَذْخَرًا      لِدَعْوَةِ كَانَ فِيهَا صَاحِبَ الْعِلْمِ  
نُورٌ تَنَقَّلَ فِي الْأَكْوَانِ سَاطِعَةً      تَنَقَّلَ الْبَدْرُ مِنْ صُلْبِ إِلَى رَحِمِ  
حَتَّى اسْتَقَرَّ بَعْدَ اللهِ فَاثْبَلَجَتْ      أَنْوَارُ غُرَّتِهِ كَالْبَدْرِ فِي الْبُهِمِ (5)

**د - علة الوجود:** فالرسول صلوات الله عليه هو المخلوق الأول ومنه صدرت الموجودات جميعاً و هذا الوجود الفعلي الواقعي للعالم هو موجود في العلم الإلهي القديم عاطف (6) وهذا هو معتقد ابن عربي ومن مشى على شاكلته ، فالإنسان مركز الكون و " علته و سببه و أفلاكه و مقاماته

1 - يوسف النبهاني: "المجموعة النبهانية" ج 2 ، ص 205

2 - نقلا عن ابن عمار: "الرحلة" ص 324

3 - ينظر ليوسف الصالحي: "سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد" ج 1، ص 100 .

4 - عبد الله المطلب: "بانات رامة" ص 296

5 - محمود سامي البارودي: "كشف الغمة في مدح سيّد الأمة" ص 46

6 - ابن عربي: "الفتوحات المكيّة" ج 2 ، ص 218.



و حركاته و تفصيل طبقاته " (1) ومن الشعراء الذين عبروا عن علته الكونية ابن الفارض في تائيته التي يقول فيها على لسان القطبية:

و لا تحسبن الأمر عني خارجاً  
و لولاي لم يوجد وجود، و لم يكن  
فلا حي، إلا عن حياتي حياته  
و لا قائل، إلا بلفظي محدث  
فما ساد إلا داخل في عبودتي  
شهود، و لم تُعهد عهداً بذمة  
و طوغ مرادي كل نفس مريدة  
و لا ناظر إلا بناظر مقلتي (2)

يرى الشاعر أن حقيقته هي نقطة بداية الخلق، و مركز النقطة التي انطلق منها النور النبوي من آدم عليه السلام إلى نوره صلواته، و لولا هذه الحقيقة لم يوجد الوجود، فحياة كل حي على وجه الأرض لأجله، فهو السبب في وجود الخلائق.

و قول ابن نباتة المصري في لاميته:

محمد المجتبي معنى جبلته  
و انجلي تاج علياه الرفيع و ما  
لولاية ما كان لا أرض و لا أفق  
و لا مناسك فيها للهدى شهب  
و ما لآدم طين بعد مجبول  
للبدر تاج و لا للنجم إكليل  
و لا زمان و لا خلق و لا جيل  
و لا ديار بها للوحي تنزيل (3)

فالرسول صلواته هو سبب وجود الزمان و الأرض و الخلق و الجيل و الديار و الأحبة الهدى و الوحي و القرآن، و كل ما في الوجود خلق لأجله.

و قول الصرصري:

و من نفتت كل ضلال موبق  
يا حجة الله على الخلق و من  
سنته البيضاء عنا فانتهى  
عنا دجى الشرك بنوره انجلى (4)

و زادت هذه الفكرة انتشاراً عند الصوفية في القرن العاشر، من ذلك ما نجده في هائية البرعي التي يقول فيها:

قل للمطايا اللواتي طال مسراها  
ذاك البشير النذير المستغاث به  
من تقبيل يمنها و يسراها  
سر النبوة في الدنيا و معناها (5)

رأى البرعي فيها السر التي لولاها ما كانت للدنيا معنى، فهي مبدأ أول لوجود جميع الكائنات و الروح الخفي الساري في الموجودات و لشهود كل إنسان في كل الطبقات (6).

و قول النابلسي في تائيته:

1 - عاطف جودة نصر: "شعر عمر بن الفارض" ص 207

2 - ابن الفارض: "الديوان" ص 67

3 - يوسف النبهاني: "المجموعة النبهانية" ج3، ص 68

4 - المرجع نفسه: ج 1، ص 289

5 - المرجع نفسه: ج3، ص 203

6 - إبراهيم بيومي مذكور: "الكتاب التذكري - محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده" دار الكتاب العربي للطباعة و

النشر، القاهرة، دط، 1969، ص 79

لولاك ما كانت الدنيا ولا رمقت  
يا سيِّداً فيه كلُّ الكتب قد نطقت  
و السَّحْبُ لولاك ما سَحَّتْ و لا بَرَقَتْ  
لولاك لولاك ما الأفلاكُ قد خلقت<sup>(1)</sup>

و من الشعراء الذين أكثروا من تناول هذه الفكرة شعراء الدولة الموحدية ، من ذلك ما نجده في قصائد ابن زمرك الغرناطي في مولديته اللامية التي يقول فيها :

يا نكتة الأكوان يا علم الهدى  
لولاك لم يك للكيان حقيقة  
يا حجة الله التي برهانها  
كم أية لك قد صدعت بنورها  
آيات فضلك رتلت ترتيلاً  
و لكان بوجودها مقفولاً  
ما كان يوماً صدقه مجهولاً  
ليل الضلال و إفكه المنحولاً<sup>(2)</sup>

و من شعراء العهد الزياني الذين عبروا عنها يحيى بن خلدون حيث يقول :

نبيِّ كريم للرسالة خاتم  
و سرّ وجود العالمين و أصله  
و ما هو إلا سيّد الرّسل كلّهم  
مطاع لدى ذي العرش ثمّ أمين  
و غايته فالكلّ عنه يبين  
و أولاهم بالفخر حين يكون<sup>(3)</sup>

كما عبر عن هذه العلة الكونية شعراء العهد العثماني ، من ذلك ما نجده في نونية لخضر بن خلوف التي يقول فيها :

لولا أنت لا كان خلقنا من تراب  
ومنها الخروج تارة للحساب  
صلى الله عليك يا النبيّ العربيّ  
و فيه بالصّح نرجعوا بالأيمن  
يوماً لا ينفع مالٌ و لا بنونٌ  
يا سراج الدهر أحمد الأمين<sup>(4)</sup>

و قول المنجلاتي في سمطيته " نلت المرام ":

لولاة لم تك دنيا  
و هو حامّي الحمى  
و لا مات و حي  
في الأرض ثمّ السّمّا  
نواعتصام  
له احترام<sup>(5)</sup>

و من شعراء العصر الحديث الذين عبروا عن علته الكونية في قصائدهم ما نجده في قول الشاعر شكيب أرسلان في نونيته التي يقول فيها :

عين الوجود اللامع النور الذي  
هو أحمد المبعوث من في حلّه  
فإنه يشهد أن طه المجتبي  
ما لاح مثل سناة للأعيان  
كشف الوجود تشرف الثقلان  
هو خير من سارت به قدما<sup>(6)</sup>

و قول الشاعرة عائشة التيمورية في قصيدتها " أعن وميض سرى في جندس الظلم "

1 - يوسف النبهاني " المجموعة النبهانية " ص 292-293.  
2 - نقلا عن "المولدات في العصر الغرناطي - مولديات لسان الدين بن الخطيب نموذجا " لنورية عامر مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تلمسان، 2006-2007، ص 39 .  
3 - يحيى بن خلدون : " بغية الرواد " ج 2 ، ص 216.  
4 - لخضر بن خلوف: " الديوان " تحقيق: محمد بخوشة ، ص 05  
5 - أبي العباس ابن عمار : "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " ص 29  
6 - شكيب أرسلان : " الديوان " ص 146.

حيث تقول:

فاشفع بحبّ الذي أنتَ الحبيبُ له  
طه الذي قد كسا إشراق بعثته  
نعم الحبيب الذي من الرقيب به  
ولولاك ما أبرز الدنيا من عدم  
وجه الوجود سناء الرشد و الكرم  
و هو القريب لراجي المجد و النعم (1)

فحقيقته بهذا المفهوم هي القائمة بتدبير الكون (2) ، فهو العلة و الحجة في وجود الخلق فلأجله وجدوا و خلقوا ، فوجوده " يشمل وجود أرواح كافة البشر ، فهو مبدأ الإنسان في ربة الكون و منتهاه التقدم له و التأخر عنه ، و هو أول الكون و منتهاه. " (3)

**هـ - أسبقية الروح على البدن :** و هذا الاعتقاد ظهر في الفلسفة اليونانية خاصة عند

فيثاغورس و أفلاطون و ذلك في قولهم بأسبقيته في الوجود ، فالنفوس كانت موجودة قبل وجودها في الصورة الإنسانية و منفصلة عن الجسد مالكة للفكر ، فالأفكار كانت موجودة قبل أن تولد كما كانت الأرواح موجودة قبل أن تولد (4) ، معنى أن تشكل التصورات و الأفكار لا يمكن تصورهما على أساس من القدرة على التذكر فلا بد لهذه الأفكار أن تكون لها صدى لذكريات ماضية تشكلت في أثناء وجود سابق (5) فالصوفية أقاموا عليها نظريتهم في قدم النور المحمدي ، و دعوا أن الروح حبيسة في البدن و هو لها كالقفص ، و هي تسعى من أجل الخلاص للتحرر من العالم السفلي (6) ، و نجد هذه الفكرة عند أقطاب الصوفية الذين دعوا بوحدة الوجود خاصة كابن عربي و الحلاج من ذلك قوله:

العشق في أزل الأزال من قدم  
العشق لا حدث إذ كان موصف  
فيه به منه يبدو فيه إبداء  
من الصفات لمن قتلاه أحياء (7)

و الروح المحمدية التي أحبها الحلاج كانت في الأزل منذ القدم لأن وجوده سبق العدم واسمه سبق القلم ، و أنه كان قبل الأمم و الشيم . " (8)

و أكثر ما نجدها تتردد في القصائد المولدية خاصة في العهد الأيوبي ، حيث أصبحت تنمو في اطراد منتظم ، من ذلك ما عبر عنها الحكيم المتأله في ميميته :

أقتسمتُ بصفتي حبكم في القدم  
قد أمزج حبلتكم له حمي و دمـي  
ما زلّ إلى غـير هـ و الكُمّ قد دمـي  
قطعي صلتني و في وجودي عدمي (9)

1- عائشة التيمورية: " ديوان حلية الطراز " ص 269. المرجع نفسه : ص 112  
2 - يوسف زيدان: " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 119  
3 - عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة - " ص 11  
4 - محمد جلال شرف: " التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " ص 104  
5 - عبد الحميد مفتاح: " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 104  
6 - قاسم محمد عباس: " الحلاج الأعمال الكاملة " ص 288  
7 - الحلاج: " الطواسين " ص 03.

8- يوسف زيدان: " شعراء الصوفية المجهولين " ص 27

كما نجد لهذه الفكرة رواجاً في العصر المملوكي ، من ذلك ما نجده عند ابن الفارض حيث يقول: " فصورته هي آخر ما تم به الظهور ، كما أنه أول ما برز و تعين قبل تعلق الروح بالجسد. (1)

و يزيد من توضيحها في قصيدته " شربنا على ذكر الحبيب " التي يقول فيها :

شربنا على ذكر الحبيب ، مدامه  
يقولون لي: صِفها ، فأنت بوصفها  
صفاءً و لا ماءً، و لطفً و لا هواً  
تقدّم كل الكائنات حديثها  
سكّرنا بها ، من قبل أن يخلق الكرم  
خير أجل، عندي بأوصافها علم  
و نورٌ و لا نارٌ ، و روحٌ و لا جسم  
قديمًا و لا شكلاً هناك و لا رسمٌ (2)

يشير الشاعر هنا إلى فكرة أسبقية الروح على البدن ، فهو ابن آدم من حيث الصورة و أبوه من حيث المعنى ، أي أنه خلق قبل آدم روحٌ سبقت خلق الأجسام ، و قوله أيضاً :

و لا قبلها قبلٌ ، و لا بعدها بعدُ  
و عصرُ المدى من قبله كان عصرها  
محاسنٌ تهدي المادحين لوصفها  
و قبليّة الأبعاد ، فهي لها ختمٌ  
و عهدٌ أبينا بعدها و لها اليتمٌ  
فيحسنُ فيها منهم النثرُ و النظمُ (4)

و يقول الصرصري أيضاً في دليته :

و كُنتَ خيرَ نبيٍّ عندَ خالقنا  
فأبصرَ اسمك فوق العرشِ مكتتباً  
و أنت يومَ نشورِ النَّاسِ سيدهمُ  
و روحُ آدمٍ لم ينهضْ بها الجسدُ  
و تلكَ منزلةٌ لم يعطها أحدُ  
أتباعك الغرُّ لا يحصى لهم عددُ (5)

و من شعراء الدولة الفاطمية القرنين 7هـ و 8هـ ، و إثر الظروف السياسية التي كانت تعيشها الدولة الفاطمية أدى إلى تقوية الشعور الديني بإنتاج القصائد النبوية (6) من ذلك ما نجده في رائية ابن نباتة المصري التي يقول فيها :

نبيُّ أتمَّ اللهُ صورةَ فخره  
نبيُّ لهُ مجدٌ قديمٌ و سوددُ  
نظيمُ العُلا و الأفق ما مدَّ طرسه  
و آدمٌ في فخّاره يتصوّرُ  
صميمٌ و أخبار تجلُّ و تخبرُ  
و لا فقرُ الزهرِ و الكواكبُ تنثرُ (7)  
و قول الإمام البرعي (ت550هـ) في لاميته :

إذ كان في الكون موجوداً و آدم  
نبوةً قبل خلق الخلق سابقه  
في ماءٍ و طينٍ لم يكن بشراً  
إنّ الأمامَ أمّامٌ و الورا و را (8)

9 - عاطف جودة نصر: " شعر عمر بن الفارض " ص 207

2- عمر بن الفارض: " الديوان " ص121-122

3 - عاطف جودة نصر: " شعر عمر بن الفارض " ص 207

4 - ابن الفارض: " الديوان " ص 122

5 - يحي الصرصري: " المختار من مدائح المختار " ص 124

6 - عبد المنعم جاد الله: " التصوف في مصر و المغرب " ص 148

7 - المرجع نفسه: ج 2 ، ص 203

8 - المرجع نفسه: ج 3، ص 188

فالرسول ﷺ عنده كان نبياً و آدم لم يخلق بعد ، فهو و إن كان الخاتم في سلسلة النبوة إلا أنه أول ما خلق الله ، و يزيد من توضيح هذه الفكرة في نونيته ، حيث يقول :

و دعوة أحمد ربّ إهد قومي  
وقد كان ابنُ أمنة نبياً  
و تحت لوائه للرسل ظلُّ  
فهم لا يعلمون كما علمنا  
و آدم لم يكن حملاً مسنّى  
غداً يوم الجبال تكونُ عنها (1)

يقول السهروردي معبرا عن محبته للذات المحمّدية في القدم فيقول :

هي خمرة الحبّ القديم و منتهى  
هي أسكرت في الخلد آدم أولاً  
و كذلك نوح في السفينة أسكرت  
و له بذلك رنة و نياح (2)  
غرض الزديم فنعم ذاك الراح  
و عليهم منها خلعة و وشاح

يرى ابن عربي أنّ الحكمة في خلقه قبل آدم لإظهار شرف النبي ﷺ (3) " فانه لما خلق الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام خلق الرّوح المدبرة ، روح محمّد ﷺ ثم صدرت الأرواح عند الحركات . فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة ، و أعلمه الله بنبوته ، و بشره بها و آدم لم يكن . (4) كما قال ﷺ " كنت نبياً و آدم بين الرّوح و الجسد " ثم انتهى الزمان إلى وجود جسمه ﷺ و ارتباط الرّوح به فظهر محمّد ﷺ بكليته جسماً و روحاً (5)

كما عبر عنها شعراء الدولة الموحدية من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب في هائيته :

تقدمت مختارا ، تأخرت مبعثا  
عليك صلاة الله يا خير مرسل  
فقد شملت علياؤك القبل و البعدا  
و أكرم هاد و أوضح الحقّ و الرّشدا (6)

و يواصل قوله في قافيته:

يا مُصْطَفَى مَنْ قَبْلَ نَشْأَةِ آدَمَ  
أَيْرُومُ مَخْلُوقٌ ثَنَاؤُكَ بَعْدَمَا  
و الكونُ لم تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ  
أثْنَى عَلَى أَخْلَاقِكَ الْخَلَاقُ (7)

و يواصل حديثه عن حقيقته ﷺ التي عجز الأولون و الآخرون عن فهمها ، و التي تكمن في أسبقية خلقه دون سائر المخلوقات ، في هائيته قائلا :

محمّد خير المرسلين بأسرها  
لأنّك سرّ الله و الآية التي  
و أولها في الفضل وهو أخيرها  
تجلت فجلى ظلمة الشك نورها

- 1 - المرجع نفسه : ج 4 ، ص 135
- 2 - يوسف زيدان : " شعراء الصوفية المجهولين " ص 322
- 3 -- ابن عربي : " شجرة الكون " ص 58
- 4 - ابن عربي: " الفتوحات المكية " تحقيق: عثمان يحي ، السفر الثاني، الجزء الثالث عشر، الباب 12- في معرفة دورة فلك سيدنا محمّد " ص 331.
- 5 - ينظر يوسف الصالحي: " سبل الهدى و الرشاد " ج 1، ص 100
- 6 - لسان الدين بن الخطيب: " الديوان " ص 456
- 7 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبهانية " ج 2 ، ص 433.

أيا آية الله التي مذ تَبَلَّجَت على خلقه و أخفى الضلال ظُهورها (1)

فحقيقته صلى الله عليه وآله هي السر في الوجود ، و هذه الأسبقية التي حازها صلى الله عليه وآله هي في كل نفس لأن كل إنسان يملك وجودا أصليا سابقا لوجوده في هذا العالم يتمثل في ذلك النموذج للإنسانية الذي هو النبي محمد صلى الله عليه وآله (2) ، لذلك حاز هذا السر في الخلق قبل الكل . و قد أشار إلى هذه الحقيقة الششتري (3) ، من ذلك قوله في إحدى موشحاته :

قَبْلَ كَوْنِ الزَّمَانِ      وَ وَجُودِ السَّكْرِ  
أَسْكَرْتَنِي بِبَدَانِ      الْهَوَى وَ الْخَمْرِ (4)

و قد عبر عنها عفيف الدين التمساني :

زَيْنُ النَّبِيِّ عَيْنُ الرَّسْلِ خَاتِمِهِمْ      فِي الْبَعثِ أَوْلَهُمْ فِي رَتْبَتِهِ الشَّرْفِ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ نُورُهُ فِي ظَهْرِ أَدَمَ لَمْ      يَشْمَلُهُ مَا كَانَ مِنْ عَفْوٍ وَمِنْ لَطْفِ (5)

و من شعراء القرن العاشر ابن قضيبة البان (6) و يشير إلى فكرة الأسبقية في الخلق :

مَدَّتْ لَهُ الْأَفْلَاكُ أَطْلُسَهَا كَمَا      نَثَرْتُ لَدَيْهِ الزَّهْرُ نَثَرَ عَقُودِ  
وَ لِأَجْلِ خِدْمَتِهِ الْجَنَانُ تَزَخَّرَتْ      وَ مِنْ السَّعَادَةِ خِدْمَةُ الْمَسْعُودِ  
قَدْ كَانَ يُدْعَى بِالنَّبِيِّ وَ لَمْ يَكُنْ      خَلْقٌ وَ أَدَمَ لَيْسَ بِالْمَوْجُودِ (7)

و من شعراء العصر العثماني قول الشاعر محمد الشاهد :

فُقِدَ نُورُهُ عَلَيَّ      نُورُ النَّبِيِّينَ  
أَفْضَلَ مِنْ قَالِ بَلِي      قَبْلَ الْمَجِيبِينَ  
وَ خَيْرَ مَنْ شَادَ الْعُلَى      وَ مَهْدَ لِلدِّيْنِ (8)

كما عبر عنها شعراء العصر الحديث ، من ذلك ما نجده في قصيدة عبد الله الطيب "سعدى" :

وَ مَا أَبْهَتْ أَنْ قَبْلَ أَنْ كَانَ آدَمَ      تَكُونُ وَ فِينَا الرُّوحُ بَثَّتْ حِبَالَهَا  
بِهَذَا قَدْ تَمَتَّعْنَا الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى      وَ مِنْهَا تَسَامَى أَنْفُسٌ وَ احْتِمَالَهَا  
وَ كُنْتُ حَيًّا يَهْمَى وَ أَبْنَاءَ آدَمَ      يُصَوِّرُ مِنْ مَحَلِّ التَّرَابِ مِثَالَهَا (9)

و قول أحمد شوقي في همزيته :

- 1- المرجع نفسه: ج 2 ، ص 186
- 2 - عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة" ص 11.
- 3 - أبا الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري اللوشي ، و لد سنة 610هـ 1212م ، توفي بمصر بدمياط سنة 668هـ .
- 4 - أبو الحسن الششتري: الديوان " تحقيق: علي سامي النشار، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، م ط1 ، 1960 ، ص 145 .
- 5 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبهانية " ج2 ، ص 381 .
- 6 - عبد القادر بن محمد محيي الدين أبو الفيض ابن قضيبة البان ولد سنة 1040هـ . فرويته للإنسان الكامل رؤية صوفية فلسفية .
- 7 - يوسف النبهاني: " المجموعة النبهانية " ج2 ، ص 84 .
- 8 - نقلًا عن ابن عمّار: " الرحلة " ص 73
- 9 - عبد الله الطيب: " الديوان " ص 293

و رُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نُمي  
نورانٍ قاما مقامَ الصَّلبِ و الرَّحمِ (1)

نُموا إليه فزادوا في الورى شرفاً  
حواه في سُبُحاتِ الطَّهرِ قبلهم

و - نظرية التقابل : و تتجلى حقيقته صلى الله تعالى في صورتها الكونية في كونه صلى الله تعالى صورة للعالم و مختصره (2) ، فهو لكونه يمثل الكون برمته ولأنه وجد من عناصر موجودة في الكون صحت تسميته عالم صغير (3) ، إلا أن الإنسان متميز بكماله الذاتي ، فهو مظهر الكون و الحق و الخلق ، و هو بجمعه حقائق الوجود العلوية و السفلية جاز تسميته بالعالم الصغير وظهرت هذه النظرية لما انتشرت فكرة الوسائط في القرن الرابع و الخامس هجريين ، عند إخوان الصفا و قولهم بأن الإنسان هو العالم الأكبر ، من حيث تشبيه تركيب العالم بتركيب جسم الإنسان التام الأعضاء (4) و كذلك قولهم بنظرية التربع في الكون .

و من الشعراء الصوفية الذين عبروا عنها محيي الدين ابن عربي ، فحقيقته صلى الله تعالى عنده نسختان نسخة ظاهرة ، و نسخة باطنة فالنسخة الظاهرة مضاهية للعالم بأسره ، و النسخة الباطنة مضاهية للحضرة الإلهية ، فالإنسان هو الكلي على الإطلاق و حقيقته صلى الله تعالى هي القابلة لجميع الموجودات ، قديمها و حديثها (5) ، كما أنها الرّوح المدبرة للعالم ، و العالم كلّه نسخة منها (6) ، " و غايتها إظهار حقائق العالم الأصغر أي الإنسان روح العالم و معرفة أفلاك العالم الأكبر. " (7) يقول موضحاً ذلك في همزيته :

جلّت صفاتُ جلاله جماله  
فانظرُ إلى السرِّ المُكتمِ درّة  
و بهاءَ عزّته عن النظراءِ  
كمجلوة في اللّجة العمياءِ (8)

و يزيد من شرحها في كتابه الفتوحات المكية قائلاً: "... فالأرض تناظر الإنسان بجسمه و الكرسي بنجومه يناظر من الإنسان أرواحه ، فكلّ بقواها ، ثمّ البيت المعمور يناظر من الإنسان القلب ، و الملائكة تناظر الإنسان ، فكلّ شيء في الإنسان يناظر ما يقابله في العالم الأعلى... و هكذا (9) يقول في رائيته :

لما شهدتُ الذي سوى حَقِيقَتُهُ  
يَخْصُهُ بالأسماءِ تَحْصِرُهُ  
في ذاتِ أكملِ مخلوقٍ من البشرِ  
و ليسَ شيئاً لَهُ نعتٌ بِمَنْحَصِرِ  
بما لديه من الآياتِ و السورِ (10)

9- أحمد شوقي شوقي : " الشوقيات " ج1، ص 19  
2 - محمد إبراهيم الفيومي : " ابن عربي صاحب الفتوحات المكية " ص 67  
2 - ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج1، ص 143  
3 - المرجع نفسه: ج2 ، ص 218  
4- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 59-58  
5- محمد إبراهيم الفيومي: " ابن عربي صاحب الفتوحات المكية " ص 67  
6- عبد الكريم الجيلي : " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " ص 10  
7 - نقلا عن بتصرف توفيق سلوم : " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 126- 128.  
8- حسين مروة: " النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية " ص 183.  
9- محيي الدين بن عربي : " الديوان " ص 291  
10- عبد المجيد الصغير : " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة " ص 15

كما عبّر عنها الجيلي في كتابيه " الكمالات الإلهية " و " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " و الذي يرى فيهما أنّ حقيقته صلى الله عليه وآله هي أنموذج الحقّ و المثل الأعلى بعد الله عزّ و جلّ ، فهو مجموعة من التقابلات في الكون و ذلك بأنّه يحتوي على سائر العناصر المختلفة و الكيفيات المتنوعة في هذا الوجود الحسيّ من كثافة ، و لطافة ، و حرارة ، و ماء و برودة و طين ، و حركة و سكون ، و غيرها من التركيبات الجسدية التي تنسجم مع هذا العالم " (1) و أول ما يقابله الإنسان الكامل هو العرش بقلبه لقوله صلى الله عليه وآله : " قلب المؤمن من عرش الرحمن " ثم يقابل سدرة المنتهى بمقامه ، كما يقابل القلم الأعلى بعقله أول تعينات الحقّ ، فبه ينقش في اللوح المحفوظ ، و يقابل اللوح المحفوظ بنفسه وهو النور الإلهي المعبر عنه بالنفس الكلية التي هي نفس الإنسان الكامل و يقابل الكرسيّ بأنيته و يقابل الحقائق العلوية بلطافته ، و يقابل الحقائق السفلية بكثافته ، و يقابل العناصر بطبعه و يقابل الهيولي بقابليته، و يقابل الهباء بحيزه يكله و يقابل السّماء الخامسة بهمته ، و يقابل السّماء الرابعة بفهمه ، و يقابل السّماء الثالثة بخياله و يقابل السّماء الثانية بفكره ، و يقابل السّماء الأولى بحافظته ، ثم يقابل فلك النّار بحرارته و يقابل الجنّ و الشياطين بوسواسه ، و يقابل البهائم بحيوانيته ، ..... إلخ (2) و يزيد في شرحها في عينيته: عينيته:

مراء بهّا حسن وجّهي لامعُ	و كلّ الورى طرّا مظاهرَ طلعتي
أجل في ذوات الكلّ نوري ساطعُ	ظهرت بأوصاف البرية كلّها
ففي كلّ شيء من جمالي لوامع (3)	تخلقت بالتحقيق في كلّ صورة

يرى الجيلي في هذه الأبيات صورته في كلّ شيء باعتباره المجلى التّام للألوهية (4) و الوحيد المتجلي في صورة الطبيعة ، فكل ما في الوجود و كل أوصاف البرية و كلّ شيء خلقه الله في هذا العالم ، و كلّ ذات هي صورة لذاته لكون هذه هي الذات نسخة عن هذه الذات التي خلقت منها جميع حقائق الوجود . و يواصل في هائيته في وصف صورته التي تماثل صورة الطبيعة و الجلال :

و حيوانه مع أنّه و سجّايه	و مهمّا ترى من معدن و نباته
جمال جلال الكلّ ما أنا إلا هو	وقد حُزّت أنواع الكمّال و إنّني
و من هباء الأصل طيبه هـ يولاه	و مهمّا ترى من عنصرٍ و طبيعة
و من شجرٍ أو شاهق طال أعلاه	و م-هم-ا تنوى من أبحر و قفله
و من شهيد للعين طال م-ح-ياه (5)	و مهمّا ترى من صورة معنوية

فهو بهذه المقابلة أصبغ على النظرية حيوية تصويرية نابعة من حشدها مناظر إلهية تنتمي إلى عالم الغيب كالكرسي ، و اللوح ، و سدرة المنتهى فضلا عن مظاهرها في الوجود التي عمّت الأرجاء من أفلاك ، و بحار و رمال و ما خفي عن العيون .

كما عبر عنها الدسوقي في تائيته ، إذ يقول حالة اتحاده بها :

1- عبد الكريم الجيلي " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " ص 166 و ما بعده  
2- عبد الكريم الجيلي: " النادرات العينية " ص 485  
3 - يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " ص 111  
4 - عبد الكريم الجيلي: " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " ص 90+9-  
5- عامر النجار : " الطرق الصوفية في مصر " ص 197



فشاهدته في كلِّ معنى و صورة  
مُنائي أنا إذ كنت أنتَ حَقِيقَتِي  
تغيبت الأشياء كنت كُنُسَخَتِي (1)

تجلى لي المحبُّوبُ عن كلِّ وجهٍ  
فقال : أندري من أنا ؟ قلتُ أنتَ يَا  
قال : كذاكَ الأمر لکنما إذا

يرى الدسوقي أن حقيقته صلى الله عليه وسلم هي نسخة جميع الحقائق الوجودية ، فالوجود المحمدي هو عبارة عن متقابلات ، و كلَّ شيء منه مقابل للذات المحمّدية " ففي ذات الرسول صلى الله عليه وسلم شبيه العرش و الكرسي و السّموات ، والأرض ، والملائكة ، والحيوان و النّبات ، والجماد وسائر الموجودات التي هي في حقيقتها مرآة لحقيقته.

كما نجد هذه الفكرة رواجاً في القرن العاشر خاصة عند ابن قضيبة البان ، الذي يرى أنّ محمد صلى الله عليه وسلم هو صورة الرحمن ، والعالم وما فيه على صورته (2) ويقول أيضاً في مواقفه: " و أوقفني الحقّ على سرّ قيام الحياة بالذات الوجودية ثمّ قال لي: انظر إلى دوائر الفضل الإلهي كيف أحاطت بقلب الإنسان الكامل ، ثمّ لمحت إحاطة القلب بقلب الإنسان الكامل ، ثمّ لمحت إحاطة القلب بالعروش الأسمائية ... ثمّ شاهدت السّموات و الأرض في ذلك القلب ...." (3)

وهي عند ابن عجيبة: " أنموذج العالم الذي كانت توجد فيه روحه و مشتمل عليه ، لذلك جعله الحقّ تعالى نسخة الوجود يحاكي بصورته كلّ موجود. " (4)

و في الأخير يمكن القول أن حقيقته صلى الله عليه وسلم كونتها عدّة ثقافات و عقائد إسلامية و مفاهيم صوفية و نظريات فلسفية ، و كلّها تفاعلت فأثمرت لنا نظرية متعددة الجوانب رغم اختلاف الأزمنة و الشخصيات التي نادى بها إلا أنّها تطابقت العبارات على اختلاف مفاهيمها ، فهي تدور حول فكرة رئيسية واحدة ، و هي أنّ الموجودات الروحية و المادية على السواء قد صدرت عن حقيقة واحدة و فاضت من قوة واحدة كانت واسطة بينها و بين الوجود.

6- ينظر محمد الراشد: " مسارات وحدة الوجود " ص 115

1- عبد الرحمن اليدوي: " الإنسان الكامل في الإسلام " ص 186

2- عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة. " ص 11 - 14

# الفصل الثاني

## II - الفصل الثاني : الحقيقة المحمّدية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث

1- المبحث الأول : حقيقة المحبة المحمّدية

2- المبحث الثاني: الحقيقة المحمّدية في بعده الظاهري

- أ - حقيقة مولده
- ب - حقيقة صفاته الخلقية و الخلقية
- ج - حقيقة معجزاته
- د - حقيقة غزواته
- هـ - حقيقة الأماكن المقدسة
- و - حقيقة آل بيته
- ي - حقيقة الشيوخ

3- المبحث الثالث: الحقيقة المحمّدية في بعدها الباطني

- أ - من ناحية صلتها بالعالم
- ب - من ناحية صلتها بالإنسان
- ج - من الناحية الصوفية

## - الفصل الثاني: الحقيقة المحمدية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث

### - المبحث الأول : حقيقة المحبة المحمدية

و المحبوب الأول عند الشعراء هو محمد ﷺ ، لأن محبته فحقيقته هي لبّ و جوهر الشعر الصوفي في تطلعاتها إلى الحبيب الأعلى وأساس الحبّ المكبوت في صدور العشاق الذي تقوم عليه كلّ المقولات ، و هذه المحبة هي المنبع الفياض بالخلق ، و المصدر الحقيقي الذي استمدت منه جميع الموجودات وجودها ، لأنّ حبّ الحضرة المحمدية من الحبّ الإلهي فمن الحكمة الربانية و العناية الإلهية أن ربط الله أطراف الموجودات بعضها ببعض و اشتياقا إلى علاقتها و تحننا على معلولاتها فكان العشق إلى هذه العلة و متى وصل إليه و نال من يهواه بلغ حاجته من التلذذ بقربه. (1)

و عن هذه الذات التورانية هامت القلوب و فنّت الأرواح و ذابت عشقا ، و اتحدت في ذات سرّ الوجود فانمحت الهموم و الشهوات و صار القلب مستغرقا بنعيمها.

فهذه الأخصية التي اختص بها ﷺ دون سائر الأنبياء قوامها المحبة العظيمة التي تعكس عظمة المحبوب ، سبقتها محبة خالصة منبثقة من أعلى منزلة هي محبة الله لأعز مخلوق كرمه الله بهذا الحبّ الأدمي، و ذلك بأن جعل محبته شطر الإيمان، و إتباعه عنوان محبته لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (2) فمحبته من أعظم ما يتقرب بها المرء إلى الله تعالى، لكونه أحبّ الخلق إلى الله و من لوازم محبته محبة رسوله الكريم إذ ليس الطريق إلى محبة الله إلاّ بإتباع حبيبه ، و لا يتوسل إلى الحبيب بشيء أحسن من متابعة حبيبه و طلب رضائه ، و لأجل ذلك حاز المقام الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنّما ظهرت بواسطة الحبّ ، إذ لولا ذلك لما وجد الخلق ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات. (3)

فعن عبد الله بن عباس قال : كنا مع النبيّ ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنّ أحبّ إليّ من كلّ شيء إلاّ من نفسي ، فقال النبيّ ﷺ : " لا و الذي نفسي بيده حتّى أكون أحبّ إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنّه الآن و الله لأنّ أحبّ إليّ من نفسي . فقال : " الآن يا عمر ". (4)

و الخلق إنّما ظهرا بواسطة الرّوح المحمّدي ، و هذه الوساطة هي سرّ تخصيصه باسم الحبيب ، فحاز بذلك أعلى المقامات الكمالية ، فهو الأصل في مقصود الحبّ الإلهي وغيره من المخلوقات هم له كالفرع ، فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره. (5)

1- إخوان الصفا: "رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء " ج4 ، تقديم: عليوش عبود ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ، دط ، 2007 ، ص 11

2 - سورة آل عمران: الآية 31

3- جعفر الصادق : " كامل التفسير الصوفي العرفاني " ص 84.

4- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: " الصحيح " كتاب الإيمان و النور" باب كيف كانت يمين النبي ، رقم 6257 ، ج 4 ، دار المعارف للطباعة و النشر لبنان ، دط، دت ، ص 259

5- رشيد الراشد التادفي " الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم " ص131

و قد تفرقت بهؤلاء المذاهب في تصوير هذه المحبة ، وتقديرهم لمحمد ﷺ و تفانيهم فيه ، و كلّ عبر بها حسب درجة محبته :

أ - **المحبة** : هي أول حال يتشرف به الصوفي ، و حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك و لا يبقى لك شيء . و سميت بالمحبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب ، فمنهم من عبّر عنها بالحبّ (1) ، فهي كما يُعرّفها كمال الدين عبد الرزاق القاشاني : " آية الاختصاص ونتيجة الاصطفاء ، والإخلاص ، وأصلها في الأحوال الابتهاج بشهود الحق ، وتعلق القلب به معرضاً عن الخلق معتكفاً عن المحبوب بجوامع هواه غير ملتفتٍ إلى ما سواه " (2) .

من الشعراء الذين عبروا عنها الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدته " مسكين لم يذق طعم الهوى " و التي يقول فيها :

لا شيء يثني عاني عن محبتهم	و لا الصوارم في صدري و أرماع
يا عاذلي ! كن عذيري في محبتهم	فإن قلبي بما يهواه مشحاح
شرع المحبة قاض في حكومته	بصرم خلّ من الأشجان يرتاح (3)

أصبح الشاعر أسير في هواه للحبيب محمد ﷺ ، فلا شيء يستطيع أن يقف في وجه هذا الحبّ مهما كلفه الثمن .

و هذا الهوى لا يحلو إلا بالوصال ، يقول معبرا عن ذلك :

أوقات وصلكم عيد و أفراح	يا من هم الرّوح لي و الرّوح و الرّاح
دبّت حمياهم في كلّ جوهرة	عقل و نفس و أعضاء و أرواح
فما نظرت إلى شيء بدا أبدا	إلا و أحباب قلبي دونه لاحوا (4)

يتشوق الشاعر إلى اللقاء و يتوق إلى الوصال ، فهو الرّوح ، و الرّاح ، و الرّوح فمحبته خير له من الشغل و الكسب و الربح ، فهي الجنة و ما فيها فمحبته للحبيب هي الدنيا و ما فيها ، يقول في ذلك :

لا كسب لي بل و لا شغل و لا عمل	في حديثهم تجر و أرباح
ما جنّة الخلد إلا في مجالسهم	فيها ثمار و أطيّار و أرواح
أودّ طول الليالي إن خلوت بهم	و قد أدبرت أباريق و أقداح
يروعني الصبح إن لاحت طلائعه	يا ليته ! لم يكن ضوء و إصباح !
أسكن فؤادي ! و طبّ نفساً و قرّ لقد	بلغت ما رمت قرّ الناس أو ساحوا (5)

1 - أبي القسم عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية في علم التصوف " ج 2 ، تحقيق ، معروف مصطفى زريق ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2001 ، ص 321  
2 - أيمن حمدي : " قاموس الإصلاحات الصوفية " ص 181 .  
3 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 115  
4 - المصدر نفسه : ص 114  
5 - المصدر نفسه : ص 116

يقرن الشاعر في هذه الأبيات المحبة بالشوق لأنه " على قدر المحبة يكون الشوق فيه تهتاج القلوب إلى لقاء المحبوب ، فهو حركة تتميم العشق الحقيقي . " (1) و الشوق من أبرز علامات المحبة و درجاتها ، و يستخدم أحيانا مرادفاً للمحبة ، لأنه متولد منها. و يتمنى أن يصل بمحبته إلى حدّ السكر الذي إذا بلغه أغناه عن كلّ شيء سوى الحبيب صلى الله عليه وآله ، و الغاية من هذه المحبة هي الاتحاد بالذات المحمّدية ، و لحصول ذلك لا بدّ من أن يسلك طريق القلب ، لأن القلب مرآته بيته . و المحبة كما قال أبي يزيد البسطامي : " استقلال الكثير من نفسك و استكثار القليل من حبيبك . " (2) ، و هو ما اتخذهُ الأمير عبد القادر لحال سبيله حيث نجده يتمنى دوام الليل لتطول سهرته مع الحبيب و يزيد أنسه به و قربه من لقائه ، و يطفئ لهيب شوقه ، ثمّ يختم أبياته بمخاطبته للحبيب صلى الله عليه وآله بعد أن بلغ المراد .

و هناك من عبّر عنها بالفناء ، فالصوفية أحبّوا الرسول صلى الله عليه وآله حباً جمّاً إلى درجة الفناء و هي الدرجة التي تصل به الذات المحبة إلى الفناء في الكلّ سوى حقيقته صلى الله عليه وآله و لا يحصل هذا الفناء ما لم يكن منبعثاً من قلب صادق و نية مخلصّة ، يقول قدور بن عاشور الزرهوني (3) في قصيدته " الواو الواو " معبراً عنها بالفناء بلسان الجمع :

افناؤا افناؤا	حارَ عقلي باشْ ابقاؤ
ارواوا ارواوا	ذهلوا و اهفأوا
	كلهم سكروا و اصحأوا
	شربؤوا و اسقأوا
	الغنى نعمَ القاوي
	من الرّحيق التّبأوي (4)

يصف الشاعر درجة المحبة المحمّدية للمحبين للذات التّبوية و كيف بلغ بهم المقام إلى شرب الرّحيق التّبوي ، إذ نجده يقرن هذه المحبة بالفناء ، و السكر ، و الصّحو و الشرب و السّقو ، و البقاء ، و الرّي ، و هي كلّها مصطلحات تحصل حالة الإتحاد بالذات التّبوية.

**ب - الهوى:** عبر الشعراء عن حبه صلى الله عليه وآله خير تعبير في قصائدهم ، و من الذين عبّروا عن هواهم عدة بن تونس (5) في قصيدته " بديع الحسن " ، حيث يقول:

من رآه رأى الرفيق الأعلى	إن كان من أهل ذوي الإلهام
هنيئاً لمن في هواه قتلى	نالوا من سرّه مسك الختام (6)

يهنئ الشاعر هنا من مات من هوى الحبيب صلى الله عليه وآله مقتولاً ، فتلك هي الغاية القصوى فمن نالها حاز مسك الختام و حين يصل الصوفي إلى درجة الفناء التي يتم فيها تعطيل

1 - ينظر المصدر نفسه- ص: 148

2 - عبد الكريم القشيري: " الرسالة القشيرية " ج 2 ، ص 321

3 - هو الشيخ قدور بن أحمد بن قدور بن محمد بن علي بن الطيّب، ولد سنة 1850م بندرومة، و توفي سنة 1938، كان يعتزل عن الناس و يطيل الخلوة .

4 - قدور بن عاشور الزرهوني: " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " تحقيق : محمد بن عمرو الزرهوني ، مطبعة الخلة الجزائر ، ط 1 ، 1995 ، ص 42

5 - - توفي سنة 1923

6 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 168.

الإحساس عن كل موجود ، يتساوى معه الشاعر في حالة الإلهام والحدس (1) ، هذا المقام لا يناله إلى من جاء الله بقلب سليم .

و قوله في قصيدته " كمال المراد " التي يخاطب بها الذات المحمدية بلسان الجمع لرفع قدره و عظيم شأنه :

أَنْتُمْ عِمَادِي وَ بُغْيَتِي وَ أَحِبَّتِي      وَ أَطِبَّائِي إِذَا مَا خَانَتْنِي جِرَاحُ  
فَأَنَا الْكَسِيرُ وَ لَا جَنَاحُ وَ يُعِينُنِي      وَ لِي مُقْلَةٌ مَدْمَعُهَا سَفَّاحُ  
طَابَ الْهَوَى طَوِي النَّوَى وَ زَالَ السَّوَى      فَهَذَا الْحَبِيبُ وَ هَذِهِ الْأَقْدَاحُ  
فَلَكُمْ فُؤَادِي وَ مُهْجَتِي وَ جَوَارِحِي      فَأَنَا الْمَشْكَاةُ وَ أَنْتُمْ الْمَصْبَاحُ (2)

و يواصل في الإفصاح عن هواه و تعلقه بهذه الذات ، من ذلك قوله في قصيدته " من لا يهوى سواك ":

مَنْ لَا يَهْوَى سِوَاكَ      فِي كُلِّ مَا يَرَاهُ  
حَيْرَتِي مَعْنَاكَ      قَدْ فَازَ بِرِضَاكَ  
كَمْ لَهُ فِي هَوَاكَ      فُؤَادِي بِهِ تَأَهُ  
بُشْرَاهُ يَا بُشْرَاهُ      آيَةٌ مِنْ هُدَاهُ (3)

يبشر الشاعر هنا كل من لا يهوى سوى ذاته صلى الله عليه وسلم برضاه لصدق محبته فيه صلى الله عليه وسلم و يصور مدى حيرته بهذه الذات ، فهو تائه به ولهان بهواه ، مهتدي به .

و غالبا ما يقترن الهوى بالشوق ، من ذلك منا نجده في قوله في قصيدته الجيمية :

أَحِبَّةٌ مَالَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ شَبِّهِ      كَأَنَّهُمْ مِنْ جَلَالِ الْفَضْلِ فِي غَنَجٍ  
حَنَّ الْمُشْتَقُّ إِلَى رُؤْيَتِكُمْ سَلْفًا      وَ الْيَوْمَ لَا عَلَيْهِ إِنْ غَنَى مِنْ حَرَجٍ  
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى بِحُبِّكُمْ مُدْنَفًا      فَهُوَ مُصَابٌ بِدَاءِ الْعَيِّ وَ الْفَلَجِ (4)

و قول الشاعر محمد العيد آل خليفة (5) في قصيدته " أنشودة الوليد " :

أَنَا مَنْذُ غَبْتِ إِلَيْكَ مِنْ      حَرِّ الْهَوَى أَتَشْشُوقُ  
أَنَا أَسْرَعُ الْفَتِيَانِ فِي      مَا تَرْتَضِيهِ وَ أَسْبِقُ (6)

يصف الشاعر غيبته إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم و مدى الحر الذي وقع في قلبه من شدة الشوق و الوحشة ، و هذا الشوق كما وصفه القشيري : " اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب و على قدر المحبة يكون الشوق. " (7)

1 - ينظر مصطفى السعدني: " البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث " منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دط ، 1987 ، ص 99

2 - عدة بن تونس : "آيات المحبين " ص 185

3 - المصدر نفسه : ص 186

4 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 189

5 - هو الشاعر محمد العيد ولد سنة 1904 ، توفي بمرض عضال سنة 1979.

6 - محمد العيد : " الديوان آل خليفة " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 167

7 - عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية " ج2 ، ص 329

كما نجد الأمير عبد القادر الجزائري يجرفه هوى الحبيب صلى الله عليه وسلم في قصيدته " مسكين لم يذق طعم الهوى " و التي يقول فيها :

أريد كتم الهوى حيناً فيمنعني      تهنكي فكيف لا ؟! و الحبّ فضّاح  
هوى المحبّ لدى المحبوب حيث ثوى      و كيفما راح هبت منه أرواح (1)

و مهما حاول الشاعر إخفاء ما يجول في خواطره إذ سرعان ما تكشف حالته عن أسراره. " فصاحب الهوى تعتريه أحوال فحال بسط و جمال ، و حال قبض و جلال و حال قرب و اتصال ، و حال فناء في الصفات و الأفعال ، و حال حلّة الأبدال و حال تلاشي و اضمحلال ". (2)

**ج - الحبّ:** الحبّ هو أساس التجربة الصوفية القلبية الكشفية لأنّه أول درجات الارتقاء الصوفي " فبعد خلوص الهوى إلى القلب و صفاؤه عن كدرات العوارض ، فلا غرض لمحبّ و لا إرادة مع محبوبه " (3) ، و من الشعراء الذين عبروا عنها بالحبّ محمد بن الحبيب البوزيدي (4) فحبّه ثمرة حقيقية للنور المحمدي و الإيمان القوي ، و هو ما أفصحت عنه قصيدته " يا من تطلب وصلها " :

كيف يصبر من رآها      و ذاق من هواها  
ابن البوزيدي له      و اتيقن برضاها  
متمكن بحبّها      و بتمام المقصود  
ناره زادت وقود (5)

يتساءل الشاعر في هذه الأبيات عن صبر المحبين الذين حصل في قلوبهم الهوى لأن " مشاهدة المحبوب هي البغية ، و هي أعز موجود ، و أصعب مفقود ". (6)

و قوله في قصيدته " يا لائمي لا تلم " :

يا لائمي لا تلم مهلاً علياً      لا شك تغذني لو تعلم خيباتي  
الحبُّ أفناني و املكني راعياً      مالي طاقة لكتم الحقيقة (7)

ذهب الشاعر به الحبّ إلى أن أظنّب و شغب بالمجتبي و أطال و تجاوز الحدّ ، و حبه للحبيب ملك الفؤاد و الجوارح ، فأفناه عن الكلّ سوى ذاته صلى الله عليه وسلم ، ففي هذه الحالة تختفي ذاتية و فرديته في الوجود النوراني .

1 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 115

2 - الطاهر بدوي : " رسالة إلى لبيب " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ط ، 1989 ، ص 27 .

3 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحبّ الإلهي " ص 41

4 - هو الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي ولد سنة 1824 ، شيخ و شاعر من منطقة مستغانم ، توفي سنة 1909 .

5 - محمد بن الحبيب البوزيدي : " آيات المحبين في مقامات العارفين " المطبعة العلاوية ، مستغانم ، ط 5 ، 1993 ص 143-145

6 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحبّ الإلهي " تحقيق: محمد فوزي الجبر ، دار نمير للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1998 ، ص 32

7 - محمد بن الحبيب البوزيدي : " الديوان " ص 145



و قد عبّر عن هذا الحبّ الشيخ العلاوي (1) في ديوانه فجاء يفيض بالوجد و الحبّ والإشراق التّوراني ، فحقيقته صلى الله عليه وآله هي التي توصل العبد إلى معرفة الخالق ، و حبّه هو الطريق الموصل للمحبة الإلهية ، و هذا ما أوضحه لنا في موشحه " محمّد اصطفاك الباري " ، إذ يقول:

الكذب ما يزيد في الرجله	لولاك ما عرفت القادر
لا دين لا صلا لا قبلة	فضلك عمّنا بالظاهر
أدركت به عزّ و صوله	في الأرض و السّما نفتخر
مشغوف بك طول العمر	
قلبي عليك يخفق دمعي ثجاج	محمّد اصطفاك الباري
بالقلب نمدحك و اللّسان اعواج	وصف الحبيب فوق سواربي (2)

و حبّه لهذه الذات المحبة ساح على سجيته فتأبى الدمع بانسكابها إلا الإفشاء و البوح و ذهبت به لهفة الحبّ إلى الإطناب فبالغ في وصفه ، يقول في قصيدته " دمعي مهطال " :

دمعي مهطال	من عيني مضّاهها
سلم عليه	يا برد الأصال
	يا نسيم القرب
	واذكر إليّه
	لوعتي و حبيّي (3)

و يواصل تعبيره عن حبّه :

واذكر إليّه	لوعتي و حبيّي
صبرٌ مُحال	مؤلّع به
	عن حضرة البهّا
	يا برد الأصال
	سلم على طهّا (4)

يشكو الشاعر هنا حرقة الشوق الذي بفؤاده مما حلّ فلا يقدر على الكتمان و الصبر و يظهر فيه سلطان الوجد و الإفشاء و الإعلان .

و نظرته للحبّ النّبوي نظرة صوفية خالصة ، فنظر إليها باعتبارها حجابا ، حالة اتحاده بمقام النّبوي صلى الله عليه وآله تمثلا بصورة الإنسان الكامل .(5) و يقول في قصيدته " يا ساكن الحشا " :

يا ساكن الحشا	و الجسّم و الضّئوع
فق قلبّي فشّا	بمّعانيّ الجُمُوع

1 - هو العارف بالله الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ابن الولي الصالح الحاج علي، المعروف عند العامة "عليوة" ولد سنة

1869 م بمسغانم ، و توفي سنة

2 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " آيات المحبين " ص 87

3 - المصدر نفسه : ص 89.

4 - المصدر نفسه : ص 90.

5 - مارتن لنجر : الشيخ العلاوي " ترجمة اسماعيل السّوافي ، بيروت ، دط ، 1972 ، ص 164

فَفِي حَبِّ رَشَا      لُدَّ لِي الْخُضُوعُ (1)

وهو ما عبّرت عنه قصيدة عدة بن تونس " يا صاحبي هل فزت به " التي يفتتحها بقوله :

يا صَاحِبِي هَلْ فُزْتَ بِهِ      وَ هَلْ شَاهَدْتَ سَنَاءُ  
و هَلْ كُنْتَ فِي حَيْهِ      وَ هَلْ مُتَّ فِي حُبِّهِ  
و هَلْ كُنْتَ فِي حَيْهِ      مُعْرَبِدًا بِهَوَاهُ  
إِنْ كُنْتَ الَّذِي نَعْنِيهِ      فَأَنْتَ مَمَّنْ دَنَاهُ (2)

يتساءل الشاعر عن من بلغ ما بلغه و من شاهد ما شاهده و من فني في حبه كما فني فتحقق هذا الحبّ بشهود محبوبه الذي لا يكون إلاّ مع الفناء في الحياة الدنيا ، و هذه المشاهدة هي " الوصل بين رؤية العيان ورؤية القلب ، هي حالة رفيعة من لوائح زيادة حقائق الإيمان. (3) وهذا الفناء في ذات النبي ﷺ يغيب عن ذاته ، فيتبدل له ببعض أسراره فإذا كسبت ذاته ذلك الشرف لا تشهد ذاته إلاّ ذات النبي و ما سواه ما هو إلاّ أضغاث أحلام فيتكلم بلسان النبي لغيبته في ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء و الاستغراق ، رجع إلى حسّه تبرأ من ذلك الكلام لعلمه بمرتبته . " (4)

و قول عدة بن تونس في قصيدته " إنني أرى السقاما " بلسان الجمع :

إِنِّي أَرَى السَّقَامَا      حُلَّةً مِنْكُمْ لِيَامَا  
غَيْرَ أَنِّي ضَعِيفٌ      وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَقِيمَا  
كفأكم بالصدِّ عني      فَأَنْظُرُونِي بِرِضَاكُمْ  
و الجفا عندي ثوانٍ      جَفَوْتُ مُونِي أَيَامَا  
بالحُبِّ فَمَا اسْتَقَامَا      فَهُوَ يَبْرِي الْأَسْقَامَا  
أراهُ فِيكُمْ أَعْوَامَا (5)

يرى عدة بن تونس في حبه للذات المحمّدية أمرا لزاما عليه ، لأنّه في غلبة من أمره إذ نجده يقدم البرهان على صدق المحبة ، وهو غالبا ما يتمثل في صور عاطفية متأججة كالسهر و السهاد ، والوجد و الاكتئاب ، واللوعة والشوق الشائق ، و صور أخرى جسمية كالنحول والضمور ، والسقم و الاصرار ، وهي صور يستدل بها على المجاهدة والمكابدة لإزالة العوارض النفسية و البدنية ، أو الحظوظ البشرية ، المانعة لقيام الذات الصوفية بالذات العلية ، و هذا الحبّ أضعفه و جعله نحيل الجسم ، سقيما ، مهزوما ، راجيا الرضا عساه يبيري الأسقاما التي به .

- 1 - المصدر نفسه :ص 92
- 2 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 169
- 3 - الطوسي : " اللمع في التصوف " ص 101
- 4 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " معراج السالكين و نهاية الواصلين " المطبعة العلاوية ، مستغانم ، ط2 ، 1992 ، ص 24
- 5 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 147 .

و قول محمد العيد آل خليفة في قصيدته " أنشودة الوليد " :

بمُحَمَّدٍ أَتَعَلَّقُ  
و على النَّبِيِّينَ جَمِيعِهِمْ  
نَفْسِي الْفَتَيَّةَ دَائِبًا  
و جَوَانِحِي مَهْتَاجَةً  
و بِخُلُقِهِ أَتَخْلُقُ  
فِي حُبِّهِ أَتَفْزُقُ  
مِنْ حَبِّهِ تَتَخَرَّقُ  
و مَدَامِعِي تَتَرَقَّرُقُ (1)

و قول الأمير عبد القدر الجزائري في ذلك معبرا عن حبه في قصيدته " مسكين لم يذق طعم الهوى " :

غرقت في حبهم دهرًا ألم ترني  
لو كنت أعجب من شيء لأعجبني  
في بحرهم سفن - حقا - و ملاح ؟ !  
صبر المحبين : ما ناحوا و لا باحوا (2)

غلب الشاعر عليه حبّ للذات النبوية حتى غرق في بحر حبه ، كما نجده معجبا بصبر المحبين في ذاته صلى الله عليه وآله و صبرهم كما قال الإمام علي عليه السلام أشد على صبر الزاهدين (3) و في المحبة ينعدم صبر المحبّ ، حيث يقول الأمير عبد القادر الجزائري معبرا عن حبه و شوقه لها في قصيدته " أنا الحبّ و المحبوب و الحبّ جملة " :

عن الحبّ مالي كلّما رُمْتُ سَلَوَانَا  
لِوَاعِجٍ لَوْ أَنَّ الْبِحَارَ جَمِيعُهَا  
فَلَوْ أَنَّ مَا نَجَدُ هَبَّ نَسِيمُهَا  
فَمَا الْقُرْبُ لِي شَافٍ و لَا الْبَعْدُ نَافِعٌ  
أَرَى حَشْوَا أَحْشَائِي مِنْ الشَّقِيقِ نِيرَانَا  
صَبَّيْنُ لَكَانَ الْحَرَّ أَضَافَ مَا كَانَا  
و تَذَكُّو بِأَرْوَاحِ تَنْوَاوُحِ الْوَانَا  
و فِي قَرَبِنَا عَشْقُ دَعَائِي هَيْمَانَا (4)

و قد تضمنت القصيدة رحلتين ، رحلة إلى الذات المحمدية حيث الطهر و النبع الصافي و رحلة إلى العمق الجزائري حيث الاضطهاد و الظلم و الاستبداد ، فقد اتخذ من الأولى مبدءا لتضميد الجراح و الآلام و الأشواق ، حيث نجده يصور صبابته بعد فراق الأحبة ، و رغم ما تحمله القصيدة من أسى الفراق ، إلا أن الإشراقة المحمدية تسكن ذاته و تلهبه شوقا .

و هناك من عبّر عنه ب " السكر " و هي درجة لا يبلغها إلا من وصل به الحبّ إلى حالة التفاني ، و هو ما بلغه قدور بن عاشور في قصيدته " يا طه نهواك " :

تَرَكَ و تَرَاني  
فِي حُبِّكَ تِيهَانُ  
يَا مُدِيرَ الشَّرَابِ  
لِأَهْلِ النَّشْوَةِ  
كَيْفَ يَجِدُ  
عَلَى الْعَاهِدِ  
يَا مُحَمَّدُ  
طِيبُ و دَوَاءُ  
مَلِكُ سُلْطَانِي  
شَرَابِكَ سَكَّرَنِي  
يَا كَاشِفَ الْحِجَابِ (5)

فالشاعر هنا تائه في حيرة من أمره غلب عليه الحبّ حتى ملك عليه و أسكره ، هذا الحبّ

1 - محمد العيد آل خليفة : " الديوان " ص 166

2 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 114

3 - عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية " ج 2 ، ص 184

4 - المصدر نفسه : ص 116-117

5 - قدور بن اشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 101-102 .

بالنسبة له " طب و دواء " فلا يقدر على حاله سوى طبه <sup>سألتهم</sup> ، فطبه أحلى طبّ و دواءه أشفى دواء " فإن الذي حجب الحبّ عن ظهور سلطانه أقوى منه ، فكان أغلب عليه " (1)

**- العشق :** احتل العشق مرتبة عليا في حياة المتصوفة ، و العشق هو أرفع درجات المحبة الصوفية ، فهو كما أبا علي الدقاق : " العشق مجاوزة الحدّ في المحبة " (2) فبه يرقى الصوفي إلى عالم ما ورائي ، ويمنحه بركة القدرة على القيام بكرامات و خوارق تملأ قصص الصوفيين . ومن الذين عبّروا عنها بالعشق ، أحمد بن مصطفى العلاوي من ذلك قوله في قصيدته " دمعي مهطال " :

نُورُ الحَبِيبِ                      يا عَاشِقِينَ يَسْأَلُ  
مِمنهُ لَبِيبُ                      إذا يَراهُ يَجْدُبُ (3)

فهو يصور لنا حالة انجذابه تجاه الذات العاشقة أثناء بلوغها بحميا المحبة ، حيث كوشفت بنعت الجمال فحصل لها السكر ، وهو في ذلك معذور ، فعشقه للذات المحمدية سلب منه ذاته وعقله لأن العقل الذي يميز بين الشواهد و العوائد غاب و تلاشى و اضمحل و تاه حتى حصل له الجذب .

و يواصل في وصف حالة الجذب التي تحصل له من شدة العشق فيقول في موشح له :

إذا ذُكرت طه نخشى عَقلِي يُغِيبُ                      مجذوب فيه حق الجَذْبَةُ  
مَعْلُومٌ من تَألم يتحوّج للطبيب                      و يكابدُ الطَّرِيقَ الصَّعْبَةُ  
و للعاشق المتيمّ يتقرب كي يُصِيبُ                      الصَّدقُ شَرطٌ في المَحَبَّةِ (4)

يقرن الشاعر محبته بالصدق التي هي من شروط المحبة ، فإن صدقت المحبة صدق الحبّ ، فهو كما قال الإمام القشيري : " عماد الأمر ، و به تمامه و فيه نظامه و هو تالي درجة النبوة " (5) ، فهو بصدقه هذا بلغ قمة الصوفي العارف عبر ارتقاءه ، ليتحول الشوق إلى الهمة فالعشق ليحصل له الجذب .

و الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني فقد وصفها بالمعشوقة ، من ذلك قوله في قصيدته " بمحمّد تاجي وحلّتي " :

كشفت لي رداها معشوقتي                      فاجتمعنا بروح مُرْفَرَفَةُ  
مُعْتَنِقِينَ على شَرِيعَتِي                      مُتَحَابِّينَ بلا مُخَالَفَةُ  
أنا زوجها و هي زوجتي                      سَيِّدَتِي الشَّرِيفَةَ المُشْرِفَةُ  
أنا المعشوق لها معشوقتي                      ليلي الخليفة حَيَّرتُ الحُنْفَاءَ (6)

1 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحب الإلهي " ص 40

2 -

3 - المصدر نفسه : ص 85

4 - المصدر نفسه : ص 59

5 - أبي القسم عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية في علم التصوف " ج 2 ، ص 210

6 - قدور بن عاشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 207.

فصورة العشق التي تطبع الكون بطابع التميز و الفرادة استلزمت سلسلة من الانفعالات الباطنية و أولها " الجمال " الذي يعد الصفة الجوهرية في الخالق و التي صارت منطبعة في الإنسان و التي صارت متخفية في أعزّ و أكرم إنسان في الوجود ألا و هي الذات المحمدية . (1)

و قول محمد البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة " :

مُحَمَّدٌ قُتِرَ عَيْتِي      به تَمَّ إِسْعَادِي وَأَفْرَاحُ  
خَمْرَتِي تُرَى لِلْأَعْيَانِ      كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحُ  
هَذِهِ خَمْرَةُ الْمَعَانِي      لِلْعَاشِقِينَ نُورَهَا لِأَخٍ (2)

- **الوجد**: جاءت قصائدهم تفيض بالوجد الصوفي ، و هو كما قال الواسطي: " كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ، ثم دخل فيه ، ثم أخذته الأمواج " (3) ، و حالة الوجد من أكثر الأحوال الصوفية امتلاء بالتوتر و الحركة المتجهة من الداخل إلى الخارج في مد مندفع و شعور عامر بالنشوة و الانفراج العاطفي (4) من الذين عبروا عن محبتهم بالوجد أحمد العلوي العلوي من ذلك قوله في بانيته :

لا حرام علينا إلا نظرة      تقتضي إلينا حجابا  
و لا مكروه علينا سوى فكرة      تحدث في القلب سرابا  
فالجحيم مع الوجد لدينا مودة      و النعيم مع الفقد إلينا عذابا (5)

يصور لنا الشاعر شدة وجده و تعلقه بهذه الذات الطاهرة ، فبعده عن الحبيب بالنسبة له نعيم و راحة ، و رم ما يعانیه من ألم الفراق إلا أنه في حالة نشوة و مودة ، فإن الوجد أملك و هو أبلغ في المحبة من الكتمان . (6)

و قوله في هذه المقطوعة :

لا حرامَ علينا إلا نظرةً      تقتضي إلينا حجابا  
و لا مكروه علينا سوى فكرةً      تحدث في القلب سرابا  
فالجحيم مع الوجد لدينا مودةً      و النعيم مع الفقد إلينا عذابا (7)

فمحبتة للمصطفى <sup>صلى الله عليه وآله</sup> مرتبطة بالشوق الذي أحرق فؤاده وأسكنه العذاب فالصوفي في شوقه إلى المحبوب ، لا يقتصر فيها المحبّ على أعمال قلبه و بصيرته فحسب بل عاطفة المحبة و الشوق هي التي كانت تقوده إلى التأمل و التذكير بجمال الحضرة النبوية فينقله إلى بصيرته لتفك قيده ، حينئذ يتيقن أنّ هذا الجمال المنفوث في القلوب مستمد من جمال هذه الذات

1 - محمد خطّاب: " اللغة في العرفان الصوفي " مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 6 ، 2006 ، ص 70

2 - محمد البوزيدي : " آيات المحبين " ص 132

3 - السهروردي : " عوارف المعارف " ص 323. والواسطي هو: أبو بكر محمد بن موسى، أصله من فرغانة وهو من علماء مشايخ القوم في الأصول وعلوم الظاهر. توفي بعد سنة 320هـ.

4 - عاطف جودة نصر: " الرمز الشعري عند الصوفية " ص 357

5 - أحمد بن مصطفى العلوي : " الديوان " ص 108

6- محيي الدين بن عربي: " لوازم الحب الإلهي " ص 39

7 - أحمد العلوي: " آيات المحبين " ص 108

التي كانت هي الحبّ المنبثق و الأصل في الحبّ الذي أودعه الله في قلوب المسلمين ، و حال الشهود لا تدوم في البداية بل تلوح و تخفى سريعا كالبوراق . (1)

و قول محمد بن الحبيب البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى " و التي يبدأها بهذه المقدمة الغزلية :

يا عاشق المعنى	اقرب لي و ادنى
عشاقها هاجوا	لتسقى خمرنا
	بالوجد وماجوا
	كلهم خرجوا

من سجون الأشباح (2)

و كذا قول عدة بن تونس في قصيدته " قد طابت حياتي ":

قد طابت حياتي من بعد مماتي	بشهود الذات في هذا الأفاق
خمرتي القديمة سقيتها لماً	محوئ الأنام في بحر الإطلاق (3)

يصور الشاعر هنا حاله بعد بلوغ مقام الفناء بمشاهدته للذات المحمّدية ، وتتمثل المشاهدة في مرآة القلب على نحوين : مشاهدة مشرقة على صفات الجمال المحمّدي و مشاهدة محرقة موضوعها صفات الجلال المحمّدي ، فيمنع ليل الصوفي نهاره بدوام التجلي و ذلك بعد أن تخلص من حبه للدينا و انصرافه لخدمة محبوبه و يتحدث بعدها عن الشرب و السقيّ الصوفي ، فالصوفي لا يظماً عطشه حتّى يروى من خمرة المحبة المحمّدية ، فالشاعر أثناء نسجه للقصيدة هو في مرحلة غياب ، لأنه في مستوى الشوق بين المحبّ و المحبوب و لعلّ الشاعر صورة نموذجية لشخصية أحمد بن مصطفى العلوي في التعبير عن نزعه الصوفية للحبّ المحمّدي .

و هو عند محمّد بن الحبيب البوزيدي كأس يشرب و يمنح للروح جمالها الأصلي و إحساسها بذاتها و لا يكون هذا الإحساس إلاّ إذا فنت عن ذاتها ، ففي هذه الحالة يحصل القرب على حد قوله في نونيته :

إن أردت قربي	تهيأ للشرب
تشرب من كأسي	بصدق المُرَبِّ
	غيب الإنتفاس
	تفن عن الإحساس

و حبّ الإخوان (4)

فالشاعر في هذا البيت ينشئ علاقة بينه و بين محبوبته ، و هذه العلاقة يشير إليها ب " الخمرة " فعشقه للذات المحمّدية هو الذي أوصله إلى حالة السكر ، و لا يحدث هذا السكر إتحاد إلاّ درجة " المحو " فحصل له " القرب " الذي لا يكون القرب إلاّ بالبعد عن الخلق

1 - محمد علي التهانوي : " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم " ص 1022

2 - محمد بن الحبيب البوزيدي : " الديوان " ص 134

3 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 181

4 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 140

و هذه من صفات القلوب " (1) فهنا جرأة من الشاعر في الإعلان عن سبقه في الوجود حالة الإتحاد بالحقيقة المحمّدية.

و محمد بن سليمان (2) في قصيدته " يا سائلا عن جمال كان لي وطنا "، و التي يفتتحها بهذه المقدمة الغزلية :

حرّكتْ مَنِّي ولو عَا كَانَ مُسْتَتْرَا      و لَمْ أزلْ أُخْتَفِيهِ و هُو يُعْلَنُنَا  
لكنَّهَا صَوْلَةُ الأَقْدَارِ قَدْ حَكَمَتْ      و كُنَلْنَا تَحْتَ قَهْرِ الحُسْنِ قَدْ سَكَنَا (3)

يمزج الشاعر حديثه عن صفاته الجسمية بالحديث عن حبه و شوقه الذي كلّمه أخفاه كلّمه زاد إفصاحا و إعلانا ، حتّى بدا له و كأنّه قد التقى به و قبله ، وهي شطحات صوفية تحصل لحظة الوجد الصوفي و الفناء في ذات المحبوب ، حيث يقول:

و كمّ حظوتْ بِنَقْبِيلِ الجَبِينِ على      رَغِمَ الزَمَانِ و فَضْلُ اللهِ حَوْلَنَا  
أشعةً مِنْ خُدُودِ الحَسَنِ لَامعةً      عِنْدَ اللِقَاءِ ، مَلَأَتْ العَيْنَ لَمَّا دَنَا (4)

هنا إشارة إلى لقاء الحبيب لحظة الفناء ، و هي فكرة كثر الحديث عنها في أشعار المتصوفة خاصة عند اللقاء في المنام محتجين بذلك بالأحاديث التي جاءت في رؤيته للأنبياء ليلة الإسراء و المعراج ورؤيته يقظة لا تصح إلا بعد قطع آلاف المقامات و أعلى المراتب فهي لا ينالها غير الأولياء و الكاملين (5) ، و هذه الحالة لا تحصل إلا إذا بلغ الصوفي لحظة من الشوق الفاني ، من ذلك قول مصطفى العلاوي في قصيدته " يا سيدي أحمد يا محمّد ":

هَذَا ظَنِّي يَا محمّدُ      و الكَمَالُ عَلَيكَ  
حتّى ريتُكَ يَا سيّدَ أحمدُ      بعْدَ المَدْحِ بَقِيَتْ نرَاصدُ  
خَيفُ لا نُوذِيكَ (6)      غَيْرُ أَنّكَ بَاقِي شَارِدُ  
فِي النُّومِ رَاعِيكَ

و يستخدم أحيانا مرادفا للغرام و قوله في قصيدته يتغزل بجماله الذي أصبح عليلا لشدة شوقه و حبه ، و الذي أسكره إلى درجة الفناء ، حيث يقول:

صَرْنَا فِي اغْتِنَامِ      وَنَحْنُ كَوَالِ  
بَيْنَ صَحْوِ و اصْطِلَامِ      وَقَتَا طَوِيلا (7)

و أكثر ما نجدهم يعبرون عن شوقهم و رؤيتهم لهذه الذات شعراء الملحون ، و ذلك أنّ ثقافتهم لا تؤهلهم لفهم تعاليم الرسالة المحمّدية ، فنجد قصائدهم منصبة على الجانب الرّوحي و معبرة عن أشواقهم ، سيرا بأقدام الصدق و التجرد عن الأكوان طيرا بأجنحة المحبّة . (1)

1 - عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية " ج 2 ، ص 81

2 - محمد بن سليمان من تلاميذ قدور بن سليمان و من أقاربه توفي سنة 1927

3 - نقلا عن عبد الله الركبيبي : " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 52.

4 - المرجع نفسه : ص 55

5 - صادق سليم صادق : " المصادر العامة للتلقي عند الصوفية " ص 349

6 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " الديوان " ص 32

7 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " الديوان " ص 59

من ذلك ما نجده في قول قدور بن عاشور :

وَأَعْضَائِي أَنْهَضْتُ  
سَكْرَانٌ بِبِلَا أَقْدَاخٍ (2)

حَشْوِي شَوْقاً أَنْحَرِقُ  
صِرْتُ دَائِمٌ مَمْحِي

و قول في قصيدته " ليلة غنمتها " :

فِي وَقْتِ خُصْبِي وَدَنَى بِالْقُدَامِ  
لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَامٍ (3)

سَعْدِي بَغَائِبِي جَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
بَابِتْ فِي مَرَجِي ضَيْفٌ مُحْيِي الأَرْسَامِ

و قول العلاوي في قصيدته قوله أيضاً:

أَمْهَلْ قَلِيلاً  
وَأَشْفِ الْغَلِيلاً  
بِذَا الْمَمْقِيلاً (4)

قَالَتْ يَا غُلامَ  
وَادِنِ بِأَحْتَرَامِ  
فَزِدْتِ احْتِشَامِ

يصل الشاعر بالمحبة المحمدية إلى حالة الفناء ، فإذا تم ذلك حصل روي من الظمأ من الحضرة المحمدية و هو ما حصل له " فتارة يكون الفناء في ذات النبي ﷺ لغيبته عن ذاته في ذات النبي ﷺ فيتدلى له بعض أسراره ﷺ ، فلا يشاهد إلا ذاته ﷺ ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه. " (5)

- **الغرام** : هو الاستهلاك في المحبوب بملازمة الكمد لملازمة شهود المحبوب يقول أحمد بن مصطفى العلاوي في قصيدته " أرقني الغرام " و التي يذرف فيها دموع العشق و الغرام :

مِنْ حُسْنِ لِيَلِي  
مَعَ الْجَمِيلِ  
عَمَلَاتٍ مَسِيلاً  
صِرْتُ عَلَيْهِ لِيلاً (6)

أَرْقَنِي الْغَرَامِ  
وَالْقَلْبُ فِي هَيْبَامِ  
وَدَمْعِي فِي انْسِجَامِ  
مَنْهَا صَابَتْنِي سِهَامِ

و يعبر في قصيدته " يا سقاة الروح " عن هذا الحب الذي أشربه كأس الغرام ، فهام و تاه في حضرة القدس ، من ذلك قوله:

بِنَا لِحُسْنِ الْفَتْنَانِ  
وَتِيهِمْ عَنِ الأَكْوَانِ  
مُرتَهَنٌ فِي هَذَا الشَّانِ (7)

يَا سُقَاةَ الرِّاحِ قَوْمُوا  
فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ هَيَمُوا  
إِنِّي الصَّبُّ الْغَرِيْمُ

1 - ينظر عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 384

2 - قدور بن عاشور : " الديوان " ص 235

3 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 189

4 - مصطفى العلاوي: " آيات المحبين " ص 98

5 - أيمن حمدي : " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 72

6 - المصدر نفسه : ص 87

7 - المصدر نفسه : ص 103



كما عبر عن هذا الغرام أحمد بن مصطفى العلوي بالسكر في قصائد عدة فحقيقته <sup>ساقى المدام</sup> أفنته عن ذاته وأشربته من كأس الغرام إلى حدّ الشرب من الخمرة و أبلغته قمة الوصل و المشاهدة التي لا يبلغها إلاّ المحمّدي الجامع ، حيث يقول في قصيدته " يا برد الأصل " :

سَاقِي الْمُدَامِ	في حضرة القدس
فَلَا مَلَامَ	طَهة الإمام
	إن قلت فيه كاسي
	نور الجمال
	عن المدام ينسي
	للأشياء غطّاهَا (1)

و السكر دهش يلحق سرّ المحبّ في مشاهدة جمال المحبوب فجأة ، ثمّ تقلّ بحصول الأانس و هو معراج السالكين لأفادته محو الحدث. (2)

كما خاطب الشاعر قدور بن عاشور الزرهوني محبوبه قائلاً:

هَمَّتْ فِي الْغَرَامِ الَّذِي	قَطَّعَ قَلْبِي وَ فُؤَادِي
و مُهْجَتِي وَ كَبِيدِي	شَوْقِي لَا يَخْفَى لَكَ (3)

فالشاعر في هذه الأبيات يفصح عن مدى تجربته الغرامية في ميدان العشق المحمّدي طمعا في نعم المحبوب و أفضاله بنزعة شوق الروح إلى نسبها الأصلي .

و قول محمد البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة " :

سَاقِي الْخُمَيْرَةِ سَقَانِي	يا سَاقِيهَا مهلاً راحاً براخ
يا نَدِيمِي امْلا ال أواني	و درّ الكأس على الملاح
أدرّ الكأس لخلّاني	واسقّ نحيل الجسم يرتاح (4)

و يزيد من وصف هذا الغرام الذي مآله الفناء ، الشيخ محمد البوزيدي حالة استغراقه في ذكر المحبوب و شهوده له :

لَمَّا فَنَيْتِ الْفَنَاءَ	مابقيت إلاّ أنا
	في الحسّ و في المعنى
	أنا الطّالب المطلوب (5)

فهنا تلاشت ذاتية الشاعر و اختفت في الذات المحبوبة ، فهو في هذه الحالة مغلوب على أمره .

- 1 - أحمد العلوي: " آيات المحبين " ص 104 .
- 2 - محمد علي التهانوي: " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم " ص 1021 - 1022
- 3 - قدور بن عاشور الزرهوني: " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 85
- 4 - المصدر نفسه : ص 132
- 5 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 134

و هناك من عبر عنها بالاصطلام ، لأن الغرام هو الاصطلام ، و ناره ترد على قلوب المحبين و تلهب صاحبها و تحرق كل شيء تجده سوى المحب ، و دمعها لا ينفذ ، و قلقه لا يبعد ، لأن كل منها نار و صاحبه " معتوب و المحب منهب ، و القلب مصطلم و النار في الجوارح تضطرم إلا أنه تطفئها بتواليها الأنواء " (1) ، من ذلك ما نجده في قول عدة بن تونس في قصيدته " بديع الحسن " :

سلطانهم و عاشوا في اغتنام	كانت هي الخمر بها تولى
من ذاقها تاه بالاصطلام	خُميرة في القدح المعلى
فيها شفاء من كل الأسقام	أنهى من الشهد ذوقها ألقى
قام بنشرها حق القيام (2)	يديرها ساق بها تسلى

يقيم الشاعر هنا صورة لقوة سلطان المحبين الذين أحرق الغرام لهيبهم ، فوصل بهم الغرام إلى حدة الشرب من خمرة المحبة المحمدية فتأهوا بالاصطلام .

و رغم ما بلغوه فقد رأوا أنهم مقصرين في هذا الحب الخالد حيث يقول أحمد بن مصطفى العلاوي في لاميته :

فكل ما يحوي الوصف أنت منه أعلى	ألا يا هذا الرسول جاوزت مدحنا
فصرت إلى السفلى لما قصد العلاء	تبعث آثار الكنه كي نحكي بعضه
فما المدح ما التمجيد ما العز ما العلاء (3)	رجعت إلى التقصير بالقهر قائلاً

لذلك يمكن القول أن الشعراء الصوفية بلغوا بحقيقة المحبة المحمدية إلى نصابها الكوني و ذلك حين مزجوا بين المحبة المحمدية و المحبة الإلهية ليفصحوا لنا عن العلاقة بين الصوفي و حقيقته لأن حقيقته هي باب الولوج إلى حقيقة الخالق ، فهي بهذا المفهوم علاقة الجزء بالكل و الفرع بالأصل - إن صح التعبير- و لأن حبه متصل بهذا الحب الصرمدي و لأن العشق الإلهي ليس مجرد امتثال للأوامر و الميل إلى المحبوب ، بل هو بذل الروح في سبيل هذا المحبوب ، لذلك وجدنا شعراؤنا بذلوا أنفسهم و فنوا في حب النبي لأجل بلوغ مقام الكمال .

1 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحب الإلهي " ص 35

2 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 168 .

3 - أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 22

## ب - المبحث الثاني : حقيقته الظاهرة

حظيت الشخصية المحمدية اهتمام كثير من الشعراء الجزائريين ، فعبروا عن حقيقته في كونه بشر عادي تسامى بإنسانيته في الأفق العلى ، و تتجلى حقيقته في بعدها الظاهري فيما يلي :

أ - حقيقة مولده : اتخذ الشعراء من الشهر الذي ولد فيه ﷺ مناسبة لإلقاء القصائد و تدبيجها و نشرها في الصحف ، دعوة منهم إلى الاحتفال بهذه المناسبة العظيمة كثر الحديث عن حقيقته المولدية باعتبارها مولد الخلاص و التحرر من غواشي عالم الوهم و الخيال ، ففي الليلة التي ولد فيها أشرق الوجود بنوره وليدا اصطفاه الله ، و أنار الكون و بدت إشراقة الفجر الجديد ترسل أشعتها من أفق إلى أن يدلي بدلوه في هذا المجال .

و من القصائد التي عبّرت عن مولده قصائد الشاعر محمد العيد آل خليفة ، يقول في مطلع قصيدته " ذكرى المولد النبوي" يبين سمو هذه الحقيقة و عظمتها، فهي حقيقة الهدى و الخير ، فبمولده عمّ الخير في الكون :

بِذِكْرِى مَوْلِدِ الْهَادِي	أَلَا أَنْعَمُ أَيَّهَا النَّادِي
عَلَى آثَارِ وَرَادٍ	لَقَدْ جِئْنَاكَ وَرَادًا
بَدَا فِي خَيْرِ مِيلَادٍ	نُحْيِي خَيْرَ مَوْلُودٍ
قِي مَتَّبِعًا بِأَسْـَـيَادٍ (1)	نُحْيِي سَيِّدًا فِي الْخَلْدِ

فمولده هو الحدث الجلل الذي غير التاريخ تغييرا أصيلا شاملا فكانت مرحلة لاصطفاء قوات التجدد الإنساني من أعالي الذرى القدري إلى وادي الوجود الواقعي ، و مرحلة لمن سيحمل لواء الرسالة الخاتمة الخالدة . (2)

و له قصيدة " يا أمة الخير" تبشر بهذا المولود الرفيع و التي يقول في مطلعها:

بِكَلِّ حَسَنِ بَدِيْعٍ	حَايَاكَ شَهْرُ رَبِيْعٍ
لِلْعَالَمِيْنَ شَفِيْعٍ	مُذَكِّرًا بِرِسُوْلٍ
وَ كَانَ أَزْكَى رَضِيْعٍ	فَكَانَ أَذْكَى وَلِيْدٍ
لِلْمَشْرِكِيْنَ قَرِيْعٍ (3)	وَ كَانَ خَيْرَ رِسُوْلٍ

تختلط في هذه القصيدة النظرة القومية بالنظرة الدينية ، متخذا من مولده الزاهر محورا لتصوير حالة الأمة و ما يعانیه ، و يهدف الشاعر أن يكون للأمة من ذلك ما يحملها على أن تنهج نهج نبيها ، طلبا لحريتها و ذودا عن هويتها ، حيث نجده يذكر الأمة بالانقياد لأوامره و إتباع سنته قائلا:

دُعَاءُهُ وَ أَطِيْعِي	يَا أُمَّةَ الْخَيْرِ لَبِّي
مَنْ آيِهِ أَوْ تُضَيِّمِي (4)	وَ لَا تَهَيِّنِي كُنُوزًا

1 - محمد العيد آل خليفة: " الديوان " ص75

2 - محمد جواد مغنية : " محمد ﷺ من مبعثه إلى بعثته " ص21

3 - محمد العيد آل خليفة: " الديوان " ص 174.

4- المصدر نفسه: نفس الصفحة .

و من الواضح أنّ الشاعر انتهج فيها نهجا جديدا و هي استخلاص العبرة من سيرة صاحب هذه الرسالة ومن سنته بما يسمو بواقع قومه، ويدفع بهم نحو تحقيق أهدافهم الكبرى في الرقي والتحرر.

و تقترن حقيقته المولدية عند عبد الرحمن الديسي (1) في قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " بحقيقة معجزاته التي رافقت مولده ، حيث يقول :

و ليلة المولد الذي به ابتهجت  
و من ولادته للبعث كم ظهرت  
كلّ العوالم ، كم تبدو اشارات  
خوارق عظمت، وهي الإرهاصات(2)

يشير الشاعر في هذه القصيدة إلى البشارات التي سبقت مولده ، و التي جاء بها الأحبار و الرهبان بأخبار النبي الأمي عن زمن ميلاده و عن نعته و اسمه و بلده و مهجره و ما يلقي من قومه و ما يتم به أمره من قبيل الآيات و الأعاجيب التي أشار إليها القرآن لتدل الناس على نوره و تمهد لهذا المولود و تعدّ له (3) لقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُوْلُ اللَّهِ

إِيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلِيْ يَأْتِيْ مِنْ بَعْدِي اِسْمُهُ اَحْمَدُ ۗ﴾ (4)

و يواصل في تعداد معجزاته التي رافقت مولده باعتبارها حقائق انفرد بها وحده دون غيره من الأنبياء، حيث يقول :

منها سواطع أنوار تلوح بها  
بالشام تلك القصور القصيريات (5)

وهنا توضيح من الشاعر أنه كان معجزة قبل ولادته ، فنوره عمّ الكون قبل ظهوره فقد روى في السيرة أنّ السيدة أمنة رأت فيما يرى النائم ، كأنّ نورا قد خرج منها فأضاء ما بين المشرق و المغرب حتّى رأت على ضوئه قور البصرة من أرض الشام. (6) و قوله أيضا :

و الأرض أصنامها باتت منكسة  
كذلك بالشهب طرق الوحي قد  
لم ينبج من ذلك العزي ، و لا اللات  
حرس و كان للجن قبله استراقات  
خمود نيران فارس دالات (7)

يعدد الشاعر المعجزات التي صاحبت مولده أيضا، مثل خمود نار المجوس و انهدام الكنائس حول بحيرة ساوة العظيمة بعد أن غاصت ، و سقوط إيوان كسرى و تصدع بلاطه و خسوف الأرض به و سقوط أربع عشرة شرفا و خمدت نار الفرس (8) وهو ما أوضحتها بلقاسم بن منيع في ميميته ، إذ يقول:

- 1 - هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الديسي ولد سنة 1854 م في قرية الديس ، كان سنيا صوفيا ، وتوفي سنة 1921م بضرخ الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي الذي أخذ عنه الطريقة الرحمانية.
- 2 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و آثاره " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر دت ، طب، ص 271-272
- 3 - حلمي القاعود: " محمّد ﷺ في الشعر الحديث " ص 15
- 4 - سورة الصف: الآية 06
- 5 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و آثاره " ص 271
- 6 - شعبان محمد إسماعيل : " من خصائص الرسول و شمائله " دار المريخ للنشر و الإنتاج الفني، الرياض، ط1 ، 1980، ص08
- 7 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و آثاره " ص 271.
- 8 - هي نار " أتر " المعروفة في الديانة الزرادشتية كانوا يعبدونها هي في اشتعال دائم و لم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام.

و من الجديد في المولديات التركيز على الواقع و همومه محاولة منهم معالجته الأمر الذي جعلهم يعرضون عمّا غالى فيه الخوض معظم الشعراء المتصوفين من قبلهم ، فقد كانوا يحرصون اهتماماتهم في عملية الانغلاق في دائرة الماضي دون أن تكون لهم القدرة على أن يبعثوا في نفوس الناس من الإحساس ما يحملهم على التفكير في حاضرهم والعمل على تغييره وتحسينه كما يبدو ذلك في معظم أغراض شعر محمد العيد وفي شعره الذي أوقفه بخاصة على تخليد ذكرى المولد النبوي الشريف .

ب - حقيقة الصفات الخلقية: ألح الشعراء على جمال الصورة الخلقية للرسول ﷺ و أكدوا عليها في العديد من قصائدهم ، و ذلك لما تحمله من معانٍ اجتماعية و تربوية و أخلاقية و نفسية ؛ و هي معاني كلّها موجودة في شخص النبي ﷺ . لأنه يمثل الأخلاق القرآنية في ذروتها و سنامها لقول عائشة أم المؤمنين عليها السلام لما سألتها سعيد بن هشام عن خلقه عليه السلام فقالت : ألسنت تقرأ القرآن قال: بلى قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن " (2) فحقيقته الخلقية هي الصورة الإلهية التي ألبسها حلل رافته و رحمته ، و أفاض عليه من خواص غيبه في أخلاقه ما تعجز الأقلام و الألسن عن الإحاطة بشيء من فضله ، فكان الرؤوف الرحيم بالمؤمنين . و هي عين تحققة بالأسماء الإلهية و عين تخلقه بالقرآن فيصير بذلك مرآة الله التي ينظر بها إلى خلقه والتي يرحمهم بها . " (3) و ممّا ساعد على انتشار هذا اللون من الشعر ، تلك النوادي و الجمعيات الثقافية و المؤسسات الدينية ، و الطرق الصوفية التي جاءت لتطهير الواقع ممّا خلفه المستعمر محاولة لتحريره من برائن العبودية و مخالب الشهوة ، حيث تيقظت الأذهان و تمكنت الأفكار الأخلاقية من نفوس الناس فأصبح الشعر الصوفي سلاحاً من أسلحته .

و من الشعراء الصوفية الذين اتخذوا من قصائدهم نبراس ينير الدرب عبد الرحمن الديسي في قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " و التي يقول فيها :

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمُحْمَدُ سِيرَتُهُ	ورحمة لجميع الخلق مهداة
عين الوجود ممد الخلق قاطبة	و الكاملون لهم منه كمالات
وسعت كل الورى علماً و مكرمة	فما لأخلاقك الحسنى نهايات (4)

فهو الكامل لتحققه بالكمال الإنساني ، و لجمعيته لجميع الصفات و الأخلاق الإنسانية التي استحق بها الخلافة (5) فالشاعر حلق من صفة إلى صفة حتى جمع الرحيق منها جميعاً و أكثر ما نجد التنويه بأخلاقه عليه السلام بشكل مكثف في تلك القصائد الجهادية التي لا تطغى عليها و هو ما أفصح عنه الشاعر بلقاسم بن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " (6) حيث يقول:

1 - المرجع نفسه : ص 272  
 2 - أبي حافظ أبي بكر البيهقي : " دلائل النبوة " ص 231 .  
 3 - ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 3 ، ص 560  
 4 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و آثاره " ص 271-273  
 5- ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 3 ، ص 560  
 6 - و هي قصيدة تبلغ 402 بيتاً ، و هي تقع في كتاب كامل .

عرب ، و بالعفو أعفَى غيرَ منتقم  
فهو المزكَّى لمن نشأ على العَصَمِ  
و القطرُ مع سائرِ الأفلاكِ و النجمِ  
عظيمٌ مجدٌ مكينٌ ثم ذو قدمِ  
جلَّتْ عن العدِّ ، أو تحدَّ في قلمِ (1)

بالحلمِ أعفَى رسوماً للجفاوةِ منْ  
أخلاقه قد زكَّتْ عن طيبِ عنصره  
أنى يُعدُّ الحصى و الثربُ و الدررُ  
ذاك الكريمِ لدى الإكرامِ منزلةً  
فتلكَ آيةُ أخلاقٍ مطهَّرةِ

رأى الشاعر فيه المثال الكامل الذي تهفوا إليه القلوب و الأفئدة و المنقذ من التردى فقد اتخذ من سيرته دعوة لإصلاح المجتمع:

و قصيدة محمد العيد آل خليفة " ذكرى المولد النبوي " ، و التي يقول فيها:

كريمٌ طبعه سمحٌ                      كمثّل الغصنِ مِيَادِ  
من الآثامِ معصومٌ                      إلى الطاعاتِ منقَادِ (2)

يتخذ الشاعر في هذه القصيدة من حديثه عن النبي ﷺ كمنطلق للأخذ بشمائله ليكونوا يدا واحدة لمواجهة العدو " ، و لكون الشاعر كمنطلق برسالته التعبير عن مصالح الأمة و الدفاع عن قضاياها، فقد كان من الأوائل الذين نذروا أنفسهم للإصلاح تعليماً للناشئة و توعية الجماهير، و تسخير الرفيع في سبيل الأهداف الوطنية....." (3)

و قصيدة الشاعر عدة بن تونس " بديع الحسن " ، و التي يقول فيها:

حديثه الوحي كَلَمَا يتلى  
من رآه رأى الرفيق الأعلى  
كفى به الفردُ الذي لا يعلى  
قد تحلّى من بعد ما تحلّى

فيما بين الخواصِّ و العوامِ  
إن كان من أهلِ ذوي الإلهامِ  
على علوه أهل الصيامِ  
كسأه ذو الجلالِ و الإكرامِ (4)

فهو بهذه الصفات والأخلاق التي كان أكمل مظاهرها سميت ذاته بالحقيقة المحمدية (5) و في قصيدته " يا صاحبي هل فزت به " ، و التي يقول فيها:

تأه عقلي بحسنه  
قربني من قدسه  
أنا جنّبه فآذره  
و قوله في قصيدته " يا طالب الله بادر " :

طاب عيشي برضاه  
و دنائي من صفاه  
قد تيهني عطاه (6)

يا طالب الله بادر                      واغتنم وقتنا ثمينا  
إمام به تفاخر                      جاءتك فيه البشائر  
عن قُدوة المهتديننا                      كل من في العالمينا (7)

1 - بلقاسم بن منيع : " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، 1926، ص 17- 23

2 - محمد العيد آل خليفة: " الديوان " ص 76

3 - محمد ابن سميحة: " محمد العيد دراسة تحليلية لحياته " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر دط ، 1992 ، ص 57

4 - عدة بن تونس " آيات المحبين " ص 168

5 - ينظر الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار و المعارف " ص 494

6 - المصدر نفسه :ص 170

7 - المصدر نفسه :ص 170.

فقد كان ﷺ ممّا لم يستطيع القلم أن يحيط بوصفه ، فقد حاز جميع الخصال الكريمة محيطة  
بشئيات محاسنها ، فهو ﷺ الهادي بهداية الله تعالى ، إما بواسطة العقول أو بواسطة الرّسل  
و كلاهما بواسطة الرسول ﷺ ، لأنّه حقيقة كلّ صراط مستقيم (1) ، و المظهر الأكمل الذي لا  
أكمل منه ، بل الإنسان الكامل بأخص معانيه. (2)

و صورة الرسول ﷺ الخُلقية كانت تتردد بين صور الإنسان العادي التي تتجلى في  
الكمالات البشرية و السمائل النبوية التي جبله الله عليها و أدبه بها إلا لتكون عدّته في اقتداره على  
حمل عبء رسالته الخاتمة لرسالات السّماء في كلّ زمان و مكان ، و صورة الإنسان الأعلى من  
حيث اتصافه بصفات الأسماء الحسنى ، و هي كما قال الشيخ العلاوي: " فأخلاقه الباطنة مشاهدة  
الألوهية و أخلاقه الظاهرة المحافظة على مصالح الربوبية فمن تغلغل في هاذين المقامين فقد  
حاز رتبة المقام المحمّدي (3) ، و هي ما ركز عليها الصوفية لبلوغهم مقام الكمال ، من ذلك قول  
محمد بن سليمان في نونيته :

أنتَ عَيْنُ العُيُونِ مِنْكَ قَدْ بَسَطْتَ	أَيْدِي العِنَايَةِ نَشْرًا فِيكَ مَخْتَرْنَا
شَمَائِلَ الحُسْنِ أَمْ شُمُولَ مُطْرِبَةٍ	قَدْ أَسْكَرْتَ بِشَذَاهَا الدِّنَّ وَ الوَطْنََا
نَعَمَ: شَمَائِلَ خَيْرِ الرُّسُلِ تَنْعُشُنَا	طَوْرًا وَ تُسْكَرُنَا، صَحْوًا مِنْ بَعْدِ فَنَا
عَلَقْتَ مِنْذُ الصَّبَا رُوجِي بِهَا زَمْنَا	وَ لَمْ أزلْ أُرْتَقِي مَعْنَى بِهَا اسْتَكْنَا(4)

فحقيقته بهذا المفهوم اتصفت بجميع صفات الكمال الحميدة ، فقد أخذ محمد ﷺ من  
الإنسانية أنبل ما فيها ، و أقصى ما يمكن أن يتصوره العقل من عظمة الإنسان و كماله (5) فكان  
أشدّ النَّاسِ حياءً و أكثرهم أدبًا و اشتهر بين قومه بالنزاهة و الكرم و الذكاء و التواضع  
و الأمانة و العفة و الرحمة و الرأفة و وكان أحسن النَّاسِ خلقًا ، لذا أوجب الله على الأمة محبته كما  
أوجب عليهم تصديقه و متابعتة و رتب على ذلك سعادة الدنيا و الآخرة لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ  
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (6)

فانطلقوا من هذا التحفيز القرآني ليستيقظوا الجوهر و يستحضروا النموذج الإنسان المثالي  
ولتطهير عواطف الفرد و تحريره من يرث العبودية ، و من مخالب الشهوة التي خلفها المستعمر  
و تركبتها بالمثل العليا و القيم النبيلة التي اختص بها صاحب الوسيلة لتسمو به حيال مصاعد  
الروح و الرقيّ و الأخلاق.

فهو كما قال عنه ماركوس (7): " رمز للتضحية القدسية الصحيحة و مثال الشجاعة و ينبوع  
الصبر فكر فوعى ، و قاد فهدي ، و مشى فسار ، و اتئمن فوفى. " (1)

- 1 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 1، ص 272
- 2 - رفيق العجم: "موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي" تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت ط1، ص 39
- 3 - أحمد بن مصطفى العلاوي: "المنح القدسية في شرح المعين بطريق الصوفية" تحقيق: سعيد القواص، دار ابن زيدون بيروت ط1، 1986، ص 63
- 4 - نقلا عن عبد الله الركبي: "الشعر الديني الجزائري الحديث" ص 53
- 5 - محمد جواد مغنية: "نفحات محمدية" ص 31.
- 6 - سورة آل عمران: الآية 164
- 7 - أستاذ الفلسفة الإسلامية بلندن.

ج- حقيقة الصفات الخلقية: لقد منح الله سبحانه و تعالى نبينا محمد ﷺ من كمالات الدنيا ما لم يمنح غيره من الأنبياء ، و بهذا الجمال تاه الشعراء شوقا لمطالعتة . فهو أول من اكتمل حسنه و بهائه و منه تزيّن العالم و اكتمل ، و من ثمّة ألفينا مجمل الصوفية يرفعون من قدره متذكرين به الجمال المطلق، فهي مصدر الأنوار و الجمال و رمز للجمال الإلهي الذي منه استمد الأنبياء نورهم و جمالهم ، فهم منبع الكمالات التي ظهرت في الرّسل و أصل الكمال و الجمال.(2)

و يتفاوت فيض الجمال المحمّدي على قلوب الشعراء بتفاوت قلوب العاشقين وفق استعداد كلّ مجلّي لتقبل فيض ذلك الجمال و صفاء صورتها الحقّاني على صورته ، و من الشعراء الذين خصّصوا قصائدهم للتتويه بحقيقته الخلقية بلقاسم بن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ، إذ يقول:

إشراقُ بدرٍ مُحيّا قد أضاءَ لنا	زواهراً لمعت ، زانت سَمَا كرم
مليح شكل عظيم في جلالته	في القرب و البعد عين الحب لم تحم
أسيل خدّ موردٍ جميلٍ سنا	و الجيدُ دميةً عاجٍ نافح النَّسم (3)

و تختلف نظرة الشعراء الصوفية للصفات الظاهرة عن غيرهم من الشعراء ، حيث نجدهم يصفون جماله العلوي لأته " بالجمال الأزلي المطلق تجلى المعشوق على الحقيقة في كلّ جميل و قد تجلى في جميع صور الجمال لكي يعشق ، و لأن طبيعته الأزلية قد اقتضت ذلك." (4)

و قول محمد بن سليمان في قصيدته " يا سائلا عن جمال كان لي وطنا" يعدد فيها محاسنه :

يا سائلاً عن جمالٍ كان لي وطناً	و لم أزل أجتليه وهو ما بطننا
حرّكت مني ولو عا كان مستترا	و لم أزل أختفيه وهو يُعلننا
لكنّها صولة الأقدار قد حكمت	و كلنا تحت قهر الحُسن قد سكنا
جسمٌ أتيقُّ مُنيرٌ أجردٌ في صفّ	قد رشيّق بماء اللطف قد عُجنا
وجهٌ جميلٌ حكاة البدر في أفق	قد زانه لحيّة سوداء تُخجلنا (5)

و قصيدة الشاعر عدة بن تونس " بديع الحسن " التي يقول في مطلعها:

بديعُ الحُسنِ في الحيّ تجلّى	كأنّه البدر حين التمام
و أين البدر إذا ما تدلّى	و طاف كأسه على الكرام
محاسنٌ والله تُنسي الثكلى	عن سريّ الحيّ خير الأقوام
محاسنٌ قد سادت به الأولى	أهل العرفان من بين الأنام (6)

فهي منتهى غايات الكمال الإنساني ، و الصورة الكاملة للإنسان الكامل في هذا الوجود الذي لأجله كان كلّ موجود " و بناءً على هذا المذهب تتجلى الألوهية في البشر، و يعتبر محمد

1 - محمد صالح الصديق: " محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين " ديوان المطبوعات الجامعية القبة ، دط ، 2005 ، ص 65

2 - أحمد بن مصطفى العلوي: " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود " المطبعة العلوية ، مستغانم ، ط2، 1882 ، ص 05

3 - بلقاسم بن منيع : " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص10

4 - عبد الحكيم حسان: " التصوف في الشعر العربي نشأته و تطوره حتى آخر القرن الثالث هجري " ص 297 .

5 - نقلا عن عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 54

6 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 168



الإنسان الكامل". (1) و قوله في قصيدته " من لا يهوى ":

فالكونُ من بهاكِ      و الخلقُ في سناءه  
فماتمَّ سِواكَ      تاللهِ و باللهِ  
يا مَطْلَعَ الأنوارِ      يا بهجةَ العُشاقِ  
فالشَّمْسُ و الأَقمارُ      من نُورِكَ البراقِ (2)

فالشاعر عندما يصف الجمال المحمّدي ، إنّما يريد في الحقيقة إبراز التجليات الإلهية و المستمدة من الجمال المطلق في الجمال المقيد الذي يلمسه و يتذوقه ، من ذلك قول الأمير عبد القادر في قصيدته " مسكين لم يذق طعم الهوى ":

يا من! اكتحلتُ عيني بطلعتهم      و حققتُ في محيا الحُسن ترتاحُ  
نظرتُ حُسنَ الذي لا شيءَ يشبهه      فما يروقُ لقلبي بعدُ ملاحُ  
ماذا على من رأى - يوماً - جمالهم      أن ليسَ تبدُو له شمسُ و إصباحُ (3)

يشير الأمير عبد القادر في هذه القصيدة إلى الجمال الإلهي المتجلي في حقيقته صلى الله عليه وسلم فأكمل المرايا عنده مرآة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أكمل الرؤية ما كان في مرآته. (4)

فهم أبدا في توق للوصول إلى مرحلة الصفاء التي يمكن من خلالها أن يكشف حقيقة هذا الجمال حالة إتحاده بصاحبه ، فيصيب منها الظمان نصيبه من اللذة و الأنس، و من هنا باتت هذه الحقيقة مفتاحا لقراءة الجمال الإلهي و بديلا لذلك .

د- حقيقة معجزاته: أخذت معجزات النبي صلى الله عليه وسلم نصيبها في الشعر الصوفي الجزائري الحديث ، و ذلك لما حباه الله من المعجزات الظاهرات البيّنات الباهرات ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركين(5) فقد تلقى معجزات تجاوزت عند البعض الألف معجزة و من أكبر معجزاته هي محمّد نفسه " (6) ، و حديثهم عن معجزاته التي خرقت قانون البشرية هي في نظرهم من قبيل فعل الحق متجليا في أكمل خلقه ، فالحق هو الفاعل و ما محمّد إلا صورة أو قابل لتصريف أفعال الفاعل الحقيقي الذي هو الله " (7) ، و لأنّ معجزة كلّ الأنبياء اتصلت من نور معجزاته (8) ، و من معجزاته معجزة القرآن الكريم وقف الشعراء أمامه عجزته الخالدة وقفة إعجاب ، باعتبارها معجز قولي ونزول منجم وعبرة للمؤمنين ، وهذه المعجزة هي مناط عظمتها

1- محمّد محمّد شرف: " دراسات في الحضارة الإسلامية " ج1، ترجمة: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط2 1966، ص 104

2 - عدة بن تونس: " الديوان " ص187

3- الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " تحقيق: العربي دحو، منشورات تالة الجزائر، 2007، دط، ص 115

4 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج2، ص416.

5 -الحافظ أبي بكر البيهقي " دلائل النبوة " باب معرفة أحوال صاحب الشريعة ، ص 62

6 - فاروق خورشيد و زكي كمال أحمد: " محمد صلى الله عليه وسلم في الأدب المعاصر " المكتب الفني، القاهرة ، ط1 ، 1959 ، ص08

7- ينظر محيي الدين بن عربي: " فصوص الحكم " تعليق: أبو العلا عفيفي ، ج2 ، ص156، 157

8 - يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 192

فجاءت كردّ فعل على حركة التبشير المسيحية التي كانت تركز على معجزات المسيح (1) ، وما القرآن إلا الممثل الوحيد لحقيقته الكونية لكونه يمثل التجلي الأكمل لحقيقة العلم الإلهي (2) " فهو بهذه المعجزة حاز صفة العلم الأعلى المهيمن على ما دونه من الموجودات الحسيّة و الروحية لكونه يمثل التجلي الأكمل لحقيقة العلم الإلهي (3) ، و لا نكاد نعثر على قصيدة مدحية إلا وكان القرآن في مقدمة المعجزات ومن القصائد التي فصلت القول فيها " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " للشاعر بلقاسم بن منيع و التي يقول فيها :

أعظمُ بذا آيةَ "الأميين" معجزةً  
لم يدّر منه ارتحالٌ للعلومِ و ما  
في أمةِ العربِ لمْ تخطُ بالقلمِ  
أتى بهِ البحرُ أو غزارةِ الديمِ (4)

و هو في هذه الأبيات يربط بين معجزة القرآن و أمّيته لإبراز مكانته و علو قدره ، و يركز على هذه المعجزة لكونها الحجّة الناطقة على نبوته و رسالته، يقول:

هذا القرآن يُريك من عجائبه  
قد أعظموا سُجداً أسْمى بلاغتهُ  
لو أجمع الثقلان ما حكموا مثلاً  
ما أذهلت من بليغ سَطوةِ الكلمِ  
أسرارُ غيبٍ على بدائع الحكمِ  
ولو غدا بعضهم ظهيرَ جمعهم (5)

و قصيدة الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " التي يعرض فيها قصة نزول الوحي على الرسول الكريم حيث يقول:

منها الكتابُ الذي ردتْ بلاغتهُ  
و بينما هو في حراءٍ منفردٌ  
فجاءهُ الروحُ بالروحِ المُنيرِ و قدُ  
كلّ بليغٍ كليلاً، عندَ : قلْ فاتوا  
يُوحداً اللهُ ، إذ وافتْ عِناياتُ  
أصابهُ من عظيمِ الوحيِ روعاتُ (6)

فالقرآن الكريم هو الحجة القاطعة للأمة الإسلامية، وهذا ما أثبتته في دليته:

و جاء بوحىٍ باهرِ النَّظمِ معجزِ  
فلا حكمَ في الإسلامِ إلا بقاطعِ  
فمن كانَ أو من يكونُ ، كأحمدِ  
و حجةُ نصِّ ثابتِ النَّقلِ مسندِ (7)

و من أكثر المعجزات حديثاً معجزة الإسراء و المعراج ، فقد أكثر الشعراء من تناولها في قصائدهم الصوفية ، فما من قصيدة إلا ونوهت بها ، فرأوا في ارتقائه الجبل إلى حراء مجالا فنيا يسبح فيه ، و عملية تلقيه الوحي أمدت الشعر ما يثري الخيال و بأفق أرحب فكان هو أحق الأنبياء و الرّسل بتسمية الإنسان الكامل لأنه هو الذي حقّق المقام الأسنى والأرفع عروجا نحو الله و هو مقام الحبيب، و من هنا تفرد محمّد بالكمال. " (8)

1 - عبد الله الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 64

2 - نصر حامد أبو زيد: " فلسفة التأويل " ص 282

3 - المرجع نفسه : ص 282

4 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 28 .

5 - المصدر نفسه: ص 28

6 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و آثاره " ص 272

7 - المرجع نفسه: ص 272

8 - نقلا عن عبد الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " 64-65

و لما كان التجلي في صورة آدم استطاع في معراجه أن يصل إلى سدرة المنتهى (1) و هو ما يعبر عنه الصوفية " بقاب قوسين أو أدنى " ، فهم يمثلون تقليد المعراج الصوفي و صياغة معراجه الروحي لوصولهم إلى مقام المكاشفة و المشاهدة ، و لا يمكن الوصول إلى الإنسان الكامل إلا إذا تم معراجه الروحي (2) ، يقول الشاعر بلقاسم بن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ، مشيرا إلى معجزة الإسراء و المعراج :

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ ذَا الْمِعْرَاجِ مَنْزِلَةً	سَمَاءٌ مِنْ دُونِهَا الْأَبْرَارُ لَمْ تَشْمُ
لَا زَالَ مُرْتَقِيًا آلَ الْعُلَا تَفْدُ	تَبْدِي السَّلَامَ تَحِيَّةً ، وَمَنْ كَرَمَ
لَهُ الْبُرَاقُ وَ جَبْرِيلُ يُصَاحِبُهُ	أُمُّ النَّبِيِّينَ وَ الْأَمْلاكُ فِي حَرَمِ
عَنْ قَابِ قَوْسَيْنِ قَدْ سَمَا فَذَى رَتَبُ	سَمْتُ سِوَى الْفَرْدِ أَنْ تُسَامَ فِي الْعِظَمِ (3)

كما عبّر عنها الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني في عدة قصائد من ذلك قصيدته " ليلة القدر في باطني " التي يقول فيها :

قَطَعْتَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بِإِرَادَتِهِ      إِلَى حَضْرَةِ الْقُدْسِ يَا سَعْدِي وَ سَعْدَاتِي (4)

يصف الشاعر لنا حادثة الإسراء التي حصلت له حالة الاتحاد بالذات المحمدية وهذا من عادة الشعراء الصوفية ، حيث نجدهم يربطون بين ذاتهم و ذاته <sup>عليه السلام</sup> في حالة الاتحاد فالشاعر في حالة الوجد و الهيام الصوفي لا يعي ما يقول ، فينعكس حاله على شعره فيصبح القائل هو الذات المحمدية .

و الفرق بين الإسراء النبوي المحمدي و الإسراء الصوفي ، هو أنّ الإسراء المحمدي هو إسراء و انتقال حقيقي بالجسد و قطع مسافات محسوسة و إسراء اتهم تختلف لأنها معان متجسدة بخلاف الإسراء المحسوس ، فمعارج الأولياء معارج أرواح و رؤية قلوب .(5)

و من المعجزات أيضا التي كثر الحديث عنها أيضا انشقاق البدر ، من ذلك قول بلقاسم بن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب " :

و كَمْ جَدَلْتُ آيَةً مِنْ كُلِّ ذِي جَدَلٍ	و أَفْحَمْتُ فِي الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَنْفَحِمُ
أَعْجَبُ بِذِي الْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ كَيْفَ سَعَى	لِنَشْرِ دَعْوَتِهِ فِي الْعَرَبِ وَ الْعَجَمِ
فَيَا لَهَا آيَةً عَمَّتْ كَبَعَثَتِهِ	أَيْنَ الْعَصَا إِذْ سَعَتْ أَوْ بَرْدٍ مُضْطَرٍ (6)

و من الشعراء الذين عبّروا عن معجزاته أيضا عبد الرحمن الديسي في قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " ، يقول فيها :

و مَنْ وِلَادَتِهِ لِلْبَعَثِ كَمْ ظَهَرَتْ	خَوَارِقُ عِظْمَتْ وَ هِيَ الْإِرْهَاصَاتُ
مِنْ ذَلِكَ تَسْلِيمِ أَحْجَارٍ يَمْرُ بِهَا	وَ شَجَرٍ ، وَ تَظْلُلُهُ الْغَمَامَاتُ

1 - عبد الكريم الجيلي: " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " ص 58

2 - إبراهيم بيومي مذكور: " الكتاب التذكري " ص 43

3 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 37 .

4 - قدور بن عاشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 215.

5 - محيي الدين ابن عربي : " الفتوحات المكية " ج 3 ، ص 34

6 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب " ص 37- 41 .

و سَبَّحَتْ فِي يَمِينِهِ الْحَصِيَّاتُ  
أَصَابَهُ مِنْ عَظِيمِ الْوَحْيِ رِوَعَاتُ  
يَا مُصْطَفَى حَبَّةُ حَتَّى الْجَمَادَاتُ (1)

و الْبَدْرُ شَقَّ ، كَذَاكَ الْبَدْرُ كَلَّمَهُ  
فَجَاءَهُ الرُّوحُ بِالرُّوحِ الْمُنِيرِ وَقَدْ  
و الْجَدُّ حَنَّ لِفِرْقَةِ الْحَبِيبِ أَسَى

و توالى المعجزات على يد نبيّ الإسلام تؤيد صدق نبوته و رسالته و عظمته ، و باتت تشرق و تزدهي بأريج السيرة ، و ما هي في الحقيقة إلاّ انجذاب الأنوار الجزئية المتجلية في تلك الموجودات للنور المحمّدي ، لأنّ " كلّ معجزة أتى بها كلّ واحد من الرّسل ، فإنّما اتصلت به من نوره." (2) و معجزاته لا يبلغها الإحصاء و العدّ كما قال عبد الرحمن الديسي:

و مُعْجَزَاتُكَ جَلَّتْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَكَيْفَ يَحْصُرُهَا بِالنَّظْمِ أُبَيَاتُ (3)

هـ - حقيقته البطولية: اتخذ الشعراء من حقيقته البطولية قناعا لمعالجة قضايا البلاد فوجدوا في غزواته و معاركه الرحاب الأوسع يمكن أن يسكنوا إليها وتخفيفا لهم من الضغوطات التي سلطها المستعمر بثتى أنواعها ، و تنفيسا لهم عن الواقع ، خاصة و أنّ واقع كان يغلي بالتمرد وذلك أواخر القرن الماضي و أوائل هذا القرن. (4) وفي أتون هذه الثورة و جراء أهوال التطاحن ، و وراء احتشادات القوى و أسراب التطرف و انهزاما أمام الأجهزة الحاكمة وقف الشعراء وقفة مشرفة رغبة في مماسة الواقع فأخذوا يلتفون إلى عصر الرسالة يستجدون به من هذا الظلم ، رابطين بين ماضي الأمة المشرف و حاضرها المظلم وكأنهم يرثون الحالة التي وصلت إليها البلاد ، فأدخلوا على قصائدهم الرّوحية جلجالات الثورة و قعقات السلاح و التمرد العاطفي لكي يعبروا عن إيمان صادق بمستقبل الجزائر. (5)

و حديث الشعراء عن الرسول ﷺ في ظلّ هذه الظروف جاء للتركيز على صورة الجهاد فجاهدوا بلسانهم مبرزين صورة البطل الأعظم محمّد ﷺ آخذين بانتصاراته مستندين على قوى النصر، وهي قصائد عملت على تعبئة الشعور القومي للاستقلال و الحرية ومهاجمة أعداء الدين و الوطن و التحرّر من الاستعمار و القضاء عليه (6).

و من الشعراء الذين عملوا على تعبئة الشعور القومي للاستقلال و الحرية ومهاجمة أعداء الدين و الوطن و التحرّر من الاستعمار و القضاء عليه ، الشاعر بلقاسم بن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " حيث نجده يصف معارك الرسول ﷺ في صورة ملحمية فيقول:

و كمّ ميادينَ مثلَ المَوجِ مُلتطمِ  
و الفَتحُ تفتحُ أعيناً لمن يَشمِ  
لكنّها من صدَى الأصنامِ في صمِ  
إذ حُجّةُ الشَّمسِ عندَ العمي لم تقمِ (7)

نَبِيُّ الْمَلَا حِمٍ ، كَمْ قَدْ قَدَّ مِنْ بَطْلٍ  
هَذي " حُنِينٍ " و " ذِي " بَدْرٍ " و طَائِفُهُا  
دَعَا الْعَشِيرَةَ بِالْفِرْقَانِ مُنْتَدِبًا  
لَمْ تَغْنَهَا رُؤْيَا الْأَنْوَارِ سَاطِعَةً

- 1 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره " ص 273
- 2 - يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 191.
- 3 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره " ص 221.
- 4 - عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 50
- 5- ياسين بن عبيد: " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007 ، ص 15.
- 6 - عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 51
- 7 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 07

يصوغ الشاعر لنا أحداث الهجرة دون أن يضيف عليها دلالة معاصرة و هي سمة خاصة عند " الشعراء الذين تطرقوا إلى الحديث عن جهاده و غزواته فهم يناظرون بين زمنين الزمن النبوي المفعم بالإيمان و الجهاد و الأمجاد ، و زمن الأمة الحالية التي ضيّعت المجد و انسأقت ."(1) فهو يريد إبراز صورة البطل الأعظم محمد ﷺ كقائد منتصر حقق أشرف الانتصارات (2) ، متخذاً من غزواته مجالا لنشر الدعوة المحمدية و التنويه بها.

و هو ما عبر عنه الديسي في تائيته التي يصور فيها غزوة أحد ، حيث يقول :

و بِالصَبَا ، و بِأَمْلَاكٍ مَقَاتِلَةً      على خيولٍ لهم في الحربِ سيماتُ  
و يَوْمَ بَدْرٍ أَشْرَتْ لِمَصَارِعِ مَنْ      ماتُوا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَالْقَوْمُ أَمْوَاتُ  
و خَيْرَ خَرِبَتْ ، لِمَا نَزَلَتْ بِهَا      لم تُغْنِ عَنْهَا حُصُونُهَا الْمَانِعَاتُ (3)

تظهر في هذين البيتين الروح الملحمية بصورة ملفته للنظر، فهو القائد في الحرب و المنتصر على العدو ، من ذلك قول محمد العيد آل خليفة في قصيدته " أنشودة الوليد " :

يَا قَائِدًا فِي الْحَرْبِ ص      فَ جُنُودُهُ لَا يُخْرَقُ  
لِي أَسْوَةٌ بَكَ فِي دِفَا      لِكِ يَسُومُ خُطَّ الْخَنْدَقُ  
مَا زِلْتُ تَرْفُدُ بِالْمُدُو      دِمْنِ السَّمَاءِ وَ تَرْفُقُ (4)

ففي ثنايا هذه القصيدة صورنا من الشعر القومي خاصة في دعوة الشعب الجزائري إلى النهوض بهذه الأمة إلى ما فيه الصلاح مذكرا الشعب بخطى الحبيب رغبة منه في استنهاض الهمم و معالجة الواقع.(5)

و هو ما عبّر عنه أيضا في قصيدته " يا أمة الخير " ، التي يدعوا فيها الشعب الجزائري إلى التمسك بأهداب الدين الإسلامي و اقتفاء أثر الحبيب و سنته، حيث يقول:

يَا أُمَّةَ الْخَيْرِ لَبِّي      دُعَاءُهُ وَ أَطْيَعِي  
وَ أَرْزِي حَزْبَ طَه      بِجِهْدِكَ الْمُسْتَطِيعِ  
قَوْمِي بِدِينِكَ قَوْمِي      قَوِيَّةً لَا تَمِيعِي (6)

فالقصيدة نظرة فيها مزيجا بين الإصلاح و الرؤية الصوفية ، خاصة و أنّ الظروف التي يعيشها الإنسان الجزائري في هذا العصر هي حالة الفقد المؤلم ، فجاء تركيزهم على الهوية الجزائرية قبل كلّ شيء ، و تتعاضم هذه الأزمة حيث يواجه زمانا زائفا.

استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يوظف الشخصية المحمدية توظيفا يتلاءم و البعد الذي يريد أن يسقطه عليها من أبعاد تجربته ، خاصة حين عرضه للغزوات و المعارك التي خاضها الرسول ﷺ حيث نجد الروح الملحمية تظهر بصورة ملفته للنظر وذلك لتبيان

1 - محمد بن عمارة : " الشعر و التصوف - الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " ص 264

2 - عز الدين إسماعيل: " الشعر في إطار العصر الثوري " دار القلم ، بيروت ، 1974 ، ط 1 ، ص 76.

3 - عمر بن قينة : "الديسي حياته و آثاره و أدبه " ص 273.

4 - محمد العيد آل خليفة : " الديوان " ص 168

5 - ينظر عبد الله الركبيي : " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 88

6 - محمد العيد آل خليفة : " الديوان " ص 174

حقيقته الجهادية التي تدعوا إلى إعلاء كلمة الحق ، و ذلك راجع إلى طبيعة العصر الذي ساد فيه الظلم .

و يمكن القول أن هذا النوع من الشعر انصهرت فيه عاطفتين لا تكادان تنفصلان العاطفة الدينية متمثلة في الدعوة إلى الرجوع إلى الدين و تطهير المجتمع من هذه الخرافات ولا ننكر مقياس النص الشرعي في هذه القصائد و العاطفة الوطنية بحيث نجد الرسول ﷺ يقف في قصائد هؤلاء على ذرى الوجود بطلا، فرأوا فيه مجالا خصبا يغترفون منه لدفع الشعب إلى الجهاد و الوحدة. (1) فكادت الأولى تطغى على الأخرى ، فكلتا العاطفتين تمتاز بالتمرد و التحدي و الجموح، خاصة في الفترة الاستعمارية فقد كان الشاعر لسان صدق في التعبير عن الواقع بتجاربه و ظروفه فرسم صورة صادقة للمجتمع و حركته الصاعدة نحو التحرر منذ انبثاق فجر النهضة الحديثة فقد اتخذها السلاح و المحرك الأساسي للكفاح الوطني فقد كادت أغراض الشعر الأخرى تختفي لينحصر في الدين و دواعيه. (2)

و - حقيقة الأماكن المقدسة : فاضت قرائح الشعراء شوقا للمرابح المقدسة فنظروا إليها نظرة دينية باعتبارها الموطن التي ظهر فيها الحق و انتصر و انتكس فيها حزب الشيطان و انهزم ، و قطعت فيها غصون الكفر و حصدت ، و رصت فيها أركان التوحيد و نصرت النبوة فيها ، و نظرة صوفية باعتبارها ميراث النبوة و شعاع الصحو و مركز الصفة فأينما حلّ النبيّ حلّت معه البركات خاصة بما تتسم الأماكن من قداسة وجودية و حلول النبي بها هو الذي أعطاها هذه القداسة ، وهم في عشقهم و تشوقهم إلى هذه المربح النبوية " إنّما هو تشوق إليه باعتبار طينة نبينا محمد ﷺ مخلوقة من موضع الكعبة التي هي محلّ الإيمان بالله تعالى ". (3)

و من الشعراء الذين خصصوا قصائدهم لتقديس هذه البقاع ، الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي ، فقد كان من المهوفين بالمرابح النبوية ، من ذلك قوله في قصيدته " شور الحبيب قلبي لي " التي يشيد فيها بقبر الرسول ﷺ و مقامه :

هل يا درى المولى يجعل لي شي نصيب  
طيبة و طيبة طابت جمعت كلّ طيب  
نباشرُ المقام برقه ماني أديب  
نجلس كالمتميم حذو الجنب القريب  
يا من درى نباشرُ قبا  
يكتفيك ما حوت القبة  
وجهي نعفرو في التربة  
بدموغ هاطلة مسكوبة (4)

فشوقه ووحشته لهذه المربح أدهشته و حيرته حتى صار كالمجنون ، لا يعرف سوى العزلة و هذا ما عبّرت عنه قصيدته " يا ساكن الحشا " :

منها أنافي دهشة  
فأرقت الجسم أمشي  
عند فقد الربوع  
و عدمت الرجوع (5)

1 - حلمي القاعود: " محمد ﷺ في الشعر الحديث " ص 236  
2 - عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 22 .  
3 - محيي الدين بن عربي: " شجرة الكون " ص 63  
4 - أحمد العلوي: " آيات المحبين " ص 96  
5 - المصدر نفسه : ص 85

و قصائده الشوقية كلّها مشحونة بالعاطفة المتأججة و الأشواق تعبر عن الشوق العارم و هو في هذه المقدمة الغزلية في حمى الحبيب يصور لنا ناره المتقدة و حنينه و تلهفه لمشاهدة معاهده عليه السلام ، فقد رأى في ثرى مكة و المدينة مواطئ قدمي الرسول صلى الله عليه وآله النّبع الصافي الذي يضمّد جرح الفراق و يسقي المدام حتى يروي عطشه..

و الشاعر عبد الرحمن الديسي من المغرمين بهذه البقاع المقدسة ، وهذا ما عبّرت عنه قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " حيث يقول :

أَبَارِقُ لَاحَ أُمِّ تَلَكْ ابْتَسَامَاتُ	وهذه طيبة أمّ الثنّياتُ
دَارُ هِيَ الْعَيْنُ وَالْدُنْيَا لَهَا جَسَدُ	سِوَى الْعَيْنِ لَيْسَتْ تَصْلُحُ الذَاتُ
و اللَّهُ مَا الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُقَارِبُهَا	و لَا الْحَرَامُ ، نَعَمْ ، و لَا السَّمَاوَاتُ
تَزْهُوُ افْتِخَارًا بِخَيْرِ الْخَلْقِ قَائِلَةٌ	كَمْ مَدَحْتَنِي مِنَ الْقُرْآنِ آيَاتُ(1)

و يشير إلى هذه الفكرة في قصيدته " الوسيلة في مدح صاحب الوسيلة " ، حيث يربط حديثه عن الرسول صلى الله عليه وآله الكامل بالحديث عن المدينة باعتبارها الملجأ الوحيد وقت الشدة كما كانت ملجأ النّبّي في هجرته و مقامه و مثواه ، فالشاعر اتخذ من المكان ذريعة يتوسل بها من الشدائد و الأهوال التي لحقت بالمسلمين .

وقول الشاعر محمد العيد آل خليفة في قصيدته " ذكرى المولد النبوي ":

و ركبٌ ممعنُ الأشوا	ق فيهما رائحُ غادي
سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ	مشوق للهدى صادٍ
الأيَا وادي الكعب	ة لا أفقرتُ من وادٍ
قَدْ ازدادتُ بك النُعْمَى	لطفل فيك مُزدادٍ (2)

كما عبر عنها الأمير عبد القادر ، فالقدر حرمه من زيارة مقام المحبوب صلى الله عليه وآله فجعله معذبا مقهورا في أمبواز(3) فانقلب ذلك على نفسيته شوقا و حزنا و ألما ، (4) حيث يقول في قصيدته " مناجاة أحد " :

تَذَكَّرْتُ وَشَكَ الْبَيْنَ قَبْلَ حُلُولِهِ	فَجَادتُ عُيُونِي بِالْذُمُوعِ عَلَى الْخَدِّ
و مَالِي نَفْسِي تُسْتَطِيعُ فِرَاقَهُمْ	فِيَا لَيْتَ قَبْلَ الْبَيْنِ سَارَتْ إِلَى اللَّحْدِ
بَطِيئَةً طَابَ الْعَيْشُ ثُمَّ تَمَرَّرتْ	حَلَاوَتُهُ فَالِنَحْسِ أُرْبَى عَلَى السَّعْدِ
مَنَازِلُ مِنْ أَهْوَاءِ طِفْلًا وَ يَافِعًا	و كَهَلًا إِلَى أَنْ صرْتُ بِالشَّيْبِ فِي الْبَرْدِ(5)

يشكو الشاعر في هذه الأبيات ألم الفراق و الشوق إلى مكان مبعثه صلى الله عليه وآله و دعوته و هجرته ، و هو بهذا الشوق وصل إلى الدرجة القصوى من الإشراق الصوفي ، فكانت

1 - عمر بن قينة: "الديسي حياته و آثاره و أدبه " ص 271 .

2 - محمد العيد آل خليفة: "الديوان " ص 76

3 - هي منطقة بفرنسا كان معزولا فيها ، و قد كانت هذه العزلة من أسباب تصوفه ينظر فؤاد صالح السيد : " الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا " ص 125.

4 - فؤاد صالح السيد : " الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا شاعرا " ص 125

5 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " ص 100

نقطة تحول حاسمة في سلوكه (1). كما زادت من حدة تلهفه ، ممّا جعلت فؤاده يتعلق بحبّ هذه الأماكن الإسلامية المقدسة و حبّ ساكنيها لولا جهاده للعدو. (2) و الشوق إلى مرابعه عند الأمير هو شوق للحبيب عليه السلام و الهجرة إليها الهجرة إلى الرسول صلى الله عليه وآله لورثة أحواله أو أسراره الدالين على الله و الداعين إلى معرفته . (3)

و لعلّ رحلة الأمير مع والده لأداء فريضة الحج (4) ومجاراته للحرم النبوي أثناء إقامته بالحجاز هي التي زادت من إثراء مادته الصوفية (5) ، حيث أنّه قد استغرق في التصوف منذ حبه ، و قد اختلى في غار حراء أثناء مجاورته .

و قد جاءت قصائد الشاعر عدة بن تونس ، فقد جاءت مفعمة بالشوق و الحنين إلى مرابعه من ذلك قصيدته " كمال المراد " التي يقول فيها :

يا صَاحِبِي إلى الحبيب مُرادنا	و إلى المقامِ فزَمَزَمُ الفَراخِ
ذلكَ المقامُ ومن كانَ فيه آمناً	ذلكَ الحمى فيه المُنَى و الرِّباحِ
عروسُ الوري كعبةُ الهدى منزلُ الرضا	يمينُ الإلهِ ببابه وضاحُ (6)

و قصيدته " من نشركم فاحت " التي ينسج فيها ملامح الانفصال عن المحبوب الذي لا يمحوه إلا الوصال المأمول ، و لا يتحقق هذا الوصال إلا في مرابعه المقدسة التي تطفئ نار الشوق و الحنين فقداسة ربه من قداسة ذاته ، يقول فيها :

كيفَ الوصالُ إلى ديارٍ قد شرفتُ	و ظلّتَ بينَ الوري في أرفعِ الدّرجِ
هيهاتَ مضطربٌ بالشوقِ يَهْتَى لَهُ	حالٌ على حرجِ مَنْ عيشه السّمجِ
حالَ البِعادِ به و لم يرَ مُسعفاً	يُزِيلُ علّتهُ من وصمةِ العرجِ
لله أشكو حُزني و شوقي و لوعتي	عَساهُ يعفُو و يُدركني بالفرجِ (7)

ففي هذه القصيدة يستولي اليأس على الشاعر، حيث يناشد الحبيب و يحمل الأشواق الجارفة إلى الجنب المقدس، و لعل أكبر باعث على الشوق بعد المزار و تعذره لعدم تمكنه من أن يكتحل بروية المقام بعد أن أسعفته الظروف لرؤيته.

و هكذا فقد ظلّ الشوق إلى الروضة الشريفة التي درج عليها و التي كانت منبت هذا الجمال يؤرق بال الكثير من الشعراء ، و يزيد لهيبهم كلّما تغنوا بها ، إلا أن بعض القصائد كان الدافع إليها الرغبة في الحج الذي يمثل لهم مخرجا من محنتهم لولا حرمان المستعمر الشعب من أداء مناسك الحجّ.

1 - ناصر الدين سعيدوني: "عصر الأمير عبد القادر الجزائري" مؤسسة الباطين للإبداع الشعري، الكويت، دط ، 2000، ص 186.

2 - المرجع نفسه ص: 264

3 - فؤاد صالح السيد: "الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا شاعرا" الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط ، 2007، ص 169

4 - و ذلك سنة 1826م - ثمّ رجعا للمرة الثانية سنة 1827م

5 - كان ذلك مدة سنة و نصف سنة 1862م - 1863م .

6 - عدة بن تونس: "آيات المحبين" ص 185

7 - المصدر نفسه: ص 190



ن - حقيقة آل البيت: مثلت الدوحة النبوية في الرؤية الصوفية الجزائرية الحديثة مركز الدولة الكونية و ذلك لما احتله الأشراف من مكانة بارزة في حياة الشعب الجزائري باعتبارهم مهبط البركات الشاملة و معدن الرحمة الجامعة .(1)

و يرجع العناية بمدح الأشراف إلى تحطيم كيان المجتمع الجزائري على يد السلطة الفرنسية بهدف القضاء على الأصول العائلية بعد أن ثبت لهم أن معظم الثورات كانت بايعاز أو بقيادة الأشراف و المرابطين.(2)

و من الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن آل البيت الشاعر عاشور الخنقي في كتابه " منار الأشراف " (3) ، فقد أفرد قصائد عدّة للردّ على من هاجم أبناء الأشراف و اتهمهم بصفات تسلب عنهم صفة الشرف و اعتبر عصاتهم من المغفور لهم ، و قد لاقى في سبيل ذلك العنت و السجّ ن ، حيث نجده يقف عند كلّ فرد من أفراد آل البيت ذاكرة منزلة كلّ واحد منهم يقول في قصيدته الكبرى :

فالسّادةُ الشرفاءِ فرغُ المُصطفى  
بلْ جزءٌ نورٍ حاصلٍ من نُورهِ ال  
و الفرغُ بالأصلِ الذي منه صدرُ  
محصولٌ من ذاتِ الإلهِ على قدرِ  
و رياضٌ مختلفِ الفضائلِ و الزّهرُ (4)

يبالغ الشاعر في مدحهم وإضفاء عليهم صفات النورانية التي خصّها الله بمحمّد و آل البيت في نظره هم خير من يمثل نظرية الإنسان الكامل فهم نواب المصطفى و بحكم انتمائهم إلى هذه الشجرة المباركة هم نواب استحقوا تسميتهم بنواب الرحمن (5) ، و هذا النور الذي حازوه جعلهم مبرئين من الخطأ و أنّهم لا يدخلون النار، و يبرأ حتّى من والا هم و كلّ من يحمل عداوا لهم لن ينال توبة من الله و لا شفاعة رسوله الكريم ﷺ و يظهر تعصبه لآله الطيبين في قوله:

يأتونَ يومَ الحشرِ مغفوراً لهم  
بمجردِ الإيمانِ موهبةً له  
من غيرِ كسبٍ بلْ على الشرفِ الأغز  
أزلاً ، و إن لم يعملوا مثقالَ ذرّ  
في سورةِ الأحزابِ فاقترأها تسرّاً  
أذيتهم فاحبسُ إلى أينَ المفرُّ (6)

و هو كغيره من الشعراء في التأكيد على عراقة المنبت و شرف الأصل مستندا في أقواله إلى أحاديث التي تحت على حبّهم و ذم من يذمهم ، حيث يقول:

و السّادةُ الشرفاءِ أولادُ النّبِيّ  
بشهادةِ الأنعامِ فيهمُ و الكِسا  
و بهم رسولُ الله صرّحَ قائلاً  
صدّقوه أم عقّوه فيما قد أمرُ  
و بآلِ عمرانَ المُباهلةُ النَّفرُ  
في كم حديثِ ذرياتي و اعتذرُ (7)

- 1 - محمد الأنور أحمد البلتاجي : " الله توحيد ووحدة " ص 131
- 2 - أبو قاسم سعد الله: " تاريخ الجزائر الثقافي " ج 7 ، ص 330
- 3 - عاشور الخنقي: " منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف و مواليتهم من الأطراف " المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1914 ، ص 05
- 4 - المرجع نفسه: ص 62- 63
- 5 - ينظر محمد الراشد: " مسارات وحدة الوجود " ص 115.
- 6 - عاشور الخنقي: " منار الأشراف " ص 56
- 7- المصدر نفسه : ص 62

و أكثر ما نجد مدائح آل البيت عند شيوخ الزوايا لأنّ أغلبهم ينتمون إلى آل البيت ، مثل ما نجده في قصائد الأمير عبد القادر فهو ابن الزوايا و الطرق (1) ، يقول مفتخرا بانتمائه إلى الدوحة النبوية:

ما لحكم الله في القلوب مردّ  
أنتم ذخري و كنزّي و السند  
سلفوا لي أهل سعي لا يُرد (2)

شأقني حبّ حسين شاقني  
يا ذوي القربي! قريبا من أب  
لي كونوا مثلما كان الأولى

و قوله في قصيدته " بنا افتخر الزمان ":

و ما تبقي السماء و لا الجبال  
ومنا فوق ذا طابت فعال  
بدا نطق الكتاب و لا يزال (3)

ورثنا سُوددا للعرب يبغي  
فبالجدّ القديم علّت قريش  
و كان - دوام الدهر - ذكر

و يذهب الأمير مذهب عاشور الخنقي بأنّ كلّ ما يصدر منهم من المعاصي ، مغفورة لهم . (4)  
فيقول :

و محامدا لعلومها إملاء  
سرا - علاه - للسماك سماء (5)

الله أولى آل طه سُوددا  
و الله ودهم و أعطاهم جمى

و كثيرا ما يقترن ذكر آل البيت بالصلاة على النبيّ الكريم في آخر القصيدة الصوفية و طلب الشفاعة و الرضا ، لأنّ رضا الرسول ﷺ من رضا آله و أحبائه " فحبة آل بيت علامة على محبته ﷺ فحبهم من الواجبات المتعينات و بغضهم من الموبقات المهلكات ... " (6) و هو ما عبر عنه الديسي في قصيدته " النفحات النبوية في مدح خير البرية ":

و حبهم من عذاب النار منجاة (7)

و لك العر لا تحصى مناقبهم

و قوله في بانيته:

كلّ شيء ما دونه سراب  
ليس لهم عن الحق حجاب  
عباد الله من الشوق ذابوا (8)

فلا ترضى بغير الله حبا  
فلا عيش إلا لذوي القربى  
أين الجنان منهم أين طوبى

و قول البوزيدي في قصيدته " لا إله إلا الله " مفتخرا بانتمائه إلى العترة النبوية:

من نسل الهادي شفيع الأنام

جدي البوزيدي ظاهر اسمه

- 1 - فؤاد صالح السيد: " الأمير عبد القادر الجزائري شاعرا متصوفا " ص 120
- 2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " تحقيق: العربي دحو، ص 83.
- 3 - المصدر نفسه: ص 45
- 4 - فؤاد صالح السيد: " الأمير عبد القادر الجزائري شاعرا متصوفا " ص 119
- 5 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " ص 179
- 6 - سعيد المغناوي: " شخصية الرسول ﷺ بين تصوير الوحي و تصورات الدارسين " ترجمة ، الحاج أحمد الإدريسي ج 2، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 ، ص 1009
- 7 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره و أدبه " ص 273
- 8 - المصدر نفسه: ص 54

## صلى عليه في الأزل مَولاهُ و كُئِلُ الملائكةِ الكرام (1)

فالشعراء في حديثهم عن آل البيت ليس إلا حديثا عن النور المتسلسل فيهم و الذي فاض عن حقيقته في أحبّ النَّاسِ إليه " فهم بمثابة الظلّ من الشّاحص فهو ظلّ الله ، و الظلّ يمثّل الشاحص في حركاته و سكناته. " (2)

ي - حقيقة الشيوخ: احتلت مكانة الشيوخ مكانة بارزة في الشعر الصوفي الجزائري الحديث فأروا في شيوخهم حقيقته ﷺ و ذلك لبلوغهم مقام القطبية لذا صحت لهم الخلافة و الوساطة بين العبد و ربّه و رتبة الكمال " و كمال الإنسان وجوديا قد تحقق إذا منذ الأزل بنسبته إلى الحقيقة المحمدية ، من حيث أنّها الروح الكلية (3) ، فالشيخ في قومه كالنبيّ في أمته ، لأنّ النبوة و إن غاب رسمها فقد بقي حكمها (4) فكانت كلّ قبيلة تفتخر بانتمائها إلى شيخ طريقة ، حماية لهم من المصائب و الحروب (5) " خاصة و أنّ أغلب الشيوخ كانوا من الأشراف ممّا جعل النَّاسِ يتسابقون إلى الانتماء إليهم باعتبارهم من الدوحة النبوية. " (10<sup>6</sup>) و ما النور المتجلي في الأولياء إلا من نوره ، و ما الولاية إلا من حقيقته ﷺ " (7) و ما الوجود إلا لوجودهم ، فلولا رجال الغيب لما كان الوجود فالعالم يدوم بقاؤه بفضل طبقة الأولياء و الشيوخ فهم بهذه المنزلة التي خصهم الله بها حازوا مرتبة الحقيقة المحمدية التي اختص بها ﷺ لكونه حاز مرتبة الولاية و النبوة فكان نبيا في ظاهره وليّا في باطنه ، فهم والأولياء معارفهم لتجليه على مر الأيام فيهم .

و من الشعراء الذين أفردوا القصائد في مدح أوليائهم و شيوخهم الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدته " أستاذي الصوفي " و التي يقول فيها:

محمّدُ الفاسي له من محمّدٍ      صفيُّ الإلهِ الحالُ و الشيمُ الغرُّ  
كسأه رسولُ الله ثوبَ خلافةٍ      له الحكمُ و التصريفُ و النهيُ و الأمرُ (8)

فهو في هذه القصيدة يرى في شيخه " محمد الفاسي " الخليفة و الوريث الشرعي للولاية المحمدية فهو " الطاقة المستمدة من الحقيقة المحمدية باعتباره أول تجل رحماني ... فأرواح المؤمنين هي أنهار الشجرة المحمدية النابتة من أرض الاصطفاء على منبر المحبة ، و هي تسقى بماء وحدة الفردانية و ما الوليّ إلا وريثه الشرعي .... " (9) وهذا ما نجده في قصائد الشاعر البوزيدي ، من ذلك قوله في قصيدته النونية :

صلى الله عليه      و آله و صحبه  
و أهله و أولاده      و جميع الخلائن

- 1 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 131
- 2 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 170 .
- 3 - الأمير عبد القادر: " المواقف " ج 3، موقف 365، ص 1099
- 4 - أحمد العلوي " المنح القدوسية في شرح الطريقة الصوفية " ص 217
- 5 - الشريف كمال دحومان : " أشراف الجزائر " ص 66
- 6 - فيلالى الطاهر: " نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر في العهد العثماني " دار الفن للطباعة و النشر باتنة ، 1976 ، ط1، ص 17
- 7- ينظر أباكار السقاف: " الحلاج أو صوت الضمير " ص 169
- 8- الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 108 - 109 .
- 9 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 113 و ما بعدها

و ارضى عن أستاذي هو بحر إمدادي  
به تم سعادتي و جميع الإخوان (1)

فالوليّ عنده هو قطب لمهابط الأنوار، حيث جعل الولي رحمة كل شيء ، فهو مبدأ الخلق  
و محوره ، و قوله في قصيدته " نبدا باسمك يا سلام" و التي يقول فيها:

و الرضى عن أستاذي هو بحر إمدادي  
في لحظة الإلهاد عنه تسقى العباد (2)

يسمو الشاعر بشيخه إلى أن يصل بها إلى الحقيقة النورانية التي هي حقيقته <sup>سالكه</sup> حيث نجده  
يتوسل بوليّه بغية الوصول إلى الحضرة القدسية العلية.

و قصيدته " يا صاحبي هل فزت به " و التي ينصح كل غافل عن هذا الحبّ بصحبة شيخ  
يقوده إلى معرفته حق المعرفة ، لأنّ الشيخ في نظر الصوفية وحده القادر على الوصول إلى  
حقيقته <sup>سالكه</sup> ، و الشاعر في هذه القصيدة بلغ المقام الكامل حالة الإتحاد بالذات المحمّدية و عرف  
حقيقته حق المعرفة ، من ذلك قوله :

ليته يدري ما به و يصرف ما دهاه  
يصحب شيخاً يهديه لا يصغي لِمَا سِوَاهُ  
يعمل بما يُوصيه يفنيه عمّا يلهيه  
لحقيقة معناه من هو اجس هَواهُ (3)

فهو في الحديث عن شيخه يببالغ في الإجلال حتّى يكاد ينسى نفسه ، خاصة و أنّ البيئة التي  
عاش فيها كانت تزخر بمشاعر الحبّ و الولاء و الإجلال للشيوخ و أصحاب الطرق الصوفية (4)  
و هو ما عبرت عنه قصيدته " إنني أرى السقاما " ، حيث يقول

إنني أرى السقاما فانظروني برضاكم  
حلّة منكم لزاما فهو يُبرئ الأسقاما  
رفقا بالصّبّ المعنى لا تزيّدوه الأما (5)

ينشد الشاعر هنا رضا شيخه العلاوي كعادة الشعراء الصوفية باعتباره صورة للذات  
المحمّدية ، فتعلقه في هذه القصيدة ما هو إلّا تعلقا بذاته <sup>سالكه</sup> ، بحيث يحاول أن يظهر  
ملامح غبنة و اغترابه عن روحانية و ليّه و التي يروم أن يصيبه منها مسّ علّه يخرج من  
دائرة القلق (6) ، فهو في شوقه لأهل حزب الله ما هو إلّا شوقا له <sup>سالكه</sup> ، فهم أهل الكشف  
و الشهود و المدد فأخلصوا لهم الحبّ إلى درجة الفناء و نالوا المرام و انكشفت لهم الأسرار

1 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 141

2 - المصدر نفسه: ص 143

3 - المصدر نفسه: ص 169

4 - المصدر نفسه: ص 179 .

5- المصدر نفسه: ص 174 .

6 - مختار حبار : " الشعر الصوفي الجزائري في العهد العثماني " مخطوط رسالة دكتوراه - دراسة فنية موضوعية - جامعة عين شمس،  
كلية الآداب ، القاهرة ، 1990-1991 ، ص 106.

و ما السرّ المتجلي فيهم إلا من سرّه عليه السلام ، يقول عدة بن تونس في قصيدته " بشراي عن أحمد "

عينٌ من سرِّ الأسرارِ	عينٌ من نور الأنوارِ
عينٌ للنّاسِ تُرامُ	بصائرٌ و أبصارِ
أُتيتُهُ يَـارَوي	تُبريكٌ من الأسقامِ
	تُجيكٌ من الأوهامِ
	عن أستاذي العلاوي
	منبع السرِّ القويِّ
	كلُّ منها استمدُّ
	تُشاهدُ وجه الصّمِّدِ
	عينَ الجاهِ أحمدَ (1)

فهو يشير إلى فكرة النورانية التي تسلسلت عن شيخه و فاضت و تجلت كلّما " أشرفت عليه أنوار العناية الإلهية يستطيع أن يرقى إلى صفّ الأنبياء و الرّسل و يصبح الكلمة الجامعة و البرزخ بين الله و العالم. " (2) فنجدّه يسمو بوليّه إلى مقام النّبوة بل يعتبره وارثا لها ، و هيأته ليرث حقيقة الحقائق عن سيّد البشر، فغدا بذلك معدنا للأسرار الرّبانية و هاديا للبشرية فاضت عليه الأنوار المحمّدية ، لأنّ " دلائل الحقيقة المحمّدية في الوليّ بادية في فعله الخارق للقوانين البشرية فهو بتصرفه يتصرف إرادة الحق المتجلية في أسمى مخلوقاته " (3) ، و من الملاحظ أنّ أغلب الشعراء الصوفية يقرنون الحديث عن شيوخهم بآل بيته ، خاصة أولئك الذين ينتمون إلى الزوايا و الطرق الصوفية و أكثر ما نجده عند أولئك الذين بلغوا مقام القطبية باعتبار هذا المقام هو فيض من مقامه ، و لإيمانهم العميق بالولاية و تسلسل هذا النور المحمّدي في قلوب أولياء الله الصالحين بعد النّبويّ و آل بيته.

و هو ما أفصح عنه البوزيدي في قصيدته " يا لائمي " حيث يقول :

فالحمدُ لله و صلّى اللهُ	على نبيّه و مصطفاهُ
و آله ساداتي الأصفياء	و صحبه أقطاب الأولياء
لنزولِ التطهيرِ في القرآنِ	فلا عليهم من كيد الشيطانِ (4)

و هنا إشارة إلى آية التطهير، بحيث نجده يبين منزلة " الشرفة " فهم المنتسبون لآل البيت عليهم السلام و هم عترة النّبويّ عليه السلام ، مذكرا بخصوصيتهم من جهة قرابتهم من النّبويّ عليه السلام فحبّهم واجب بأمر من الله سبحانه و تعالى في كتابه الحكيم .

ل - حقيقته التوسلية: وجد الشعراء في حقيقته عليه السلام متنفسا جديدا ، خاصة لما ألمّ الجزائر من نكبات إثر الثورة التحريرية. فأخذوا يلحون على الأمراض التي لحقت الأمة و يستندون شخصيته عليه السلام لعلاجها ، فاستمسكوا بأمل الشفاعة المحمّدية.

و موضوع التشفع و التوسل هو الموضوع الأكثر بروزا ، ذلك أن الشفاعة هي الغاية الكبرى التي يطمح إليها الشاعر ، لأجل نيل مبتغاه. و التوسل بالنّبويّ عليه السلام هو الدعاء له

1 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 177

2 - حميدي خميسي: " نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط " ص 164

3 - مختار حبار: " الشعر الصوفي الجزائري في العهد العثماني " ص 115

4 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 150

و إتباع ما جاء به ﷺ و هو معنى الشفاعة (1) ، لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (2) أي القرب بطاعته (3) ، و قوله ﷺ: " سلوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة " (4).

و الشعراء حين يتوسلون بحقيقته ﷺ إنما يتوسلون بحضرتة الجامعة لحضرة الحق ورحمته التي وسعت كل شيء (5) ، وهو ما عبّر عنه عبد الرحمن الديسي في قصيدته " الحمد لله " التي نظمها تبركا بالرسول ﷺ و أسمائه حيث يقول مفتتحا :

الحَمْدُ لله الكَرِيمُ أحمدهُ      محمدٌ حَبِيبُهُ و أحمدهُ (6)

ثم يذكر الغرض من نظمها ، و أنه قصد بها المصطفى ﷺ فهو الباب المولجة لحضرتة تعالى ، إذ يقول:

و بعدَ فَإِنَّ عَرَضِي و أربِي      نظمَ أساسَ المُصطفى المُقَرَّبِ  
فَشَفَعًا بِجَاهِهِ اللهُ      لأنَّهُ الوجِيةَ عِنْدَ اللهُ  
أرجو بها تيسيري للنَّجاةِ      مُقتفياً دلائلَ الخيراتِ (7)

فمطلوب الشاعر و مقصوده أن يكون روحه مظهرا كاملا و مجلى تاما للحقيقة المحمدية فالروح المحمدي ينطبع في روح الولي الوارث المحمدي انطباع الطابع في الشمع

و قصيدة الأمير عبد القادر " غيب " التي يتوسل فيها بالرسول ﷺ ، من ذلك قوله :

أيا سَامِعَ الشَّكوى! و يا دافعَ البلاءِ!      و يا مُنقذَ الغرقى! و يا واسعَ البرِّ!  
أتَّجَهْتُ لَكم و جَهِى بأكرَمِ شافعِ      محمَّد المبعوثُ للعبدِ و الحرِّ  
لترسلَ لي عندَ الوفاةِ مَبشِراً      برضوانك الأوفى و فوزي في الحشرِ (8)

و بعد هذا النداء انقلبت شكواه إلى استغاثة طامعا في وساطته و شفاعته و ابتغاء رضا النبي ﷺ في مقطوعته "يا سيدي؟":

يا سَيِّدِي! يا رسولَ اللهُ يا سَندي!      و يا رَجائي و! يا حصني و! يا مددي!  
يا ذخيَرةَ فقري! يا عُيادي! يا      عُوثي! و يا عُدتِي للخُطبِ و النَكَدِ!  
أُبغِي رضاكَ و لا شيءَ أقدِّمُهُ      سوى أفتقاري و ذلِّي و أصفارَ يدي (9)

- 1 - ابن تيمية : " قاعدة جلييلة في التوسل و الوسيلة " المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1978 ، ص 100
- 2 - سورة المائدة : الآية 35
- 3- ابن تيمية : " قاعدة جلييلة في التوسل و الوسيلة " ص 49
- 4 - المصدر نفسه : ص 48
- 5 - عبد الرحمن البدوي: " الإنسان الكامل في الإسلام - كتاب المواقف الإلهية لابن قضييب البان " ص 195
- 6 - نقلا عن عبد الله الركيبي : " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 60
- 7 - المرجع نفسه : ص 60- 61
- 8 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق: العربي دحو، ص 114
- 9 - المصدر نفسه : ص 89

و قصيدة الشاعر محمد بن سليمان " يا خير خلق الله"، و التي يفتتحها بالاستغاثة و التوسل إذ يقول:

يا خيرَ خلقِ اللهِ يا كنزَ الرجا  
كنْ لي وليًّا شفيعًا من زلّة  
يا خيرَ مبعوثٍ لأكرمَ ملّة  
و ارحمَ ضعفي سيدي و حقارتي (1)

فهو لكونه صوفي يطلب الولاية من الرسول لكونه ﷺ الولي في الدنيا و الآخرة و المقصود منها أن يرث الولاية .

و هناك من الشعراء من عبر عنها ب " عين الرحمة " و هم في توسلهم بالرسول الكريم ﷺ إنّما هم يتوسلون إلى الله باعتباره الرحمة المهداة التي رحم الله بها جميع الموجودات لقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (2) فالله تعالى يكرم أنبياءه وأوليائه وخاصة باستجابة دعاء من يتوسل بجاههم ، من ذلك قول العلاوي في هائيته :

يا طبيبَ القلبِ غثني  
اجعلني غداً في أمنٍ  
من وقفه لا نرضاها  
هكذا و الله ظني  
في عين الرحمة مولاها (3)  
و هو في قصيدته " الحمد كم أمر " يتوسل لله على لسان الأمة الإسلامية بصاحب الوسيلة أن يهدي هذه الأمة ويرحمها برحمته ، يقول فيها :

صلاةً ثمّ التّسليم و الرّحمة و أزكى التعظيم  
بجاهه سألناك إلا هي لئرحمنا  
على النّبيّ الكريم أفضل ممن ناجاك  
بجاه عين الرحمة ذي الوسيلة العظمى  
في فضلك طمعنا أغثنا يوم لقاك  
لولا ما قررنا بالحقّ و شهدنا  
ارحم ربي ذي الأمة وفقها إلى هذاك  
علمنا و عرفنا ما في الوجود سواك (4)

و عند الشاعر نزعة الشكوى مقترنة بذكر نورانية النبوة التي يعبر فيها عن الدين و حال البلاد في المرحلة التي ساد فيها الظلم، و طعن حكم الأجنبي مستنجدا بالرسول ﷺ بما آل إليه حال شعبه .

و قول عدة بن تونس في عينيته يستغيث بخير مغيث ، و التي يفتتحها بقوله:

ألا برسولِ اللهِ يحظى تشفّعي  
ألا يا رسولِ اللهِ إنّي مقصّر  
بأحسن قبولٍ و إن سيء مرّعي  
ألا يا رسولِ اللهِ غثنا بهمة  
و أنت على علمٍ من قصدي و مطمعي  
أنا الضعيفُ مالي سواك ينتصر  
تقيني ما همّني و إن عز منجعي  
و لولاك ما كنت و لا كان مشرعي (5)

1- نقلا عن عبد الله الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 110

2 - سورة الأعراف: الآية 156-157

3- أحمد العلاوي: " الديوان " ص 39

4 - المصدر نفسه : ص 103

5 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 192

فالشاعر هنا يتوسل بحقيقته التي كانت قبل الوجود و التي لولاه لم يكن الشاعر و لم يوجد.  
و يواصل توسله بالحبیب ﷺ واصفا إياه ب" الرحمة " قائلا:

ألا يا رسول الله لست بعائذ  
يا رحمة أنزلت في صورة أحمد  
ألود به ومن يلود بجاهه  
إلا بالذي عذت عند كل مفزع  
فكانت رسول الله إليه مرجعي  
تسامى به البخت إلى أعلى مرفع (1)

وكذلك قول محمد بن سليمان في قصيدته " يا سائلا عن جمال كان لي وطنا ":

فأنت عين العيون منك قد بسطت  
و لم تزل فيك عينا و هي مكررة  
أيدي العناية نشرًا فيك مختزنا  
لكنها أوجه للعين فيها سنا (2)

فمحمد ﷺ هو الهوية المتعينة بالعين التي منها خلق (3) ، لأنه لما خلقه الله و اعتصره من شجرة " كن " مخضا حتى بدت زبدتها ، و تلك الزبدة هي حقيقته التي غمست في بحر الرحمة التي يرحم الله بها عباده ، لذا نجد الشعراء يتوسلون برحمة الله تعالى التي منها خلق فهم بهذا المعنى يتوسلون بمنزلته و مقامه الذي ناله ، على علمهم أن دعوته لا ترد. (4)

1 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها.

2 - نقلا عن عبد الله الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 53

3- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 2، ص 583

4 - ينظر ابن عربي: " شجرة الكون " ص 06



## - المبحث الثالث: الحقيقة المحمدية في بعدها الباطني

وحديث الشعراء الصوفية عن حقيقته صلى الله عليه وسلم يتجاوز وصف النبوة الظاهر إلى القول بالوصف الباطني ، فهو رغم بشريته إنسانا غير عادي كانت له قوى غيبية أصر عليها الشعراء فوجدوا الملاذ في ملكوته الروحي مادة خالدة تلهمهم وتهدهد أشجانهم، و تثري قلمهم لالتماس هذا النور اليقين الذي ملأ النفوس و أفاض القلوب وأنطق الألسن، فاتجهوا إليه بكل طاقاتهم الروحية عازفين نغمة صوفية يبثون فيها أشواقهم فعبروا عنها من عدة نواحي:

أ - من ناحية صلتها بالعالم وأصله: و تتجلى في نظرية وحدة الوجود ، فقد ارتبطت بها ارتباطا وثيقا وتلازمت معها تلازما كلياً ، فهي تمثل المحور الأساسي لها ، بل هناك من عدّها جزء منها ، من حيث كونها الأصل الوجودي للعالم و التي لأجلها كان و لا زال كائنا وهي عندهم أنّ الله تعالى كان له وجودا مطلقا ، لا يتصف بصفة ، و لا يتسمى باسم ، ثم أراد الله تعالى أن يعرف نفسه بتفصيل أسمائه و صفاته و أن يرى نفسه في مرآة هذا الوجود فتعین أولا في صورة الحقيقة المحمدية (1) ، ومن هذا يعلم أنّ الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء (2) . و مسمياتها من الناحية الكونية هي كالآتي:

أ- 1 - الذات مع التعيين الأول : نظر الشعراء الصوفية إلى حقيقته صلى الله عليه وسلم حقيقة ذاتية فهي أول التعينات الذي تعينت به الذات الأحدية قبل الكل ، وبتعيينها في جميع الأسماء و الصفات (3) فظهر به ما لا نهاية من التعينات ، وسميت التعين الأول إذ الأمر الصادر من حضرة الإطلاق، وتسمى الظلّ الأول الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة و أحكامها التي هي معدومات ظهرت بما نسب إليها من الوجود ، فسرّ ظلمة عدمها النور الظاهر بصورها و صار ظلّا لظهور الظلّ بالنور لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (4) ، أي بسط الوجود على الممكنات (5) ، و التعين الأول و الوحدة المطلقة و الحقيقة المحمدية ، كلّها ظلا مجمل غير مفصل. (6) من ذلك يقول عدة بن تونس في موشحه " سيدي أحمد يا ما احلاه " :

كَالْقُرْنُفْلِ وَ الطَّيِّبِ الفايقُ	نَحْنَمُ نَظْمِي بِالصَّلَاةِ
سَيُؤَدِّنَا مُحَمَّدُ الصَّادِقُ	عَلَى مَظْهَرِ الذَّاتِ
صاحبُ الشفاعةِ يا واثقُ (7)	صاحبُ المعجزاتِ

و قول العلاوي في قصيدته " أيا مرید الله ":

الملك و الملكوت كذاك الجبروت فكّلها نعوت و الذّات مسماة

1 - عبد العزيز القصير: " عقيدة الصوفية - وحدة الوجود الخفية " مكتبة الرشد ، الرياض ، ط 1 ، 2003 ، ص 436

2 - زكي مبارك: " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " ج1 ، ص 231

3 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد " ج3 ، موقف : 368 ، ص 1154

4 - سورة الفرقان: الآية 45

5 - المصدر نفسه : ج1 ، ص 247

6 - تعيين ثان: وهو المسمى بالظل الثاني باعتبار قيام النور المحمدي بالأمر و التعيين الثالث باعتبار نزوله في عالم الخلق و مرتبة الواحدية و الإنسان الكامل ، و هذا الظل مفصل تفصيلا معنويا علميا - تعيين ثالث: و هو المسمى بالظل الثالث فهو كلّ ملكة و ملكوته و هو المسمى

بالصور الخارجية و الأعيان المفصلة بالوجود الخارجي فقد كان صلى الله عليه وسلم ظل الخلق و الكون و الجمادة تعينه، الوجود الإضافي المسمى بنفس

الرحمن ينظر الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " : ج2 ، ص 248 .

7 - عدة بن تونس : " ديوان منهج السالكين و آيات المحبين " ص 207 .

فغَبَّ عن الصِّفَاتِ و أفنَّ في ذاتِ الدَّاتِ هذي تلَوَّنَاتُ مصيرَهَا اللهُ (1)

فالمخلوقات جميعها موجودة للحق تعالى لا لأنفسها ، لكنّها متفاوتة في الحياة فمنهم من ظهرت فيه الحياة على صورتها الثنائية وهو الإنسان الكامل ، و يلتحق به الملائكة المهيمنون و العقل الأول ، و النفس الكلية ، و هو الإنسان الحيوان و الملك و الجن على صورتها ، وهو ما عدا الحيوان ، و منهم من بطنت حياته كالجماذ و المعدن و المعاني..... " (2) ، فهي بهذا المفهوم أول مرحلة من مراحل التنزلات الإلهية في صورة الوجود.

و زاد من توضيحها عدة بن تونس من ذلك قوله في قصيدته " قد حلا فيكم غرامي " :

أنتَ في كلِّ مقامٍ	ظلنَّا الممدودِ
من شرِّ قطعِ الإلهامِ	تقينا في الانتقامِ
	و الوحيِّ الممدودِ
	غاية كلِّ إمامِ
	من شرِّ الصّدودِ
	من أهلِ الشُّهودِ (3)

يفهم من قول الشاعر أنّ محمّدًا ﷺ " ليس فوقه إلاّ الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كلّ تعين و صفة و اسم و رسم و حد و نعت. " (4)

أ - 2- علة العالم : فحقيقته ﷺ هي الأصل و العلة الغائية و الغاية من إيجاد العالم و الخلق الذي لولا ما كان الوجود و لم يوجد ، و ذلك لإظهار سلطان الأسماء الإلهية و الظهور في صورة غيرية التي هي له كالمرأة " فاقتضى الحقّ سبحانه جلاء مرآة العالم فكان آدم تلك الصورة و روحها (5) ، و تتوسط معرفيا بين الله و العالم " (6) الذي لأجله خلق و على صورته صورته وجد ، و هنا يتضح لنا ما هو معروف عند الصوفية أنّ العالم لم يخلق من العدم ، بل وجد من البداية ، و الكون هو صفات الذات الإلهية أي مظهر الله الخارجي و هو المعبر عنه بوحدة الوجود. و هذا التصور يضع للوجود معنيين حقيقة غيبية و صورة مطابقة لها في الواقع

و مبدأين مبدأ الوجود بالقوة ، وهو الوجود علة هيئة الإمكان ، و مبدأ الوجود على هيئة الواقع بما تكون نتيجته أن الوجود الخارجي للنبوة هو الوجود الفعلي في العالم ، و ما هو إلاّ صورة الوجود في علم الله القديم (7) ، و بيانه كما يلي :

الغيب                      النبوة                      الشهادة

(8)

الوجود بالقوة                      الوجود بالفعل

- 1 - أحمد العلوي : " الديوان " ص 79
- 2 - سميح دغيم : " موسوعة مصطلحات الفكر العربي الإسلامي الحديث و المعاصر " ج1، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1، 2002 ، ص 177
- 3 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 191
- 4- ينظر محيي الدين بن عربي: " الفتوحات المكية " ج1، ص152
- 5 - نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 88
- 6 - المرجع نفسه: ص90
- 7 - إسماعيل بن مصطفى العجلوني : " كشف الخفاء و مزيل الإلباس " ص 169.
- 8- ينظر ياسين بن عبيد: " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 157.

و قد ردّد الصوفية هذه النعمات في قصائد عدة من دواوينهم ، فوجودها كان قبل وجود العالم و من أجله خلق الله السمّوات و الأرض ، و كان أول موجود وجد بذات قائمة محدودة هي ذات الرسول ﷺ التي سماها الحقيقة المحمّدية " ... فلما خلق الله القلم قال له اكتب قال : و ما أكتب ؟ قال : أكتب توحيدني في خلقي لا إله إلا الله فكتب القلم من كلام الله تعالى مائة ألف عام و سكن القلب ، فقال الله تعالى : أكتب ، فقال : يا ربّ ، و ما أكتب؟ قال أكتب محمّد رسول الله. قال القلم: وما محمّد الذي قرنت اسمه مع اسمك ؟ فقال الله تعالى خلقي لا إله إلا الله ، فكتب القلم من كلام الله تعالى مائة ألف عام و سكن القلب ، تأدّب يا قلم و عزّتي و جلالتي لولا محمّد ما خلقت أحدا من خلقي فعند ذلك انشق القلم نصفين من هيبة الله تعالى و صفة رسول الله حتّى صار له رجيف كالرّعد القاصف ، ثم كتب محمّد رسول الله. (1)

يقول عبد الرحمن الديسي في قصيدته " النفحات العنبرية" معبرا عنها :

مُختارةٌ دار هجرة الحبيب لذا	تهوى إليّ من الأقطار سادات
سمّاني الله "طابة" فطبت لمن	لولاة ما كان للكون إثبات
محمّد أحمد المحمود سيرته	و رحمة لجميع الخلق مهداة (2)

يصرح الشاعر بوضوح في هذه الأبيات "علة وجوده" التي انفرد بها ﷺ وحده دون سائر الأنبياء و الرسل فلولاها لما تجلّى الكون ، فبه تجلّى وبه كان ، فهو المادة المتقدمة على الموجودات ، لأنّ الله خلقه من غير سبب متقدم عليه في الإيجاد ، و ليس إلا المادة الأولى التي جعلها سبب جميع المخلوقات ، فلولاها لما وجد الكون ومن حوله الكائنات الحيّة و به ظهر الوجود الحق بأعيان الممكنات. (3)

كما أشار إليها البوزيدي في قصيدته " يا لائمي لا تلم " و التي يعدد فيها سلسلة الشيوخ الصوفية ، يقول فيها:

ثمّ عن محمّد واسط الرّحمن      فلولاة ما بدا من وجود (4)

و يواصل تأكيده لهذه الفكرة في آخر القصيدة ، حيث يصلي على النبيّ و آله الأطهار و الأقطاب الأصفياء ثم عن جبريل مبلغ الرسالة و مؤدي الأمانة في قوله :

يُبَلِّغُ الإِسْلَامَ إِلَى الرَّسُولِ      مُحَمَّدُ أَصْلُ كُلِّ الْأُصُولِ (5)

و قوله في قصيدته " نبدا باسمك يا سلام " :

و الصَّلَاةُ و السَّلَامُ      على بدر التّمَامِ  
و آله و الأصحاب      و أزواجه الأحباب

1- محمد بن بريكة : " الكتاب الكبير في الثناء على النبيّ البشير " ج 2 ، مطبعة الديوان عين النعجة ، الجزائر ، 2008 ، ص 21  
2- عمر بن فينة : " الديسي حياته و أدبه " ص 271-2  
3- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 24  
4- محمد بن الحبيب البوزيدي : " الديوان " ص 149.  
5- المصدر نفسه: ص 150

هو أصل الأنام هو النور الموقد  
و أطهاره و الأحاب بلا عدّ و عدّ (1)

و قول عدة بن تونس في قصيدته " بشراي عن أحمد " :

فالكون من أصله ممحوّ بذاتيه  
أثره من سنائه ظاهرٌ بنوره  
و لولاه ما تراه و لا تجهل معناه  
شبهه ظلّ ممدّد إلا من به جحدّ (2)

أ - 3- مرآة الله : فلما أراد الله الظهور لذاته من حيث الإطلاق بذاته من حيث التقييد و المطلق عين المقيد ، جعل نورا بمثابة المرآة ، ثم تجلّى في ذلك النور فانطبعت الصورة الإلهية في ذلك النور انطباع الصور في المرايا ، فالتوجه على المرآة هو الحق تعالى و المنطبع فيها هو حقيقته ﷺ (3) ، فهو صورة مختصرة للكون ، يجمع في ذاته كلّ ما في العالم و بذلك يكون الإنسان صغير و العالم إنسانا كبيرا (4) ، فهي المقصود بالصورة الأزلية للإنسان في علم الله القديم (5) ، و يؤكد الطبيعة البرزخية للوسيط الإنساني (6) فالصوفية يرجعون الضمير على الله بصورته الباطنية ، و حجتهم في ذلك أنّ الإنسان من روح الله لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (7) فكانت صورة الوجود المكرمة الذي تمثله الحقيقة المحمدية في أكمل معانيه الكاملة " لأن رؤية الشيء نفسه بنفسه مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة ، فإنّه يظهر نفسه في صورة يعطيها المحلّ المنظور فيه ما لم يكن يظهر له من غير وجود المحلّ ، فاقتضى الله جلاء مرآة العالم فكان آدم جلاء تلك المرآة " (8)

فكما أن الله تعالى يتجلّى في جميع الكائنات فالرسول ﷺ يتجلّى في الكائنات بوصفه صورة للعالم العلوي ، و الشيخ العلاوي يعرض هذه الحقيقة في مؤلفاته وديوانه في أكثر من قصيدة ففي كلّ قصيدة اكتست حقيقة معينة حسب حاله الصوفي ، فهي في قصيدته " أيا مرید الله " مرآة الكون و مظهره التي ظهرت في خير خلق الله ، يقول :

أيا مرید الله نعيذ لك قول اصغيه إذا تفهم قولي به تصلّ الله  
له الكون مرآة و مظهر الصفات محمّد نور الذات عليه صلى الله  
العلاوي يقول قولاً منه مقبول تهيم به العقول تغيب في ذات الله (9)

1 - المصدر نفسه: ص 143

2 - عدة بن تونس: " الديوان " ص 178

3- الأثير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج1، ص 273

4 - توفيق سلوم: " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 338

5 - نصر حامد أبو زيد: " فلسفة لتأويل " ص 179

6 - المرجع نفسه: ص 181

7 - سورة الحجر: الآية 29

8- نصر حامد أبو زيد: " فلسفة لتأويل " ص 180

9- أحمد بن مصطفى العلاوي: " الديوان " ص 79

فالله تعالى يظهر في جميع المخلوقات و الملك في مرآة ذاته بصفاته (1) فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزلات الإلهية التي لا تحصى ، أحب إظهار كمالاته في صورة تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه (2) ، فكانت أعيان الممكنات الخارجية هي مرايا الإنسان الكامل الذي يستحق الأسماء الذاتية استحقاق الأصالة والملك بحكم مقتضى الذاتي ، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل ، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله والإنسان الكامل ذلك أن " الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل." (3) و أكمل المرايا مرآة الرسول ﷺ و أكمل الرؤية ما كان في مرآته ﷺ .

أ - 4 - البرزخ الجامع: و تسمى "برزخ البرازخ" و "البرزخية العظمى" لاجتماع العوالم من حيث ظاهرها و باطنها ، فمن حيث ظاهرها نقطة من طين ومن حيث باطنها خليفة رب العالمين (4) ، يقول الأمير عبد القادر معبرا عنها في مقطوعته " هو الباطن هو الظاهر":

أردد طرفي في الرُسوم فلا أرى  
عجبت كيف اختفى بظهوره  
ألا فأعجبوا من ظاهرٍ في بطونه  
سوى من به رؤومًا و أثارًا  
فعيبي حجابهُ الظهور و لا أنفراً  
ومن باطنٍ لا زال بادٍ و ظاهرًا (5)

و يشرحها لنا في مقطوعة أخرى:

أنا حقُّ أنا خلقٌ  
أنا عرشٌ أنا فرشٌ  
أنا كمُّ أنا كيفٌ  
أنا ذاتٌ أنا وصفٌ  
أنا ربُّ أنا عبدٌ  
و جحيمٌ أنا خلدٌ  
أنا وجدٌ أنا فقدٌ  
أنا قربٌ أنا بعدٌ (6)

و حقيقته بهذا المفهوم تجمع بين العالم العلوي و العالم السفلي ، بين الحق و الخلق بين الشريعة و الحقيقة ، بين النبوة و الولاية ، بين القدم و الحداث . و لما كان الرسول ﷺ مناسباً للجانيين كان العالم منتظماً ، فمن أجل هذا كان واسطة بين الحداث و القدم فالرسول ﷺ هذا هو المعبر عنه بالبرزخ المشار إليه في الآية بقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٧﴾ يَبْغِيَانِ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿١٨﴾ ﴾

(7) إذ لولا برزخ الرسالة لاختل الوجود. (8) و بهذا كانت مرتبته هي المعبر عنها بمرتبة الوحدة التي يعتبر التعيين الأول عبارة عنها. (9)

يقول عدة بن تونس في قصيدته "بشراي عن أحمد" :

- 1- إحسان إلهي ظهير : " التصوف المنشأ و المصادر " ص 222
- 2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 299
- 3 - المصدر نفسه : ج 1 ، ص 300
- 4 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق : العربي دحو ، ص 118 .
- 5 - المصدر نفسه: ص 118.
- 6 - سورة الرحمان: الأيتان 19-20
- 7 - أحمد بن مصطفى العلوي: " المنح القدوسية في شرح المعين بطريق الصوفية " ص 05
- 8 - محمد التهانوي: " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم " تحقيق: علي دحروج ، ج 1 ، ص 382 .

هو الأول و الآخر      هو الباطن و الظاهر  
هو الشمس و الأقمار      بأموج المآثر  
هو الليل و النهار      هو الدهر قد ورد(1)  
هو الأرض و البحار

فاختصاصه بالتحقق بأمر الله في كل مرتبة من مراتب الوجود و إعطائه لكل مرتبة من المراتب حقية أو خلقية حقها بما تستحق .(2)

أ - 5- عين الوجود: فهو عين الوجود في كل موجود و تسمى أيضا عين الحق و عين صفات الرحمن و عين الله و تسمى بالعين لأن الحق به ينظر إلى عباده فيرحمهم (3) " فلما شاء الله أن يرى أعيان أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء في كون جامع أظهر نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه " (4) ، من ذلك قول عبد الرحمن الديسي :

عين الوجود ممد الخلق قاطبةً      و الكاملون لهم منه الكمالات  
و الأنبياء نواب المصطفى سبقوا      لهم بمبعثك الأسمى بإشارات (5)

و يصرح الشاعر " بنظرية النور المحمدي" السارية في الخلق التي حازها عليه السلام و هي المعبر عنها في البيت ب" عين الوجود " فعنه نشأت جميع التعينات المفاضة على أعيان المكونات (6) رحمة للعالمين من حيث حقيقته التي حقيقة الحقائق (7) ، وقوله "عين الوجود " فهو الكامل الذي لا أكمل منه ، و هذا ما أوضحه لنا الشاعر بلقاسم بن منيع في ميميته:

ياسين إنسان أعين به      مَناهج الرُّشدِ أضواءً على علم  
أتى فبعثها مستكماً حلاً      حتى علت منشورة العلم (8)

و قول عدة بن تونس في قصيدته " قد حلا فيكم غرامي ":

قد حلاً فيكم غرامي      يا نور الوجود  
لك حجّي و احتراممي      فأنت أصل مُدامي  
ذاك قصدي و مُرامي      من بين الوفود  
حبيب المعبود(9)      أنت لي باب السلام  
من عين الوجود      من عيني الوجود  
محمد بدر التمام

1 - عدة بن تونس: " الديوان " ص178  
2 - أيمن حمدي: " قاموس اصطلاحات الصوفية " ص 48 .  
3 - رفيق العجم: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " ص 685  
4 - ابن عربي: " فصوص الحكم " فص حكمة إلهية في كلمة آدمية ، ص49  
5 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و أدبه " ص 271.  
6- رفيق العجم: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " ص 299  
7 - هذه الرحمة هي أول شيء فتح ظلمة العدم و أول صادر بلا رحمة. ينظر: " لمواقف " للأمير عبد القادر ، ص240  
8 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 11  
9 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 191

أ - 6- مركز دائرة الكون: و حقيقته هي دائرة الفطرة القدسية و دائرة الأرواح (1) فكل ما في الكون منه ، فروحه للكون بمنزلة الروح للجسد ، و هو النقطة الجامعة بين طرفيها طرفي خاتم النبوة ، فالنبوة خط مستدير ، ظهرت النقطة في كل من نقطتها جامعة بين طرفيها بحيث لو جردت لوقع الانفصال ، فتساوت النقط بهذا الاعتبار. (2) لقوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (3) ، و منتهى الدائرة عين مبتدأها و حقيقتها الروح الأعظم المتكفل بالإنباء عن الله و ليس إلا النفس المحمّدي ، و الروح الأبدي المنفوخ منه في آدم فهو أول نقطة الدائرة. (4) من ذلك قول عدة بن تونس في قصيدته " ألف الله سيفي " :

عليه يدور الملك و الملائ الأعلی و كل عبيد الله منه استمدت (5)

فالحقيقة المحمدية عنده تعني أنها مجتمعة في العالم ، فهي مركز الدائرة التي يدور حولها جميع المخلوقات من الملائكة و الملك الأعلى و الإنس و الجن .

أ - 6 - مظهر الكون : لأنّ النبي نور خلق قبل الكون باعتباره الوجود الإجمالي والفيض الأقدس الذي خلق قبل الكون، ومنه وجد الكون وأفيض الكون، فهو محل الكون الأعلى و الأسفل من ينبوع الغيب الظاهر في لبس المظاهر (6) ، و يواصل شرحه لمظهر التجلي النوراني في الأكوان ، حيث يقول العلاوي في قصيدته " يا من ظهرت " :

يا مَنْ ظهرت	بنُوره الأكوان	أنتَ الظاهر
فيه تاهوا	كما هم انتهُوا	فردُّ لا غير
حتَّى كانوا	مع أنّهم ما كانوا	أمرُّ باهر (7)

و قصيدته " صلى الله عليك يا نور " و التي يقول فيها:

لا يكون الكون حتّى	يظهر بك متجمّل
أنت في الآثار قلت	ذا الكون منك تمثّل
يا رسول الله حُزت	فضل الفضل و الفضائل
يا رسول الله دُمت	و دُمت لك مُتمثّل (8)

يريد الشاعر أن يعبر عن حقيقته الكونية الظاهرة التي لا تزال تشرق بموجوداتها على الكون ، فهو لا يزال موجود و ظاهر و هو ما قصده في قوله " دمت " .

و قول البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة " :

- 
- 1 - أيمن حمدي: " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 91
  - 2 - أحمد العلاوي : " دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار " المطبعة العلاوية ، مستغانم ، ط 2 ، 1991 ، ص 28
  - 3 - سورة البقرة : الآية 285.
  - 4 - المصدر نفسه : ص 29
  - 5 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 188.
  - 6 - عبد الرزاق الكاشاني " رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق و الأحوال " تحقيق : سعيد عبد الفتاح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط ، 1995 ، ص 62
  - 7- أحمد العلاوي : " الديوان " ص 79
  - 8 - المصدر نفسه : ص 92

مَظَاهِرَ الكونِ كيزانِ      و الخُميرَةُ عبارةٌ عن الأرواحِ  
يُذري الخمرةَ مَنْ كان فاني      عن حَبِّهِ و قيود الأَشْبَاحِ  
مُصليًا على سَاقِي الأرواحِ      من سرهِ فسرى للأشْبَاحِ (1)

أ - 7- روح الكونون: فهو روح جسد الوجود (2) و ما دام هذا الإنسان روح العالم فلا يخلو العالم من ممثل هذه الرُّوح و خليفتها (3) ، و قد عبر عنها العلاوي في ديوانه في قصائده و موشحاته حيث يقول في قصيدته " حير لي بالي " :

كنزُ المَعَانِي سرُّ الأواني      روح الأكوان قُلْتُ نَعَمْ  
سرُّ الحَيَاةِ نورَ الصِّفَاتِ      حِصْنُ النِّجَاةِ دارَ السَّلَامِ (4)

و يري العلاوي أنّ الكون لا معنى له لولا الذات المحمّدية ، فهو الموجد له و لولاه لما وجد فهو يشرح لنا كذلك فكرة القدم عن طريق تفسيره لنقطة بسم الله الرحمن الرحيم حيث يقول: " أنّ النقطة في الباء هي السرّ المحيط بالجميع منذ القدم " (5) هي في حقيقتها ألف فحذفت الألف من محله و ظهر على صورة الباء (6) و قلبت باء لسلامة الألف من العيوب فبقيت ألفا لتنزيهها ، لهذا يقال بسم الله من العارف ككلمة " كن " من الحقّ عزّ وجلّ لأنها كلمة أثبتت المفعول و ضمير الياء أثبت الفاعل و ضميرها الإنسان الكامل و روح الوجود. (7)

أ - 8 - نور الحقّ: و حقيقته ﷺ خلقت من نور الحقّ تعالى ، فالله تعالى أول ما تجلى بالنور الذي فتق العماء كان هذا النور مرآة التمايز ، فتميزت صورته المسماة بصورة الرحمن على سبيل الانطباع (8) فكلّ ما في الوجود هو من نوره ، و يشرح الأمير عبد القادر نورانيته بقوله : " و النور نوران نور الحقّ وهو الغيب المطلق القديم ، و نور العالم الحديث وهو نور محمّد ﷺ الذي خلقه الله من نوره وخلق منه كلّ شيء، فهو كلّ شيء من حيث الماهية. " (9) من ذلك قول عدة بن تونس في قصيدته " نحن برضوان الإله شمس " :

نحنُ برضوانِ الإلهِ شُموِسُ      و منّا بُدورٌ و منّا نُجوِمُ  
و منّا كواكبٌ يا صاحبي دري      و منّا شهبٌ للغيّ رجوِمُ  
و في الشَّمسِ نورٌ عمّ العوالمَ      منه يمدُّ الكلُّ وهو متموم (10)

و قوله في قصيدته " من لا يهوى سواك " :

يا مَطْلَعَ الأنوارِ      يا بهجة العَشّاقِ  
فالشَّمسُ و الأَقمارُ      من نُورِكَ البَرّاقِ (1)

- 1 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 13
- 2 - ابن عربي : " شجرة الكون " ص 62
- 3 - نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 162.
- 4 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " الديوان " ص 89
- 5 - ينظر : أحمد العلاوي : " الأنموذج الفريد الخالص التوحيد في تفسير نقطة بسم الله الرحمن الرحيم " المطبعة العلاوية مستغانم ، ط4 1344هـ ، ص 12
- 6 - المصدر نفسه : ص 24
- 7 - المصدر نفسه : ص 23.
- 8 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواصف " ج 3 ، موقف 355 ، ص 998.
- 9 - المصدر نفسه : ج 1 ، ص 245
- 10 - عدة بن تونس : " آيات المحبين " ص 173



و هذا النور منه خلق العالم و تعينت الموجودات " فانه سبحانه و تعالى قسم نور محمد <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> عشرة أقسام فخلق من القسم الأول العرش ومن الثاني الكرسي ، و من الثالث اللوح ومن الرابع القلم ومن الخامس الشمس ومن السادس القمر ، و من السابع الكواكب و من الثامن نور المؤمنين ومن التاسع نور القلب ، ومن العاشر نور محمد <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> . (2)

و هذا ما أوضحه لنا العلاوي في قصيدته " أيا أيها العشاق " التي يقول فيها :

كفى أن تُور الحق أنت مظهره  
عليك تعظيم الله فيك رحمته  
ما ودّعك الإله كلاً وما قلّى  
ألا يا جمال الحق عليك المولى صلى (3)

يفهم من هذا القول أنه لولا تجلي الله لهذه الذات المحمدية لبقيت طبيعة الوجود الحق مستترة إلى الأبد ، و قوله في قصيدته " محمد اصطفاك الباري ":

مرفوع كالثرى كوكب وهاج  
بالقلب نمدحك و اللسان اعواج  
لو كان تعرف ذي الأمة  
الأرض كلها و السّما  
محمد اصطفاك الباري  
وصف الحبيب فوق سوارى  
تفني ازمانها في ذكرك  
و العرش و القلم من نورك (4)

و يواصل وصفه في مقطع آخر:

نور الإله ما يتمثل  
لو كان ننتعته نتفيضل  
فاق الجميع فرغ و أصل  
و العجز عن أوصافه حكمه  
سوى نقول فيه كلمه  
مبعوث لأخلائق رحمه (5)

يقرن الشاعر هنا النور المجازي " الشمس " بالنور المحمدي ألا وهو النور الحقيقي فجعل الصلة وثيقة بين نبوة محمد و الشمس.

كما نجد البوزيدي يصرح بنوره الذي تجلى عن النور الإلهي في رائيته ، حيث يقول:

اسمي ساقى المرید  
محمد بن البوزيدي  
نغرف من بحر التوحيد  
و بيدي المنشور  
ثم صلاة الله  
على صاحب الجاه  
هو نور الإله  
هو مفتاح الظهور (6)

1 - المصدر نفسه ص 190

2 - محمد بن بريكة: " الكتاب الكبير في الثناء على النبي البشير " ج 2 ، ص 21.

3 - أحمد بن مصطفى العلاوي: " الديوان " ص 22 .

4 - المصدر نفسه: ص 86

5 - المصدر نفسه: ص 87

6 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 130

ب - من ناحية صلتها بالإنسان: و بين خلق الوجود بحيث يرسم لنا الشاعر ما هو كائن و تتطلع إلى آفاق ما ينبغي أن يكون، ومن مسمياتها من هذه الناحية:

ب - 1 - أول الأنبياء و الرّسل خلقا: فهو أول ما خلق الله في حضرة الغيب و ليس عند الله من خلقه موجود قبلها (1) فحقيقته سبحان الله سبقت الأنبياء و المرسلين في الخلق فانه لم يخلق آدم إلا لينزع الصافي من ذريته " و لا يزال يصطفي تدريجيا إلى أن بلغ الكمال كمال الصفاء ألا وهو الرّوح القدسي المحمّدي فخلقه سبحان الله كان تقديرا ارتسم في اللوح المحفوظ ، فقد كان نبيا قبل آدم بمعنى الوجود الأولي التقديري دون الوجود الحسيّ العيني " (2) كصور الأنبياء و الرّسل وورثتهم رضوان الله عليهم (3) فمنه ظهرت النبوة و الرسالة و الولاية ، و لأجل ذلك كان نبيا و أول الأولين و خاتم النبيين المختص بالاسم الأعظم الذي لا يكون إلا له عليه السلام (4) و هي حاوية لجميع مرايا الأنبياء و دونها في الكمال ما كان في نبي من الأنبياء.

يقول عبد الرحمن الديسي في داليتيه:

و أعرفُ أهلُ الله بالله سيّدي  
و آدم لم يخلق و لم يتجسد  
و بابُ طريقِ الله لكلِّ فاقْتدِ (5)

خلاصة خلق الله من كلّ كائن  
كان نبيا قبل فتق عوالم  
رؤوف رحيم كامل مكمّل

يشير الشاعر في هذه الأبيات أنّ الأنبياء طائفون بدائرة النبوة الروح الأعظم ، و آدم يمثل أحد تجليات هذه الحقيقة المحمّدية ، و الأنبياء و الرّسل مجالي متغايرة لهذه الحقيقة الواحدة " فكلّ نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين و إن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود ، و غيره ما كان نبيا إلا حين بعث " (6) فكان بالتقدير قبل خلقه آدم و من قبل آدم أن يتجسد ، و أن وجود العالم و ظهور آدم إنّما هو علامات الرسول عليه السلام و من آياته فآدم عليه السلام هو المجلى الأول لروح الحقيقة المحمّدية و وسيلة إلى كمال صورة الرسول عليه السلام و هذه النظرة تجعل من الرسول عليه السلام مدار الإنسانية و محورها الذي بدونه لا يستقيم العالم .

و قول بلقاسم بن منيع في ميميته:

و أولُ الأنبياء بنور نشأتِهِ  
و ثمَّ سرٌّ جليلُ الشانِ يعلمُهُ  
في عالمِ الدّر إذ عنتُ لبعثتِهِ

بمظهر الجسم جاء من أخيرهم  
منشئ العوالم ممّا نُوره العمم  
و الكون في عطل ما منه مُتدّم (7)

فحقيقته كانت سابقة على جميع الأنبياء متأخرا عنهم من حيث الصورة ، فهي " حاوية لجميع مرايا الأنبياء و دونها في الكمال ما كان في نبي من الأنبياء و ذلك لأنّ تجليه تعالى في مرايا

1 - أيمن حمدي : " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 55  
2 - محمد مغنم: " موسوعة سفينة الراغب و دفيئة المطالب " ص 58  
3 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف " ج 3 ، موقف 565 ، ص 1103  
4 - رفيق العجم: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " ص 299  
5 - ينظر عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 62  
6 - محيي الدين بن عربي : " فصوص الحكم " ص 63-64  
7 - بلقاسم بن منيع : " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 32

مرايا الأنبياء أكمل من تجليه في مرايا غيرهم . (1)

و قول العلاوي في قصيدته " أيا مرید الله " :

إليه المنتهى ومنه المبتدأ  
فأذكر الاسم الأعظم و أطو الكون تغنم  
و الآن قد بدأ و الكون في حلاهُ  
و خض بحر القدم فذاك بحرُ الله (2)

يريد الشاعر القول أن حقيقة محمد ﷺ النورانية هي أول مخلوق على وجه المعمورة و الإنسانية ، سبقت جميع البشر و الأنبياء و المرسلين ، و ما معجزات الأنبياء و ما جاءوا به إلا من معجزاته ﷺ و من نوره و بركته .

يقول الشيخ قدور بن عاشور في نونيته :

يا من اصطفاك من نوره الجليل انشاك  
محمود في السماء للملائكة سماءك  
قبل أن يكون آدم و يوسف و البنون  
يتباشروا باسمك قبل أن جسم يكون (3)

يفهم من قول الشاعر أن الرسول ﷺ وجود أزلي سابق على وجوده التاريخي ففكرة التقدير حاصلة لكن العمل بها أخرت إلى يوم وجوده ، لان ما قبلها وسيلة إلى غاية الكمال فكانت نبوته مقصودة بالإيجاد و الكمال و الغاية ، و إنما يكمل بحسب التدرج ، و هذا ما يجعله أول التعينات و ليس فوقه إلا الذات الأحدية ، إذ لا تزال الأنوار تفيض على حضرته عليه الصلاة و ثم تفيض من حضرته على حضرات الأنبياء و المرسلين و حضرة الختم كل من باب مخصوص ثم تفيض على الورثة ، حيث تتلقى ذات الختم المحمدي الجامع لجميع الأنوار الفائضة من حضرات الأنبياء و المرسلين (4) و كان نور محمد ﷺ في جبهة آدم في كمالها أو كالقمر في تمامه ، ثم انتقل النور إلى حواء عليها السلام فحملت بشيت و لم يزل ينتقل في الأصلاب الطاهرة حتى انتقل إلى عبد المطلب (5).

و قول البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى " :

داوودَ بها غنى  
عيسى بها نطق  
بالبزبور حنى  
في المهد تحقق  
كثير الأنواح  
بهذا يا عاشق  
كان من السواح  
خمرة الكؤوس  
فلق بالعصا  
و كسر الألواح (6)

هنا إشارة إلى حقيقته التي سارت في روح الأنبياء، إلى أن بلغت الكمال في روحه ﷺ فحقيقة الصورة النبوية هي آخر ما تم به الظهور في عالم الواقع، متخذاً حركة دورية تلقي فيها

1 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج3 ، موقف 358 ، ص 1078 .

2 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 79

3 - قدور بن عاشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 88

4 - أيمن حمدي : " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 33

5 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " معراج السالكين و نهاية الواصلين " ص 02

6 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 134-135

البداية بالنهاية التي هي ختم النبوة ، فهي كالحبة المستنبتة داخل الصورة فلها تنسب الأولية من حيث استمداد الفروع منها ، كما لها تنسب الأخروية من حيث وجدانها داخل الصورة و اشتغال الصورة عليها. (1) و سجود الملائكة لآدم عليه السلام إنما لأجل نور محمد الذي كان في جبهته (2) فهذا التشريف الذي شرفه الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (3)، فالآية أتم و أجمع من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز

أن يكون الله تعالى مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه تعالى و عن الملائكة و المؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة. (4) و حقيقته هي حقيقة واحدة على مدار تاريخ النبوة فهناك رسول واحد بعث إلى العالمين في أوقات و أمكنة مختلفة بتشكيلات جسمانية ليست متطابقة في كل الأحوال ، لأن وجوده جاء وفق تسلسل و أدوار (5) فالزمن الميتافيزيقي و هو الإنسان الأول يقابل الزمن الفيزيائي في آخر من بعث يظهر ذلك جليا في الآية الكريمة :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴾ (6)

ب - 2- الروح الأعظم : فهي الصورة الإنسانية التي أمدها بالروح بجميع صفاته و كمالاته الفاضلة والقابلة (7) و لها مسميات عدة منها روح الروح التي هي حضرة القدس الذي يأتي بالفيض الأقدس مشحونا بالمعارف و الأسرار و الأنوار و الحكم و الرقائق و التحف و المواهب التي لا تدرك و الأخلاق و الأحوال و اليقين و التوحيد و الكشف التام و الشهود الأكبر و المعرفة البالغة والغاية في جميع المراتب معرفة ذوقية عينية لا اعتقادية. (8) و الروح الكلية التي بها تم انتشاء جميع الأرواح ، لأن جميع مقامات العالم محصورة فيه ومنه تنبعث و إليه ترجع و هو السبب لإيجاد الأعيان و الأرواح كلها. (9)

فروحه صلى الله عليه وسلم قامت به جميع الأكوان وتورت ولهذا كانت له الأسبقية في الخلق ، فهو أعظم المكونات و روحها ، وهذه الروح الجزئية في حنينها إلى روحها الكلية ، ترسم لنا صورتين صورة جزئية و التي تمثلها الذات المحبة في حنينها و فراقها إلى محبوبها مجسدة لنا الذات قبل أن تكون، لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (10) ، لأن الله خلقها بلا واسطة و خلق الأشياء بواسطتها، فهي المدبرة للأرواح الجزئية فروحه صلى الله عليه وسلم من أمر ربي

1 - أبو بكر الديناني : " مدارج السلوك إلى ملك الملوك " ط 1 ، 1330 ، ص 156

2 - يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 192

3 - سورة الأحزاب : الآية 56

4 - يوسف النبهاني: " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 192

5 - معنى الدور أن يوجد شيان كل منهما علة الآخر ، و معنى التسلسل أن يفرض وجود حوادث أو أفراد من جنس واحد فكل جنس مسبوق بغيره على أن يكون السابق علة اللاحق ، و التسلسل قديم ، لأنه سابق و علة في اللاحق.

6 - سورة الأحزاب : الآية 07

7 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 3 ، موقف 565 ، ص 1103.

8 - أيمن حمدي: " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 63

9 - محيي الدين ابن عربي: " الذرة البيضاء " ص 18

10 - سورة الحجر: الآية 29

لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (1) و قوله أيضا: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ (2) فالأمير في ترتيبه لمراتب الجود يجعلها في المرتبة الثالثة فهي عنده أصل الأرواح التي منها أنشأت و تفرعت جميع الأرواح الجزئية والكلية فهو أول صادر عن الله بلا حجاب(3) و الخلق في استمرار ما دامت حقيقته سارية في الكائنات " فهو الجامع للنفس الأصلية التي كثرت في وحدتها و تنزهت في بهجتها، و كل نفس هي فرع من الأصل و يصح للفرع أن يقول أنا الأصل ، لأن مقامهم واحد. (4)

ب - 3- الواسطة بين الحق و الخلق: حيث إن محمدا له حقيقة " الختم " ، فهو يقف بين الخلق و الحق يقبل على الأول مستمدا للعلم منقلبا إلى الآخر ممدا له، و لأجل ذلك كان نبي عليه السلام و أول الأولين و خاتم النبيين المختص بالاسم الأعظم الذي لا يكون إلا له دون جميع الأنبياء(5) وهو المتحقق الواحد ، لأنه أول مظهر ظهرت به الذات فله في البطون بقدر ما له في الظهور و في الأولوية بقدر ماله في الأخروية ، و لهذا كان الواسطة العظمى بين الحق و خلقه.(6) و معنى هذا أن الحقيقة المحمدية تمثل وسيطا بين الذات الإلهية و العالم فلما كان له هذا الاسم صحت له الخلافة في الأرض، و فكرة الخلافة تكشف عن التفويض الإلهي المعطى للإنسان الذي يجمع في نفسه حقائق الوجود. و بناءً على هذا المذهب تتجلى الألوهية في البشر و يعتبر محمداً الإنسان الكامل " (7) ، و لما كان الإنسان الكامل علة الوجود فهو بالضرورة صلة بين الله و العالم لكونه يمثل الصفات و الأسماء الإلهية و التّنزلات و التجليات الإلهية في العالم.

و قصيدة الشاعر البوزيدي " يا لائمي لا تلم " :

ثم عن محمّدٍ واسطَ الرَّحْمَنِ      فلولاهُ ما بدأ منْ وُجُودُ  
صلِّ ياربِّ عليه و الال      و الصَّحْبِ و أَقْطابُ العِرفانِ (8)

ب - 4- سيّد العرب و العجم: لقد اختار الله منهم سيدهم وإمامهم فجعله خاتم النبيين لأنه أحق بالتشريف و التعظيم ، ولأنه العبد الكامل المخلوق على الصورة الكاملة الجامعة للحقائق الإمكانية السارية في كل صورة للعالم علوية و سفلية (9) فامتدحوه باعتباره سيّد المخلوقات أجمعين، ولأنه أكمل مرتبة في العالم ، و به اكتمل وجود العالم فحاز صورة العالم و صورة الحق ، و عن هذه السيادة يقول البوزيدي في قصيدته " فصلوا على الهادي":

و الحمدُ لله على التَّمام      و الصَّلَاةُ بلا انْفِصام  
على طه سيّد الأنعام      و إليه و صحبه الكرام (10)

1 - سورة الإسراء: الآية 85

2 - سورة الطلاق: الآية 05

3 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 2 ، موقف 248 ، ص 629

4 - أحمد العلوي: "معراج السالكين و نهاية الواصلين" ص 17 .

5 - رفيق العجم: "موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي" ص 300-301

6 - أحمد بن مصطفى العلوي: "دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار" ص 27

7 - محمد محمد شرف: "دراسات في الحضارة الإسلامية" ج 1 ، ص 104

8 - محمد بن الحبيب البوزيدي: "الديوان" ص 149.

9 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 3 ، الموقف 365 ، ص 1099

10 - محمد البوزيدي: "الديوان" ص 150

و قول الأمير في قصيدته " أبونا رسول الله ":

أبونا رسولَ الله خيرُ الورى طرّاً  
و حسبي بهذا الفخر من كلِّ منصبٍ  
بعليائنا يعقلوا الفخار وإن يكنْ  
و من رام إذلالاً قلتُ : حسبنا  
فمن ذا يبغني يُطاولُننا قدراً  
و عن رتبةٍ تسمو و بيضاء أو صفراءَ  
به قد سَمَا قومٌ ، و نالُوا به نصراً  
إله الورى و الجَدُّ أنعمَ به دُخراً (1)

فالمتصوفة قارنوا بين الآيات الموجهة للنبي و غيره من الأنبياء كالطلب و الدعاء  
مثل قول موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٥٦﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٥٧﴾ ﴾ (2) في حين شرحه للرسول من  
غير سؤال و لا دعاء و الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٣﴾ وَدَعَوْنَا سَيِّدَنَا  
إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (4) ، و قوله للرسول ﷺ من غير سؤال: ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ  
النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (5) ، و قوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (6)  
فهم في تعليقهم على هذه الآيات أطلقوا على الرسول ﷺ مفهوم الحقيقة المحمدية وحاز رتبة  
الكمال و السيادة و الأفضلية ، إذ حاولوا أن يفصلوا بين الوجود الجسدي وهو الوجود الزمني  
للرسول و الوجود المعنوي له الذي هو الوجود المطلق. (7)

يقول قدور بن عاشور الزرهوني :

يا طه الممجد اصطفاك المتعالي  
يا سيد الكونين و الكائنات نجم الأجيال  
و علاك فوق نور الشمس و القمر مع زحل  
اختصك المولى بالعلم و الأعمال

1 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 48

2 - سورة طه : الآية 25

3 - سورة الشرح : الآية 01

4 - سورة الشعراء: الآية 87

5 - سورة التحريم: الآية 08

6 - سورة الفتح: الآية 02

7 - أمانة بلعلي: " الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2001 ، ص 269

ج- من الناحية الصوفية: و الحقيقة المحمّدية في المفهوم الصوفي فرد واحد في الوجود لا نظير له إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة ، و ليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كلّ تعين (1) ، و مسميات من هذه الناحية هي كالاتي:

ج - 1- المشكاة: فحقيقته صلى الله عليه وسلم هي المشكاة التي يستقي منها جميع الأنبياء و الأولياء العلم الباطن ، لأنه على بصيرة من ربّه و لحصوله مظهر العلم القديم و الإرادة الأزلية (2) و يقصد الصوفية بالمشكاة النور المتجسد في آدم و الأنبياء و الأقطاب و كلّ منهم هو الإنسان الكامل (3) و هي الأصل الذي يستمد منه كلّ علم إلهي ، و منبع الوحي و الإلهام التي محلها سرّ القلب من كلّ صوفي (4) لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ هذه كلّها حقيقة ، و الرقيقة ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾ الشجرة هي النبع و هي الرقيقة ﴿مُبْرَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (5) فكلّ حقيقة رقيقة و يقصد بها أنّ لكلّ حقيقة مدداً ونبعاً يمدّها، و ذلك النبع الذي يمدّها هو الرقيقة ، و لتقريب الفكرة فإنّ المصباح حقيقة لكن الرقيقة و هو المدد الذي يمدّه بالضوء و هو الطاقة الكهربائية ، فكلّ حقيقة لها رقيقة ، فرسول الله هو الرقيقة لكلّ الحقائق و هو الشجرة المباركة ، و قوله تعالى: ﴿وَلَيْكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (6) يقول العلاوي معبرا عن حقيقته بالمشكاة في قصيدته " صلى الله عليك يا نور":

يَـرَـسُـوْلَـ اللهِ	أَنْتَ النُّورُ الْمَتَشَكَّلُ
نُورٌ عَلَى نُورٍ جِئْتَ	بِهِ الْقُرْآنُ تَنْزَلُ
مِشْكَاتُ نُورٍ وَ زَيْتَا	ضِيَاءٌ جِئْتَ مَعْتَدَلُ (7)

يفهم من قول الشاعر أنّ علم الرسل كلّهُ من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مأخوذ من ذاته الأولى قبل أن تخلق ذاته الترابية كما يقولون. و البيت الأول يجعل الدنيا و الآخرة نفحة من نفحات الرسول صلى الله عليه وسلم ، و ما سطره القلم و وعاه اللوح المحفوظ جزء و بعض من علومه.

و قول البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة ":

خَمْرَتِي تُرَى لِلْأَغْيَانِ	كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحُ
عُتِّقْتُ فِي أَصْلِ الدَّنَانِ	قَبْلَ أَدَمَ سَرَّهَا بَاحُ
هَا هِيَ بَدَتْ عَلَى الْكِيْزَانِ	يَا عَاشِقًا لَهَا شَذَاهَا فَاحُ (8)

- 1- زكي مبارك: " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " ج1، ص 231
- 2- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج1، الموقف: 102، ص 277
- 3- سبنسر ترمنجهام: " الفرق الصوفية في الإسلام " ترجمة و دراسة و تعليق: عبد القادر البحرأوي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1997، ص246
- 4- إبراهيم بيومي مذكور: " الكتاب التذكارى " ص 33
- 5- سورة النور: الآية 35
- 6- سورة الشورى: الآية 52
- 7- أحمد بن مصطفى العلاوي: " الديوان " ص 92.

و يقول على لسان الحقيقة المحمدية في قصيدته " أذن في الناس يا صاح ":

أنا مشكاة المصباح      نوره منّي بدّيّا  
من رأني في اصطباح      رأني بدرًا عاليّا  
أولئك حزب الفلاح      من ورثة الأنبيّا  
ميراثًا بلا سيفاخ      عن طه غوث الأوليّا(1)

يشير الشاعر هنا إلى مشكاة الرسول ﷺ النورانية التي تجلت فيه ﷺ ، و منه تجلت في شيخه العلاوي ، و لا شك أنّ الشاعر كان في حالة شطح فهو لا يعي ما يقول ذلك أنّ النور المحمّدي يفيض بتسلسل من الشيخ إلى المرید لا العكس، و هذا النور موروث عن طه خير خلق الله.

ج - 2 - أساس المعرفة: فهو مصدر العلم في الوجود الذي بانشقاق وجوده و انبثاق عقله طلع فجر المعرفة و اتضحت مسميات الأشياء، فهو الإنسان الكامل المتمكن من إدراك الإنسانية الباطنية من حيث المظهر الوجودي لله، فإنسانيته بهذا المعنى جامعة للصفات الكلية للعالم من جهة و الصفات الإلهية من جهة ، فهي مركز العالم لكونه عارف لله أسمى معرفة، فحقيقته إذن هي مصدر جميع الشرائع و النبوات و مصدر جميع الأولياء (2) و مبدأ كلّ وحي و كشف ، و أصل كلّ معرفة باطنية (3) ، مظهر الشريعة و معدن الحقيقة و منهج الطريقة الموصلة إلى معرفة الذات الأقدسية (4) بيده قسطاس الفيض الأعم و زنه يتبع علمه و علمه يتبع علم الحق (5) بيده علوم الأولين و الآخرين لذا عجز الناس عن معرفته ... فوجب الانقياد لحكمه و السجود لآدم ، حين عجزت عن إدراك علمه و قدره .(6)

و هو ما أفصحت عنه قصيدته " أستاذي الصوفي " للأمير عبد القادر، و التي يقول فيها:

هي العلم كلب العلم و المركز الذي      به كلّ علم كلّ حين له دور  
فلا عالم إلا خبير بشربها      و لا جاهل إلا جهول بها غر  
و لا غيب في الدنيا و لا من رزينة      سوى رجل عن نيلها خصه نزر (7)

و يقترن هذا التعريف مع قولهم ب" العقل " فبالعقل الله و عرف ، و به كتب الله به المكونات باللوح المحفوظ ، و بالعقل تتحدّد حقائق العلم الإلهي عن طريق التجلي الإلهي و يحصيها و يدونها و الكلّ يستمد منها " (8) فالعقل الأول يجمع بين الخيال المطلق أو العلم الإلهي (9) فهو أول مبدع في عالم المعقولات الروحية ، و العهود كلّها مستنقاة من عهده فكانت رسالته عامة للجميع من زمن آدم إلى يوم القيامة (10) ، و مثال ذلك مثل الشجرة

1 - المصدر نفسه : ص 176

2 - حسين مروة : " النزعات المادية " ج 2 ، ص 18

3 - توفيق سلوم: " الفلسفة العربية الإسلامية " ص 339

4 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود " ص 05

5 - عبد الرزاق الكاشاني : " رشح الزلال " ص 61

6 - عبد المجيد الصغير: " التصوفي في الفكر الصوفي كوعي و ممارسة " ص 178

7 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق : العربي دحو ، ص 111

8 - نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 91

9 - المرجع نفسه: ص 100

10 - يوسف النهاني : " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ص 234-235



و ثمرتها ، فالثمرة ليست الشجرة بمعنى أن الثمرة ليست عين الشجرة ، و إن كانت منها بينما الشجرة هي الثمرة ، إلا أن الشجرة فوق الثمرة و متعالية عليها. (1)

و غالبا ما يعبرون عنها باسم " البحر " أو " النهر " ، من ذلك ما نجده في قول البوزيدي في قصيدته " لا إله إلا الله " :

هَذَا بَحْرٌ عَمِيقٌ فِيهِ تَاهُوا شَرِبْنَا مِنْهُ وَ مَنْ عَذَّبَاهُ خَمْرُ الْمَعْنَى يَا حَافِظًا مَعْنَاهُ	رَجَالُ الطَّرِيقِ وَ أَقْطَابُ الْإِسْلَامِ حَتَّى صَارَتْ الْأَوَانِي مَدَامِ مِنْهُ شَرِبُوا سَادَةَ الْكِرَامِ (2)
---	--

و رجال الطريق في مفهوم الشاعر هم العارفون ، و هم متفاوتون فلا يكون إلا واحد في كل زمان و هو الإنسان الكامل و الأنية الفريدة الظاهرة بالصفات و الأسماء . (3) و كذلك قول عدة بن تونس في قصيدته " قد طابت حياتي " :

فِي بَحْرِ الْمَعَانِي غَبْتُ عَنِ الْأَكْوَانِ قَدْ زَالَتْ حُجْبِي وَ صَفَا مَشْرُوبِي	لَا تَرَى مِنْ أَيْنِي إِلَّا الْحَيَّ الْبَاقِي رَأَيْتُ مَحْبُوبِي مِنْ غَيْرِ اخْتِلَاقِ (4)
---	--

ج - 3- قدم الخلق: و هو المعبر عنها بالاسم الأعظم الذي لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء ، ولأنه أول التعينات وبه ظهرت ، فالروح كونها مخلوقة حادثة تقدم وجودها على الجسد ، و قد أشار العلاوي إلى هذه الفكرة في أكثر من قصيدة منها قصيدته " يا من تريد تدري فني " التي يقول فيها :

إِنِّي مَظْهَرٌ رَبَّانِي أَنَا فَيَاضُ الرَّحْمَنِ وَ الْأَصْلُ مِنِّي رُوحَانِي	وَ الْحَالُ يَشْهَدُ عَلَيَا ظَهَرْتُ فِي الْبَشَرِيَا كُنْتُ قَبْلَ الْعُبُودِيَا (5)
---	--

و قوله في قصيدته " يا سقاة الروح " ، و التي يقول فيها حالة إتحاده بالذات المحمدية :

هَكَذَا عَهْدِي قَدِيمٌ يَذْرِيهِ فَتَى كَرِيمٌ	قَبْلَ كَوْنِ الْكَوْنِ كَانَ قَدْ ضَاءَ مِنْهُ الْجَنَانُ (6)
--	---

و يقول في قصيدته " أيا مرید الله " ، و التي يقول فيها:

فَانْكَرِ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ وَ اطْوِ الْكَوْنَ تَغْنَمُ وَ خُضْ بَحْرَ الْأَنْوَارِ وَ الْمَعْنَى وَ الْأَسْرَارِ	وَ خُضْ بَحْرَ الْقَدَمِ فَذَاكَ بَحْرُ اللَّهِ وَ افن هَذَا الدِّيارِ يَبْلُغُ قَلْبِكَ مَنَاةَ (7)
--	---

1 - محمد الراشد : " مسارات وحدة الوجود " ص 105

2 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 131

3 - ينظر الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 1 ، ص 131

4 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 182

5 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 28

6 - المصدر نفسه : ص 87

7 - المصدر نفسه : ص 78

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى قدم خلقه الذي فاض في الكون قبل أن يخلق الكلّ والواضح أن الشاعر قالها على لسان الحقيقة المحمّدية حالة فنائه بها.

و يشرح العلاوي معنى الحديث القدسي: " إنّ الله خلق آدم على صورته " فيقول: " أنّ روح الإنسان على صورة الرحمن من جهة التنزيه ، إذ ليس لها في الممكنات شبيهه موجودة في الإنسان مفقودة في العيان ، لا تتحيز في الأبدان و لا تتوصل لها الأذهان تباعدت عن الإدراك و اتسعت عن الأفلاك ، لا تدركها الأبصار، و لا تحويها الأفكار ، لا تحلّ في الأبدان حاضرة بالصفات ، ليس لها جهة و لا تخلو منها الجهات ، حارت فيها العلماء و توقف فيها الحكماء فمقامها جليل و الفهم فيها كليل" (1) فالذي في مرتبته من تجليات الصفات و الأسماء و الحقائق لا مطمع فيه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل فضلا عن دونهم من الأنبياء و المرسلين. (2) و قوله في قصيدته " حير لي بالي قطب الجمال":

ياربّ عظم و صلّ و سلّم      و مجّد و فخم بدر التّمأم  
أحمد مُحمّد في الحُسن واحد      جمع الفوائد نُور القدم  
ثمّ معاني دون اللّسان      يخفي جنابي غير الكلام (3)

و قول الأمير عبد القادر الجزائري في مقطوعته " حديث عجب ":

لا تعجبوا من حديثي جلّ عن عجب      حقيق قولي لا لغو و لا كذب  
ولدت جدي جدّته و بعدهما      أبي تولد عن أمي و أي أب!  
و بعد ذا ولدوني بعد كوني أنا      ووالدي البرّ تومان في صلب  
و كنت من قبل في الحجور تُرضعني      بطيب ألبانها الأمهات لا ترب  
و ليس يدري الذي أقول غير فتى      قد جاوز الكون من عين ومن رُتب (4)

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى فكرة القدم في قوله و كنت من قبل " فحقيقته كانت من قبل في القدم ، فحقيقته التي هي الهبأ الكلّ (5) هي كانت سببا في تولد آدم الأب و هذا الجدّ الذي يتمثل في حقيقته هو الذي تولدت عنه الجدّة و هي الطبيعة الكبرى (6) التي حضرت قوايل العالم كلّه ، فأبي الروح كلّه و أمي الطبيعة الصغرى متولدة عنها و من آثارهما و أبي الرّوح المنفوخ منه في الأجسام الطبيعية و العنصرية ووجه تولد أبي عن أمي هو أنّ هذه الطبيعة البيت مختصة بالصور الجسمانية ، و حيث هذه الطبيعة البيت وقعت الصور التي ظهرت فيها الرّوح الكلّ بجزئيات الأرواح (7) فالنفس الجزئية أي نفس كلّ فرد متولدة من الطبيعة " أمها " ، و من الروح " أبيها " ، و تأخذ من النّفس الكلّية " أي اللوح المحفوظ " فالنّفس الخاصة هي التي تكونت عندما نفخ الله تعالى من روحه في الجنين المتشكّل في بطن أمّه فمنحه الحياة و تشكلت بذلك نفسه الخاصة به تحمل صفاه الخاصة تلك التي ورثها من أبويه و أجداده (8) ، فكان كلّ منهما أثر في ولادتي و ظهوري بعد كوني أنّ والدتي البرّ التوأمان في صلب الوالد البرّ الروح

- 1 - أحمد العلاوي: "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود" ص 134
- 2 - أحمد العلاوي: "معراج السالكين و نهاية الواصلين" المطبعة العلاوية ، مستغانم ، ط 2 ، 1992 ، ص 21 .
- 3 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 89
- 4 - الأمير عبد القادر الجزائري: "الديوان" تحقيق العربي دحو، ص 119، ينظر: "المواقف" ج 2 ، موقف 345 ، ص 942
- 5 - ينظر الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" موقف 345 ، ج 2 ، ص 944
- 6- المصدر نفسه: موقف 345 ، ج 2 ، ص 945
- 7 - المصدر نفسه: نفس الصفحة
- 8 - ميسون مسلاتي: "قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي" دار أفطة للنشر و التوزيع ، حلب ، ط 1 ، 1997 ، ص 22

الكلّ توأمان جمعنا صلب الجدّ الهباء و رحم الطبيعة الكبرى" إشارة إلى أنّ كلّ شيء كان سببا أو شرطا في ظهور شيء كان أبأ له من ذلك الوجه قد يكون الابن عين الأب لكونه له ، و قد يكون الأبذ عين الابن. (1)

و يزيد في توضيح هذه الفكرة في قصيدته " صلى الله عليك يا نور" ، حيث يقول:

و أنتَ فيهِـا لمْ تزلْ	منْ حضرةِ القدسِ جئتَ
و الأبـدُ مثـلُ الأزلْ	كنتَ قبلَ الكونِ كنتَ
بالقيودِ مُتـجـمـلْ	مُطلقاً كنتَ فصرتَ
يُبلـغُ بِرِضـاكِ الأملْ (2)	فالعلاوي يـرجـو حتـى

و قول البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة ":

يا ساقِيها مهـلا راحـا براح	ساقِي الخُميرة سقاني
خمرةً مجرّدةً عن الأقداح	كانتَ قبلَ كونِ الأكوانِ
به تمَّ إسعادِي و أفراح (3)	مُحمّـدٌ قرةٌ عيني

يشير الشاعر إلى حقيقته بالخمرة الصوفية ، (4) و هذه الخمرة متواجدة قبل وجود الأكوان و المخلوقات ، و حبّ في القلوب كان قبل الوجود.

و قول عدة بن تونس في قصيدته " إنني أرى السقاما " :

عـهـدـه بكم قديمٌ	كانَ به مُستهماً
هذا شأنكم قديماً	كانَ به في دلالٍ
أولئك أهل التّداني	و حديثاً لا انفصاماً
	بمن حقّه رضائكم
	أولئك حزبُ النّدامَا
	رضي الإله عنهم
	و نال منكم مدامَا
	و رضوا عنه ختامَا (5)

يتحدث الشاعر على لسان أهل الله ، بأنّ الله خصهم بالعناية المحمّدية ، فحقيقتهم السارية فيهم هي من حقيقته و عناية الله بهم لكونهم صورة للذات المحمّدية المتجلية فيهم و التي فاضت عليهم.

ج - 4- نور الأولياء من نوره: فنوره <sup>سائرته</sup> هو نور الأنوار الذي تجلى نوره في الأرجاء و النور المحمّدي هو أول الأنوار الفائضة من بحر عظمة الذات ، الذي بيده قسطاس الفيض الأعمّ (6) و هذا النور تسلسل في الأولياء من بعده ، و هو ما عبّر عنه البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى ":

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" موقف 345 ، ج2 ، ص 946.

2 - المصدر نفسه: ص 92

3 - محمد البوزيدي: "الديوان" ص 132

4 - و هي ليست الخمرة المتعارف عليها ، بل الخمرة التي تسكر أصحابها من نشوة المحبة عند بلوغ درجة من الحبّ.

5 - عدة بن تونس: "الديوان" ص 174 - 175

6 - عبد الرزاق الكاشاني: "رشح الزلال" ص 61

يا عاشق المعنى      أقرب لي و أدنى  
 أنوارها سطعت      لتسقى خمرنا  
 من ذاتي ظهرت      في كؤوس الرّاح  
 شمسها طلعت      في سماء الأرواح (1)

فالشاعر في هذه الأبيات غاب عن ذاته في الذات النبوية كلية لما فاضت عليه الأنوار المحمدية فتدلت له من الرسول ﷺ بعض أسرارهِ ، فكسيت ذاته أنوار نبوية محمدية لأنّ " كلّ ما في الوجود منحصر في حقيقته ، فلا إمام أبين و أحقّ بالإمامة منه (2) ، لأنّه " أول نور تفجرت به ينابيع الظهور ومنه تفرعت الأنوار و تطورت الأطوار " (3) فهو مكوّن من نور و مخلوق من رشح فيوضاته ، فهو نور في بصره و بصيرته .  
 و يقول في قصيدته " دنوت من حبّ ليلي " معبرا عن هذا النور :

حسبي من حبيبي أنّي      متّصل به شفاهها  
 لنا منه نور يسني      قد ضاعت منه جباهها  
 يا عارف الروح منّي      لا يخفى عنك صفاها (4)

و هذا التسلسل النوراني هو من نور الأنوار الذي اختص به صاحب النور محمد ﷺ .  
 و يزيد في شرحها تلميذه عدة بن تونس في قصيدته " بشراي عن أحمد " في قوله :

عينٌ من سرّ الأسرار      عينٌ من نور الأنوار  
 بصائرٌ و أبصارٌ      كلُّ منها استمدّ (5)

فالشاعر يرى في نور الأولياء من نوره ﷺ الذي منه استمد الأولياء و الأصفياء نوره ويقول عدة بن تونس في قصيدته " قد طابت حياتي " :

قد طابت حياتي من بعد مماتي      بشهود الدّات في هذا الأفاق  
 تجلت شموسي من روعي و نفسي      فنيت عن حسّي بروية السّاق (6)

و هناك من الشعراء من عبّر عن هذا النور ب " الفيض " فقد ظلّت نظرية الفيض مقترنة بها و ملازمة بها تعبر عن تجلي هذا النور الإلهي على أسمى خلقه و تجلي هذا الأخير في الأكمل فالأكمل .

و قول الشاعر قدور بن عاشور الزرهوني :

بشرتني بالخصوصية      راكب فرسك

1 - محمد البوزيدي : " ديوان أبيات المحبين " ص 134  
 2 - أحمد العلاوي : " دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار " ص 31  
 3 - المرجع نفسه : ص 22  
 4 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 39  
 5 - عدة بن تونس : " أبيات المحبين " ص 177  
 6 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 181.

خضعت جميع الأولياء  
يستفيدوا ويفيدوا  
من فيوضاتك التي  
طائععين لك  
بفيوضاتك  
شربوا من عين الحياة (1)

و قول البوزيدي في قصيدته " لما فنيت الفنا ":

لما فنيت الفنا	ما بقيت إلا أنا
أنا الذي ظهرت	في الحسنّ و المعنى
صلّ ياربّ على	خمرتي منّي فاضت
	و الأشياء بي قامت
	من نوره تجلّى
	يا ذا الجود و الجلالة
	يا مفرج الكرب (2)

فبنوره ظهرت كلّ الأشياء و قامت ، و بنوره رفعت الحجب و تجلت الذات المحمّدية ففي قوله " منّي فاضت " إشارة إلى فكرة الفيض، و يقصد بها الفيض التوراني الذي فاضت من الأنوار المحمّدية ، و التي لازالت تفيض إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

ج - 5- حقيقة السرّ : هي غيب من غيوب الله لا تعرف ماهيته و لا تدرك و لا يقع فيه شيء من مخافة الشرع أصلاً لكمال طهارته (3) ، و سرّ الله في الوجود هو الصورة البشرية الذي نفخ الله منه في آدم ثم بصورة كلّ نبيّ بعده ، و تجليه بجميع الصفات الإلهية فيكون المجلى الأعظم لتلك الصفات . لقول العلاوي في قصيدته " حير لي بالي " :

سرّ الحياة نور الصفات	حصن النّجاة دار السّلام
سرّ الحقيقة معنى الطريقة	العروة الوثيقة بلا انفصام
كنز المعاني سرّ الأواني	روح الأكوان قلت نعم
قدر عظيم سرّ عميم	برّ رحيم على الدوام (4)

و قول البوزيدي في قصيدته في بائبته :

أنا الكأس أنا الخمرة	أنا الباب أنا الحضرة
شرابي لي منّي	و سرّي في الأواني
	حاشا يكون الثاني
	أنا المحبّ أنا المحبوب
	أنا الشارب أنا المشروب (5)

فهنا إشارة إلى ذاته بوصفها الكأس الحاملة سرّ الألوهية و " الخمرة " الحاملة للروح الكليّة (6) ، فهو بها السرّ الذي حازه يكون قد وصل إلى مرتبة الولاية الصوفية التي توصله إلى الحضرة الإلهية ففي قوله " شرابي لي منّي " يقول مريده العلاوي: " أنّ الله تجلّى لقلبه فإذا ما

1 - قدور بن عاشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 44

2 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 133

3 - أيمن حمدي : " معجم المصطلحات الصوفية " ص 53

4 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 89 .

5 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 133

6 - ينظر أحمد العلاوي: " معراج السالكين و نهاية الواصلين " ص 13

صار هذا القلب مسكن الربّ فكيف يحتاج إلى الشرب ، فيصير الشراب منه و إليه " (1) فهو السرّ الذي يسري الكون لأجله كسريان الماء في الأغصان لأنّه بلغ مقام الغوثية و قوله " أنا الشارب المشروب " ، باعتباره مريد حالة سلوكه المقامات و القطب حالة الإتحاد بحقيقته صلى الله عليه وسلم و بلوغه المقام " فهو الشارب في البداية مشروب باعتباره النهاية . " (2)

و نجده في قصيدته " يا من تطلب و صلها " يختمها بقوله:

ابن البوزيدي لها	عبدا في طاعتها
صليت بإذنها	متمكن بحبّها
	طه مفتاح سرّها
	هو الممدّلها
	ناره زادت وقود
	محمد سيّد الوجود (3)

يريد الشاعر في هذه القصيدة الإفصاح عن حقيقة الذات الإلهية التي لا يصل إليها الصوفي دون الولوج في عالم الحقيقة المحمّدية ، و هذا ما أثبتته لنا منذ بداية القصيدة حتى نهايتها بحيث لا شراب لمن لا يكون شراب الحبّ المحمّدي، مذاقه و لا فناء في الذات الإلهية ما لم تكن الذات المحمّدية ذاته ، و لا لقاء دون اللقاء المحمّدي و لا سرّ سوى السرّ المحمّدي الذي هو سرّه عز وجلّ.

و قد عبّر عنها الشيخ عدة بن تونس في قصائد عدة منه قوله في قصيدته " يا صاحبي هل فزت به ":

أرجوه يحييني به	في سرّه و نجواه
ذلك الذي نعنيه	مؤيدا بنصره
	من لسره اصطفاه
	صلّ ياربّ عليه
	كالذي كان يرعاه
	صلاة تبدي رضاه (4)

فكلّ عبّر عن مفهومها حسب حاله و حسب درجة كماله " ، و هذا السرّ هو الأمانة التي عرضت على السموات و الأرض و الجبال ، فأبين أن يحملنها و أشفقن منها..... " (5)

ج - 6- مقام الجمعية: و سميت حقيقته صلى الله عليه وسلم بمقام الجمع و جمع الجمع لحصوله على جميع المعارف التي انفرد بها وحده صلى الله عليه وسلم و لجمعه الحقائق الكونية للوجود ، فإليه ترجع هذه الحقائق رجوع الفرع إلى الأصل (6) ، و هو مقام لم يتحقق بها غيره من الأنبياء " (7) و لأنّه بعث إلى الناس كافة بشيرا و نذيرا ، و كان ألطف الموجودات و أشرفها و أكملها لأنّه ظهر في مرآة الوجود بلا واسطة (8) ، و لكونه وحد القادر على الجمع بين الحقائق بين الواقع و المثال

1 - المرجع نفسه: ص 14

2 - المرجع نفسه : الصفحة نفسها

3 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 145

4 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 170

5 - عبد المجيد الصغير : " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي و ممارسة " ص 14

6- الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 3 ، موقف 367 ، ص 1151

7 - عبد الكريم الجبلي: " الكمالات الإلهية في الصفات المحمّدية " ص 104

8 - رفيق العجم: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " ص 651.

و هذه الجمعية هي التي تعطي للوجود معنى متكاملًا. (1) و لأنه جامع لما افترق في غيره فكانت روحانيته عليه السلام جامعة لأنواع الكمالات السابقة في تاريخ البشرية مع إعطائها صبغة واقعية و نموذج يحتذي به (2) و شريعته جامعة لجميع الشرائع و كتابه جامع لجميع الكتب و هو أيضا يجمع الناس على الله و يدلهم على الجمع و يحذرهم من الفرق فالله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحا كئيبة سماها حضرة الجمع و الوجود لكونه جامعا لحقائق الوجود. (3)

يقول البوزيدي موضحها في قصيدته " يا عاشق المعنى ":

محمد أصلي	به اجتمع شملي
فمن نظر نظمي	بعضي صار كلّي
	و ضاء مصباح
	ما يبقى في وهم
	ومن عرف اسمي
	يبشّر بالأرباح (4)

يشير الشاعر في قوله " به اجتمع أصلي " إلى مقام الجمع الذي بلغه حالة الفناء الصوفي بذاته عليه السلام لأن حقيقته هي " الكلمة الجامعة الفاصلة التي تجمع الإنسان في نشأته الإنسانية. " (5)

و قول الأمير عبد القادر على لسان الجمع:

أمتنا الحجاب فانما غيهُبُ السّوى	و زال أنا و أنت وهو فلا لبس
و لم يبق غيرنا و ما كان غيرنا	أنا السّاقى و المسقى و الخمر و الكأس
تجمعت الأضداد فيّ و إنني	أنا الواحد الكثير و النّوع و الجنس
فلا تحتجب بما ترى متكثرا	فما هو إلا شخصنا النزّه القدس
فما كنت ناظرا بنا أنت ناظر	إينا و إلا أنت أعمى به الطمس (6)

و في قوله على لسان الحقيقة المحمّدية أنه هو الواحد على المعمورة الذي اجتمعت فيه كلّ الأرواح و الذوات الإنسانية سواء كانت ذات نبوية أو بشرية ، فهي عنده هي الحدّ الفاصل. (7) فهو في هذه الرحلة الصوفية المعرفية يستضيء بنور القلب أثناء الإتحاد بمقامه عليه السلام .

ج - 7- القطبية الكبرى: و هناك من الشعراء من أطلق عليه " القطب " الذي لا يكون إلا له ، فهو قطب الدنيا و الآخرة و أهل الجنّة و النار و الأعراف ، فاقتضت الحقيقة الإلهية في علم الله سبحانه أن لا يخلق شيئا إلا و لهذه الملك فيه وجه ، يدور ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه ، لا يتعرف هذا الملك إلى أحد من خلق الله إلا الإنسان الكامل فإذا عرفه الولي علمه أشياء ، فإذا تحقّق بها صار قطبا تدور عليه رحي الوجود جميعه بحكم النّياية (8) فهو باطن نبوة محمد عليه السلام التي لا تكون إلا لورثته. (9) يقول عدة بن تونس في لاميته معبرا عنها بالقطب

1 - عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي و ممارسة " ص 175-176

2 - المرجع نفسه : ص 177

3 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 3 ، موقف ، 359، ص 1088

4 - محمد البوزيدي: " آيات المحبين " ص 135

5 - أبو الوفا التفتازاني: " مدخل إلى التصوف الإسلامي " ص 210.

6 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " ص 125

7 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ص 14

8 - محمد علي التهانوي: " موسوعة كشف اصطلاحات الفنون و العلوم " ج 1، ص 942

9 - رفيق العجم: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " ج 1، ص 763

نلت المقامات الكبرى شكر الوالي  
محمّد غوث الورى قطب الجمال  
بصحبة ذوي الشورى من الأبدال (1)

يا ذاكرا لك البشرى نلت المعالي  
فسبحان الذي أسرى بالفرض الغالي  
غنمت الأولى و الأخرى على التوالي

و قوله في قصيدته " الصّبح بدا " :

صلّ يا رقيب صلاة منيب من سرّ الحبيب على روحه  
جدّ الحسنين غوث العالمين قطب العارفين صلوا عليه (2)

و قوله في قصيدته " يا لائمي لا تلم " :

و كلّهم أقطاب كاملين  
ثمّ إلى الحسن القطب الزاهد  
عن القطب الأكمل جمع الجميع  
له الجزا بالرضا و الرضوان  
إذ هو باب حضرة الرحمن  
من بحر المعاني غارقين  
في الملك برهان له شواهد  
و برزخ البحار أصل النفع  
آل و صحب شمس العرفان  
و عنه كلّ أمداد العرفان (3)

و مقام القطبية هو أعلى المقامات التي يمكن أن يصل إليها السالك لطريق الله حتّى تدركه  
العناية الإلهية ، فيتصل بنبع الكمال و بذلك يكون نور الحق تعالى هو العين التي يرى بها . (4)

و من الشعراء من أطلق عليها تسمية " القطب " البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى " حيث يقول :

و الإذن قد أتى و الأمر يافتى  
لنفسى من أتى أقدم بلا منازع  
أتى بالإذن ساطع ترى الأمر واقع  
عن قطب الفلاح ما بين الملاح (5)

فمحمّد صلى الله عليه وآله عند البوزيدي هو أصل الوجود الذي نشأت عنه الخلائق و ظهرت ، و قوله أيضا  
على لسان القطبية في آخر قصيدته :

اسمي البوزيدي يا إخواني من قبيل الهادي ساقى الأرواح  
قل لا إله إلا الله فنّي محمد قطب الفلاح (6)

يعلن الشاعر بصراحة في حديثه عن القطبانية ، فجدّه يسمو بهذا المقام المحمّدي العالى إلى  
أعلى مقام لأنّه صاحب العناية الربّانية ، خصّته منذ القدم ، فعذا بذلك معدن الأسرار . و للقطب  
معنيين فهو قطب حسّي بمعنى الإنسان الكامل من ناحية كونه نبيا مرسلا ظهر بصورة النّبوة  
التي ليست إلا مظهرا من مظاهر الإنسان الكامل الذي ظهر أولا في آدم ثمّ في بقية الأنبياء من

1 - عدة بن تونس " آيات المحبين " ص 184

2 - المصدر نفسه : ص 173

3 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 149

4 - يوسف زيدان : " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " ص 19

5 - محمّد البوزيدي : " آيات المحبين " ص 135

6 - المصدر نفسه : ص 132 .



بعده ثم ظهر أخيرا في صورة محمد ﷺ ، ثم ظهر في صورة الخلفاء والأولياء ، و قطب معنوي بمعنى أنه القطب الأول ، أو قطب الأقطاب المتعاقبين من وجه آخر من ناحية أنه أول المتعاقبين في الأزمنة ، و قديم أزلي من حيث الحقيقة الروحية ، و إن كان حادثا من حيث التشخيص الجسماني. (1)

و يستشهد الصوفية بحديث الرسول ﷺ " ما زال عبيد يتقرب إليّ بالنوافل.. " الذي عدّه الصوفية المنطلق الرئيسي لفكرة القطبية و بلوغهم مقام الكمال.

يقول الأمير عبد القادر في قصيدته " توسلات و دعاء " (2) :

بِقُطْبِهِمْ أَحْمَدَ الْمُخْتَارَ مِنْ مَضِرٍ      وَ سَيِّدَ الْخَلْقِ أَمْلَاكًا وَ إِنْسَانًا (3)

يشير الأمير عبد القادر ففي هذا البيت إلى فكرة القطب باعتباره أكمل إنسان ، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كلّ زمان، و عليه تدور أحوال الخلق و هو يسري في الكون و أعيانه الباطنة و الظاهرة سريان الرّوح في الجسد ، و يفيض روح الحياة على الكون الأعلى و الأسفل و يسمى الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه. (4)

ج - 8 - اللوح المحفوظ: و هي مرادفة للنفس الكلية التي تفرعت منها النفوس الجزئية المدبرة للأجسام و الصور في العالم الحسيّ (5) " و هذه النّفس الكليّة خلفها الله تعالى للقلم الأعلى ليكتب فيها ، فخلق الله اللّوح الذي هو كلّ شيء ليكتب فيه وكان خلق النفس الكليّة و هو كلّ شيء وكلّ شيء هو الكتاب الجامع لجميع الكتب. " (6)

يقول عدة بن تونس معبرا عنها باللوح المحفوظ في قصيدته " ألف الله سيفي ":

عليه يدور الملك و الملاء الأعلى      و كلّ عبيد الله منه استمدت  
هو اللّوح لو لاح إلى النّاس نوره      هو القلم الذي قد جفّ لحكمة (7)

ج - 9- الإنسان الكامل : اتخذ مفهوم الإنسان الكامل عند الشعراء الصوفية أسماء عدّة منها: السيّد الكامل معلم الأدب ، و سيّد العارفين و الإمام ، و إمام المتوكّلين و إمام الخير و إمام المحبوبين، و إمام المعلمين و المؤدبين. (8)

ارتبط مفهوم الكمال في الفلسفة الصوفية الإسلامية مرتبط بمفهوم الجمال والجلال فهي مفاهيم مترابطة متكاملة ، فالكمال جليل وجميل، لكنّ الجليل والجميل ليسا كاملين بالضرورة لكنهما بالضرورة قريبان من الكمال، فالحق يتجلى في الجمال والجلال سمة للكمال المطلق فإلي

1 - عامر النجار : " الطرق الصوفية في مصر " ص 159 .

2 - القصيدة أنشدها بعد دعاءه لنصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا عام 1853

3 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق: العربي دحر ، ص 93

4 - محمد الأتور أحمد البلتاجي : " الله توحيد ووحدة " ص 185

5 - نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 102

6 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 2 ، ص 311

7 - عدة بن تونس : " ديوان آيات المحبين " ص 188

8 - فؤاد صالح السيد : " الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا شاعرا " ص 169

حقيقته ترجع الكمالات الإلهية رجوع الصفة إلى موصوفها. (1) لقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ

رَكَّبَكَ﴾ (2) فإن شاء في صورة الكمال فيجعلك خليفة " صورة " أي صورة الإنسان الكامل

لكونه أكمل مظاهرها و اختص وحده ﷺ بالأكمالية الكبرى فهو الأولى بها من كل واحد. (3) من حيث أنه آخر موجود من حيث الصورة الظاهرة هو مثل المثل ، و ليس للإنسان الكامل مثل ، فإنه ظهر للإنسان الكامل من الأسماء الإلهية ما لم يظهر بالعالم فكان من أسماءه صورة الإله ، فإنه مستعد للظهور بجميع الأسماء الإلهية على تقابلها و تخالفها كما ظهر الحق بها . فالعارف لم يدخل هذه الحضرة المحمدية و يقوم بأدبها حتى ترق عليه أنوارها ، فهي كمال الكمال فحقيقته هي حقيقة كل فرد من أفراد الوجود حتى إذا كشفت براقع وجهها و ظهر نور جمالها يتحقق العارف حينئذ بالحقيقة المحمدية. (4)

يقول البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى " موضحها:

محَمَّد يا صادق	يا بحر الحقائق
بك طابت حياتي	أنت مأوى العاشق
و بدا جمالي	بلغت الكمال
	يا طبيب الأرياح
	لأهل الصّلاح (5)

يريد الشاعر أن يوضح لنا أنّ مقام الإنسان الكامل آخر مقامات السالك فإذا وصل السالك إليها تحقق بالعبودية المحضة و العجز و الذلّ فعرف نفسه الأصلية التي بها يعرف الربّ فهي أعظم مطالب السالكين و أعلى منازل السائرين ، و أعز ما في الوجود عند الكاملين فإذا وصل العارف الصوفي إلى هذا المقام صحت له الوراثة و الإنسان الكامل لا ينصرف إلى الذات الإلهية من حيث الذات و إنّما ينصرف إلى الصورة الكمالية للأسماء و الصفات الإلهية و هو ما دلّ عليه الحديث القدسي: " كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ... "

ج - 10- الدّرة البيضاء: و هي حقيقته التي كانت قبل خلق السموات و الأرض فإذا بها " سبحانه و تعالى " صيرّها ماء فاضطربت أمواج فاجتمع في مدة اضطراب الأمواج كورم من الرّيد فبسطها على وجه الماء فصيرّها أرضا و خلق منها الطباق السبعة ثم خلق السموات بعدها .

يقول محمد بن سليمان في تائيته معبرا عنها بالدرة البيضاء :

لدى الدّرة البيضاء، حين تلاكم	لسان العيان في مقاعد خلوة
و في الدّرة الحمراء ، حيث جلاكم	على وجنات الوجه في كلّ وجهة
لدى عالم الإمكان ، في عرصة	بحيث الخيام و العقود الوثيقة (6)

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج3 ، موقف 368 ، ص 114

2 - سورة الانفطار: الآية 08

3 - المصدر نفسه : ج3 ، موقف 367 ، ص 1150

4 - الأمير عبد القادر الجزائري : "المواقف" ج1، موقف 106 ، ص 287

5 - محمد البوزيدي : "الديوان" ص 135

6- ينظر عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 359

و قول الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدته " أستاذي الصوفي " :

أفاعلموا شكرا جاد بالذي      هدنا و من نعائمه عمّنا اليسر  
و صلوا على خير الورى خير مرسل      وروح هداة الخلق حقّا و هم درّ  
عليه صلاة الله ما قال قائل      أمسعود جاء السعد و الخير و اليسر (1)

و في الأخير يمكن القول إن رؤية الشعراء لحقيقته عليه السلام في الشعر الحديث كانت بالنسبة لهم هي الحقيقة الكبرى للإنسانية المستخلفة في الأرض تستمد من هديها و نورها الأجيال شعاعا يضيء لها آفاق الحياة لإدراك الحقائق الكونية و الإنسانية .

# الفصل الثالث

### III- الفصل الثالث: الحقيقة المحمدية في الشعر الصوفي الجزائري المعاصر

1- المبحث الأول: حقيقة المحبة المحمدية

2- المبحث الثاني: الحقيقة المحمدية في بعدها الظاهري

أ- حقيقة مولده:

ب - حقيقة الصفات الخلقية و الخلقية

ج - حقيقة معجزاته

د - الأماكن المقدسة

هـ - حقيقة بطولته

3- المبحث الثالث: الحقيقة المحمدية في بعدها الباطني

أ - من ناحية صلتها بالعالم

ب - من ناحية صلتها بالإنسان

ج - من الناحية الصوفية

## 1 - المبحث الأول: حقيقة المحبة المحمدية

اجتهد الشعراء المعاصرين في بلوغ مقام المحبة المحمدية و الإتحاد بها و التفاني فيها لكونه صلى الله عليه وسلم سرّ المحبة الإلهية الذي استمد ها من الحقّ جلّ شأنه ، فالمحبة و المحبوبة له صلى الله عليه وسلم فهو المحبّ و المحبوب ، و بها يصل المحبّ إلى حقيقة العشق الإلهي إذ لا يتحقق الأول إلا بمتابعته للثاني و لا يستجيب الإتحاد بالأولى إلا إذا كان الإتحاد بالثانية قد بلغ المقام المنشود ، فكلاهما مكملّ للآخر حتى يتسنى لهما الوصول أعلى قمة الإتحاد .

و الصوفية في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا حباً لله عز و جلّ ، لأنّ حقيقة الحبّ الإلهي لا تستجاب حتى تستوفي شروطها في حقيقة الحبّ النبوي ، فلا تعارض لأن المحبة الإلهية تجلي من الله على الحقيقة المحمدية التي هي حجاب من حجب الله التي يرنو إليها كل صوفي(1). و هم انطلقوا من كلتا الحقيقتين لتصفوا أنفسهم حتى أصبح مدار إلهام لهم .

أ- الهوى : كثر الحديث عن هوى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في قصائدهم ، فالهوى ذو سلطان لأنه من العالم العلوي ، و هو استفراغ الإرادة في المحبوب و التعلق به في أول ما يحصل في القلب (2) ، و من الشعراء الذين عبّروا عن هواهم في الذات المحمدية محمد بن المبخوت(3) في قصيدته " رسالة استعطاف " التي تفيض بالمحبة المحمدية ، حيث يقول:

كأسَ الهوى و عهُودَ النَّصَابِي	مَضَى العُمُرُ يَا حَبِيبِي فَهَاتِ
و ذَا قَلْبِي فَاُمْلَأُهُ بِالسَّعْدِ و الإِطْرَابِ	هَذِي يَدِي بِالهَوَى مَمْدُودَةٌ
منه مَتِينِ العُرَى و الأَطْنَابِ (4)	مُحَمَّدَ فِي الهَوَى وَافٍ و العَهْدُ

يستلهم الشاعر في هذه القصيدة لغة الغزل العذري و أجواءه الخاصة ، متدرجا في ذكر صفات المحبوب من الحسية إلى التجريد ، فقد بدأت القصيدة بذكر الصفات الحسية ثم تدرجت في ذكر الصفات الروحية ، معبرة عن غياب روح الشاعر ، فهو في نشوة أثمرتها تجربته و هيامه في حضرة النور المحمدي ، و حالة اغتراب التي لولاها ما كان القرب .

و قول مصطفى الغماري (5):

أسائل في عينيك نجما تَوْضَأُ

بنار الهوى العذري حتى تضوءا (6)

يتساءل الشاعر في هذا البيت عن نور الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أشرق في فؤاده ، هذا الهوى نار اشتعل لهيبتها فأضاء في قلبه نورا و إشراقا لا يطفأه إلا الوصال.

1 - عاطف جودة نصر: " الرمز الشعري عند الصوفية " ص 360

2 - محيي الدين بن عربي: " لوازم الحب الإلهي " ص 81

3 -

4 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 27

5 - مصطفى محمد الغماري ولد عام 1978 أستاذا جامعي، له عشرون ديونا مطبوعة منها أسرار الغربة 1978 ، عرس في

ما تم الحجاج 1981 ، مولد نور 1997

6 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

كما عبر عبد الحفيظ بورديم (1) قائلاً:

يا سحر قافيتي أنت الهوى أبداً  
في كل رابية ألوانها وهج  
أرنو فيحيي نفسي النظر  
يشدو بحب النبي الطير و الزهر(2)

يهيم الشاعر هياما بجمال المحبوب وجلاله الذي لا يطيق عليه و لا يفيق منه إلا عند المشاهدة التي تحيي النظر ، لذلك ظلت ذات الشاعر متعلقة بالمحبوب تعلق حب و عبودية .

و قول محمد الشبوكي (3) :

تباركت الأنفس الطاهرا  
ت و يهواك كل فؤاد مطيع (4)

يبين الشاعر في هذه البيت لنا درجة المحبة المحمدية التي وصلت إلى حال صفاء النفس ونقاء القلب ، فطرحت أهواءها و فانخلعت عن شهواتها و أغراضها لتتحد بالطهر والصفاء و يبارك لكل نفس هي في هوى الحبيب ﷺ تائهة ، فهواه يشغل بال القلوب المؤمنة و المطيعة له ﷺ " لأن من بعض مطالب الهوى موافقة المحبوب فيما يريده المحبوب . " (5)

و قول محمد الفاضلي (6) في نونيته :

في فؤادي ما وهبت الحنان  
يزهر العمر بها هنا الفل زاه  
يتهادى فتورق الألحان  
و يُناغِي نَسْرِينَهُ الرِيحَانُ  
إن أشاحت عن الهوى أوطان  
صاحباه الهجير و الحرمان(7)  
أنت لي واحة أفيء إليها  
ما أنا دون نعيماتك ؟ ضعت

يمثل الشاعر هنا الذات المحبة التي حلت في محبوبها النبي ﷺ ، فقد أضحى فؤاده يعزف الألحان ، و روح المحبين هي في حنين دائم إلى عالم الروح الكل ، فمثل لغته الغريبة في حال اتحاده ، حيث رفعت منها تاء المخاطب بينه وبين محبوبه ، وصارت تنطق بلسان الوحدة لا التعدد.

**ب - السود :** وقف الشعراء المعاصرين على حقيقة السود التي تحدث في الفؤاد نورا و التي لا تتحقق إلا بالوصول إلى العالم النوراني ، لأن هذه أعلى لذة ، و من الشعراء الذين عبروا عنه مسعود بورصاص (1) من ذلك قوله في قصيدته " العروبة " التي يشير فيها إلى إلى حب العالم لمن كان سببا في خلق العالم :

1 - أستاذ بجامعة تلمسان

2 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 10

3- هو محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو الشبوكي ، من أسرة آل الشبوكي الحميدية و من قبيلة النمامشة ، ولد سنة 1916 بمنطقة التلجيات ، ولاية تبسة

4 - محمد الشبوكي: " ديوان ذوب القلوب " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ص 204

5 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحب الإلهي " ص 44

6 -

7 - محمد الفاضلي : " وردة للغريب " دار إحياء للصحافة ، القبة ، 2007 ، ط1 ، ص 29

كَمْ وَدَّتْهُ أَفئِدَةُ الْأَنْامِ  
وَمَجْدُهُ فِي الْعُلَا غُلْبَ الْعَمَامِ (2)

يشير الشاعر في هذه القصيدة إلى المحبة الخالصة للحبيب محمد ﷺ و ثبات سلطانها و هذه المحبة سكنت قلوب الكلّ ، خاصة أولئك الذين قرّت أعينهم بالحبيب و سكنت إليهم نفوسهم و أطمئنت قلوبهم بها و استأنسوا بقربها و تنعموا بمحبتها ، فكلّ مخلوق في الوجود إلّا و يحمل في قلبه و لو بذرة حبّ .

و قول مصطفى الغماري معبرا عن ودّه بالوصال قائلا :

فدون اللقاء صعب تنهد جدران  
و دون الوصال العذب تنقد قضبان (3)

و الودّ المحمّدي عند الشاعر لا يحلوا إلى بالوصال و اللقاء ، ففي وصاله عنوبة و رقة فهي متباينة في مدى قدرة كلّ منها على محاكاته في أرقى درجاتها في صورة النّبي ﷺ فتصبح هذه الذات كالمرآة المنعكسة (4) فقد درج الشاعر على الوقفة الصوفية مع المضامين الوجدانية ، فقصيدته هي جزء منه في سياق الودّ و ظروف ، كما يصور إصرار الذات الصوفية على التصدي لها ، والعزم على خوض مغامرة ، و تسامي الذات و التضحية بكل نفيس ، من مبادرة الدنيا وفانيها ، من أجل الرقي و التسامي إلى الدرجات العلا لتحقيق العودة الاختيارية .

**ج - الحُبّ :** عبر الشعراء المعاصرين عن حبّهم للحبيب المصطفى ﷺ خير تعبير لكونه " الإنسان الكامل " في الوجود الذي استأثر بكامل المقامات و الكمالات الموصلة إلى أعلى حال في الحبّ الإلهي و لذلك فهو المحبّ المنفرد و المثالي في حبّه لله من دون سائر الخلق (5) ، فقد أودع الله في قلب كلّ مؤمن الحبّ فأدرك منذ القدم أنّه من حوله قوة خفية عظيمة تحيط به ، فاتخذوا هذه القوة عشيقة لهم ، و من الذين عبروا عن حبهم الشاعرة جميلة عظيمي زيدان(6) في قصيدتها " لا يئلم البدر " بالحبّ إذ تقول:

أحِبُّكَ لِأَثْنَيْنِ فِيكَ تَجَمَّعَا      وحيّ أتى و رفّع دون إخفاق  
و حُبُّكَ يَزِدَادُ تَأَلَّقَا      ما دامَ ذكركَ عقداً بأعناقِي  
و ذكركَ يَغْنِيَنِي عن كلِّ ذكُرٍ      أنأى به فيغثوي السّهو أعماقي (7)

تعالج القصيدة هي الأخرى ألم الحبّ المحمّدي ، التي بلغت و هي ثاني درجات المحبة المحمّدية بعد الهوى ، فهي و إن لم تصل إلى مرتبة الكمال و الاتحاد حالة الهيام فإنّها

- 1 - ولد بقالمة في جوان 1962
- 2 - مسعود بورصاص: " وجد و تأمل " دار القصة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2006 ، ص 92
- 3 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 90
- 4 - عبد الحميد مفتاح: " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " ص 110
- 5 - أسين بلاثيوس: " ابن عربي و حياته و مذهبه " ص 288
- 6 - ولدت بالمهجر التونسي ، أستاذة الأدب الانجليزي بجامعة العلية .
- 7 - جميلة عظيمي زيدان : " أزهار اليأس " موفم للنشر ، الجزائر ، دط ، 2007 ، ص 27



استطاعت أن توظف ألفاظها و تعطينا معنى شاملا عنها. فهي في حالة قيد التي حاولت الفكك منها لولا الحبّ المخلص الذي ظلّ بأعناقها مادامت هي متعلقة بذكره ﷺ. فقد ابتدأت الشاعرة بالحبّ الوجداني لتنتهي إلى الحبّ الروحي ، و أغلب الظن أن شعراء الصوفية - كما يرى زكي مبارك " ابتدءوا حياتهم بالحبّ الحسيّ ، ثم ترقوا إلى الحبّ الروحي " (1) ، و القصيدة في جوهرها منبثقة من لظى الحبّ المحمّدي .

فحبّ الشاعر قدور رحمانى (2) في قصيدته " غلال النّبىّ محمد ﷺ " لهذه الذات الصفيّة أسكنه العذاب حتّى بات هذا القلب عليلا يرجو الثواب ، يقول مفتتحا قصيدته :

من وجنتيك نقاء الحبّ قد شربا      حتّى تحوّل صباحا ينبت العنبا (3)

و يواصل في الإفصاح عن حبه مقررنا ذلك بالشكوى عن حال البعاد:

كلُّ النُّجُومِ الَّتِي أَحْبَبْتَهَا غَرَبْتُ      وَ نَجْمُ حُبِّكَ عَنْ عَيْنِي مَا غَرَبَا  
الشَّوْقُ يَأْكُلُ مَنْ تَفَاحَ أوردَتِي      وَ مَنْ شَرَايِينَ قَلْبِي يَنْسُجُ الشُّهُبَا  
يا سيّدي ... لَعْتِي سَوَطٌ يُعَذِّبُنِي      فكمْ كتابٍ على ظَهْرِي قد انْكَتَبَا (4)

أضفي الشاعر في هذه الأبيات هالة من الحبّ الفاني الذي نسجت خيوطه من خلجات نفسه و لمعات قلبه ، و هذا الحبّ كلّما زاد شوقا و حنيننا زاد تألقا و بات يضيئه ، و كلّما زاد التهابا زاد احتراقا ، و مما زاد من لوعته اقتتران هذا الحبّ بالشوق ، فالشوق كما قال أحمد بن عطاء الله السكندري : " احتراق الأحشاء و تلهب القلوب تقطع الأكباد " (5) فهنا يشكوا ألم الفراق و الهجر طالبا لذة التلاق ، و الشوق حركة روحانية إلى لقاء المحبوب و هو أبرح ما يكون إذا أبصر المحبّ . (6)

يقول مصطفى الغماري معبرا عن حبه :

لعلّ رآه البيض تأسوا فأبرأ  
تملي مناجاة الحبيب فأقرأ !! (7)

يتمنى الشاعر و هو في حضرة المحبوب أن تشرق شمس أنواره عليه و الإحساس بنشوة الحضور كالمشاهدة ، و المخاطبة ، و مطالعة جمال وجه المحبوب البدرى تارة و الحسن الذاتي تارة أخرى ، و كالإعلان الصريح عن الزيارة و الوصال و طلوع الهلال و نوال أعلى الرتب في الحضرة ، و بذلك الاتحاد و الامتزاج حتّى تحصل له المعرفة ، و تتجلى الحقيقة للمتصوف ، لأنّه شرب من معين الحقيقة أو المحبة ، " فهو العارف والمعروف

1 - زكي مبارك : " التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق " ص 248.

2 - من برج بو عريريج ، أستاذ بجامعة المسيلة.

3 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " منشورات أرتيستيك القبة، الجزائر، ط1، 2007. ، ص 11

4 - المصدر نفسه : ص 12

5 - عبد الكريم القشيري: " الرسالة القشيرية " ج 2 ، ص 330

6- محيي الدين بن عربي : " لوازم الحبّ الإلهي " ص 57

7- مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

وهو المحبّ و المحبوب ، وهو الكلّ ، فكلّ وجود حقيقي وجوده وكلّ شهود شهوده " (1) فقد صار هو نفسه حقيقة .

و قول عبد الحفيظ بورديم :

بحبّه يمسح الأحزان شاحبة و يبذر فرحة الخضراء تنتشر (2)

نجد في هذا البيت مسحة الحزن التي لا تزول إلا بالهيام فيه و التفاني في حبّه ، فحبّه ينشر الفرح و البهجة و السرور في القلوب و يزول الحزن و الهم و الغم .

**د- العشق :** عشق الشاعر المعاصر محمد عليه السلام عشقا خالصا أفناه عن الكلّ سواه عليه السلام فالعشق هو " إفراط المحبة أو المحبة المفرطة ... فإذا عمّ الحبّ الإنسان بجملته وأعماه عن كل شيء س لقيام هبه ، و قريبا من المحبوب لتعلقه به و محبوبه ، وسرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه ، وقواه وروحه ، و جرت فيه مجرى الدم في عروقه ، ولحمه وغمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجود ، وعانقت جميع أجزائه جسماً وروحاً ، ولم يبق فيه متسع لغيره ... حينئذ يسمى ذلك الحبّ عشقا " . (3)

يقول محمد بن مبخوت في بانئته معبرا عن عشقه :

لستُ في الهوى دَعِيًّا و لا مَلُولًا      أنا العاشِقُ دوما رَغَمَ اغْتِرابِ  
فعدُّ إليّ بوصالٍ فالوَصْلُ حَيَاةٌ      فأحْيِيْنِي بِالْحُبِّ يَا وَجِيْدَ أَحْبَابِي (4)

يرتقي الشاعر من درجة " الهوى " إلى درجة العشق ، فبعد أن تمكن الحبيب من قلبه وجوارحه ، بحيث نجد نفسه تفنى عن أوصافها فناء تستغرق معه في ذات المحبوبة طالبة منها الوصال و ينتهي بها هذا الوصال إلى أن ينكشف لها من الأسرار ما لم ينكشف لها من قبل ، حتّى تحببها من جديد ، فهي في حالة تجردها عن أوصافها تستطيع أن تشهد في حالة الفناء أنها عين محبوبتها ، و الحبيب قريب من الحبّ ، لأنّه الذي يتعلق به ، فالحبّ قريب من المحبّ . (5) ، فذوق المحبة المحمّدية ، و مكاشفة الصوفي للتجليات النورانية ومعرفته بحقائقه عليه السلام يؤدي إلى اغتراب عن الكلّ سوى الحضرة المحمّدية .

و يواصل في وصف عشقه فيقول :

أنا العاشِقُ لا أفِيْقُ من سَكْرَةِ      الهَوَى الهَوَى كَأَسِي و شَرَابِي  
العشِقُ قَبْلَتِي فهَلْ يُزِيلُ      الهَوَى حَوَاطِرَ الشُّكِّ و الارْتِيَابِ (6)

فالذات الشاعرة العاشقة وصل بها قمة العشق إلى السكر ، و هي مرتبة لا يبلغها إلا الصوفي

- 1 - ابن الدبّاغ : " مشارق أنوار القلوب " تحقيق هـ. ريتز، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، 1905، ص 103
- 2 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 11
- 3 - سعاد الحكيم : " المعجم الصوفي " ص 303.
- 4 - محمد بن مبخوت : " قلب شاعر " ص 27
- 5 - محيي الدين بن عربي : " لوازم الحبّ الإلهي " ص 43
- 6 - محمد بن مبخوت : " قلب شاعر " ص 28-29

الفاني في ذاته عليه السلام فبات هذا العشق هو القبلية المرشدة كل وقت ، و هو في سكره هذا في حالة حيرة من أمره " ، و هذه الحيرة التي لزمت الهوى ، و اتصف بها كل من اتصف بالهوى. (1)

و هذا العشق أيضا عبّر عنه رجال نسيم ، فهو في عشقه لهذه الذات ما هو إلا تعشقا به عليه السلام ، يقول معبرا عنه :

هَلَّا حَمَلْتُمْ بَيْنَكُمْ مَتِيْمًا      قَلْبُهُ عَالِقٌ بِثَوْبِ أَسْوَدٍ  
هَلَّا أَخَذْتُمْ عَائِشًا فَوَادُهُ..      يَطُوفُ بَيْنَ كَعْبَةٍ وَ مَسْجِدِ (2)

يصرح الشاعر مدى عشقه لذاته عليه السلام علّه في هذا التصريح يطفئ شيئا من ضمئه فالشوق يكوي فؤاده ، فإذا بالمحبّ و هو الذات الصوفي ، وإذا بالمحبوب هو الذات العلية و إذا بالمفردات الأخرى تتحول دلالاتها في سياقهما تلقائيا من الشوق الحسي إلى شوق الذات الجزئية أو الأمانة المركوزة في الطباع البشرية إلى الذات الكلية ، على سبيل التجاذب الروحي ، فالشاعر لم يستطع كتمان حبه لذا نجده في هذا النداء يصرخ بصوت مرتفع وينادي من يحمله إلى حيث مثوى الحبيب رغبة منه في الخلاص من ناره المتقدة .

كما نجد عبد الحفيظ بورديم يطرزها بمقام العشق في قوله :

أغنية للورى يشدوا بها الوتر      من عين عاشقة ما عابها بشر  
و الكون أنشودة ليلي لها نغم      و الجنّ تخضع إذ ترقى بها الصور (3)

ينشد الشاعر أغنية للعالم التي يعزف ألحانها العشق المحمّدي ، فمحمد عليه السلام أنشودة في هذا الكون يتغنى بها كل ذات عاشقة و حتى الجن تخضع لها ، فهم في عشقهم في ترقى دائم

و هذا العشق عند الشاعر بلقاسم خمار (4) في قصيدته " إلى شباب أحمد " متجدد متجدد و متجدد ، حيث يقول:

و نَبِيْنَا خَيْرِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ      هُوَ عِزَّنَا ... هُوَ حُبَّنَا الْمُتَوَقِّدِ  
مَهْمَا تَبَاعَدْتُ السِّنُونُ فَعِشْقُنَا      لِنَبِيْنَا ... مُتَجَدِّدٌ ، وَ مُتَجَدِّدِ (5)

يطرز الشاعر في هذه القصيدة عليها مقام المحبة المحمّدية الذي يصل إلى درجة الحبّ تارة و العشق تارة أخرى ، بحيث نجده يقرن الحديث عن السيادة بالحديث عن العشق المحمّدي الذي استولى على القلوب ، فكما أن السيّد محبوب في أهله ، فكذلك العشق سيّد في

1 - محبي الدين بن عربي : " لوازم الحبّ الإلهي " ص 45  
2 - رياض رجال نسيم : " صخور الحنين " منشورات التفاحات ، وهران ، دط ، 2007 ، ص 163 .  
3 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 09  
4 - هو محمد بلقاسم خمار من مواليد مدينة بسكرة ، ولد سنة 1931 .  
5 - بلقاسم خمار : " الديوان " ج 1 ، أطفالنا للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 297

القلب و مستولي عليه ، و من الواضح أنّ الشاعر من المولعين بحبّه ، إلى درجة تعبيره ب " العشق " لأنّه أعلى درجة في الحبّ الخالص ، و القوة السحرية التي تتغلغل في نفوس المحبين أملا أن يكون حبّه للحبيب المصطفى ﷺ هو الطريق الموصلة للحبّ الإلهي وسعيا منه إلى طرح قيم روحية جديدة تعتمد مبدأ المواءمة بين واقع الذات الإنسانية ورؤاها الروحية من أجل خلق عالم جديد منسجم مع ذاته.

كما عبرت عنها جميلة عظيمي زيدان فتقول :

فذاك الذي أئمنه الله مصطفى      و أنعم بالهدى رضى الخلاق  
و ذاك الذي سار طوعا      يودّ لطيف حكمه في العشاق (1)

و هذا العشق المحمّدي عند عظيمي زيدان الذي أئمنه الله في قلوب المحبين هو هدى و رحمة لهم ، فبه ينال رضى الخلاق ، فرضا الله هو رضا الحبيب ﷺ و طاعته هو طاعة المصطفى ، فبقدر حبّ محمد ﷺ يكون حبّ الله عز و جلّ .

و يزيد من تعبيره عن هذا العشق قدور رحمانى في قصيدته " أقبلي " ، يقول :

رفرقت داخلي غذارى هديلي      كقطيع البروق يجرف سَيْلا (2)

فالشاعر هنا في حالة اتحاد بالذات المحمّدية ، حيث نجده يصف ما يحدثه العشق المحمّدي في ذاته ، إذ نجدها تجرف كل ممن تجده أمامها من مشاعر الهوى و العواطف و الأحاسيس كقطيع البروق الذي يجرف كلّما وجده في طريقه من أنهار و وديان ، و هو في هذا التصوير يريد أن يبين لنا أن سبيل العشق المحمّدي ليس أمامه العوائق التي توقفه عن إرادة العشق ، فكل ما هو سبب في طريق السعادة الأخروية فهو مباح .

و يواصل تعبيره في ظلّ هذه المشاعر الدافئة و المتوهجة بالعشق فيقول:

في وريدي حنان كلّ السواقي      قدّ تعرّى على البساتين فلا  
طفلة الكأس حلوة حين تجري      في جفوني ، لكن كأسك أحلى  
كُنْتَ لي أنت كُنْتَ كلّ أوانٍ      نغماً ما طرّاً يعانق طفلاً (3)

فالقارئ لهذه الأبيات يكشف مدى إصرار الشاعر على حبّ النبي ﷺ و مقدار تفانيه في هذا الحبيب ، فهو هنا في بداية الاتحاد يشهد المحبوب متجلّيا في كل مظاهر الوجود المتعددة و في أبهى حلّة ، ثم يترقى عن هذا الحال إلى القول بأنّ صار و محبوبته شيئا واحدا ، حين يقول " حين تجري في جفوني " فصار وجوده عين وجود محبوبته ، فهذه المحبة محلها العبد الباحث عن الوجود الذي يكشف فيه صورة الحبيب المصطفى ، وهو في تطلعه للحبيب المصطفى ﷺ انقبضت نفسه و هابت و اندهشت بعظمته و انبسطت و أنست

1 - جميلة عظيمي زيدان : " أزهار اليأس " ص 25

2 - قدور رحمانى : "ثروة عمري " منشورات أرتيستيك القبة ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 12

3 - المصدر نفسه ص 128

بقربها من هذا النور السرمدى بعد غيابه الذي زاد من حدة الشوق و الوحشة. وهنا تكتمل حقيقة العشق المحمّدي عند الشاعر باقترانها بالفناء ، حيث نجد الشاعر يلغي وعيه لذاته و يوقظ وعي جديد ، وهو وعي ذات المحبوب الرّوحي ، فلا يجد صاحبها مخرجا إلا عبر سلوك طريق المحبة المحمّدية التي هي خير مخرجا .

هـ - الوجد: هو لهيب ينشأ في الأسرار ، فتضطرب الجوارح طربا أو حزنا عند ذلك الوارد ، و هو ما عبّر عنه قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع " ، ففي هذه القصيدة نجد إحساس الشاعر المتوهج منذ العنوان ، حيث نجده يعبر عن المحبوب الذي يريد وصاله و لقاءه ، وهو حبّ خفيّ تراكم إلى أن بلغ الذروة فانفجر مشتعلاً متوهجاً بالدموع ، حيث نجده يذوب في هذه الأبيات فيقول :

ينزف عاشقان من خلاله  
كسرتُ صدرَ الأفق حين حَضنتُهُ  
أُنسابُ في حرِّ الفجائع ناسياً  
دربي الذي حيرته و حصاني  
و أنشَقَّ لي في حُضنِهِ ضِلْعَانِ  
و حُدي أرْتِلُ سُورةِ النسيانِ(1)

في وجد الشاعر حرقة و لوعة للذات المحمّدية ، الذي أوصله إلى حالة الإتحاد بها ممّا جعل الصورة مكتملة بعد لقائه بالرسول ﷺ و هي نظرة صوفية فهو لا يكتفي باللقاء و النظر بل يجعل لحقيقته أكثر حضورا في الواقع ، فهو في وصفه له يبالغ لدرجة رؤيته في اليقظة ، و ذلك أثناء بلوغه مرتبة الإتحاد وذلك حتى يجعل من وصفه صورة متحركة أثناء لقائه و تحضينه ، و هو ما عبّر عنه بقوله " حضنته " حين وصل في اتحاده إلى صحو الجمع إنّما يظهرنا على أن هذا الاتحاد هو أسمى وأرقى و أنّ لما انكشف له باطنه وجد أنه أصبح والمحبوبة شيئا واحداً.

و يزداد طغيان الأسى عليه لأنه أمام الموت الحقيقي و الانفعال الداخلي حتّى يصل درجة السكر والانتشاء بالمحبة ، و هنا يتوحد الشاعر مع عمق الذات النبوية فيحيا فيها بل يولد من خلالها ولادة جديدة ، وهذه الولادة تعني تحقيق الوصال ، حيث يقول :

صمت يفتت في دمي خفقاتي  
ليس الذي يُنأحُ غيماً داميّاً  
مثل الغروب على ذرى الهجران  
فوق الدُروبِ و إنّما ذوباني(2)

يصور الشاعر بعض العوائق والمثبطات التي تحول بين الذات المحبة والذات المحبوبة وتثني العزم على خوض مغامرة المحبة من أجل العودة إلى المحبوب ، و منهم من يجعل من الموت عنواناً فيكثررون في شعرهم من ذكر موت المحبين " الموت الاختياري " الذي ينبغي أن يكون عليه السالكون لدرب المحبة قاصدين الموت في مفهومه الصوفي " إماتة تعلقات النفس " و في مفهوم العام لا تخرج عن الإطار العام لتهاويل الشعر الصوفي ، فهي مبالغة في القرب و الامتزاج حتّى يجعل من هذا الوصف صورة متحركة ، فلا حبّ حتى يذوب المحبّ حباً في المحبوب.

1 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 94

2 - المصدر نفسه : ص95

و يزيد من وصف هذه المحبة لهذه الذات التي أسالت الدموع ، فلم تجف دموعه إلا بالوصال المأمول و الإتحاد بذات المحبوب فيقول :

أَمْشِي مَعِي وَحْدِي ، أَفَكَكُ شَارِعًا      هَرَمَ الْأَضَالَعِ ، أَبُكَمَ الْأَخْضَانِ  
تَنْمُوا عَلَى قَلْبِي سُقُوفَ خَنَاجِرَ      وَ تَطُلُّ مِنْ عَيْنِي مَقْبَرَتَانِ(1)

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أنّ شعر المحبة المحمّدية قد أضحى خير أنيس و جليس في عصر ثورة العواطف و المواجيد ، حيث نجد الشاعر هنا يشكو حالة الوجد و الشوق التي أصبح من بعادها هرم الأضلع ، سقيم أبكم لا يرجوا سوى احتضانها و لا يمشي سوى معها ، راجيا أن تعطف عليه من حنانها و فيوضاتها النبوية ، فهو في حيرة من أمره و حالة معاناة ، و هي ملمح أساسي في تجربة الحبّ مطلوبها الرؤية بعد أن أذابت الأشواق وجدانه و أحرقت أفئدته ، فهذا العشق رغم ما فيه من متعة و لذة تصل أحيانا إلى استعذاب الألم و الهجر و السقم في سبيل المحبوب . فلما غاب شخصه <sup>سالت</sup> عنه و رحل تذكرت النفس ليال الأنس به ، هام المحبّ في بطون الأودية و قمم الجبال شوقا لجماله و هيمانا في ذلك الإذلال .

و يقول أيضا :

فِي كَفِّكَ الْيَمْنَى قِيَابَ مِنْ نَدَى      وَ عَلَى الْيَسْرَى سَرِيرَ أَغَانِي  
عَيْنَاكَ سَاقِيَتَانِ أَشْرَبُ مِنْهُمَا      لَا بَلْ هُمَا نَسَقٌ مِنَ الْقُرْآنِ  
لَا يَسْتَحِمُ الْقَلْبَ إِلَّا فِيهِمَا      كَعَشِيَّةٍ تَرْتَاخُ فِي بُسْتَانِ (2)

فالشاعر هنا في دهشة من أمره مما ورد عليه من منازل الأحبة ، فقد جرد المتكلم " القلب " من ذاته ، وجعله مفارقاً له عن بعد ، ثم أجرى الخطاب عليه وكأنه ذات منفصلة عنه ، وذلك قصد المبالغة في تصريف صفة الوجد والتعلق الشديد بالآخر ، و وجه المبالغة في ذلك جاء من كون المتكلم بلغ من الاتصاف بتلك الصفة " الوجد " ، إلى حد صحّ معه أن ينتزع من نفسه موصوفاً آخر يتصف بتلك الصفة نفسها كما نجده أيضا يصور لنا حالة نشوته و سكره عن الذات أثناء اتصاله بالذات المحمّدية " لأن السكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد (3). فالسكر عند أصحاب المواجيد لا يقتصر على القوائد ذات الطابع الخمري فقط بل يتعدى ذلك عندما يأخذ الصوفي الحال فيتكلم بلسان الحقيقة المحمّدية.

و من هنا يتضح لنا أنّ المحبة المحمّدية عند الشعراء المعاصرين أخذت طابعا أبعد و أعمق تجاه صاحب الرسالة هو حبّ يتجاوز العاطفة المحدودة نحو شخصيته التي كانت تقوم على الإيمان به كمبعوث أعظم أضاء الدنيا بوجوده ، فلا نجده يخرج عن حالتين : حالة وصل و حالة فصل ، فهو إما في غياب تام عن المحبّ ، حيث نجد الشعراء يفرون إليه يتلهفون وميض من تعابيرهم و هي ما تمثله حالة الفناء ، و الإتحاد في ذات المحبوب حيث

1 - المصدر نفسه :الصفحة نفسها

2- المصدر نفسه: ص 96

3 - عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية " ج 2، ص 38 .

نجد الشاعر يحاول أن يقلد الرسول ﷺ في كل ما أثر عنه ، و إما حضور و قرب منه غير أن صفة الغياب هي الغالبة على شعرهم ، ذلك أن مجمل قصائده تمثل الهجر و الصدّ أكثر ممّا تمثل الحضور ، فهم في ترديدهم لهذه النغمات تائهون يبحثون عن معشوقهم وهذه المحبّة في أعماق معانيها هي تحرر الإنسان من قيد الوعي ، ارتقاءً نحو المقدس ، فأضفوا على قصائدهم هالة من القدسية عندما بلغوا مرتبة الكمال .

## 2- المبحث الثاني: الحقيقة المحمدية في بعدها الظاهري:

كثر الحديث عن حقيقته صلى الله عليه وسلم الظاهرة في الشعر الجزائري المعاصر، خاصة لما أحس الشعراء أنّ ثمة روابط وثيقة بين تجربتهم و تجربته ، فكلّ من الشاعر و النبي يحمل رسالة إلى أمته فرسالة النبي رسالة سماوية ، و رسالة الشاعر رسالة ثورية تقوم لاستنهاض القيم و الهمم وفق منظور إسلامي محض، ينطوي على رؤية عميقة للواقع فكلّ منهما يتحمل العنت و العذاب في سبيل رسالته لذلك عبّروا من خلالها عن بعض أبعاد تجربتهم (1) مركزين مركزين على فكرة الدفاع عن الدين و نصرته و تحقيق المبادئ الإسلامية التي تلاشت و اندثرت بسبب الاستعمار وكادت شعلته تنطفئ في النفوس. (2) و تتجلى حقيقته الظاهرة فيما يلي :

أ - حقيقة مولده : عبّر الشاعر المعاصر عن حقيقة مولد هذا النور ابتهاجا بلوائح النجاة بحثا عن ميلاد جديد متشبها بالحقيقة العليا ، سائحا في عالمه الروحي ، ومما زاد تحريك قرائح الشعراء و تأجيح عواطفهم الدينية ما أصاب العالم الإسلامي من التخاذل و الوهن و انحلال الأخلاق ، حيث كانت تائهة في عالم الغفلة، فاستدعوا حقيقته صلى الله عليه وسلم تعبيرا لهم عن ميلاد الخلاص من هذا الوضع المزري للنهوض بعزائم المستضعفين و نصرة قضايا المظلومين ، لأنه " لا يوجد أقدر منه في حلّ المشكلات و إنارة الظلمات " (3) وكثيرا ما تأتي قصائدهم لتصوير حالة الشعب وما يعانيه من ظلم، من ذلك ما عبرت عنه قصيدة " هلال ربيع " للشاعر محمد الشبوكي ، إذ يقول في مطلعها:

تألّق في أفقه كالملاكِ      و أعلى للناس شهرُ "ربيع"  
و يذكر مولده خير نبيٍّ      أتانا بدين كغيثٍ مُريعٍ  
فأشرق في الأرضِ نورَ السماءِ      و حلّ مكانَ الشتاءِ الربيعِ (4)

يسمو الشاعر في هذه الإطلالة النورانية بمولده إلى الأفق الإشراقي ، حيث نجده يقرن الحديث عن الشهر الذي ولد فيه بفكرة النور، و كيف أشرقت الأرض نورا و ضياءا و كيف أزهرت الشتاء فأضحت ربيعا لخير رضيع ، فهنا إشارة إلى نور الحق و الهداية التي صحبت مولده و كيف تجعل من الضلال نورا ومن الحق عدلا ، و غرضه من ذلك تبيان حقيقته المولودية . و يواصل في استنهاض الهمم و يستدعيهم إلى طالب الثأر لاسترجاع الكرامة فيقول:

فهل أن للعرب أن يثأروا      لمجد عفا و اختواه الصقيع؟  
وهل أن للمسلمين اتّحادٌ      يُطهر رجسَ الخلافِ الشنيع  
متى يا هلال تعودُ شعوبٌ      إلى نهجنا رغم كلّ خليع؟  
بربك قل لي فأنت شهيدٌ      يُصدّقهُ كلّ راءٍ سميعٍ؟ (5)

1 - ينظر علي عشري زايد: " استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر " دار الفكر العربي القاهرة ، 1997 ، دط ، ص 77

2 - عبد الله الركبيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 440

3 - محمد الغزالي: " الغزو الثقافي يمتد في فراغنا " الزيتونة للإعلام و النشر ، تونس، دت ، دط ، ص 16

4 - محمد الشبوكي: " ديوان نوب القلوب " ص 204

5 - المصدر نفسه: ص 204



تمثل هذه الأبيات الغاية من القصيدة ، حيث نجد الشاعر يدعو العرب عامة الشعب الجزائري خاصة إلى الاتحاد للدفاع عن شريعته و الكفاح في سبيل العزة و الكرامة بعد أن تفرق شملهم رغبة منه في عودة أيام المجد و الرفعة التي عاشتها العروبة زمن الحبيب المصطفى .

و من الشعراء الذين عبروا عن حقيقته المولدية أيضا الشاعر بلقاسم خمّار في قصيدته " إلى شباب أحمد " و التي يقول فيها :

من قبل مولده عليه صلواتنا      و الغيظُ يُلهبُهُمْ و جاءَ المولدُ  
و استبشرتُ البريَّةَ حينها      إلا الأرزالُ كُنكبُوا و تَنَكَّدُوا (1)

فهنا إشارة إلى الإرهاصات التي جاءت قبل مولده ، و التي بشرت بها الأحبار من اليهود و الرهبان من النصارى بما وجدوا في كتبهم من صفته و صفة زمانه. (2)

و قول الشاعر محمد بن مبخوت في قصيدته " المولد النبوي " التي يقول فيها:

يأروحي تيهي سُروراً و أسعدي      فهذا هلالُ السُّرورِ و الحُبورِ و المولدِ  
فيا شهراً اليُمنِ إننا إليك نر      نُوبشوقُ كالنُّورِ على سناه نَهتدي  
و يا قلبُ هذا مولدُ الحبيبِ هذا      يومَ ميلادِ الشفيعِ لنا محمّدِ  
فيا أمةَ الإسلامِ هذا يومُ      السُّرورِ فقومي بشكرِ الله و اسجدي (3)

نجد الشاعر في هذه الأبيات يفيض في وصف هذا اليوم البهيج ، و يسبغ عليه كلّ الصفات التي تليق بمقامه العزيز ، بحيث نجده يعبر بكلّ صدق عن حقيقته ﷺ لتسمو بنفسه حيال مصاعد الرّوح و الرقيّ و الأخلاق و النّصر ، فلم يبق أمامهم سوى التبشير بمولده الذي عدّوه السند لتحقيق آمالهم المنشودة و معاولا قويا لهمومهم و أمانتهم ، و مجالا خصبا للغوص في غمار قضايا الأمة و ما تمخض عنها من خيبات أمل متكررة.

كما عبر عنها الشاعر عبد الحفيظ يورديم في قصيدته " غنيت المولد " حيث يقول :

يا مولدَ النُّورِ و الأنامِ ذاهلة      تندحرُ بصبحه رايةَ الإلحادِ  
تخبو له نارُ كسرى و هي موقدة      و الكُفرُ خيلُهُ تجري ما لها و طرُ (4)

فهو في هذا البيت يريد الإفصاح عن الحقيقة و الغاية التي خلق لأجلها ألا و هي نشر النّور و الهداية للكلّ ، فبمولده اضمحل الشرك و الكفر، مقرنا ذلك بالحديث عن معجزة مولده و هي خمود نار كسرى .

1 - بلقاسم خمّار : " الديوان " مجلد 1 ، ص 297

2 - محمد جواد مغنية : " محمد من مبعثه إلى بعثته " ص 129

3 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " دار المعرفة ، الجزائر ، ط1 ، 2004 ، ص 139 - 141

4 - عبد الحفيظ يورديم : " ينابيع الحنين " إصدارات رابطة الإبداع الثقافية ، الجزائر ، ط1 ، 2002 ، ص 09.

ب - حقيقته الخلقية : نسج لنا الشعراء حقيقته الخلقية بكل شوق و انجذاب " فهو أول النشأة على أكمل وجه ، ثم أنشأ الخلق كله من محمد ﷺ و على صورته " (1) و باعتبارها الصورة المثالية في كمالها و المستمدة من الجمال المطلق فأوها في كل ما هو جميل لأن صورة هذا الجمال هي مرآة للصورة المحمدية المنبثقة من نوره .

و من الشعراء الذين عبّروا عن الجمال المطلق ، الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع " حيث يقول:

غرقت قلاع الصحو في أبراجها      لا البر أنقذني و لا طيراني  
أتسلق الأمطار و يشهق في دمي      سير و أقمار و سرب أمان (2)

فالشاعر زج بنفسه في محيط النور المحمدي تعشقا بهذا الجمال المطلق ، مشيرا إلى نور الجمال الخلقى الذي به أنار الله ذاته "ب" أبراج " ، فهو في انبهاره في التجليات المحمدية لكونه حاز من الجمال ما لم يتمتع به أحد سواه ، لأنه أثناء التجليات النورانية على الذات الصوفية تضحل هذه الذات تحت قهر الأنوار المحمدية التي أوجت الفناء في الشهود .

و قول الشاعر محمد الشبوكي في قصيدته " هلال ربيع " :

فيا حسنه لائحا في الفضاء      يطلعننا بسناء البديع  
فينعش مرآة روح التقي      فيسمو إلى مستواه الرفيع  
فيا حسنه في سماه يناجي      مرتقا بني الأرض المنيع (3)

يجعل الشاعر من حقيقته الخلقية الجمالية الصورة المثلى في الكمال ، ففي قوله " يطلعننا بسناه " يضع صورته في أبهى حلة ، فهي في طلعتها مثل طلعة الشمس و نورها ، وهي عبارة متعارف عليها في عرف الصوفية ، فرأى أنه حسن كل مليح في الكون معار له من جمال المحبوبة الحقيقية ألا وهي جمال الذات المحمدية ، و أن هذه المحبوبة بدت في كل صورة و ظهرت في كل مرئي .

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " :

يا سحر قافيتي أنت الهوى أبدا      أرنوا إليك فيحبي نفسي النظر  
في كل رابية ألوانها وهج      يشدو بحب النبي الطير و الزهر (4)

فحقيقته الخلقية الجمالية عند الشاعر في هذا البيت هي حقيقته سحرت العقول و النفوس و النظر و هي نتيجة عشق أذهله إلى حد الذي غلب في رسم محاسن المحبوب و ملامح شكله .

و قول الشاعر مصطفى الغماري :

1 - حسن حنفي: " من الفناء إلى البقاء - الوعي الذاتي " ج 2 ، ص 601 .

2 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 128

3 - محمد الشبوكي : " ديوان ذوب القلوب " ص 204

4 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 10 .

رَأَهُ الْبَيْضَ تَأْسُوفًا أَبْرَأُ  
تُمْلِي مُنَاجَاةَ الْخَبِيبِ فَأَقْرَأُ  
فِيَا لَجُنُونُ الْحَادِثَاتِ بِرُسْمِهَا  
تُعَلِّهَا بَيْضُ الْأَنَامِلِ بِجِسْمِهَا (1)

يشير الشاعر إلى جملة من الصفات ، و السمات الخاصة و إن لم يصرح بها أحيانا  
إن الجمال الإلهي يغمر كل الوجود ، والشاعر يحس به في كل مظاهر الكون.

و قول الشاعر منير مزليني (2) في قصيدته " ما تبقى ":

سَفَرٌ ... سَفَرٌ  
وَجْهَكَ لِمَسَائِي قَمَرٌ  
و نُجُومُ الذَّهَابِ الْبَعِيدِ ، ، (3)

ج - حقيقة الصفات الخلقية: تفنن الشعراء في هذا العصر في خضم هذا الزمن  
المسكون بالخوف في تعداد حقيقته صلى الله عليه وسلم الخلقية ، متخذين منها قناعا يتحدثون من خلالها  
عن مواقفهم التي ترقى بهم إلى سمو الرسالة و يترجموا بها أحزانهم . فأوها المثل الأعلى  
في كل الصفات فقد كانت شخصيته رمز للعفة و الوفاء و الحلم ، و مثال للصبر و التحدي  
و التفكير السديد و حسن التدبير و رمزا للعطاء و التضحية بالنفس في سبيل الوطن الأم ، فهو  
الإنسان الذي بلغ الكمال بأخلاقه ، لذا نجدهم يعكسون بها واقع حياتهم فلم يجدوا سوى  
شخصية الحبيب المصطفى في تغطية واقعهم المزري ، فالشاعر كان لسان عصره أو ما  
يمكن أن نسميه روح الجماعة ، وهي سمة الشاعر الأصيل " ، فكان من الطبيعي أن يتأثر  
بهذه الأشكال الأدبية و الفنية في هذا العصر و تصطبغ قصائده بما يوافق هذا التأثير بعد أن  
تعقدت الحياة و اشتبكت (4)

و الحقيقة المحمدية الخلقية عند الشاعر مسعود بورصاص في قصيدته " العروبة "  
هي الصفة و الأمان ، حيث يقول :

مُحَمَّدٌ فِيهِمْ صَفْوَةُ الْعِبَادِ  
هُوَ الدِّمْتُ الْأَمِينُ مَدَى الصَّبَاءِ  
حَدَا رَدْحًا بِقَطْعَانٍ وَ شِتَاءِ (5)

يشير الشاعر في هذه القصيدة إلى حقيقة ذاته صلى الله عليه وسلم الصفية التي صفت على جميع  
الذوات ، و هو بهذه الحقيقة حاز مقام و الختم على جميع الأنبياء و المرسلين . لأنه صلى الله عليه وسلم  
" أدى حق العبودية بظاهره وحق الربوبية بباطنه ، و جب له الكمال " (1) و هذه الصفة التي  
التي نالها صلى الله عليه وسلم هي سر الاختبار و مناط الاصطفاء ، و لكونه اجتمع فيه ما كان مفرقا لذلك

1 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " دار لافوميك ، الجزائر ، دط، 1985 ، ص 90

2 - ولد بمدينة عنابة ، قاص و روائي و ناقد جزائري .

3 - منير مزليني: " قل لأدم " ص 49

4 - ناصر لوحيشي: " الطاقات الإيحائية في النص الشعري الجزائري المعاصر " مجلة الدراسات الأدبية و الإنسانية ، جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد 2، نوفمبر 2004 ، ص 139.

5 - مسعود بورصاص: " وجد و تأمل " ص 92.

حاز مقام الصفة ، لقوله تعالى : "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتِدَةٌ (2) فقد جاء بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة.(3)

و هي عند محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح " النور و الهدى الذي فاق كل نور من ذلك قوله:

كنت في أمّتي مساكب ضوءٍ في مَدَى نُورِهَا يَشُبُّ الزَّمَانُ (4)

فوعي الشاعر بإشكالية العصر الإنساني هو وليد معاناة الانسلاخ و الغربة الروحية المتمخضة عن غياب الحس الأخلاقي الذي حلّ ببلده ، فرأى في أخلاقه النور الهادي إلى طريق الهادي فولا هذا النور لما اهتدينا، لأنّ نوره لا زال ساطعا و شاملا الكلّ و هذا النور لا ينكره إلا جاحد لأنّه نور " أعظم الأنبياء و المرسلين، لأنّ أخلاقه عبر العصور شعلا هادية على طريق الحياة " (5) و هو ما عبر عنه تولستوي : " لا ريب أنّ هذا النبيّ من كبار الرجال المعلمين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، أنّه هدى أمة برمتها إلى نور الحقّ و جعلها تجنح للسلام و تكف عن سفك الدماء و تقديم الضحايا و يكفيه فخرا أنّه فتح لهم طريق الرقيّ و التقدم و هذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة و حكمة مثله جدير بالإجلال و الاحترام." (6)

و هذا النور الأخلاقي عبّر عنه أيضا عمر أبو حفص (7) " شمس الهدى " حيث يقول:

أَسْبَغَ اللَّهُ الْعَطَا الْحَقَّ عَلَيَّ مِنْ لِنُورِ صَادِقًا قَدْ رَكَّنَا  
صَلِّ يَا رَبِّ عَلَى شَمْسِ الْهُدَى مِنْ عَلَا الْأَكْوَانِ سِرًّا وَ سَنَا (8)

و قول الشاعر محمد بن المبخوت في قصيدته " المولد النبوي " :

و شَهَدَ لَكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ رَبُّنَا شَهَادَةَ جَاءَتْ فِي الذِّكْرِ الْمَمَّجِدِ  
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لِيُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ غَلْظَةً عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ وَ التَّشَدُّدِ (9)

فهو في هذا البيت يغدق عليه الكثير من الصفات الطيبة التي تشير إلى حقيقته النبوية بصورة الرسالة التبشيرية التي جاءت لتبشر الناس بهذا الدين القويم ، و تنذرهم و تهديهم إلى الحق داعيا كلّ مسلم إلى الاعتصام به ، من أجل أمة راقية متخلقة ، مشيرا إلى التكريم الربّاني للنبي ﷺ بهذه الخصال الحميدة مستشهدا بالقرآن الكريم للتأكيد عليها و لترسيخها في المجتمع من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) و يواصل في تمجيد أخلاقه حيث يقول :

1 - نقلا عن بتصريف يوسف زيدان : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجبلي " ص 119-120

2 - سورة الأنعام : الآية 90

3 - يوسف النبهاني : " الأنوار المحمدية " ص 230

4 - محمد الفاضلي : " وردة للغريب " ص 29

5 - ينظر محمد صالح الصديق : " محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين " ص 51

6 - المرجع نفسه: ص 51

7 - هو عمر بن أبي حفص بن محمد بن ابن جدو بن محمد الحسيني القسنطيني الجزائري الأفريقي المولود في 1471

8 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، دت ، ص 93

9 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 139

تَوْحِيدِ الْإِلَهِ بِالْقَوْلِ الْمُؤَكَّدِ  
و كَفِّ بَعْغِي كَافِرٍ وَ سَطْوَةِ مُلْحِدِ  
لَدَيْنَ اللَّهِ وَ الْأَصْلُ مِنْ أَبٍّ وَاحِدِ (2)

مَنْ جَاءَنَا بِالذِّينِ دَاعِيًا إِلَى  
وَ نَشَرُّ مَنْ اللَّهِ فِي الرَّبِّي  
أَعْلَنَ أَنَّ النَّاسَ كِفَاءً سَوَاءً

فهو يدعو الشعب الجزائري إلى الحرص على استخلاص الدروس والعبر من سيرة خير البشر والعمل بما جاء به من هدي، والتجمل بالفضائل النبوية، و ذلك في التحلي بكل سلوك قويم، وخلق كريم. و يقول أيضا:

فَأَجَابَ بِالطُّوعِ مُؤْمِنٍ يَفْتَدِي  
مَنْ صُدُّوا رَهْمَ سَحَابَةِ التَّرْدِدِ  
مُنْبِيِّينَ إِلَى اللَّهِ بِصَدَقِ التَّعْبُدِ (3)

دَعَوَاتِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ  
قَدْ عَلِمُوا أَنَّكَ رَسُولٌ فَأَنْزَاحَتْ  
وَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

وهنا يتحدث عن واقع العرب قبل إيمانهم به، و كيف لبوا الدعوة و دخلوا في دين الله أفواجا، و هو في تركيزه على هذه الخصال سعيا وراء حياة كريمة كاملة.

و حقيقته عليه السلام الخلقية في الفكر الصوفي المعاصر تنطلق من رغبة قوية في القضاء على نواقص المجتمع، فنجدها تدور حول صراع المبادئ و القيم، و ما يعترئها من زيف و تشويه و هو ما ذهب إليه الشاعر محمد الشبوكي في قصيدته " هلال ربيع"، حيث نجده يذكر المسلمين بدين الرسول عليه السلام و شريعته و يلح بالعودة إليها، فيقول:

لَمَجْدِ عَفَا وَ اخْتَوَاهُ الصَّقِيْعُ؟  
يُطَهِّرُ رَجَسَ الْخِلَافِ الشَّنِيْعِ  
طَوَاهُ الْهَوَى وَ الشَّقَاقُ الْفَطِيْعِ (4)

فَهَلْ أَنْ لِلْعَرَبِ أَنْ يَثَارُوا  
وَ هَلْ أَنْ لِلْمُسْلِمِينَ اتِّحَادٌ  
فَوَا أَسْفًا عَلَى مَجْدِنَا

يستدعي الشاعر فهو في هذه الأبيات متابعة الصفات التي يتصف به سيد الخلق محمد عليه السلام و التعاليم التي جاء بها للسير على منوالها و انتهاجها لمواجهة النفس الأمارة بالسوء و نشر معاني الودّ الائتلاف بين القلوب بعد أن تاهت فيها القيم و الأخلاق و حتى تظهر الواقع مما لحق الأمة العربية من شقاق و خلاف بين المسلمين، فهو بهذه الحقيقة يعدّ أعظم هداة المصلحين في هذا الوجود، فطلّت غير العصور شعلا هاديا على طريق الحياة (5)، و هذا كلّ مسّ كينونة الشاعر الثقافية. و المتابعة في الفهم الصوفي هي غيرها في الفهم الفقهي فهي كما بينها لنا الأستاذ ياسين بن عبيد(6) "هي تجاوز حدود النفس و مألوفاتها إلى الصفات التي لا تتحقق إلاّ بذلك التجاوز، و هو ما يعبر عنه المعجم الصوفي بالمجاهدة ذات الطبيعة التطهيرية، بحيث يتخلى الصوفي عن صفاته إلى أخلاق القرآن و السنة و هي خاصة يشترك معه فيها كلّ من حقّق قدرا من تلك المجاهدة ليصير ممثلا في حدود الشريعة (7) فهما معادلتين فقهيتين وهما الكتاب و السنة، و يمكن توضيحها أكثر في هذا المخطط التالي:

- 1 - سورة القلم : الآية 04 .
- 2 - بختي بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 140
- 3 - المصدر نفسه: ص 141
- 4 - محمد الشبوكي: " ديوان ذوب القلب " ص 204
- 5 - محمد صالح الصديق: " محمد عليه السلام في نظر المفكرين الغربيين " ص 51
- 6 - هو أستاذ بجامعة سطيف من مواليد سنة 1958م بماوكلان- بوقاعة إحدى دوائر مدينة سطيف.
- 7 - ياسين بن عبيد: " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 150 .

## الحقيقة الصوفي

الحبّ الإلهي

الحبّ النبوي

الكتاب

(1) السنة

المتابعة

فحقيقته صلى الله عليه وسلم بهذا المفهوم هي ترجمان عن المولى عزّ وجلّ بكلّ لسان و في كلّ أوان و مكان . فالشعراء الجزائريين المعاصرين بيّنوا قيمة هذه الحقيقة التي تجلت في أعظم مخلوق رغبة في للقضاء على نواقص المجتمع ، فتجردوا من كل حاجز و عائق أمام سمّو الروح . و نقلوا لنا نقلة واضحة من عوالم الغيب إلى مجريات الواقع ، و ساروا بها أشواطاً لتقريبها من اهتمامات الأمة والتعبير عن قضاياها وتطلعاتها. فرأوا فيها صورة العفة و الوفاء و الحلم و الحلم و اللطاء و الصبر، و التحدي و التفكير السديد ، و حسن التدبير و التضحية بالنفس في سبيل الوطن الأمّ ، و غيرها من الصفات التي يعجز القلم عدّها.

و يوافق في الرأي الكاتب الإنجليزي برنادشو في قوله: " إنّي لا أعتقد أنّ رجلا كمحمد لو تسلّم زمام الحكم في العالم بأجمعه تم النجاح في حكمه و لقاده إلى الخير و حلّ المشكلات على وجه يكفل السلام و الطمأنينة . " (2)

فمحمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية ، و اختص بما يختص به غيره من الكمال في العلم و القدرة على التصرف.(3) و الكمال الإنساني لديه أمرٌ يمكن تحقّقه عبر طرق تسلكها النفس هي طرق الضمير والروح فضلاً عن طرق صوفية خاصة ، وفلسفة أخلاقية تُعنى بصفاء الفعل الإنساني . فهو أكمل موجود في هذا النوع الإنساني. (4)

د - حقيقته البطولية: وقف الشاعر المعاصر إزاء هذه الحقيقة وقفة إجلال وتحدي الصعاب ، باعتبارها " قيادة عظمى " قادرة على القيام بشتى وظائفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فهو القائد المنتصر ، و القائد المتحضر ، و القائد المتفوق فراح يحدو المعارك بأنغامه المقدسة و يضرم لهب النضال و يشجّي سمع التاريخ (5) ، متّخذاً من صورته رمزا للخروج من الوضع الذي آلت إليه الجزائر و لاستعادة أمجاد أمجاد الماضي . فنجدّه يربط الحديث عن بطولاته بالحديث عن قضايا بلاده آخذين بانتصاراته مستندين على قوى النصر جاعلين منه المنقذ القومي لما ألم البلاد.

و بلهجة المحبّ يدين الشاعر الواقع الجزائري رابطا بينه و بين ما آل إليه من ظلم و اضطهاد مقدما بذلك مثالا على انتصاراته، فتتجلي الحقائق، من ذلك قول الشاعر محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح ":

صُنْتُ مجداً ملئَ الورىَ يعربياً      كانَ لولاكَ مهْدراً لا يِصانُ

1 - المرجع نفسه: ص 151

2 - محمد صالح الصديق: " محمد صلى الله عليه وسلم في نظر المفكرين الغربيين " ص 56

3 - محمد مصطفى حلمي: " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 353

4 - ينظر ابن عربي: " فصوص الحكم " ص 214 .

5 - نور الدين السدّ: " القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب " ص 18.

أنت في سفرٍ فخرها عنوانُ  
قُلْتَ للمُدْلِجِينَ كُونُوا فَكأنُوا  
ك تَأَلَّقَ ليرجعَ الديوانُ(1)

البطولاتُ..! أيُّ نهْدةٍ عزٌّ  
وحدكُ الفجرُ إنْ أناحتْ ليالٍ  
كنتَ ديوانٌ مجدنا فحناني

فالشاعر لما أثقله شعوره القومي و الوطني نظم هذه القصيدة للتحرر من سجن العالم المشهود إلى عالم الأفق الرحيب ، حيث الذات الصفية و مجدها الزاخر بالانتصارات، و هو في استدعاء نورانية و إشراقته للتشبت أكثر ببطولاته ، فهو يرى فيها الشخصية العظمى التي نفتخر بها ، و يدفع بهذه الحقيقة التي حازها إلى وصول الغاية ، فهي الرغبة في الخلاص من المأزق الراهن الذي باتت تؤرق باله بمجد الحبيب .

و هو ما أفصحت عنه قصيدة الشاعر بلقاسم خمار " إلى شباب أحمد" التي يقول فيها :  
فشبابُ أحمدَ بالعدى مُتربصٌ      و لدحرِ كلِّ الظالمين مُجنَّدُ  
ستراهُ في كلِّ البقاع مُجاهداً      و مَبايِعاً .... بالروح، لا يُتردُّ  
فوا أسفًا على مجدنا      طواه الهوى و الشقاقُ الفظيغُ (2)

يتحسر الشاعر هنا على مجد الماضي الذي غربت شمسُه بغياب نور الهادي و عدم التمسك بأهدابه و هذا راجع إلى الظروف الصعبة التي مرت عليه فحولته من الرجل المعلم المربي الهادي إلى الرجل التائر و لعل تلك الفترة الطويلة التي قضاها في السجن و هو ينتقل من معتقل إلى معتقل آخر طيلة ستة سنوات(3) التي جعلته يختار العزلة و يختفي عن الأضواء لقد ظلت حالة العزلة تضغط بقوة على حياته مما جعلته يسلك مسلك الكتابة الثوري. فهو يرى في حقيقته محركا يدفع إلى النظم و جلاء الأمجاد و البطولات التي تحققت في ظلها. فحقيقته هي الأصل في إنقاذ العالم الغريق من الهلاك فهو يرى أن النجاة معقودة على خطى الحبيب و شريعته الغراء .

و حقيقته البطولية في المفهوم المعاصر هي القدرة على القيام بوظائف اجتماعية و دينية فهي على " المستوى الحسيّ قادرة على التصرف بالبدن ، و على المستوى العقلي قادرة على الفهم و التصور و على المستوى الاجتماعي ممتلئة للفضائل من عدالة و شجاعة و حكمة."(4)

استطاع الشاعر المعاصر أن يستلهم ملامح البطولة المحمدية ، فرأى فيها مجالاً خصبا يغترف منها لدفع الشعب إلى بناء أمة جزائرية عربية بكلّ مقوماتها في شتى المجالات فيضطر من خلالها الشاعر إلى تأويل ملامحه تأويلاً يتلاءم و البعد الذي يريد أن يسقطه على أبعاد تجربته و صياغة الوجود الإنساني في فضاء جديد لمواكبة النضال الوطني و نصرته الحق و تحقيق المبادئ الإنسانية التي دعا إليها حتى تقوم بدورها في بناء الصرح التاريخي و الفكري و الحضاري للتخلص من وهن الحاضر و سلبياته .

ن - حقيقته التوسلية: أضحى التوسل بحقيقته وصفة علاجية في هذه الفترة فأخذوا في التقريع من أجل إنقاذ أمتهم ، بعد أن أحاطت بهم الآلام و انقلبت عليهم الأحداث

1 - محمد الفاضلي: " وردة للغريب " ص 30

2 - بلقاسم خمار: " الديوان " ص 298

3 - من فيفري عام 1956 إلى 13 مارس 1962

4 - ينظر سعد الدين كليب: " البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي " نشر وزارة الثقافة ، دمشق، 1997، ص 317.

فقد شكوا الشعراء حقيقة الانفصال عن الجوهر المحمّدي الذي هو سبب انحطاط قيمتنا حتى داست فوقها ماشية اليهود فتحدثوا عن بعض جوانب سيرته لخدمة أمته في صراعها مع الأعداء فنظروا إلى الحبيب نظرة الراحم بحالهم " لكونه صورة الرحمن ، فله الرحمة العامة لهذه الصورة الوجودية من حيث ظهوره لنفسه ، و من حيث رتبة الألوهية الجامعة للحقائق " (1) ، و لكونه واسطة بين الحق و الخلق.

ففي هذه القصائد نجد الشاعر يركز على الجانب الديني ، ممّا يغلب على قصائدها طابع الحسرة من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر محمد بن المبخوت " رسالة استعطاف " حيث يقول :

إِيكَ حَبِيبِي قَد رَفَعْتُ كِتَابِي      فحَقَّفَ يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ مَنْ عَذَابِي  
أَمْسَحْ دَمْعَ جُفُونِي وَ حُزْنَ      دُمُوعِي وَ أَشْجَانَ قَلْبِي وَ أَوْصَابِي (2)

فتوسل الشاعر هنا بالرسول ﷺ لإظهار تقصيره في أداء واجباته الدينية و الدنيوية و يبدي أنّ الشاعر يعترف بذنوبه و يطلب من الرسول أن يخفف عنه، و كأنّ التوسل يكفر عن ذلك فقد بات الاعتراف من أهم الوسائل للخلاص المأمول، مناجيا الله مستعطفا إياه .

و كثيرا ما يقرن الشعراء التوسل به بالصلاة عليه ، من ذلك ما نجده في قصيدته " المولد النبوي ":

فِيَا مُحَمَّدَ صَلَّى عَلَيْكَ الْإِلَهُ      وَ قُرْنَتْ بِهِ تَشْرِيفَ فِي التَّهَجُّدِ  
وَ صَلَّى عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ      وَ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَ كُلُّ تَالٍ سَاجِدٍ  
فَصَلِّ عَلَيْكَ رَبُّنَا وَ سَلِّمًا      يَا خَيْرَ هَادِيَا يَا مَنْ دُعِيتَ بِأَحْمَدِ (3)

و تكثر الصلوات على النبي ﷺ تعبيرا عن حقيقته " (4) للانفتاح إلى أعلى و السؤال و الجواب و طلب الفيض و النور " (5) ذلك لكونها هي مبدأ صوفي في المعرفة للوصول إلى الغايات العرفانية ، و هي طريقة أكيدة إلى العرفانية باعتباره السلوكي للمتصوفة و باب الدخول على الله تعالى (6) من ذلك قول الشاعر عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس " :

صَلِّ يَا رَبِّ عَلَى شَمْسِ الْهُدَى      مِنْ عَلَا الْأَكْوَانِ سِرًّا وَ سَنَا  
أَحْمَدَ الْمَبْعُوثَ رَحْمَةً لَنَا      فَتَحَلَّيْنَا بِحِيلَةِ التَّنَا  
وَ عَلَى الْأَلِّ وَ صَحْبِ ثَمَّ مَنْ      كَانَ لِلدِّينِ مَقِيمًا يَقِينًا (7)

فالشاعر الصوفي ينظر إلى النبي ﷺ نظرة روحية خالصة ، بحيث تنبني القصيدة الصوفية عادة إلى جزأين متقابلين : أحدهما تجسد بعد الغياب ممثلة في الذات الناقصة "

1 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواظف " ج 1 ، ص 274

2 - محمد بن مبخوت : " قلب شاعر " ص 27

3- المصدر نفسه : ص 140

4 - بدأها ابن عربي في الصلاة الكبرى و شروحها المتتالية.

5 - حسن حنفي : " من الفناء إلى البقاء " ص 89

6 - ياسين بن عبيد : " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 168

7- عمر أبو حفص : " الرسائل " ص 93



السالك " و أخراها تجسد بعد الحضور ممثلة في الذات الكاملة " النبي " لينتهي المديح  
 باجتماع الناقص بالكامل اجتماع توسل" (1) ، و كلما زاد العارف رسوخا في هذه الحضرة  
 و توسلا به إلا و يزداد قربا من الله حتى يصير دعاؤه لا يرد. لأن الإنسان الكامل هو  
 صورة الرحمة القادمة من السماء. لأنه له القدرة بفضل جاهه عند الله على حماية أتباعه من  
 الضرر الدنيوي.

هـ - حقيقة معجزاته: كان للشعر المعاصر نصيب في التنويه بمعجزاته  
 فعبروا عنها حتى يبينوا للناس قيمة هذا النبي الأعظم ، و لأنها كما قال القاضي عياض :  
 " معجزاته نفحات ربانية و منحة صمدانية خص الله بها هذا الإمام ، و حلا بدرها النظيم "  
 (2) و لقد اختار منهم سيدهم وإمامهم فجعله خاتم النبيين واختصه بخصائص ومزايا لم  
 يشاركه فيها أحد منهم ، كما اختص أمته بخصائص ليست لغيرهم من الأمم السالفة ، و من  
 أكثر المعجزات التي وردت في أشعارهم معجزة القرآن الكريم فقد ألح الشعراء عليها في  
 قصائدهم لكونها المعجزة الأقوى إظهارا و لكونها المعجزة الوحيدة التي فاقت كل معجزة  
 و لأنها ، الضامنة للشريعة المحمدية بقاءها و إمدادها البشرية كل ما تحتاج إليه في دينها  
 و دنياها (3) ، و من الشعراء الذين عبروا عنها الشاعر مسعود بورصاص في قصيدته  
 " العروبة ":

قد ازدادَ البيانَ و فـأز  
 بضادٍ خالفت كل اللغاتِ  
 كما انفردتْ بأي بيتاتِ  
 جنى تنزيلِ فرقان السلامِ  
 فسوّع من مثانيه الكرام (4)

كما عبرت عنها الشاعرة " جميلة عظيمي زيدان في قصيدتها " سبحانك ربي " حيث تقول:

فهلّا التفتتْنا إلى عصرِ محمدٍ  
 رسولٍ من الله أتانا مُبشِرا  
 و أول شيءٍ للإعجازِ قرآنٌ  
 نعودُ إلى مُعجزاتِ تلاقينا  
 نذيرا و حبالاً يشدُّ تأخينا  
 كريمٌ أتى به المبعوثُ فينا (5)

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم :

ما النورُ إن لم يكن القرآنُ نبعثه  
 و الشعرُ ما لم يكن القرآنُ نبعثه  
 إلا سرابٌ يراه الشوقُ و البصرُ  
 قصرٌ خواءٌ به الشيطانُ ينتصرُ (6)

كما عبروا عن معجزة الإسراء و المعراج ، فهي من أكثر المعجزات ورودا في  
 الأشعار الجزائرية المعاصرة ، و من الذين عبروا عنها في قصائدهم الشاعرة جميلة عظيمي  
 زيدان في قصيدتها " سبحانك ربي ":

- 1- مختار حبار " شعر أبي التلمساني - الرؤيا و التشكيل - " إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ص 200.
- 2 - أحمد المقري : " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج 4، الرباط ، 1978 ، ط ، ص 272
- 3 - محمد صالح الصديق: " محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين " ص 61
- 4 - مسعود بورصاص : " وجد و تأمل " ص 92
- 5 - جميلة عظيمي زيدان : " أزهار اليأس " ص 16
- 6 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 09

إلى سدرۃ المنتهى عرج ليلاً  
و في المسجد الأقصى صلى محمداً  
فكم أنزل الوحي نهياً وتحذيراً  
أسرى به و كان فعلاً يقيناً  
إماماً على الرسل السابقين  
و كم أظهر من آيات ليوحينا (1)

و الشاعرة في تعبيرها بسدرۃ المنتهى لأنها من مسميات الحقيقة المحمدية " فهي البرزخية الكبرى التي ينتمي إليها سير الكمل و أعمالهم و علومهم. (2) فهذه الرؤيا المعراجية التي سلكها الصوفي ولدها الشوق و الهيام ، لذا نجد الشعراء الصوفية أبداً في التوق إلى بلوغ هذا المقام فجددهم يرددونها في قصائدهم " فكل ما أبصره محمداً في إسرائه هو محمداً من حيث حقيقته . " (3)

كما عبروا عن معجزات مولده صلى الله عليه وآله من ذلك معجزة خمود نار كسرى ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد":

تخبوا له نار كسرى و هي موقدة  
و قيصر الروم فوق العرش منهزم  
و الكفر خيلة تجري ما لها وطر  
و العرش بالله لا بالملك ياتمر (4)

و- حقيقة أماكنه المقدسة : عبر الشعراء الجزائريين المعاصرين عن مرابعه المقدسة باعتبارها المهد الذي يعبق منه شذا الانتماء للدين الحنيف و مهبط الوحي و الرسالة المحمدية ، فوجدوا فيها الملاذ المدام الذي يروي عطشهم ، فبعد المزار غزا قلوبهم بأقباس الحنين ، فشدوا الرحال نحو الذات المحبة حيث البقاع المقدسة رافضين الواقع المرير فكتبوا قصائدهم تعبيراً عن حبهم و لوعتهم تجاهه المحبوب المجتبي .

و من أكثر المرباع و رودا مكة المكرمة ، فقد عبروا عنها كثيراً في قصائدهم من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر رياض رحال نسيم " دوح الرسول الأجد" يقول فيها :

يا ساعياً عبر القفار الفدفي  
لب نداء المصطفى يا قاصداً  
عجل و هرول للنبي الأحمدي  
قوافل الحجيج صوب القبلة  
أم القرى ، دوح الرسول الأجد  
منازل تضوي كأن لونها  
صوب ديار العربي المنجد  
أشعة البدر المنير المرشد (5)

فالشاعر يجرفه الشوق إلى تلك المرباع الشريفة ، حيث نجده يخاطب الزوار إلى بيت الله الحرام الذين رحلوا بذاتهم المغتربة أن يلبوا النداء إليه و يقصدوا أم القرى حيث مثنى الحبيب العربي محمداً ، ثم يبلغ سلامه على الأحبة ، فيقول :

سلم على طلائع الأجابة  
أنشد سلام عابد مقيد  
برحبة و حلة ، ثم أنشد  
يبكي على نجد بكاء مبعدي  
و ألتهم حصي الزوراء " و الشبيكة"

- 1 - جميلة عظيمي زيدان : " أزهار اليأس " ، ص 17
- 2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1، ص 241
- 3 - المصدر نفسه : ج 1، موقف 101، ص 275
- 4 - عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 10.
- 5 - رياض رحال نسيم : " صخور الحنين " ص 163 .

أهدي لكم شذاً البشام، تائق  
و عُرفَ حبه القديم المعهد (1)

رمز الشاعر في هذه الأبيات بحقيقة مرابعه إلى غربته المكانية و محنته في مواجهة الزمن، و هي بهذا المفهوم ذات وجهين دلاليين: مفهوم ظاهري برسومه المكانية المقدسة و مفهوم باطني في مراميه الروحانية .

و قد جاءت عند مصطفى الغماري تشع بالشوق والحنين و الرغبة الجامعة إلى معانقة هذه البقاع ، يقول في قصيدته " مناجيات ":

و لولاك ما طابَ الحنينُ بطيبة  
و لا رُفرفَ العُشاقُ و الدهرُ سادرُ (2)

و شوق هذا الأخير نابع من حمياً الحبّ و الوجد و المحبة المحمّدية ، و رؤية الشاعر لمربعه المأوى خاصة لما أحسّ بالغربة عن محبوبه بعد أن أصابه الغياب الطويل فتملكته الرغبة في الهروب و الانتماء إلى هذا المكان الطاهر، فاستدعي مرابعه لعله يروي عطشه فهو أبداً في التوق إلى أماكنه المقدسة التي تحمل مثواه.

و الشاعر قدور رحمانى من المهوفين بالكعبة الشريفة لكونها محلّ التعيين للذات المحمدية و امتداد لها ، و هو ما عبر عنه في قصيدته " ريش الدموع ":

كلُّ الجهاتِ تناوحتْ في خاطري  
من أين أهربُ خانني هربي أنامُ  
بيكي على صدري صالح أخضر  
و على البطاح تمزقت أجفاني  
مذُ ألفَ عامٍ داخلي سجاني  
و قبيلةً من لؤلؤٍ و جمان (3)

فأبيات الشاعر تفيض بمشاعر الشوق و الحنين و الألم على فراق هذه البقاع ، بحيث نجده يذوب في قصيدته إلى حدّ الهيام ، فهنا تظهر رغبة الشاعر في زيارة مثواه ، و لولا غربته عنه ما كان القرب و بعد أن مزق البعد أجفانه و تفجر هيامه من الشوق و اللوعة و واضح أنّ أشواق الشاعر المتأججة قد دفعته إلى هذا القول هي بمثابة حافز حرك فيهم كوامن الشوق و الذكريات فجاءت كرد فعل عن معاناة حقيقية ، فكان محور تلك التجربة. و يزيد في تصوير مقامها التي فاقت به كلّ مقامات الدنيا في قصيدته " غلال النبي محمّد ﷺ " حيث يقول :

إنَّ الترابَ الذي من فوقه عبرتُ  
كلُّ البروجُ غدتْ أطلالُ رائحةٍ  
و برجُ حظك فينا ظلّ منتصباً (4)  
رجلاك قد أصبحت ذرأته رطبا

يصف الشاعر هنا التربة التي مشى عليها الهادي الأمين باعتبارها أرض الشرف و رمز الطهر و الصفاء و شعاع الصحة فهي لا تقتصر على معان لمعالم جامدة فحسب بل

1 - المصدر نفسه : ص 196

3- مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

4- المصدر نفسه: ص 94

4 - قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 12 .

إنّها تحمل شحنات روحية و تاريخية تمنح النفس وجدانية إلى حيث الأحبة ، و مازالت تشع بالنور المبين تاركة بصمة باقية لا تداس عليها الأقدام .

و هناك من عبّر عنها باعتبارها مهبط الوحي و منبع الأصل و النسب الشريف الذي انحدر منه ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر منير مزليني " العروبة " :

قُرَيْشٌ مَهْبَطُ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ  
بِفُصْحَى كَرَسَتْ سِحْرَ الْجَمَالِ  
تَبَاهَتْ فِي تَوَارِيخِ خِوَالِ  
فَنَعَمَ الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ الْعَمِيمِ  
وَإِسْهَامُ لَنْجَدٍ وَالْحِجَازِ (1)

و هذا الوصف من الشاعر أعطاها قداسة ، في كون مقامه أقدس مكان على وجه المعمورة .

و هي عند عمر أبو حفص محلّ الظهور و مكان جلاء الأسماء و الصفات المحمّدية يقول معبرا عنها في صورة نقلتها سيرته و تجربته :

يا نَسِيمَ سَاعَةٍ مَرَّتْ بِنَا      في جَمَالِ الْقَرَبِ أَنْسًا وَ هَنَا  
صَلِي يَا رَبِّ عَلَى شَمْسِ الْهُدَى      مِنْ عَلَا الْأَكْوَانِ سِرًّا وَ سَمًا (2)

فالمقام النبوي عنده مجلي السرّ و النور النبويين، فحضورها في قصيدته أضفى عليها بعدا أنطولوجيا (3) فبالمكان يتحقق الوجود المحمّدي ، والوسيلة التي تبتدئ بها التّجلي و هذه المقامات كما قال ابن عربي " لا وجود لها إلا بوجود المقيم ، فإذا لم يكن ثم من يقيم فما تم مقام ، و إذا لم يكن ناظر فما تم منظور " (4) ، و هذه النظرة منتهى مرادهم و غاية رغبتهم وصولا إلى عين الحقيقة ، فإذا وصل الواصل إلى هذه المربع اضمحلت نفسه .

يمكن القول أنّ حديث الشعراء عن حقيقته <sup>صلى الله عليه وآله</sup> الظاهرة تمثل انعكاسات هذه الحقائق على ذواتهم و واقعهم و تكشف لنا مدى مقدرة الشعراء في تقمص شخصية الحبيب المصطفى <sup>صلى الله عليه وآله</sup> في معايشة هذه المعاناة التي يعانيتها الشاعر ، ليكون أقرب من دائرة الحدث ، فكلّ عبّر عنها بحسب تجربته الخاصة .

1 - منير مزليني: " وجد و تأمل " ص 91

2 - عمر أبو حفص: " ديوان الرسائل " ص 91

3 - ياسين بن عبيد: " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 176

4 - ابن عربي: " ذخائر الأغلاق في شرح ترجمان الأشواق " ص 12

### 3 - المبحث الثالث: الحقيقة المحمدية في بعدها الباطني

كان للشعراء في هذا العصر الاستعداد الكامل و التهيؤ للغوص في بواطن هذه الحقيقة الغيبية و ظلّوا يمجّدونها، فآخذوا من مفهوم الحقيقة المحمدية صفات بشرية أخرى تعادلها ملؤها الحبّ و التقدير، متخذة منحاهم الغنوصي الصوفي أداة لإحياء الجوهر الكامن في الإنسان و خلق عالم روحي بديل على صعيد التجربة الفنية ، و معانقة مبادئ التمرد و الثورة على الواقع الإنساني بوصفه ممارسة روتينية خالية من التعبير الوجداني . " (1)

أ - من ناحية صلتها بالعالم: عبر الشعراء عن حقيقتهم <sup>التي</sup> العالمية رغبة منهم في الكشف عن حقيقتها الأصلية ، فنظروا نظرة الروح التي أحييت الوجود ، لكونها أول صادر عن الذات الإلهية بعد أن كانت مندرجة فيها ، و سرّ العالم و سبب الوجود، و كونه سرّ الطبيعة المادية. و تتجلى حقيقته من ناحيتها العالمية فيما يلي:

1- علة الوجود: فحقيقته <sup>التي</sup> هي حقيقة كونية أزلية صدرت من الوجود المطلق قبل وجود العالم (2) فكانت أول صادر عن الله بلا واسطة مما جعلها مركز الكون و الغاية منه و العلة في تكوينه ، فبه تحفظ دوائر الوجود السارية في الكون كلّ علويه و سفليه كما تحفظ به كلّ حياة وكلّ خلق، لأنّه هو الذي أدى إلى وجود العالم و الإنسان و الموجودات فهذه العلة أعطتها طابعها الوجودي (3) ، و من الشعراء الذين عبروا عن حقيقته الوجودية محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الرّوح" ، إذ يقول :

أنا لولاك جَدولٌ من سَرابٍ      لا يُبالي بـوهمِهِ ضَمَانُ  
أنا لولاك حُفنةٌ من رَمادٍ      بعثرتها الرياح فهي دُخانُ  
أنا لولاك لَنْ أَكُونُ ... و إن كُنُّ      تُفَنَحُونُ تَشْلُهُ الأَحْزَانُ (4)

فالشاعر في هذه الأبيات يرى في ذاته <sup>التي</sup> أصل الوجود الذي استمدت منه جميع الكائنات وجودها و ظهورها ، و به بسط الوجود على الممكنات (5) ، كما يرى فيها منبع الشهود، و أصل العهود و لولاها لم يوجد أحد، لحصوله مرتبة الكمال الجامع للحقائق الإمكانية الإلهية ، و لا يمكن تحقيق الوصول إلى الله إلاّ بتمكين منه ، فالإقبال عليه إقبال على الله و الوصول إليه وصول إلى الله . فهو قبة الوجود الذي لأجله كان ولا يزال كلّ موجود و يستمد منه كلّ روح وكلّ جسم. و من الواضح أنّ الواقع هو الذي حرّك فيه الشوق إلى معرفة عالمه الأصلي و الغوص في بواطنه.

و قصيدة الشاعر قدور رحمانى " أقبلي " واحدة من القصائد الصوفية التي ترحل في عمق الذات المحبوبة باحثة عن مجلى الكون و حقيقته ، حيث يقول :

كلُّ ما في الوُجودِ فيكَ امتلاً      في جَميعِ الجِهاتِ أبدعَ شكلاً  
من فضاء الوريدِ أطلقتُ سرباً      حوّل البحر و السّموات رملاً

1- عبد الحميد هيمة : " علامات الإبداع الجزائري - دراسة نقدية " رابطة أهل القلم ، سطيف ، ج 1 ، ط 2 ، دت ، ص 30

2- عبد العزيز قصير : " عقيدة الصوفية " ص 437

3- حسن حنفي: " من الفناء إلى البقاء " ج 2، ص 567

4- محمّد الفاضلي : " وردة للغريب " ص 30 ، هذه القصيدة كتبها سنة 29-06-2001 في الجزائر

5- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 247.

كُنْتَ لِي أَنْتَ كُنْتَ كُلَّ أَوَانٍ نَعْمًا مَا طُرًّا يُعَانِقُ طِفْلًا (1)

و من الواضح أنّ الشاعر أعطى لنا مفهوما عن مكانته عليه السلام و أهميتها بالنسبة له ، فقد أضحت أصل الكون و أصل كلّ أوان و زمان ، بل أصبحت صورة من روحه وإحساسه و شعوره وهو و " إن كان آخر الموجودات خلقا إلا أنه أفضلهم من جهة الوجود بالذات من حيث أنّ مرتبته هي الجامعة لكلّ المراتب الوجودية عدا مرتبة الأحدية و هي الذات الإلهية. (2)

أ-2- قدم الخلق: فحقيقته عليه السلام هي أول مخلوق على مستوى الكون و الصورة الرحمانية لأنّها الصورة الظاهرة لذاتها ، الحاصلة في الاجتماع الأول الأسمائي (3) فكانت مبدأ ظهور العالم و أول موجود ، إذ تعينت في الحضرة الغيبية ، و تسمى " المادة الأولى " المتقدمة على الموجودات لأنّ الله خلقه من غير سبب متقدم عليه للحقائق الإمكانية الإلهية ، إذ لا يمكن اختراق الحجب إلاّ بواسطته عليه السلام و ليس إلاّ المادة الأولى التي جعلها سبب لجميع المخلوقات " (4) و تسمى هيولي الكلّ ، أو هيولي العالم ، يقول الشاعر قدور رحمانى معبرا عنها في قصيدته " ريش الدموع ":

عَيْنَاكَ سَاقِيَتَانِ أَشْرَبُ مِنْهُمَا  
لَا يَسْتَحْمُ الْقَلْبُ إِلَّا فِيهِمَا  
لَا بَلُّ هُمَا نَسَقٌ مِّنَ الْقُرْآنِ  
كَعَشِيَّةٍ تَرْتَاخُ فِي بُسْتَانِ  
قَبْلَ الْخَلِيفَةِ كُنْتَ أَقْبَلُ مِنْهُمَا  
كَمْ مِنْ صَبَاحٍ فِيهِمَا عَرَّانِي (5)

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن نظرية الأسبقية في الخلق ، فهو عليه السلام خلق قبل الكلّ و كان آخر البعث فبه تمت ، فهو التعين الأول و المظهر الأول و الخليفة المفوض. (6)

و يواصل توضيحه لأقدميته في الخلق في قصيدته " أقبلي " حالة إتحاده بالمقام المحمّدي:

كُنْتَ لِي بِكَرَّةٍ مِنْ عَبِيرٍ فَلَمَّا غَدَوْتَ قَطْرَةَ دَفْلِي؟ (7)

فوجوده عليه السلام فكرة كانت مرتسمة في الغيب و هذه الفكرة ممكنة و الممكن لا بدّ من ظهوره (8) فخلقت أولاً قبل المخلوقات جميعاً ، ثم تجلّت بالظهور في المخلوقات بعد ذلك " فليست الكائنات فيه إلاّ تفصيلات لهذه الحقيقة الكلية الجامعة (9) لكونها أول صادر عنها بلا منازع فيصبح بإرادة الحقّ سمعه و بصره و يده " إذ هو الأصل في إيجاد العالم و لو تأخرت صورته " (10) يقول عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " موضحا هذه الفكرة :

- 1- قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 129 .
- 2- ينظر أحمد محمود الجزار : " الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري " منشأة المعارف الإسكندرية ، ط1، 1999 ص 71
- 3- عبد الرزاق الكاشاني: " اصطلاحات الصوفية " ص 205
- 4- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ص 274
- 5- قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 95
- 6- الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج1، الموقف: 102، ص 27
- 7- قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 129
- 8- نصر حامد أبو زيد : " فلسفة التأويل " ص 46
- 9- محمد مصطفى حلمي : " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 368
- 10- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج1 ، موقف : 106، ص 287.

يَتَلَوُا رَوَائِعَ كَانَتْ قَبْلَ خَافِيَةٍ فَتَنَنْشِي النَّفْسَ وَ الْأَرْدَانُ تَغْتَسِلُ (1)

يريد الشاعر هنا إثبات العلاقة بين الرسول ﷺ كنبى بشرا يتلوا أروع الآيات القرآنية و بين الرسول ﷺ كحقيقة أزلية كانت قبل الكلّ خافية و مستترة في الكون. رغم أنها أول من تجلى بالظهور و إن كانت هي آخر المراتب (2) في أسمى مخلوق من عباد الله و هذه الحقيقة ببروزها و ظهورها عند الشاعر باتت تسكر النفس تنتشيتها و تطهرها مما كانت عليه فالشاعر يريد الدخول في حالة النشوة التي تنتاب الصوفي أثناء وجده ، أو تلك القوة التي تتخذ شكل النسقي المعرفي في العمل الفني.(3)

أ-3 - الدرة البيضاء: فحقيقته ﷺ هي الدرة الموجودة قبل خلق السموات و الأرض ، فهي أول مجلى تدلت من الذات الإلهية فبرزت إلى عالم الخلق حين كان متحدًا بالروح الأعظم فإذا بها سبحانه و تعالى صيرها ماء فاضطربت أمواج فاجتمع في مدة اضطراب الأمواج كوم من الزبد فبسطها على وجه الماء فصيرها أرضا و خلق منها الطباق السبعة ثم خلق السموات بعدها. (4) يقول الشاعر محمد الفاضلي في قصيدته " غلال النبي محمد ﷺ " معبرا عنها بعالم الدر:

قَدْ كُنْتُ فِي دُرِّ الْأَسْرَارِ مَلْتَحَفًا شَلالَ ضَوْءٍ دَعَاهُ اللَّهُ فأنْسَكَبَا (5)

قدم لنا الشاعر في هذا البيت كلاما أقل ما يوصف به أنه أدنى ما يكون كلام الفلاسفة في نظريتهم الكونية ، و قولهم بأسبقية الروح على البدن و نظرية الخلق و العدم. خاصة في قوله " في در الأسرار " فهنا يشير الشاعر إلى حقيقته ﷺ التي كانت قبل الكلّ في عالم الدرّ ملتحفة بالأسرار الربانية و المعجزات، إلى أن تجلت آخر ما تجلت في محمد الرسول ﷺ .

أ-4- نور العالم من نوره: فبالنور ظهر ما كان في ظلمة العدم مستور فهو سبب ظهور الممكنات و السموات و الأرض و جميع الممكنات ، فهذه الإنارة الحاصلة للسموات و الأرض بواسطة الحقيقة المحمدية التي هي نور الأنوار " (6) و نوره هو الفياض من الحقّ على الخلق و الكون و العالم (7) " فكان أول نور ابتدعه الله و به كانت جميع المكونات " باعتبار دلالته من عظمة باريه " (8) ، فلا يوجد أحد أقرب إلى النور الإلهي من الحقيقة المحمدية (9) و هذا النور يسمى " الهباء " و هذا الهباء هو الجوهر المنبعث في جميع الصور الطبيعية و العنصرية البسيطة و المركبة ، الذي يقبل كلّ صورة بجوهره (10) و المادة التي فتح الله فيها صور العالم. " (11) كما أنه النور الإلهي المتجلي عليه تجلى الله بنوره

1- عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 10

2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 3 ، موقف 365 ، ص 1102

3 - سفيان زادادقة: " الحقيقة و السراب " - قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا و ممارسة " منشورات الاختلاف الجزائر ، ط 1 2008 ، ص 202.

4 - أيمن حمدي : " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 60

5- قدور رحمانى: " ديوان ثروة عمري " ص 11

6- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، موقف : 103 ، ص 279

7- المصدر نفسه : ج 1 ، ص 240

8 - راشد محمد : " مسارات وحدة الوجود " ص 178

9 - عبد الرزاق الكاشاني: " اصطلاحات الصوفية " ص 205.

10 - ينظر الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 2 ، ص 587

11 - عبد الرزاق الكاشاني: " اصطلاحات الصوفية " ص 71.

عليه و لكون الحقّ تعالى أبرزه من حضرته قبل كلّ شيء و أفاضه على عين كلّ شيء فظهر كلّ شيء ممتد منه بسبب فيضانه عليه ، فأشرقت الأنوار المحمدية على الوجود. (1)

و الشاعر الجزائري المعاصر انطلق من هذه الحيثية في تحديد معالم هذه النورانية الكونية التي اختص بها ﷺ ، فنظروا إليها نظرة روحية إشراقية فيها لا زال يضيء العالم و الأكوان الروحية و المادية ، يقول الشاعر عمر أبو حفص معبرا عنها في قصيدته " نور القدس ":

اركبْنْ فُلُوكَ الْحَيَاةِ وَ اسْبَحْنْ  
صلِّ ياربُّ على شمس الهدى  
و بلطفِ ريحِ أنسٍ نُشِرْتْ  
في بحارِ النُّورِ يَسْطَعُ هَاهُنَا  
من عَلا الأَكْوَانِ سِرًّا وَ سَنَا  
تَمَلَأُ الأَكْوَانُ طِبًّا وَ سَنَا (2)

يتحدث الشاعر هنا عن نور العالم و نضارته الذي هو من نور حقيقته ﷺ و قد عبر عنها بـ " الشمس " فهي " بالنسبة للكائنات الظاهرة مصدر الحياة و الحيوية و القوة و الحركة لكلّ من الإنسان و النبات و الحيوان ، و مصدر الحياة الروحية بالنسبة لقلوب المؤمنين . " (3) . " (3) فهي بنورها علت الأكوان ، و هذا العلو في نظر الشاعر على وجهين من الوجهة الباطنية من حيث مضاهاته للحقيقة الإلهية في علوها و نورانيتها التي أضاءت حقائق الموجودات ومراتب الوجود و فاضت على الأكوان الله له منذ الأزل ، إذ لا يعلم كنهها إلا خالقها ، و من حيث حقيقته التي كانت قبل الكلّ في عالم السرّ و الذرّ ، و من الوجهة الظاهرة العلو و الضياء التي عبر عنها بكلمة " سنا " و هي النور و الساري في الكون بهدأيته.

كما عبر عنها الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " غلال النّبىّ محمد ﷺ " بالضياء:

سَقَيْتُ مَنْ فِيضِكَ الدُّنْيَا فَمَا رُوِيْتُ  
إذا ما دَنَا مِنْكَ صَحْوٌ سَالَ مَغْفِرَةٌ  
في ظِلِّ ثَوْبِكَ يَغْدُو لِلْحَصَنِ وَ هَجٌّ  
و الإنس و الجنُّ و الأنهارَ و الحُقُبَا  
و أعشَبَ الغَيْمِ مُرْجَانًا إذا اقْتَرَبَا  
يُنْقِطُ الأَرْضَ وَ الأَبْعَادَ وَ الحُجُبَا (4)

فهنا تتجلى ملامح الذات المحمدية السارية في الذات الصوفية الشاعرة سريان روحي أثناء عملية الإتحاد للاستضاءة بحقيقته النورانية ، التي هي أظهر و أظهر نفس عرفتها البشرية و يطنب الشاعر في هذه الأفكار إلى درجة الغلو و المبالغة أحيانا ، حيث يجعلها النور الذي سبقت كلّ ما في الوجود من الإنس و الجن و الأنهار ، و ارتوت من فيضه الربّاني فبهذا النور سرت الحياة و كانت على ما هي عليه الآن.

يقول محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح " حديثه عن نوره الذي عمّ الكون و لازال:

يُزْهِرُ العُمُرُ .... ها هنا الفلّ زاهٍ  
ليس إلّاكَ يَغْمَرُ الكَوْنَ بالألّ  
و يُنَاغِي نِسْرِينَهُ الرِيحان  
طافَ حتّى يُبرِعُمُ الأَقْحوانَ (5)

1- الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج1، ص 248

2- عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 92

3 - كمال الدين القاشاني: " اصطلاحات الصوفية " تحقيق و تعليق : محمد كمال إبراهيم جعفر ، ص 60

4 - قدور رحمانى : " ديوان ثروة عمري " ص 11 .

5 - محمد الفاضلي: " وردة للغريب " ص 34



يشير الشاعر هنا إلى فيض النور المحمّدي الذي به قامت به الكائنات .

أ-5- حقيقة الرّوح الكلية : أورد الشعراء المعاصرين معاني عدّة للرّوح و ذهبوا بها إلى مداها بحثا عن الحقيقة في عالمها البكر ، فهي من جهة تتّصف بمعنى الجسمية و تارة أخرى بمعنى الرّوح الحسيّة التي تميّزها عن الرّوح الحيوانية في درجة كمالها، و تارة أخرى بمعنى النفس التي بها يعرف الإنسان ربّه ، فرأوا و النفس الكلية "التي أصبحت كطبيعة ثانية لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (1) فهي في قصيدة الشاعر قدور رحمانى "أقبلي" بمعنى الرّوح الكلية ، حيث يقول:

كلُّ ما في الوجود فيك أمثلاً      في جميع الجهات أبدع شكلاً  
في وريدي حنان كلّ السّواقي      قد تعرّى على البساتين فلا (2)

فهو في هذه الأبيات يرى فيها الكون بجميع أجزائه و ما يحويه ، فهي أشرف أجزاء الكون، فهو بمبعثه الرّوح الكلية لكلّ الأرواح الجزئية (3) و الأصل و المنبع للأرواح جميعها سواء المخلوقات الروحانية و الجسمانية الطبيعية و العنصرية" (4) ، بحيث نجده يبين صورة النبي صلى الله عليه وآله في الوجود و حقيقته التي ملأت الكون من جميع جوانبه فهو هنا يشير إلى روحه التي ملأت العالم بالأرواح الجزئية ، لأنه صلى الله عليه وآله " حوى الكلّ لظهور الحقّ تعالى لنفسه بنفسه على ذاته صلى الله عليه وآله " (5) و قول عبد الحفيظ بورديم :

في كلّ رابية ألوانها وهجٌ      يشدو بحبّ النبيّ الطير و الزهر (6)  
الزهر (6)

وجد الشاعر في قصيدته هائما في الرّوح الكلية ، يستلهم من همسها الخفي. فهذه الرّوح هي وحدها القادرة على محاكاة الطبيعة و التمثل بجزئياتها ، فكلّ ما في الطبيعة يشدو بها النبيّ الكريم ، و لعلمهم ما في حقيقته صلى الله عليه وآله من خفايا باطنة ، كما أنّها السرّ المحاطة بالحجب و الأستار ، فبواسطة هذه الروح الكلية يستطيع الإنسان التحرر من كثافة الدنيا المشوبة بالغموض و المحن و التخلص من العالم السفلي ، و التي تبدو فيها الذات الصوفية منفصلة عن الذات و الحسنّ و الزمان و المكان.

أ-6- البرزخ بين الظاهر و الباطن: فهو الأول و الآخر، الظاهر و الباطن، و هو بكلّ شيء عليم (7) و صورته صلى الله عليه وآله طنة هي تجليه في ذلك النور، و هذه الصورة هي بدورها بدورها صورة للعالم كلّه ، و هو ما اصطلح عليه الإنسان الكبير من جهة الباطن و الإنسان الصغير من جهة الظاهر، و ما سمي صغيرا إلاّ لكون صورته الجسمية قد اجتمعت فيها حقائق العالم بأسره. (8) يقول منير مزليني في قصيدته " ما تبقى " حالة اتحاده بمقامه:

- 1 - سورة النساء: الآية 01
- 2 - قدور رحمانى: "ثروة عمري" ص 128
- 3 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 1، موقف: 155 ، ص 368
- 4- المصدر نفسه: ج 1 ، ص 245
- 5- المصدر نفسه: ج1، الموقف 102 ، ص 277
- 6 - عبد الحفيظ بورديم: " يبايع الحنين " ص 10
- 7 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 1، موقف 101 ، ص 275
- 8 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري " ص 72.

كَمْ أَنَا بَاطِنٌ .. ظَاهِرٌ ..

كَمْ أَنَا .....

كَمْ أَنَا .....

كَمْ أَنَا ..... (1)

يبدو أنّ الشاعر هنا في حالة شطط من أمره ، و هذا الشطط بلغ به قمة الغلو في وصف مكانته ﷺ . ففي قوله " أنا الباطن " فهو هنا يقصد العالم الباطني و ما يحمله من معاني غيبية و في قوله " الظاهر " يعني بها حقيقة الوجود الحقّ بأعيان الممكنات " (2) و الظاهرة في الأشياء و السارية في الوجود " (3) ، فالحق لما أراد الظهور ظهر بذاته في الحقيقة المحمّدية ، و قدر الصوّر كلّها فيها ، فقامت له نفسه في صورة المغايرة مقام المرأة وبهذا يفهم أنّ حقيقته هي حقيقة العبودية ، فهو خليفة الله في الأرض و صورته ، فهو عبد من حيث أنّه مخلوق مكلف و خليفة الله ، و العالم كلّهُ تفصيل ما اجتمع في الإنسان الكامل (4) فهو " الجامع لجميع العوالم الكونية الكليّة و الجزئية فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه هي بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه ، ولذلك صار خليفة الله تعالى (5) فالحق تعالى من حيث اسمه الظاهر و الباطن أوجد العالم على صورته ثم أوجد الإنسان على صورة العالم ، فهذا تعد حقيقته حدّ فاصل بين ما تعين وما لم يتعين ، و هو مجلى لما تعين منه ليبقى الاسم الظاهر و أحكامه على الدوام (6) و بين عالم الحقيقة الجزئية و عالم الحقيقة الكلية علاقة شوق مستمرة لا ينطفئ مشعلها و لا يزول ظمؤها ، إلاّ بالعودة بعد الغياب .

أ-7- أمر الله : فحقيقته ﷺ أمر الله و كلمته الجامعة الشاملة ، و الذي صدرت عنه أعيان الممكنات فيها توجهت إلى إيجاد المخلوقات و الانتقال بها من الثبوت في العلم الإلهي إلى الوجود ، فكن عندهم بمثابة الأثر المرئي الذي يتنوع بتنوع الموجودات التي تصير واقعا بفضل كلمة كن فهي عين التكوين و الإيجاد و الأداة أو الوسيلة التي يتحقق بها هذا الوجود . (7) لقوله تعالى : ﴿ **وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا** ﴾ (8) و هو أمر واحد لقوله تعالى تعالى : ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمَجٍ بَالْبَصَرِ** ﴾ (9) و قوله أيضا : ﴿ **وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ** **الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ (10) و صورة هذا الأمر هو النور المحمّدي الذي ظهر في أكمل مظهر للوجود المطلق ، فهو الحق الظاهر بصور العالم كلّها في جميع مراتب الوجود و هو واحد لا يتجزأ و لا يتبعض (11) ، و أنّ العالم لم يخلق من العدم بل وجد من البداية و

1- منير مزليني : " قل لأدم " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، دط ، ص 49

2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 247

3 - المصدر نفسه : ج 1 ، ص 274

4 - المصدر نفسه : ج 2 ، موقف 248 ، ص 576

5 - علي بن محمد الجرجاني : " كتاب التعريفات " مكتبة لبنان ، بيروت ، دط ، 1985 ، ص 268

6 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 241

7 -- يراجع محمد شوقي الزين: " تفكيكية ابن عربي " مجلة كتابات معاصرة ، عدد 36 ، المجلد 3 ، 1999 .

8 - سورة هود: الآية 123

9 - سورة القمر: الآية 50

10 - سورة الإسراء: الآية 85

11 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 3 ، موقف 367 ، ص 1150

الكون و هو المعبر عنه بوحدة الوجود فالله قد خلقنا إكراما له ، و الدنيا بكل موجوداتها جعلها كائنة لأجله.(1) يقول مصطفى الغماري معبرا عنها:

و دَقَّتْ تَرَقَّتْ ذَا شَجْوٍ وَ شَجْوِينَ  
بِأَمْرِ... وَ كَانَ الْأَمْرُ بِحَرْفَيْنِ (2)

يتحدث الشاعر عن تجربته الذوقية منطلقة من الأنا نحو الآخر المقدس ، فهو يحاول السير على منوال الصوفي " و من بعض خيالاتها بعيدا عن عالمه الأرضي حيث تنسجم ألفة " (3) رغبة في الوصول إلى الكمال " و قصد إنهاء نقص العالم و مبعث هذا التصور فظاعة الواقع و شدة وطأته على النفس و صبوة الروح للتماس مع الحقيقة التي تعذب كياننا " (4) و رغبة في معانقة المطلق و التطلع إلى الشعور بأمان و الراحة و نزعة التمرد على جحود الحياة المعاصرة المتمدنة التي تكسر باستمرار أحلام الشاعر و تحرق مدنه ، و تقتل فيه تميز الإنسان بإحالاته إياه إلى فرد أو حتى إلى أقل من هذا ....(5)

أ-8- مرآة الكون: فحقيقته هي مرآة الكون التي رأى نفسه فيها و قدر الصور كلّها فيها فقامت له نفسه في صورة المغايرة مقام المرأة ، فلما نظر الحق ظهر كلّ ما في الصورة الإلهية في تلك المرأة التي هي نفس الحق في الحقيقة ، ونزوع الشعراء إلى الإشادة بحقيقته الكونية هو ثورة على ما يصيب النفس حالة التأزم النفسي الشديد و التوتر و التشتت الذهني التي تمنع صاحبها من الاستمرار في أداء حياته طبيعيا ، يحقق علاقة روحية متقدمة مع عالم الحقيقة الكونية المطلقة. فهي وحدها التي توقظ الكون بإشراقاتها المحمّدية و بيّن لنا تهز حقيقته الكون هزّا إلى خطاه صلى الله عليه وآله ، من ذلك قول مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات ":

ترى ذاته في الكون تحتل أنجما  
جَنَّتْ مَرَايَا حِينَ تَدْعُوكَ بِاسْمِهَا (6)

يغني الشاعر تجربته و يمنحها الصدق ، فهي تعكس رؤيته للقضايا و الكون بصفة عامة (7) بحيث نجد يستحضر عالم الحقيقة المحمّدية ليستضيء بظلالها .

و تعبير الشعراء عن حقيقته صلى الله عليه وآله من جهة صلته بالعالم تذهب في بعدها الواقعي عمّا أفصح عنه ميشيل (8) بقوله : " إنّ هذا الامتزاج بين الدين و الدنيا الذي ليس له نظير هو الذي الذي جعلني أو من بأنّ محمّدا صلى الله عليه وآله هو أعظم الشخصيات أثرا في التاريخ الإنساني كلّهُ " (9) ،

- 
- 1 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ص 243
  - 1 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 90
  - 3- عمر بوقرورة: " دراسات في الشعر الجزائري المعاصر - الشعر و السياق المتغير الحضاري " دار الهدى ، الجزائر، دط ، 2004 ص 98
  - 4 - عبد الحميد هيمة: " الخطاب الصوفي و البيات التأويل - قراءة في الشعر المغربي المعاصر " موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2008 ص 118
  - 5 - سفيان زدادقة: " الحقيقة و السراب " قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس " ص 243.
  - 6 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 89
  - 7 - خديجة كروش: " تناص الخطاب الصوفي و الإسلامي في ديوان أسرار الغربية لمصطفى الغماري " كلية الآداب و اللغات - قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة الحاج لحضر، باتنة ، 2011- 2012 ، ص 78
  - 8 - هارت العالم الأمريكي المسيحي ، فهو عالم في علوم الرياضيات و الفلك ، و وضع ترجمات مائة شخصيات أثروا في تاريخ العالم من قادة سياسيين و دينيين و مخترعين و كتّاب و فلاسفة و فنانيين و علماء في كتابه " أعظم مائة شخصية مؤثرة في التاريخ "
  - 9 - ينظر : ميشيل هارت: " لماذا محمّد صلى الله عليه وآله هو الأعظم؟ " تمهيد : أحمد ديدات، ترجمة رمضان الصفتاوي، مؤسسة الأهرام الأهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة، 1998، ص 10- 11

، و هو ما سعى إليه الشاعر المعاصر فنظر إلى حقيقته من وجهة أعمق، فهي لم تكتفي بالتأمل الباطني لحقائق الوجود ، وإنما سعت إلى الاندماج ، والتوحد معها من خلال التجربة الحقيقية التي يعيشها الشاعر ويحترق بلهيبها.

ب - من ناحية صلتها بالإنسان: انطلق الشعراء المعاصرين في تحديد مفهومها من خلال منظور إنساني لواقع الذي يعيشه المجتمع المعاصر و إبان ظروفه ، متطلعين إلى أفق الهيام الصوفي ، فوجد ملاذهم في أكمل خلق الله باعتباره صورة للإنسان الأعلى و اعتززا بوحدة الأصل بحقيقته هي الوحيدة التي نجحت نجاحا مطلقا لإنشاء رؤيا جديدة للعالم في غايته ووسيلته على كلا المستويين الديني و الدنيوي ، و حقيقته من ناحية صلتها بالإنسان متنوعة و متعددة منها :

ب-1 - السيادة ، التقديس ، الأفضلية: ظلت هذه الأفكار سائدة حتى عصرنا الحالي فهو سيّد الأسياد لاتصافه بالصفات العلية و الأخلاق السنية ، وهو المفضل على جميع الخلق و الأنبياء والمرسلين فلا يسبقه في أفضليته مخلوق، لأنّ روحه مقدسة عن النقائص الإنسانية و الأخلاقية ، فهي ليست كالأرواح ، لأنّه روح الله و ذاته. مما جعل فيه قوى غيبية أصرّ الشعراء عليها حتى يظهره في صورة الإنسان الأعلى (1) يقول الشاعر بلقاسم خمّار في قصيدته " إلى شباب أحمد " موضحا فكرة السيادة و التقديس :

هو عزّنا ... هو حُبنا المُتوقّد	و نَبيناَ خَيْرِ الخَلائِقِ كُلِّهِم
و مُنزّةٌ ، و مُبجلٌ ، و مُمجدٌ	هُوَ عِنْدَ كُلِّ المُسلمينَ مُقدّسٌ
هو سيّد الرُّسُلِ الكِرامِ الأُمجدُ	و بحكمِ كُلِّ العارفينَ بقدره
قُمنّا - احترامًا - للسلام نُرَدّدُ (2)	يكفي إذا ذُكِرَ اسمُه ما بيننا

(2)

فالرسول ﷺ في فهم الشاعر سيّد الكلّ ، سيّد في باطنه و ظاهره ما سوى الله ، لأنّه ساد الخلق في أخلاقه و علاهم في السرّ و العلن ، في العلن لكونه خاتم النبيين ، و في السرّ لخلقه قبل الخلق و قبل الكلّ بما فيهما السّموات و الأرض ، كما نجده يتبع مفهوم السيادة بمفهوم الأفضلية و التقديس و التنزيه و التبجيل و التمجيد ، وهي كلّها خصائص انفرد بها دون غيره و بها استحق السيادة على الخلق أجمعين. و يزيد من رفع مقامه من بين الأنبياء فيقول :

هُوَ سيّدُ الرُّسُلِ الكِرامِ الأُمجدِ	و بِحُكمِ كُلِّ العارفينَ بِقدره
قالوا : بحِكمتهِ نَقَرُّ و نشهدُ (3)	حتىّ الذينَ تخلفوا عن دينه

فالسيدة و الريادة في هذه الأبيات التي تحدث عنها الشاعر تعلو على الآخرين لتحقق وصولها إلى الذات العلية ، فيكون المعنى " ليس كمثلته شيء " المثل المنزه الذي مثله في صورة الإنسان الكامل فأثبت له المثلية و نفى عنه أن يكون له مثل " (4) ، لذلك كان الحقّ

1 - فاروق خورشيد: " محمد ﷺ في الأدب المعاصر " ص 140

2- بلقاسم خمّار: " الديوان " ص 297

3 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

4 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " موقف 106، ص 287

تعالى تارة يجعل نفسه نائبا عن محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (1)

كما عبر عنها الشاعر قدور رحمانى في قصيدته غلال النبي ﷺ ، و التي يقول فيها :

يا سيدي ... لغتي سوطٌ يُعذبني      فكم كتابٍ على ظهري انكتبنا  
و كم كتابٍ غيوم النبض تكتمه      سرباً تنزاحم في الشريان و اغتربا (2)

يفرغ الشاعر على ذاته ﷺ هالة من القداسة حيث نجده يناديه بكل عز ووقار بعد أن تعبته هذا الحب و عذبه أشد العذاب ، و هذا المقام هو من جعله يكتب الكتاب . و قول الشاعر رياض رحال نسيم في قصيدته " دوح الرسول الأمد " :

يا قاصداً ثرى الإمام السيد      هلل فقد بلغت خير مقصد  
أبشر و عانق نازلاً و مهتد      وبلى الحشا بخير مورد (3)

يقرن الشاعر مفهوم السيادة بالإمامة ، فسيادته على جميع الأنبياء و لمرسلين أهله لأن يحظى بمقام السيادة في الدنيا و الآخرة ، و هو في هذا البيت يرى فيه الخير و الصلاح ، فلا يخيب من قصد مثنوى الحبيب ﷺ .

ب -2- أول الأنبياء و الرسل خلقا : فحقيقته هي الأولى في الخلق و الآخرة في الظهور ، و تسمى أيضا العقل الأول لصدور الكثرة عنه مما تقتضي تكثر الجهات فيه و بما أن تكثر الجهات في الله ممتنع لأنه واحد متعال عن أن يشمل على حيثيات و اعتبارات كثيرة لذلك صدر عنه إلا العقل الأول ، أما هذا العقل فهو متعدد الجهات و الاعتبارات (4) يقول قدور رحمانى في قصيدته " غلال النبي ﷺ " معبرا على أقدمية في الخلق ﷺ :

من و جنتيك نقاء الحب قد شرباً      حتى تحول صُبْحاً ينبت العنباً  
قد كنت في درر الأسرار ملتحفاً      شلال ضوءٍ دعاه الله فأنسكبا (5)

يبين لنا الشاعر من خلال هذا البيت العلاقة بين الروح المحمدي و الأنبياء السابقين عليه ﷺ و الخلفاء اللاحقين به و الأولياء ، " فهم في الحقيقة ليسوا إلا فروعا لأصل واحد و مظاهر لحقيقة واحدة ، التي اشتملت اشتمالا كلياً على هذه الأفراد الجزئية ، و ما أوضحه من الشرائع ، و ما جرى على أيديهم من المعجزات إلا عن هذا الروح المحمدي الساري فيهم." (6) ففي البيت الأول يشير الشاعر هنا إلى فكرة قدم النور المحمدي ، التي تغنى بها الشعراء في قوله " قد شرباً " فالرسول ﷺ حسب قول الشاعر قد كان قبل الوجود مخلوق نوراني قد شرب الرسل من قبله كأس هذا و قد أمنوا به رغم أنهم لم يروه بل

1 - سورة الفتح: الآية 10

2 - قدور رحمانى: "ديوان ثروة عمري" ص 11

3 - رياض رحال نسيم: "صخور الحنين" ص 168

4 - علي أبو ملحم : " الفلسفة العربية مشكلات و حلول " ص 137

5 - قدور رحمانى: "ديوان ثروة عمري" ص 11

6- محمود مصطفى حلمي: " ابن الفارض و الحب الإلهي " ص 372

سمعوا به فقط و شربوا بعدما تحول الشراب إلى عنب كما في قوله " حتى تحول " أي بعد الظهور، و بعد أن ختم به الرسالة الإلهية ظهر ﷺ في صورة بشر، فالعنب ينبت أولاً ثم يتحول إلى الشراب الذي شرب منه المحبون لهذه الشخصية المباركة. فهو النبع الفياض بمعجزات الأنبياء السابقين في وجودهم الزماني على وجود محمد ﷺ و بكرامات الأولياء و أهل الدعوة إلى طريق الحق ممن جاءوا بعده (1)، و يزيد في توضيح الفكرة أكثر الشاعر منير مزلياني في قصيدته " ما تبقى ":

أولُّ السُّنبلاتِ و آخرها بيدك ،،  
أنتَ فرطُ الحنانِ و ما تصنعُ الأغنياتِ .(2)

يريد الشاعر الإشارة إلى حقيقة التي هي " تفصيلات لهذا الكمال المطلق و أفاض أسرار هؤلاء الأنبياء نبياً بعد نبيّ .(3) " فكانت حقيقته في إبراهيم ﷺ بردا و سلاما ، و كانت في عيسى تحيي الموتى و تبرأ الأكمه و الأبرص ، و كانت في يوسف تأويل الأحاديث و الرؤيا و كلّ المراتب الوجودية التي هي أجناس العالم قد اكتملت بوجود هذا الإنسان .(4)

ب-3- نور الخلق: عبر الشعراء عن حقيقته النورانية (5) التي أشرفت على نفوس نفوس المحبين و التي لأجلها خلق الله الخلق ، ذلك أن نور الله هو نوره ﷺ و هذا النور كلّ عبر عنه حسب درجة تلقي هذه الأنوار عليه. من ذلك ما عبر عنه قدور رحمانى في قصيدته " أقبلي " و التي يقول فيها على لسان الحقيقة الأحمدية:

تتعرى على المغيب فتوحاً	من جفون الخنين تزرع خيالاً
أقبلي حتى أملاً القلب ذراً	نبويّاً و أقحواناً و نخلاً
أقبلي من كلّ المناطق صحواً	و غيوماً و دهشة تتجلى(6)

تتجلى(6)

و هذه الحقيقة عنده هي المنبع الفياض بالخلق، والمصدر الحقيقي الذي استمدت منه جميع الموجودات وجودها فالشاعر يدعو هذه الذات أن تتجلى له من كلّ المناطق ، حتى ييري النظر ، و قوله في قصيدته " غلال النبي محمد ﷺ ":

لما احتضنتك بالأنوار متسقاً	صارت مواسمُ صدري كلّها ذهباً
كلُّ النجوم التي أحببتها غربت	و نجم حُبِّك عن عيني ما غرباً (7)

(7)

1 - المرجع نفسه : ص 365

2 - منير مزلياني: " ديوان قل لآدم " ص 48.

3 - محمد مصطفى حلمي: " الحب الإلهي عند الفارض " ص 375

4 - ينظر أحمد محمود الجزار: " الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري " ص 71

5 - للنبيّ ثلاثة و ثلاثون نورا و هي أنوار العزة ، الغاية الإنسانية ، الإدراك ، النبوءة ، النشأة ، السابقة ، التشريف ، التذلل التركيب المولد الخلقة ، التربية ، الانتقال ، النهاية ، التضامن ، التسخير ، العادة ، الإتياع ، اللواحق ، الجاه ، الخطاية المقابسة ، التفضيل ، اللواء الإحاطة ، الحصر ، العلامة و الدلالة ، الخصوصية ، الخير المحصن ، العبودية ، التزكية ، المكانة الكبرى . ينظر : عبد الحق ابن سبعين "رسائل ابن سبعين - رسالة في أنوار النبيّ - " تحقيق : عبد الرحمن البدوي الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، مصر ، دط ، دت.

6 - قدور رحمانى: " ثروة شاعر " ص 128

7 - المصدر نفسه : ص 12

يعبر الشاعر هنا عن مدى شوقه لذاته سائرته فنجده يمزج بين صورة الشوق و صورة النور المحمّدي ممّا جعل الصورة أكثر إشراقاً. و هذه الإشراقه منبعها صراطه المستقيم لأنّه سائرته الهادي بهداية الله تعالى، فحقيقته حقيقة كلّ صراط الله " (1) ، و ذلك لاتحاد إرادته بإرادة الله تعالى ، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (2) ، لكونه الإنسان الكامل الذي لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ، فكيف به سائرته الذي هو البرزخ بين الحق و الخلق. " (3)

يقول محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح " معبرا عنها بالضوء تارة و بالنور تارة أخرى:

لا يُرِيحُ النُّفُوسَ غَيْرَ قَصِيدٍ      مِنْ حَنَائِيَاهُ يُشْرِقُ الْإِيمَانُ  
كُنْتُ فِي أُمَّتِي مَسَاكِبَ ضَوْءٍ      فِي مَدَى نُورِهَا يَشْبُ الزَّمَانُ (4)

و هذه الحقيقة عنده هي الجوهر المفقود و من استمسك بها قمة التوهج و الإشراق و كلّ الأنوار عنده زائلة إلاّ نوره فما زال و لا يزال متوهجا براق لامعا في الأفق العلى ينبض بالهدى و الإيمان لمن أشرقت نفوسهم للتقوى و كلّ من استمسك بالعروة الوثقى.

كما صرّح به محمّد الشبوكي في قصيدته " هلال ربيع " ، حيث يقول :

مَتَى يَا هَلَالَ تَعُودُ شُعُوبٌ      إِلَى نَهَجِنَا رَغَمَ كُلِّ خَلِيْعٍ  
بِرَبِّكَ قَلِّ لِي فَأَنْتَ شَهِيدٌ      يُصَدِّقُهُ كُلُّ رَأْيٍ سَمِيْعٍ؟  
فجأوبني مفصحا من عُلاك      بنُّور تَمُوجُ مِنْهُ سَطِيْعٍ (5)

فالشاعر هنا في معرض الاستنجاد بما لحق الدين من إهانة ، لذا نجده ينقل لنا مفهوم الحقيقة المحمّدية من مستواها المرتبط بالنبي سائرته و بزمناه إلى المستوى من عالم الفساد و قد ظلت النزعة التشاؤمية تسيطر عليه فأضحى الأسى هو المسيطر عليه ، أمام هذا الوضع المتسم بالعجز و الفتور و المرء لا يبيت أحزانه إلاّ لمن يملك القدرة على تغييرها و تحويلها إلى أفراح و مسرات ، فهو هنا يدعو الأمة الجزائرية إلى التمسك بهذا النور و الأخذ بما توصل إليه الإنسان الكامل لاستنهاض الهمم ، و تجاوز الهموم و المحن لخاص معركة البقاء الصمود .

و هذا المعنى ذهب إليه الشاعر بلقاسم خمار " يا شباب أحمد" التي تنوه بهذا النور السائد في شريعته ، من ذلك قوله:

و بنُّورِ نَهْجِكَ يَا مُحَمَّدُ أَرْشُدُ      وَ لَوْ هَجَّ دَرْبَكَ فِي الرَّسَالَةِ أَنْشَدُ (6)

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " موقف 102، ج1، ص 277

2 - سورة الشورى: الآية

3 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج1 ، الموقف 102، ص 277.

4 - محمد الفاضلي: " وردة للغريب " ص 30-34

5 - محمد الشبوكي: " ديوان نوب قلب " ص 204.

6 - بلقاسم خمار: " الديوان " ج1، ص 297 .

و هو في هذا البيت في حالة عرض الذات على مرآتها ، و هي الذات الحقّة التي لولاها لما عرفنا الرشد و الهداية ، فالشاعر انتهج دربه عن طريق كشف سرّها و إزالة حجبها رغبة منه في التخلص من مآثم الواقع.

و يقول محمد بن المبخوت في قصيدته " أنا مسلم " :

أنشد الكرامة لكلّ الخلق      فقد كرمني بالعبودية خلّقي  
فجعلت من أمة محمد فنلت      شرفاً متوهجاً بالنور و الإشراق (1)  
فمحمد ﷺ هو النور الأصلي الذي منه كلّ نور (2) ، و السراج المنير لكلّ سراج  
حسّاً و معنى من نبيّ و وليّ ، فغنّها المظهر الأول تظهر متعينة خاص. " (3)

ب- 4 - واسطة بين الحق و الخلق: نظر الشعراء المعاصرين إلى ﷺ حقيقته نظرة واسطة التي تصل بالمرء إلى حقيقة كنهه ، لأنّها الواسطة بين عالم الخلق و عالم الحق و الوصل التي تصل الأشياء الكثيرة بعضها ببعض حتّى تتحد ، و لأنّه الوصل بين البطون و الظهور (4) ، فالله خصّ بعض الخواص و هم أهل الشهود بالنظر بعين الخيال في الدنيا لأنّهم تجاوزوا الدنيا و وصلوا إلى البرزخ الذي هو موطن النظر بعين الخيال.

يقول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد" معبرا عنها بالفاصلة :

و ما مُحمّد إلا وقع فاصلة      في ظلّه الشّعْر و الإيمان يزدهر (5)

ففي هذا البيت نفحة صوفية واضحة ، حيث نجد الشاعر يشير إلى فكرة الواسطة بين عالم الحقّ و الخلق ، و ذلك في قوله " وقع فاصلة " فهو فاصلة بين عالم البطون و الظهور أو ما يسميه الصوفية " البرزخية " التي هي حقيقة الموجودات ، " فهي في القديم قديمة و في الحادث حادثة كالحقائق الكليّة المعقولة ، فهي البرزخ بين الوجود المطلق و العدم المطلق ، فمرتبة الإنسان الكامل هي برزخ بين مرتبة الألوهية و المخلوقات. " (6) فهو بهذا القول رأى فيه الحق الذي لا جمجمة فيه ، إذ " لا تقع الإشارة إلى كلّ شيء إلاّ بحقيقة الحقّ فيه. (7)

ب- 5- سرّ الخلق : وقفت حقيقته ﷺ عند البوابات الخارجية لما يسمى عندهم بعالم الأسرار باعتبارها الحقيقة التي يتطلعون بها إلى ينابيع الوجود العميق ، فهي كونها حقيقة سرّية متحررة من أشكال الكون و مظاهره و متعلقة بروح الكون و معانيه لأنّ صلتهم بالوجود هي صلتهم بالسرّ " هذا السرّ الذي ظلّ حاضر في باطن الوعي الصوفي و يتقوى كلّما اشتدّ الحنين إلى الأصول الوجودية. " (8) و هذه الحقيقة هي سرّ

- 1 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 137.
- 2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، الموقف 102 ، ص 277.
- 3 - المصدر نفسه: ج 1 ، موقف: 202، ص 465.
- 4 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1، ص 248 .
- 5 - عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 10
- 6 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 2، موقف 235، ص 469
- 7 - عبد الرزاق الكاشاني: " رشح الزلال " ص 95
- 8 - منصف عبد الحق: " الكتابة و التجربة الصوفية. نموذج محيي الدين بن عربي " منشورات عكاظ ، ط1، 1988، ص 457



اصطفاها الله من دون سائر الخلق ظَلَّتْ مستودعا في الكَمَل من الخلق فنجدهم يتطلعون إليها و يشوقون لمعرفة كنهها ، لأنها تتناغم و إنتاجهم الشعري، و لأنها تتجه صوب جوهر الأسرار الدفينة و الحجب الغامضة التي هي حجب الإنسان الكامل و أسرارهِ .

و هذا السرّ يمثل هاجسا محوريا يطوف حوله الشعراء في قصائدهم ، فبحثوا في مظاهر الكون و الطبيعة في تطلعاتهم إلى الغيب ، و هو ما نجده في قصيدته قدور رحمانى " ريش الدموع " حيث يقول :

صَمْتُ يُفْتَتُ فِي دَمِّي خَفَقَاتِي      مَثَلُ الْغُرُوبِ عَلَى ذُرَى الْهَجْرَانِ  
و الْغَيْبُ يَنْزِفُ عَاشِقَانِ خِلَالَهُ      رَبِّي الَّذِي حَيَّرْتَهُ وَ حِصَانِي (1)

رأى الشاعر في حقيقته صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعة أسرار : سر الغروب ، سرّ البقاء و الخلق، سرّ الهجران ، سرّ العالم الغيبي ، فالصوفي حين تفيض عليه الأنوار المحمدية و يفنى عن نفسه فيتكلم بالأسرار التي لم تكن عنده من قبل، فينطق بلسان الحضرة التي هي من لزوم المقام أنّ " أدب الموطن يقتضي بعدم الظهور بالصفات و الأسماء المتجلية في العارف الظاهرة المسماة عبدا لمقتضياته الذاتية اللازمة لصورة الناقضة لئلا يلزم التناقض بين حاله و مقاله و هذه الكتمية لأوصاف الربوبية هي ما يسمى بالكمال" (2) ، فالشاعر في هذه الأبيات يحاول أن يربط بين حقيقته صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوصفها المخلص الوحيد من هذه الغربة و الهجران ، و ما يحمله الإنسان في باطنه من خفايا سعيها منه للوصول إلى هذه الحقيقة ، و لما كانت التجربة الصوفية تجربة كشف عن الباطن، و بحث عن الحقيقة الكامنة فيه . تعنى بكلّ خفي مستور تتجاوز المنطق و أحكامه الشرعية و العقل الفقهي المؤسسان للمعرفة الظاهرة ، فإذا كانت النبوة المحمدية خاتمة النبوات الظاهرة فإن لها ما يتممها في الباطن .(3) و إذا ما أمعنا النظر في هذه الأبيات نجد الشاعر يصور لنا حال الذات في اغترابها و هي تسعى إلى الإتحاد بما ينبغي أن يكون ، و هم في اغترابهم" لمصلحة و مقصد و تدبير (4) و غربة عن حقيقته من الدهش عن المعرفة " باعتبارها تجربة الشعور بالاغتراب لخالصها الروحي من الأزمة النفسية لأنه " إذا عرف أورثت معرفته الدهش و التعظيم في تجلّ يغرب عنه ." (5)

و في قصيدته " غلال النبّي محمّد صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " عنده سرّ منبثق من أسرار الرّوح و خباياها فهو في هذه القصيدة يحاول كتمانها إلا أنّ سكره يعلن ذلك السرّ المخفي و هو ما أفصحت عنه العبرات في هذه العبارات في قصيدته البائية التي تذوب في النفحات الانعزالية:

و كمْ كِتَابَ غِيَوْمِ الْنَبْضِ تَكْتُمُهُ      سَرَبًا تُزَاحِمُ فِي الشَّرِيَانِ وَ اغْتَرِبَا  
لَمْ يَبْقَ مِنْ شَفْتِي إِلَّا فُتَاتُ دَمٍ      مَاذَا أَقُولُ وَ دَمْعِي حَيْرَ الْهُدْبَا (6)

(6)

1 - قدور رحمانى: "ثروة عمري" ص 94 .

2 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ج 1 ، ص 131

3 - ينظر أدونيس: "الصوفية و السريالية" دار الساقي ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 172-173

4 - عبد الرزاق القاشاني: " رشح الزلال " ص 114

5 - المصدر نفسه : ص 115

6 - قدور رحمانى: "ثروة عمري" ص 12

ففي هاذين البيتين تظهر المبالغة بشكل جليّ ، فقصيدته لم تخلو في عمومها من المبالغة في إطار صوفيتها ، فهو لا يقصد السرّ في حد ذاته بل يعتبره طريقا إلى الغيب و إلى اختراق الحجب و سرّ الشاعر مصان لا يعبر عنه إلا الدمع و العبرات التي تريح " العبد عن كليته و تخرجه عن دائرة حسّه و تغرقه في بحر الحضرة " (1) خاصة في حديث الشاعر عن اتحاده و فناءه في ذات المحبوب و ذلك بعد شربه كأس المحبّة المحمّدية ، بحيث لا شعور له فيما عداها من نفسه فيسمع و يشهد ما لا طاقة للعقول بفهم مبادئه و غايته شهودا و سمعا و إدراكا و ذوقا و هذا من أعزّ الأسرار التي تقاض على العبد .

و قول الشاعر عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس في حضرة الأنس ":

و تحصّن ببحارٍ للطلب      راكباً لفلکٍ مَنع و هنا  
ذاك سرٌّ قد بدأ فاطرُ به      تَنلُ العزَّ و ترفعُ علنا(2)

ففي هذا البيت دعوة من الشاعر إلى المرید - بالمعنى الصوفي - إلى الطريق التي يجب عليه أن يسلكها في الدرب الصوفي ، و هي التمسك بمقام السرّ لبلوغ مقامه ~~السرّي~~ حفظا لكرامتهم لأنّ هذه المقامات و الأحوال هي سرّ إلهي مقدس لا ينبغي البوح به ، و هناك من الأسرار ما لا يمكن تصويره و لا توهمه فضلا على أن تصل إليه العبارة و تحيط به دائرة الإشارة لعزة سطوته و جلاله ، و لا حدّ للأسرار و لا يعرفها إلا من ذاقها.

1 - أيمن حمدي : " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 66

2 - عمر أبو حفص : " الرسائل " ص 92

**ج - من الناحية الصوفية :** ألح الشعراء على العديد من القضايا لنشدان الحقيقة فكانت الضمير الحيّ الذي حجب القيم المادية في علوه و مكانته العلمية للسمو على الواقع ، فالشاعر المعاصر لما أحسّ بالضيق على حرّيته انكفأ على نفسه يبيت أحزانه و يصوغها في قصائد روحية يرثي بها واقعه و يحث بها شعبه للاتصال بهذا النور المحمّدي و تتحلى حقيقته من الناحية الصوفية فيما يلي :

**ج-1 - المعرفة:** غدت التجربة العرفانية بعدا روحيا ، فقد ظلّت تمدّ القارئ بمعرفة نظرية للمبدأ الصوفي ، و تكمن نظرة الشعراء المعاصرين لحقيقته ﷺ في جوهرها العرفاني ، إذ لا تكتمل إلاّ بالعلم و العمل كغرض للمعرفة ، حتّى تحقق الكمال الإنساني المطلوب.(1) فهي الأصل لكلّ علم و عرفان (2) ، و هي المسمّى بباطن العلم و الوجود .(3) و لما كانت صورته ﷺ صورة علم الحق بذاته و صورة نسب علمه عبارة عن تعيينات وجوده التي هي أحواله من حيث تعددها ، و عينه من حيث توحيدها .(4)

و هي المعبر عنها كذلك بألم الكتاب فلأنّ الوجود مندرج فيها اندراج الحروف في الدواة فهي مصدر الوجود و محلّ الأشياء، فالكتاب هو الوجود المطلق (5) فألله أرسل الرسل و أنزل الكتاب ، و من أجله تنزل جبريل بأمر ربّه على جميع الأنبياء و الرسل .(6)

و تسمى ﷺ بهذه الحقيقة العرفانية " المعلم الأول " فهو أول معلم ظهر في الإنشاء باعتبار نشأته الظاهرة ، فعلم آدم الأسماء كلّها ، و ما علم الأسماء إلاّ من نفسه بأن كشف الحقّ له عن ذاته فوجدها مجموع الأسماء ، فالحقيقة المحمدية مجموعة صورة آدم الظاهرة و الباطنة . (7) و بين العلم باعتباره حقيقة مشتملا عليها في بادئ الأمر و تنوعت حقيقته ﷺ و تعينت ، و أول ما لاح من العلم الروحاني ، ظهرت بالتجلي الذاتي موصوفة بجميع صفات الحق تعالى و فوّض إليها تدبير كلّ شيء يوجد بعدها، فهي المتصرفة في معلوماته تعالى حسب إرادته فتستمد من العلم و تمدّ الخلق."

- 
- 1 - ناجم مولاي: " مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي " مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 07 ، جانفي 2012 ، جامعة الأغواط ، ص 143
  - 2 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، موقف 144 ، ص 367
  - 3 - المصدر نفسه : ج 1 ، موقف 144 ، ص 367.
  - 4 - المصدر نفسه : " المواقف " ج 1 ، ص 241.
  - 5 - المصدر نفسه : ج 1 ، ص 243
  - 6 - محمد الراوي: " الرسول ﷺ في القرآن الكريم " مطبوعات أخبار اليوم ، 1998 ، دط ، ص 16
  - 7 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج 1 ، ص 249.

و تسمى أيضا الإمام المبين لأنه فصل الموجودات، و بين أعيانها بظهوره فيها، كما بين الحبر الحروف و الكلمات (1) ، و يسمى الخزانة الجامعة لأنه كناية عن علم الله تعالى فكلّ كلّ ما خرج من الغيب فمحلّه هذه الخزانة الجامعة. (2)

و هذه المعرفة هي غير المعرفة الحسية و الاستدلالية ، هي " معرفة ذوقية كشفية إلهامية باطنية تأتي القلب مباشرة دون أعمال العقل و دون استخدام الحواس ، فهي إذا معرفة خاصة معرفة فردية و نشاط روحي خاص بكلّ صوفي " (3) ، و هذا العرفان يحدث حين تدخل الرّوح مرحلة التجلي مع بارئها فيحدث ما يسمونه كشفا و هو كشف ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، كشف عن وجه عالم مخبوء و عن علائق خفية بتمزيق وإحالة الحجب المعيقة فتحرق أجنحة طائر الفهم و يعود البصر قليلا و العقل عليلا و تلبس قلوب الصفاة من العباد ملابس العرفان(4) و " علامة العارف أول دخوله في المعرفة المعرفة و من لم يبلغ مرتبة الشطح لا يصحّ أن يُسلك في عداد العارفين بالمعنى الصحيح." (5)

و حديثهم عن حقيقته عليه السلام العرفانية جاءت إثر هذا الواقع المتأزم ، فلم يجدوا السبيل سوى اللجوء إلى تيار الإشراق المحمّدي المنقذ من التردّي . من ذلك ما عبر عنه الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع " عن هذا الهبة الربانية في قوله :

يا ريشة العنقود أنت نبوءة  
وجه تقطر من حنان ربابة  
فاضت على شفّتي فتوح بيان  
و فم أضاء كبر عم الغفران (6)

يربط الشاعر هنا نظرية النور المحمّدي بالحديث عن نظرية الفيض ، فحقيقته عليه السلام فاضت عليه و تفتحت و أشرقت بعدما كانت مستترة في قلب الأسرار، فتدلّت و انسكبت في شكل أضواء ، ففي قوله " أضواء " إشارة إلى الفيوضات الربانية و إشراقات النورانية المحمدية التي تسلسلت في الأنبياء و الرسل من قبله و الدنيا ، و من عليها من إنس و جان و ما فوق الأرض من أنهار و أشجار و غيرها من المخلوقات التي خلقها الله ، فإذا ما التحم قوس الممكن و قوس الواجب أشرقت دائرة الوجود المحمّدي في جميع الأنحاء ، و الشاعر هنا في مرحلة الشهود التي تتم فيها المعرفة بالنور المحمّدي معرفة حضور ، و هذا الإتحاد لا يكون العين بالعين أو الجسم بالجسم ، وإنما هو إتحاد بمفهوم الذات من أجل شهود ذات الذوات- الذات المحمّدية - و هو لا يعني أن يصبح الشيء واحدا، أو يزول أحد الطرفين ، بل يحافظ كلّ منهما على جوهره ويُولد الإتحاد علاقة مشتركة مع بقاء هوية كلّ منهما ، و هذه المعرفة تتدرج حسب مراتب العارفين فكلّ يتلقى المعارف حسب درجة المقام الذي بلغه.

و يقف متأملا تأملا صوفيا فيقول في قصيدته " أقبلي " :

كنت لي مطلقا وراء غروبي  
يسكب الأغنيات نارا و ظلا

1 - المصدر نفسه : ج 1، ص 249.

2 - المصدر نفسه : ج 1، ص 274

3 - محمد جلال شرف : " دراسات في التصوف الإسلامي - شخصيات و مذاهب " ص 10

4 - شهاب الدين السهروردي : " عوارف المعارف " تحقيق : عبد الحليم محمود و محمود بن شريف ، ج 1 ، دار المعارف القاهرة ، د ط 1993 ، ص 93

5 - عبد الرحمان بدوي : " شطحات الصوفية " ص 22

6 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 95-96

و فتوحاً في صحتي و غيبي  
أنت دربي الذي أفاض جوادي

كضروع الكُروم تملأ حقلاً  
فمُحالٌ عن مشربي أتخلى (1)

و قوله هذا إن دلّ على شيء يدل على التحول التدريجي الذي تحدثه آليّة الاستشراق القلبي للمعرفة أثناء حالة الشهود، وهذه المعرفة في رأي الشاعر هي الباب الموصلة إلى " باب الأبواب أو التوبة لأنها أول ما يدخل به العبد حضرة القرب من جناب الرب" (2) و هي ميلاد للمرة الثانية ، أو كما يسميها السهروردي في كتابه عوارف المعارف " ولادة معنوية " فهي نقطة البدء في الحياة الصوفية. فبعدما كان للصوفي قلباً كما وصفه تعالى ﴿ هُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (3) ، ولما سمع و لمس قبسا من هذا النور صفا قلبه ، و أمحت البواطل وزالت شوائب محبة الدنيا فتنتقش الحقائق الكونية فعلم سرائر نفسه ، و انتهج علما يجلي أبصار قلبه. لما كان " تبين الأشياء على الظاهر علم وتبينها على استكشاف بواطنها معرفة" (4) فالشاعر بعد أن صفت ذاته لهذه النفس الصافية و تجردها من المادة تلقّت الصور من الغيب ، أشرقت عليها المعارف العلوية إشرافاً نورانياً.

ج-2- حقيقته الختمية: و ختميته سألتني جمعت الحقائق الإلهية و الكونية و ظهرت منها آثارها بمنزلة محل فص الخاتم من الخاتم فالفص مثلاً بمنزلة المتجلي و قلب العارف أو الإنسان الكامل بمنزلة محل الفص" (5) و بهذا المقام شهد الله له بذلك ختمه لمقام لمقام الرسالة الجامعة لمشارب جميع الأنبياء و المرسلين لكونه سألتني ختم به الرسالة و النبوة

و من هنا يتضح أنّ الختم هو الجامع للأمر كله ختامه و ابتداءه . يقول عمر أبو حفص معبراً عن بلوغه هذا المقام في قصيدته " نور القدس في حضرة الأنس":

خُتِمَ هذا لأبي حفص عمرَ      زادة الله صفاءً دائماً  
آخر الصّوم العَظيم جُمعنا      مع عبادِ أهل سرِّ كمنّا (6)

يحاول الشاعر في هذه القصيدة أن يبين لنا طبيعة المقام الذي يسلكه الصوفي للوصول إلى الحضرة المحمدية و هو مقام الختمية أو ما ما يسمى مقام " التابع أو الوارث المحمّدي" فبعد أن ارتوت من معين السرّ المحمّدي أثمرت أغصان المحبة قطوفاً دائية و بعد أن كان الشاعر صاحب حال يعود إلى طبيعته بعد أن أصبح في مدرك الحسّ، و عاد كما بدأ فهو هنا يصف حالة وصوله إلى المقام الأعلى التي لا يصلها إلا المتحقق الكامل ، ومن هنا فقد غدت "الحضرة النبوية" عنده تنتصب طرفاً مقابلاً في جدلية البناء الروحي للشخصية الصوفية بحيث لا يمكن اختراق الحجب إلا بواسطة سألتني ، و لا يمكن الوصول إلا بتمكين منه فالإقبال عليه هو إقبال على الله ، و الوصول إليه هو الوصول إلى الله ، و قد جعلته الثقافة الصوفية علامة على التوفيق في تجاربها لكونها أصلاً مكّلاً للأساس الذي قامت عليه

1 - المصدر نفسه: ص 129

2 - علي زبور: " العقلية الصوفية و نفسانية التصوف " دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 ، 1979 ، ص 162.

3 - سورة الأعراف: الآية 179.

4 - أبو بكر محمد بن إسحاق الكلابادي: " التعرف لمذهب أهل المتصوف " ضبطه و علق عليه: أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار

الكتب العلمية ، ط 1 ، 1993 ، ص 72

5 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 3 ، موقف 358 ، ص 1078

6 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 29

مفهوم الطريق الصوفي " (1) ، فالشاعر هنا أصبح أصلا بعدما كان فرعاً ففي هذا البيت تتجلى لنا نزعة الشاعر الصوفية إلا أنه لم يفصل القول فيها.

و قول الشاعر مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات " يصف درجة هذا المقام:

و إن يُعَرَّ مَنْ شوقِ الحقيقَةِ إنسانُ  
و غامتْ بأمشاجِ الأساطيرِ أجسامُ  
فدونَ اللقاءِ صعبَ تنهْدُ جُدرانُ  
و دونَ الوصالِ العذبِ تنقُدُ قضبانُ (2)

تضعنا القصيدة منذ البدء في رحلة روحية تنطلق من حبّ إنسان لإنسان آخر بلغ قمة الكمال بإنسانيته ، فهو هنا يصف حالة وصوله إلى المقام الأعلى التي لا يصلها إلا المتحقق الكامل و مع هذا اللقاء الواضح الذي أضحى الشاعر به في قمة المقام ، و بعد وصول السالك من حالة انفصال إلى حالة امتلاك (3) ، فيصعب عليه مفارقتها ، ذلك أن الذات الصوفية هي دائما تعيش في حنين دائم إلى الأصل "مصدرها الأول" بحثا عن واقع أكثر إشراقا و صفاء و عن ذات أكثر عرفانا باعتبارها القدرة الكامنة لدى الإنسان، تسعى الروح فيها إلى تحطيم و إزاحة تراكمات الوعي السلبية من أجل فسح مجال لها لتصل إلى النفس فتطهرها و تذهب المذموم من الغلّ و الغش.

ج-3 الرحمة: فحقيقته <sup>سألته</sup> هي الرحمة التي وسعت وعمّت كلّ شيء و هذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم و أول صادر عن الحقّ بلا واسطة (4) فحقيقته محمّد <sup>سألته</sup> هي الرحمة العامة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (5) ليس المراد بالرسالة رحمة للعالمين ، فإنّ هذه الحيثية غير عامة لجميع العالمين ، فإنّ العالم اسم لما سوى الحقّ ، بل المراد إرساله من حيث حقيقته التي هي حقيقة الحقائق ، و الرحمة الخاصة هي رحمة الله تعالى التي يدرك بها عباده في أوقات مخصوصة ، وغالبا ما يلجأ الشعراء المعاصرين إليها لكونها المنقذ ، و ذلك عندما يحتدم الصراع في نفس الشاعر بين شوق إلى حياته الناعمة و شعوره بالعجز عن تحقيق رغباته مما يزيد في إشعال ناره .

و من الشعراء المعاصرين الذين عبروا عنها الشاعر عمر أبي حفص ، فقد كان منسجما مع المنهج الصوفي خير انسجام ، يقول في قصيدته " نور القدس لحضرة الأنس " معبرا عنه

و تَلطَّفَ في السُّؤالِ و اركبُنْ  
أحمدَ المبعوثِ رحمةً لنا  
سُفنَ الرِّحمةِ تُلفَ السِّكِّنا  
فتحليننا بحلية الثنا (6)

- 1 - ياسين بن عبيد : " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص14.
- 2 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 90 .
- 3 - محمد بنعمارة : " الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " ص 303
- 4 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 1 ، ص 240
- 5 - سورة الأنبياء: الآية 107
- 6 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص92

فهذه الرحمة عند الشاعر هي الأكثر عمقا و اتصالا بالواقع الإنساني المعاصر، فهي الشخصية الحقيقية و الأساسية للإنسانية و الضرورية لإنقاذها ممّا هي فيه ، لأنّ نسبه ﷺ عند الله إلى جميع الوجود من العارفين ومن وراءهم بمنزلة إنسان العين من العين، به يُرحم الوجود و به يفيض " سبحانه و تعالى و به يبقى الوجود ، و به يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكلّ العباد ، و سحابة مطرة في سائر البلاد. (1) و قول الشاعرة جميلة عظيمي زيدان في قصيدتها " لا يلثم البدر":

سَلامٌ عَلَيْكَ حَبِيبَ الإِلهِ      وَ رَحْمَةٌ أَيَّانَ إِشْفَاقِ  
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَعْشُ زَمَانَ مُحَمَّدٍ      لِأَنَّهُ عِنْدِي فِي ضِيَاءِ أَحْدَاقِي (2)

و لو انقطع هذا المدد عنها لفنيت حال انقطاعه.

ج- 4 - حقيقة قاب قوسين : اتخذ الشعراء منها وسيلة إلى الاتصال بالذات المحبوبة و في ظلّ هذه الرحلة تنتعش روح المحبّ ، و ذلك بسلوكها الطريق نحو الحبيب و تسمى أيضا الواحدية و الأحدية لقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (3) و هذا المقام يعدّ رمزاً لارتقاء الإنسان بعقله و قلبه و روحه ، إلى عالم الروح ، وأكثر ما تتعلق بفكرة المعراج التي كثيرا ما نجدها تردد على ألسنة الشعراء رغبة منهم في الارتقاء إلى مقامه رغبة بالارتقاء فوق النبوة و الالتحاق بالألوهية إنّ قصص المعراج لاحتوائها الخبرات الروحية و التصورات الدينية الصوفية (4) و هذا المقام يتم وفق خطة استعلاء روحية مراحلها تمثل أحوالا و مقامات؛ هي نتائج و ثمرات مجاهدات، أصل نعم الطريق الصوفي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (5).

يقول الشاعر مصطفى الغماري معبرا عنها في قصيدته "مناجيا" حالة انطلاقة نحو الذات:

دَنَوْتُ شَفَاهَا ظَامِنَاتٍ وَ عَيْنِينَ  
وَ هِيمْتُ عَلَى أَنْفَاسِهِ قَابَ قَوْسَيْنِ  
وَ دَقَّتُ تَرَقَّتْ ذَا شَجْوٍ وَ شَجْوِينَ  
وَ كَانَ الْأَمْرُ مِنْهُ بِحَرْفَيْنِ (6)

يصف الغماري في هذا البيت حالته في الارتقاء إلى المقام الأسنى ، حيث يرى ذاته ترسف بقيود البدن ، ففكرة المعراج في هذا النص هدفها " الكمال" و هي المعبر عنها ب "قاب قوسين" التي هي حضرة الجمع و الوجود ، و المتحقق بها هو المتحقق بمقام الأكمالية الذي هو فوق مقام الكمال (7) وهو في تعبيره هذا رغبة منه في " الانخراط لبناء إنسانية روحية للأمة الإسلامية ؛ وهو بناء هرمي ، يستوي على قمته النبي ﷺ (8) والذي اتخذه

1 - أيمن حمدي: " قاموس المصطلحات الصوفية " ص 48- 49 .

2 - جميلة عظيمي زيدان: " أزهار اليأس " ص 27

3 - سورة النجم: الآية 09

4 - صادق ، سليم صادق : " المصادر العامة للتلقي عند الصوفية " ص 332

5 - سورة العنكبوت: الآية 69

6 - مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 90

7 - الأمير عبد القادر الجزائري : " المواقف " ج2 ، موقف: 248، ص 579

8 - محيي الدين ابن عربي : " الإسرا إلى المقام الأسرى " تحقيق : سعاد الحكيم ، ص 31.

الشاعر ممر يسير عليه السالك للعروج نحو ذاته <sup>سالكاً</sup>، فبعد التخلص من العناصر الأرضية والإنعتاق من كل ما يربطه بالعالم و يواصل السالك سرد كيفية اختراق الحجب حتى تتضح له الأسرار و في المرحلة الأخيرة وهي بمثابة التجربة الممّجة (1) ، أشبه بحالة الوحي بالنسبة للنبي و يصبح مؤهلاً للإسراء مثل النبي. (2)

و في قول الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع ":

لَمَّا عَبَرْتُ الكَوْنَ رَمَحًا مِنْ شَدَى      كَفَّتْ كَوَاكِبُهُ عَنِ الدُّورَانِ  
أَنَا لَسْتُ أَظْلَمُ إِنْ طَلَبْتُ المُنْتَهَى      وَ المُنْتَهَى مِعْرَاجُهُ كَأَسَانِ (3)

يغدو عروج الشاعر هنا رؤيا نبوية تخرجنا إلى العالم الآخر، و لما كانت الذات المحمّدية في بعدها النفسي التي تفوح عطرا و إيمانيا أرادها الشاعر من تفنعه في تطلع إلى الأفق الرحب للتعبير عن آلامه ، ليزيح عن صدر الشعب الجزائري جبال اليأس ، و يحول دون تسرب التشاؤم إلى النفوس . ثم يواصل وصف رحلته المعراجية في قوله:

يَا زورِقَ الأَبْعَادِ كَمْ حَيَّرْتَنِي      فَمَنِّي أَقْبَلُ سَاحِلَ المُرْجَانِ؟  
نَادِي شِرَاعِي قَدْ وَصَلْتُ وَ حِينَمَا      قَرَّتْ رَجْلِي أَبْحَرْتُ شَطَائِنِي (4)

يقف الشاعر هنا بين قطبين ، قطب الأرض و السماء الملاً الأدنى و الملاً الأعلى و ذلك بعد أن تستقيم له الإرادة و يبصر باليقين البرهاني و يسلك درب التصوف من أجل الاعتلاء و الاعتصام بالعروة الوثقى ، و هو في سفره الرّوحي يقصد إلى قطع المألوفات و الانسلاخ من ركون النفس للمعهود و المألوف من خلال مجاهدات و رياضيات تتدرج من مجاهدة إلى أخرى تكشف دقائقها و سرائرها و هو بهذا المقام يمثل جدل التجربة الروحية للوصول إلى باطن الذات المحمدية ، حيث يدرك العالم بتجاوز الذات و تدرك الذات بتجاوز العالم ، و هذا التجاوز مبعثه الشوق الذي عذبه و أحرق التطلع إلى معارج النور إلى أن أضاء عليه و هو في بلوغه مقام المنتهى الذي يغير نهاية التدلّيات و يعطي الحقائق حقها يكون في طريق النبوة و بالتالي تقربهم بالضرورة من الألوهية و الغيب اللامتناهي و تريد أن تعبر الزائل إلى الخالد.

ج-5- حقيقة الإنسان الكامل: لقد أولى الشعراء فكرة الكمال اهتماماً مُميّزاً ليس بوصفها قضية معرفية و حسب ، بل بوصفها فكرة أدبية ذات دور ريادي اجتماعي و رمز سامي للإنسانية في أفقها الأعلى، باعتباره أكمل أفراد الإنسان و لكونها حقيقة تُبشّر بالمبادئ و المثل و هذه الحقيقة طموح إنساني مشروع ، و واجب مشترك و الغاية القصوى من الوجود و لما كان الإنسان كيان و وجود قابل للنمو و السمو و جب على النفس تعهدها بالرعاية و السقاية شأنها شأن الجسد و هذا الكمال كان يمثله أصدق تمثيل سواء في الحياة الخاصة أو في الحياة المجتمعية التي تشخّصت في الإسلام كدين كامل يجمع بين مختلف الحقائق و الاعتبارات سواء كانت متعلقة بحقائق المثل "عالم الغيب الميتافيزيقا" أو حقائق

1 - أمانة بلعلی: " تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة " منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص 23

2 - محمد بنعمارة: " الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " ص 303 .

3 - قدور رحمانی: " ثروة عمري " ص 96

4 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها



الواقع. (1) و على مستوى الرّوحاني قادر على الاتصال بالعقل الفعال (2) و هذا الاتصال يفسره خلق الله سبحانه ذاته على الصورة الرحمانية على الوجه الأكمل هي حقيقته و غيره من الأنبياء و الكمل من ورثهم حصل لكلّ نبيّ واحد منهم بحسب ما قسم له من القرب الإلهي و إن اشتركوا كلّهم في الكمال النّبوي. (3)

و الحديث عن حقيقته الكمالية كانت " وليدة أزمة روحية وفكرية شكلت صدمة للواقع والإنسان و حركت فيه بواعث الرغبة في التغيير، وتنقية الذات مما علق بها من شوائب". (4) الشعراء أحسّوا ما يتخبط المجتمع من اضطراب فنظروا إلى أفرادهم فوجدوها مقيدة بقيود النقص فوجد فيه تعويضا لما افتقده في الواقع من راحة و سكينه و لأنّه الأقرب إلى واقع النّاس و مشكلاتهم و ثم نظروا إلى أكمل صورة فوجدوها متحررة من قيود النقص قائمة بصفات الكمال فاستبدلوا مفهومها بأسمائه المعروفة من صفات بشرية عادية كتحمّل الأمانة وأداء الحق و صفات تكريمية ملؤها الحبّ والتقدير.

عن هذه الحقيقة عبر الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " غلال النّبىّ محمّد ﷺ " رغبة منه في التطلع إلى الكمال الذي راح يرنو إليه جاهدا بكلّ طاقاته النفسية في الوصول إليه سعيا في تأسيس حكومة باطنة ضاربة في جذور نفسه، حيث يقول :

إذا دنا منك صحوّ سأل مغفرةً      وأعشب الغيمُ مُرجانًا إذا اقتربا  
في ظلّ ثوبك يغدو للحصن وهجٌ      يُنقِطُ الأرضَ والأبعادَ والحجبا  
ككيف يدنو بيانُ الشعر من أفقٍ      في وجهه لخصّ الأقمارَ والكُتبا (5)

يعبر الشاعر في هذه الحقيقة عن تجربة شعورية صادقة تفيض بمشاعر الحبّ والذبل للرسول ﷺ و التجرد من المصالح والأطماع الدنيوية ، لا سيّما أنه وليد نزعة إنسانية تتوق إلى مثل أعلى و الكمال الذي يطلبه الشاعر هدفة إقامة مجتمع فاضل ، لأنه يتصدّى لمشروع حضاري كبير، محوره كمال الإنسان الفرد، من أجل كمال النوع ، ومن أجل كمال الإنسانية غايته بناء مجتمع إنساني يتجاوز الطائفة، والعرق، والدين، واللون ، وهذا دليل طموح ديني مفتوح يتجاوز الفروق الدينية والعقائدية بين البشر، ويُقدّم نموذجاً أمثل للإنسان الذي يساهم في حلّ تناقضات الواقع حلاً مثالياً مُستقى من رؤية باطنية روحية ، فرأى في حقيقته صورة أقرب إلى حقيقتهم ، حيث يبث همومه و أشواقه إلى حضرته و لا يتحقق إلا بتوفر كمال إنساني عقلي وأخلاقي ، وروحي ، فالعنصر الروحي عنصر أساسي في الإنسان الكامل وهو عنصر إلهي وعن طريق العقل والأخلاق يستعلي على المادة ، ويقوم بفاعلية اجتماعية وكونية التي يحتاج إليه كل واحد في كل زمن يعتريه الفساد (6) ، و محمّد ﷺ توفرت فيه هذه العناصر فكانت له صفات و شمائل رفعت في أنظار أهل مجتمعه إلى مرتبة لم يصلها غيره من حيث خلقه و استقامته ، و صدقه ، و أمانته ، ومن حيث مناقبه و صلاح نفسه جامع البطولة ، والقداسة والكلية و الذي لم يتجسد إلا في شخص النّبى ﷺ .

2- عبد المجيد الصغير: " التصوف في الفكر الصوفي المغربي " ص 176

3- سعد الدين كليب : " البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي " ص 31.

4- الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 2 ، موقف : 248 ، ص 579 .

4- عبد القادر فيدوح : " الرؤيا والتأويل " ص 64

5- قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 12

6- محمد سعدي: " بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي " مجلة حوليات التراث ، العدد 1، 2004 ، جامعة مستغانم ، الجزائر

و من الشعراء الذين ظلت حقيقته **عليه السلام** حلمهم الشاغل لخلاص البشرية ممّا يُكدر سعادتها وأمنها وكفايتها ، الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد":

تَهْفُو إِلَيْهَا نُفُوسٌ بِاللَّهِ مُؤْمِنَةٌ      قَتَجْتَنِي رُطْبًا وَ الْكِرْمُ يَعْتَصِرُ  
بُنُورُهُ تَهْتَدِي مِنْ رَمْسِهَا أُمَّمٌ      تُحْيِي مَوَاوِيلَ عِشْقٍ لِيَزِدْهُي الْأَثْرُ  
اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ ذَاقُوا وَ كَمْ هَتَفُوا      اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ هَامُوا وَ كَمْ سَكَرُوا (1)

و الشاعر لأنّه عاش تجربة المحبة المحمّدية و اصطلى بناها ، فرأى فيها الحقيقة الكاملة و المنزّهة عن العيوب والنواقص ،فهو في قوله هذا يريد الإشارة إلى حقيقته باعتبارها محور البناء في الوجود بأكمله.(2)

و خير من عبّر عن حقيقته الكمالية كذلك عمر أبو حفص في نونيته ، حيث عدّ لنا فيها الخطوات التي يسير على وثباتها الإنسان حتى يصل إلى مقام الكمال المحمّدي ، يقول فيها :

و لَبَحْرِ الخِدْمَةِ اركبْ سَفِينًا      لِلنَّجَاةِ مِنْ عَوَاصِفِ الْفَنَا  
وَافْتَحِ الْقَلْبَ بِحَمْدٍ وَ ثَنَا      تَلْمُحِ الْبَسِطِ وَ تَقْرِيْبًا دَنَا  
يَا نَسِيْمَ سَاعَةٍ مَرَّتْ بِنَا      فِي جَمَالِ الْقُرْبِ اُنْسَا وَ هَنَا (3)

و الصورة الكاملة للإنسان الكامل هي التي تجمع حقائق الوجود كلّ ، فهي منتهى غايات الكمال الإنساني (4) كما عبر عن ذلك الصوفية بأنّه " أكمل موجود في هذا النوع الإنساني ولهذا بدئ به الأمر وختم (5) ، و بهذا المفهوم بمقدور كلّ إنساني عنده قابلية الكمال الكمال الإلهي لأنه مخلوق من الذات الإلهية (6) ، فكلّ إنسان حصل له الكشف و المشاهدة ، فهو مخلوق على الصورة الإلهية تتصرف بشؤون الخلق بصفات الحق و أفعاله، و إن لم يكن كاملا بالفعل فهو إنسان بالصورة و القوة و الصلاحية ، صالح لأن يكون كاملا بالفعل لذلك حفته العناية الربّانية " (7) و إذا كما أنه بإمكانه كلّ إنسان أن يكون فيه ظهورها و بطونها على قدر كماله و نقصانه (8) ، فهي " موجودة في الجميع و كلّ إنسان قابل لرتبة الإنسان الكامل ، و لكنهم متفاوتون في ظهور آثار الإنسانية " (9) فالملائكة لم تنزل تسجد لمن ظهر بالحقيقة الإنسانية على الكمال كما سجدت لأدم بهذا يكون الإنسان الكامل هو مثل المثل ،لأنّه المثل الأعلى للحق ، فقد ظهر بالإنسان الكامل من الأسماء الإلهية ما لم يظهر بالعالم ، فهو المثل الأعلى لقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (10)

و في الأخير يمكن القول أن حقيقته **عليه السلام** في الشعر المعاصر قد أعطت مفهوم غير الذي أعطته في العهد السالفة الذكر ، فالشعراء المعاصرين و إن لم يشتهروا بوصفهم صوفية

- 1 - عبد الحفيظ بورديم: " بناييع الحنين " ص 10
- 2 - علي عشري زايد: " استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث " ص 77
- 3 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 92
- 4 - سعاد الحكيم: " المعجم الصوفي " ص 348
- 5 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 3 ، موقف : 367 ، ص 1151
- 6 - عبد الكريم قاسم: " قضايا وإشكالات التصوف عند أحمد علوان " مكتبة مراد سعيد ، صنعاء ، ط 1 ، دت ، ص 293
- 7 - الأمير عبد القادر الجزائري: " المواقف " ج 3 ، موقف : 345 ، ص 944
- 8 - المصدر نفسه : ج 3 ، موقف 349 ، ص 972
- 9 - المصدر نفسه : ج 1 ، موقف : 105 ، ص 285
- 10 - سورة الروم: الآية 27

و إن لم يعيشوا التجربة الصوفية كما عاشوها المتصوفة الأوائل بمعناها العرفاني كفلسفة يتوحد فيها المتصوف مع المطلق ، ويتصل به اتصالا مباشرا ، يتسم بالصفاء (1) إلا أن قصائدهم مثقلة بالنظرات الصوفية و مليئة بمصطلحاتها ، بحيث نلمس في قصائدهم ملامح التصوف باعتباره تراثا فأخذوا التصوف وسيلة يستعين بها على تحمل الألم مازجين ذلك بالحديث عن عالمه المادي إلى العالم الماورائي. فاستمدوا منها رموزا تنطلق من هموم واقعهم الإنساني و الاجتماعي و السياسي و عكسوها وفق منظور صوفي للكون و الحياة و الإنسان فهي رغم بساطة طرحها و رغم أنهم لم يصرحوا بها كمنظريّة ، إلا أنها جاءت بالمعنى المقصود كي يفهمها المتلقي ويتفاعل معها ، و من دون شك أنهم قرؤوا للمتصوفة من مختلف الأشكال التعبيرية من شعر و نثر ، فأصبحت هذه الأفكار جزءا من حصيلتهم ولم يتطرقوا في قصائدهم إلى مدلولاتها بلهجة صريحة إلا أنهم أجادوا في التلميح بها.

# الفصل الرابع

## IV - الفصل الرابع : الحقيقة الجمالية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث والمعاصر

### 1 - المبحث الأول : التركيب اللغوي

- أ - التركيب الأسلوبي
- أ-1 الأسلوب الخبري
- أ - 2- الأسلوب الإنشائي
- ب - التركيب النحوي
- ب-1 الأفعال
- ب-2- الأسماء

### 2- المبحث الثاني: الرمز الشعري

- أ - رمز الطبيعة
- أ-2- رمز النور
- أ-3- رمز الخمرة
- أ-4- رمز الرحلة

### 3- المبحث الثالث: الصورة الشعرية

- أ-1 التشبيه
- أ-2- الإستعارة
- أ-3- الكناية

### 4- المبحث الرابع : الموسيقى

- 1 - الموسيقى الداخلية
- 2- الموسيقى الخارجية
- 3- الأوزان
- 4- بحور شعر التفعيلة

### 5- المبحث الخامس: التناسل الشعري

#### أ-1 التناسل الديني

- \*من القرآن الكريم
- \*من الحديث الشريف

#### ب - التناسل الشعري

- \*مع الشعر القديم
- \*مع الشعر الحديث

## - الفصل الرابع : الحقيقة الجمالية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث و المعاصر

تمثل مفهوم الجمال في شعر المتصوفة من خلال ما أبدعوه من روائع ملئوها بمصطلحاتهم مستصحبين ما يزخر به الخطاب الصوفي من عناصر جمالية ، وتجربة روحية سامية مسرحها الأرض الخفية بعوالم غير منظورة والإحساس الباطن .

### 1 - المبحث الأول : التركيب اللغوي

يعتبر المستوى التركيبي من القضايا المهمة التي تبرز جماليات التركيب الخاصة بكلّ شاعر، حيث يشمل العديد من المكونات الأساسية التي يركز عليها الشاعر في إبداع الجملة الشعرية التي تعبر عن فكرته .

أ- التركيب الأسلوبي: تميّز الأداء الصوفي بأسلوبه المغاير لأسلوب الشعر العادي و ذلك لخدمة الوحدة الفكرية التي تمس الجانب الفلسفي و تعددية الذوقية ، و الفنية لتكون أبلغ تعبير عن وحدانية الذات المحمّدية و كمالها

أ- 1 - الأسلوب الخبري: كثف الشعراء من الأساليب الخبرية للتعبير عن مشاعر الحبّ و الإجلال لهذه الحقيقة ، ومن أضربه في الشعر الصوفي الجزائري الحديث :

\* الابتدائي : و أكثر ما نجد هذا النوع من الأسلوب في تلك القصائد التي تنوّه بحقيقته الظاهرة كالحديث عن حقيقته الجهادية و الخلقية و الخلقية ، بحيث نجدهم يكثرّون من استخدام الأفعال للإخبار عما يختلج في نفوسهم، من ذلك ما نجده في قول العلاوي في قصيدته " يا من تريد تدري فني " :

تَجِدُ أَسْرَارًا تَغْشَانِي      و أَنْوَارًا نَبَوِيًّا  
تَجِدُ عَيْونًا تَرَعَانِي      و أَمْلَگًا سَمَاوِيًّا (1)

و من أضربه في الشعر الصوفي الجزائري المعاصر ما نجده في قصيدة الشاعر عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد " ، حيث يقول :

بِحُبِّهِ يَمْسُحُ الْأَحْزَانَ شَاجِبَةً      و يَبْدُرُ فَرَحَةَ الْخَضْرَاءِ تَنْتَشِيرُ  
بِنُورِهِ تَهْتَدِي مِنْ رَمْسِهَا أُمَّمٌ      نُحْيِي مَوَاوِيلَ عَشْقٍ لِيَزْدَهِي الْأَثْرُ (2)

ففي هذه الأمثلة جاءت هذه الأساليب وفق مقتضى الموقف ، و بدون مؤكّدات لفظية

\* الطلبية: و من أمثلة في الشعر الجزائري الحديث قول الشاعر عدة بن تونس في قصيدته " قد طابت حياتي " :

قَدْ طَابَتْ حَيَاتِي مِنْ بَعْدِ مَمَاتِي      بِشُهُودِ الذَّاتِ فِي هَذَا الْآفَاقِ (3)

فقد استخدم الشاعر أسلوب التوكيد " قد " ليثبت لنا أنّه لن تطيب حياته إلاّ بشهود هذه الذات.

1 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " الديوان " ص 29

2 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 11

3 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 181

و قول العلاوي في قصيدته " أيا أيها العشاق ":

كَفَى أَنْ نُورَ الْحَقِّ أَنْتَ مَظْهَرُهُ      مَا وَدَّعَكَ الْإِلَهَ كَلًّا وَمَا قَلَى (1)

و من أمثله في الشعر الجزائري المعاصر قول قدور رحمانى في قصيدته " أقبلي ":

فِي وَرِيدِي حَنَا نُ كُلِّ السَّوَاقي      قَدْ تَعَرَّى عَلَى الْبَسَاتِينِ فُلًّا  
طِفْلَةُ الْكَاسِ حُلُوَّةٌ حِينَ تَجْرِي      فِي جُفُونِي ، لَكِنَّ كَأْسَكَ أَحْلَى (2)

و قول الشاعر عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس ":

أَسْبَغَ اللَّهُ الْعَطَا الْحَقُّ عَلَى      مَنْ لِنُورٍ صَادِقًا قَدْ رَغْنَا (3)

\* إنكارى: من أمثله في الشعر الحديث قول الأمير عبد القادر في مقطوعته " حديث عجب ":

و لَيْسَ يَدْرِي الَّذِي أَقُولُ غَيْرَ فَنَى      قَدْ جَاوَزَ الْكُونَ مِنْ عَيْنٍ وَمِنْ رُتْبِ (4)

استعمل الشاعر هنا أسلوبين أسلوب التوكيد المتمثل في " قد " و ليس النافية ، لإثبات حقيقته و نفي أن يدري قوله غير الذي جاوز الكون ألا وهو محمد ﷺ :  
و قول عدة بن تونس ، في قصيدته " إنني أرى السقاما ":

عَهْدُهُ بِكُمْ قَدِيمٌ      كَانَ بِهِ مَسْتَهَامَا  
كَانَ بِهِ فِي دَلَالٍ      لَا يَخْشَى فِيهِ مَلَامًا (5)

جاء الشاعر هنا بأسلوب النفي ليخبرنا عن حقيقته التي كانت منذ القدم فنجده استخدم أداة النفي " لا " و التوكيد اللفظي كان ، و من أضر به في الشعر المعاصر ، قول عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد ":

مَا النُّورُ إِنْ لَمْ يَكُنْ الْقُرْآنُ نَبْعُهُ      إِلَّا سَرَابٌ يَرَاهُ الشَّوْقُ وَ الْبَصْرُ (6)

أ-2 - الأسلوب الإنشائي:

\* الاستفهام: مثلت أدوات الاستفهام استحضارا لشخصية الرسول ﷺ ، فهو يعد إحدى الظواهر البارزة في القصائد الصوفية، فالقارئ للشعر الصوفي الحديث و المعاصر يجد نفسه أمام كم هائل من التساؤلات ، فقد جاءت تعبيراً عن قلقهم و حيرتهم ، للتحرر من القلق الذي ينتابه من أمثله في الشعر الجزائري الحديث ، ما نجده في قصائد عدة بن تونس من ذلك قوله في قصيدته " من نشركم " :

1 - أحمد بن مصطفى العلاوي: " الديوان " ص 22

2 - قدور رحمانى: " ثورة عمري " ص 129

3 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 93

4 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " تحقيق: العربي دحو ، ص 119

5 - عدة بن تونس: " الديوان " ص 174

6 - عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 09 .

كَيْفَ الْوَصَالُ إِلَى دِيَارٍ قَدْ شَرَفَتْ      وَ ظَلَّتْ بَيْنَ الْوَرَى فِي أَرْفَعِ الدُّرَجِ (1)

و قول عبد الرحمن الديسي في قصيدته " النفحات العنبرية " و التي يفتتحها بقوله:

أَبَارِقُ لَاحَ أَمْ تَلَكِ ابْتِسَامَاتُ      وَ هَذِهِ طَيْبَةٌ أَمْ التَّنِيَّاتُ؟ (2)

و من أمثله في الشعر المعاصر قول قدور رحمانى في قصيدته " أقبلي ":

كُنْتُ لِي بِكَرَّةٍ مِنْ عَبِيرٍ      فَلَمَّا غَدَوْتُ قَطْرَةَ دَفْلَى؟ (3)

و قوله في قصيدته " ريش الدموع " :

يَا زورِقَ الأَبْعَادِ كَمْ حَيَّرْتَنِي      فَمَتَّى أَقْبَلُ سَاحِلَ المُرْجَانِ؟ (4)

\* التعجب: و من أمثله في الشعر الحديث قول الأمير عبد القادر في مقطوعته " هو الباطن هو الظاهر ":

أَلَا فَاعْجَبُوا مَنْ ظَاهِرٍ فِي بَطُونِهِ      وَ مَنْ بَاطِنٍ لَا زَالَ بَادٍ وَ ظَاهِرًا ! (5)

و من أمثله في الشعر المعاصر قول الشاعر مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات " :

لَعَلَّ رَأَى البَيْضَ تَأْسُو فَأَبْرَأُ      تُمْلِي مُنَاجَاةَ الحَبِيبِ فَأَقْرَأُ !! (6)

\* القسم: من أمثله في الشعر الجزائري الحديث ، ما نجده في قول الديسي ، في ذكر حقيقة مرابعه المقدسة :

وَ اللهُ مَا المَسْجِدُ الأَقْصَى يَقَارِبُهَا      وَ لَا الحَرَامُ ، نَعَمْ وَ لَا السَّمَوَاتُ (7)

و قول الشيخ البوزيدي في قصيدته " سقتني كأسا يحلى " :

فَوَ اللهُ مَنْ دَنَا      وَ ذَاقَ سِرَّ الفَنَا  
لِبَاحٍ بِمَا بُحْنَا      قَهْرًا وَ هُوَ المَعْذُورُ (8)

(8)

\* الدعاء: وجد الشعراء في الدعاء دلالة خصبة ارتكزوا عليه ، و يتجلى بشكل واضح في القصائد التوسلية ، حيث نجد الشعراء يكثر من الدعاء و الاستغاثة بخير شفيع و هي سمة غالبية في جميع القصائد الصوفية ، من أمثلة الدعاء في الشعر الجزائري الحديث قول العلاوي في هائيته:

- 1 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 189
- 2 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و أثره و أدبه " ص 271
- 3 - قدور رحمانى: " ثورة عمري " ص 129
- 4 - المصدر نفسه : ص 94
- 5 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق: العربي دحو ، ص 118
- 6 - مصطفى الغماري : " دوح في موسم الأسرار " ص 89
- 7 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و أثره و أدبه " ص 271
- 8 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 130.



يَا طَبِيبَ الْقَلْبِ غَثْنِي  
هَكَذَا وَ اللَّهُ ظَنَّنِي  
يَوْمًا تَقُولُ أَنَا لَهَا  
فِي عَيْنِ الرَّحْمَةِ مَوَلاهَا (1)

و من أمثله في الشعر الجزائري المعاصر قول الشاعر قول الشاعر عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس لحضرة الأنس " :

صَلِّ يَا رَبِّ عَلَى شَمْسِ الْهُدَى  
أَحْمَدَ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لَنَا  
مَنْ عَلَا الْأَكْوَانَ سِرًّا وَ سَمًا  
فَتَحَلَيْنَا بِحِيلَةِ النَّانَا (2)


\* النداء: يحتل أسلوب النداء مكانة ملحوظة في تراكيب القصائد الجزائرية الحديثة والمعاصرة و قد اعتمد عليه الصوفية بشكل ملفت للانتباه لتقرب البعيد و استحضر الغائب و يرتبط النداء بكثرة بالتوسل و الدعاء و الاستغاثة به لكونه الوساطة بين الحق و الخلق.

و من أمثله في الشعر الحديث ، ما نجده في قول قصائد الشيخ قدور بن عاشور، ففي كل قصيدة من قصائده نجده يستنجد بأسلوب النداء للدلالة على ولعه و شغفه بهذه الحقيقة المباركة من ذلك قوله في قصيدته " يا طه نهواك " :

فِي حُبِّكَ تَيْهَانُ عَلَى الْعَاهِدِ يَا مُحَمَّدُ شَرَابُكَ سَكَّرَنِي  
يَا مُدِيرَ الشَّرَابِ لِأَهْلِ النَّشْوَةِ طَبِّ وَ دَوَاءِ يَا كَاشِفَ الْحِجَابِ (3)

و قول العلاوي في قصيدته " يا من ظهرت " :

يَا مَنْ ظَهَرْتُ بِنُورِهِ الْأَكْوَانُ أَنْتَ الظَّاهِرُ (4)

و من أمثلة النداء في الشعر المعاصر قول قدور رحمان في قصيدته " غلال النبي محمد  " :

يَا سَيِّدِي ... لَعْتِي سَوَطٌ يُعَذِّبُنِي فَكَمْ كِتَابٌ عَلَى ظَهْرِي قَدْ أَنْكَبَا (5)

و قول عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " :

يَا مَوْلَا النُّورِ وَ الْأَنَامِ ذَاهِلَةٌ تَنْدَحِرُ بِصُبْحِهِ رَايَةَ الْإِلْحَادِ (6)

فيناديهذا ذلك النداء المكرر في صدور الأبيات يتقاذفه الضنى إلى الشوق و أخرى إلى الفناء فهذا النداء يصور لنا لهفه الفائن بالوجد شاكي الصّد و الهجر، و أكثر ما نجد الأسلوب الإنشائي في الموشحات خاصة في قصائدهم الشوقية.

1 - أحمد بن مصطفى العلاوي: " الديوان " ص 39

2 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 118

3 - قدور بن عاشور الزرهوني: " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 102

4 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 79

5 - قدور رحمان: " ثروة عمري " ص 12.

6 - عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 09

\* التمني: من أمثله في الشعر الجزائري الحديث ، ما نجده في قصيدة الشيخ عدة بن تونس في قصيدته " يا صاحبي هل فزت به " ، حيث يقول :

ليته يُدري ما بهِ                      و يصرفُ ما دهاهُ  
يصحبُ شيخا يهديه                      لحقيقة معناه (1)

إضافة إلى أغراض أخرى حفل بها الأسلوب الإنشائي لا يسعني المجال لذكرها كلها كالأمر والنهي والشرط....، وهناك من زواج بين الأسلوبين في القصيدة الواحدة من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر عدة بن تونس " يا صاحبي هل فزت به " و قصيدته " كمل المراد " و قصيدة العلاوي " يا من تريد تدري فني " ، و قصيدة عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد " و منير مزليني " ما تبقى " .

فهذه الأساليب تآزرت لتجسد الشعور الواحد الذي يسري نشاطه في القصيدة ، و هذا كله دليل على ثراء اللغة الصوفية الجزائرية الحديثة و المعاصرة.

**2- التركيب النحوي:** تنوعت تراكيب الشعر الصوفي الجزائري الحديث و المعاصر فهي ما بين فعلية و اسمية و ذلك راجع إلى طبيعة القصيدة الشعرية ، و إلى نفسية الشاعر و تبعاً للعصر الذي نظمت فيه.

أ - الجملة الفعلية: وظف الشعراء الأزمنة حسب حالة الشاعر التي يريدونها أن تكون :

أ- 1 - الفعل الماضي: و كثيراً ما يبدأ به الشاعر في قصائده ، و أكثر ما نجده في تلك القصائد التي استخدمها له في الشعر الحديث ما نجده في قصائد البوزيدي حيث يقول في إحدى قصائده:

كَانَتْ قَبْلَ كَوْنِ الْأَكْوَانِ                      خَمْرَةٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الْأَفْدَاخِ (2)

و هو ما نجده كذلك في قصيدته " يا عاشق المعنى ":

دَاوُودَ بِهَا غَنَى                      بِالزَّبُورِ حَتَّى  
عِيسَى بِهَا نَطَّقَ                      نُوحٍ بِهَا كَانَ  
بِهَذَا يَا عَاشِقَ                      فِي الْمَهْدِ تَحَقَّقَ  
كَانَ مِنَ السَّوَاخِ (3)                      كَثِيرَ الْأَنْوَاحِ

و استخدام الشاعر صيغة فعل الماضي بكثرة، لكي يؤكد قدم النور المحمدي التي تسلسلت في الأنبياء و المرسلين و كانت قبل خلق الكون .كما نجد الشعراء يكثر من استخدام الأفعال الماضية حين يتدرجون مقام القطبية من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ عدة بن تونس في قصيدته " أذن في الناس يا صاح " أو في تلك القصائد الشوقية ، التي تشكوا حالة الفراق و الألم لبعد المزار عن مرابعه من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ عدة بن تونس " قد حلا فيكم غرامي "

1 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 16

2 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 132

3 - المصدر نفسه: ص 134.

و" من نشركم فاحت " ، و هذا الماضي يشكل خلفية الشاعر النفسية ، و إحساسه بالقطيعة لذا نجده يقف على الأطلال ، و يتمتع بذكرها متنفسين عبرها متمنين العودة إلى الماضي المفقود.

كما نجد الشعراء المعاصرين يلجئون إليه كثيرا من ذلك الشاعر عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد " حيث يقول :

مُحَمَّدٌ فِي الْوَرَى أَنْشُودُهُ أَبَدًا      قَدْ كَانَ أَوْلَى بَعِيسَى هَاجَهُ الْقَمْرُ (1)  
و كذلك قوله:

اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ ذَاقُوا وَ كَمْ هَتَفُوا      اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ هَامُوا وَ كَمْ سَكْرُوا (2)

فهو في هذه الحالة لجأ إلى الأفعال الماضية لنشدان حقيقته و تعظيمها عن باقي الأنبياء و التي أفنى الكثير أرواحهم لأجلها و سكروا بهيامها.

كما نجد الشعراء يكثر من منها في حالة معراجهم إلى المقام المحمدي كما هو الحال في قصيدة الشاعر مصطفى الغماري " مناجيات " ، التي يقول فيها:

و جئتَ مَرَايَا حِينَ تَدْعُوكَ بِاسْمِهَا  
فِيَا لَجُنُونَ الْحَادِثَاتِ بِرَسْمِهَا  
دَنُوتٌ شِفَاهَا ظَامِنَاتٌ وَ عَيْنِينَ  
وَ هِمَّتْ عَلَى أَنْفَاسِهِ قَابَ قَوْسِينَ (3)

فالزمن الماضي هنا جاء ليؤكد أنّ الشاعر قد استند في دعوته إلى تأهل سابق و تجربة ماضية ليقف بها المخاطب.

أ - ب - الفعل المضارع: أكثر الشعراء من استخدام الفعل المضارع استحضارا للصورة حتى تصبح وكأنها مستمرة و ماثلة للعيان (4) ، و للدلالة على التغيير الذي أحدثه عليه السلام. و من أكثر القصائد استخداما له في الشعر الحديث قصائد الشيخ عدة بن تونس " قد حلا فيكم غرامي " " هيا بنا أهل الوطن " ، " أذن في الناس يا صاح " ، " إنني أرى السقاما " و التي يقول فيها :

إِنِّي أَرَى السَّقَامَا      حُلَّةٌ مِنْكُمْ لِيَزَامَا  
وَ مِنْ لَمْ يَكُنْ سَقِيمَا      بِالْحَبِّ فَمَا اسْتَقَامَا (5)

و من أكثر القصائد الصوفية المعاصرة استخداما للفعل المضارع قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع ":

أَمْشِي مَعِي وَحْدِي ، أَفَكُّ شَارِعًا      هَرَمَ الْأَضَالِعَ ، أَبْكُمْ الْأَحْضَانَ

1 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 10

2 - المصدر نفسه: ص 11

3 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 90

4 - عبد الله الركيبى: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 65

5 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 174

تثْمُوا على قَلْبِي سُقُوفَ خَنَاجِرٍ      و تُطِلُّ من عَيْنِي مَقْبِرَتَانِ (1)  
و قول الغماري في قصيدته " مناجيات " و التي يفتتحها بقوله:

أَسْأَلُ في عَيْنِكَ نَجْمًا تَوْضًا      بنار الهوى العذريِّ حَتَّى تَضَوْعَا  
لَعَلَّ رَأهَ الْبَيْضَ تَأْسُو فَأَبْرَأ      تُمْلِي مُنَاجَاةَ الْحَبِيبِ فَأَفْرَأ !! (2)

و إذا تتبعنا الأفعال التي وردت في القصائد الصوفية الجزائرية الحديثة و المعاصرة لوجدناها أكثر بروزا في القصائد المعاصرة و ذلك نظرا لطبيعة العصر الذي يدعو إلى التشبث بحقيقته و التفاني في حبه و لا سيما و أنه عصر انحلال الأخلاق.

أ - ج - فعل الأمر : ظلَّ فعل الأمر محدودا إلا ما نجده في تلك القصائد التي تدعو إلى التمسك بحقيقته لتحقيق كمال للإنسانية و تحفزهم على الاستجابة لدعوته ، و من أمثله في الشعر الجزائري الحديث ما نجده في قصيدة البوزيدي " يا من تطلب وصلها ":

يَا مَنْ تَطَلَّبَ وَصَلَهَا      و تَشْرَبُ من كَأْسِهَا  
تَمَسِّكُ بِأَهْلِهَا      سَادَتِنَا نَاسُ الْجُودِ (3)

و يواصل على هذه الوتيرة في يأمر كلَّ من ابتغى الوصول إلى الطريق المحمّدي و بلوغ مقام الكمال المحمّدي.

و من القصائد المعاصرة الأكثر تناولا لأفعال الأمر ، ما نجده في قصيدة الشاعر محمد بن المبخوت في قصيدته " رسالة استعطاف " :

فَعُدْ إلي بَوَصَالٍ فَالْوَصْلُ حَيَاةٌ      فَأُخَيِّنِي بِالْحُبِّ يَا وَجِيدَ أَحْبَابِي (4)  
و قصيدة الشاعر عمر أبو حفص " نور القدس " :

رَدِّدَنَّ ذَكَرَ الْحَبِيبِ عَلَّنَا      إِنْ ذَكَرْنَاهُ نَفُوزُ بِالْمُنَى (5)

و هم في لجوئهم إلى أفعال الأمر لتطلعهم إلى أفق الحبيب المصطفى ، حيث الأمان و الصدق ، و عادة ما نجدها عند أصحاب الطريقة ، حيث نجدهم ينصحون المريدين و السالكين درب الصوفية .

ب - الجملة الاسمية: و التعبير بالجملة الاسمية يفيد ثبوت المعنى و الصفة للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئا بعد شيء على نقيض الفعل الذي يقتضي مزاولة المعنى أو تجدد الصفة و استمرارها و حدوثها حالا بعد حال (6) ، و تنوعت الأسماء بين نكرة و معرفة حسب متطلبات السياق مما يفيد تلوين العبارة ، و تقوية المعنى فتلتئم أسماءه و تنوعت الأسماء بين نكرة و معرفة حسب متطلبات السياق مما يفيد تلوين العبارة ، و تقوية المعنى فتلتئم أسماءه

1 - قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 96

2 - مصطفى لغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

3 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 143

4 - المصدر نفسه: ص 28

5 - عمر أبو حفص: " الرسائل " ص 92

6 - تامر سلوم: " اللغة و الجمال في النقد العربي " دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 1983 ، ص 141

عبر سلسلة من الأوصاف المتعلقة به .عبر سلسلة من الأوصاف المتعلقة به . و من أكثر القصائد الصوفية الحديثة استخداما للجمل الاسمية و قصيدة عبد الرحمن الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " حيث نجده يعدد أسماء الرسول الظاهرة و الباطنة ، من ذلك قوله:

و الكَامِلُونَ لَهُمْ مِنْهُ كَمَالَاتُ  
و رَحْمَةٌ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ مَهْدَاهُ  
فَمَا لِأَخْلَاقِكَ الْحُسْنَى نِهَايَاتُ(1)

عَيْنُ الْوُجُودِ مُمَدُّ الْخَلْقِ قَاطِبَةً  
مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَحْمُودِ سِيرَتُهُ  
وَسَعَتْ كُلَّ الْوَرَى عُلْمًا وَ مَكْرَمَةً

فهي في تلاحقها و غزارتها تكشف عن طبيعة الموقف الصادرة عنه ، فهي تارة تكشف عن موقف الحقيقة الظاهرة و تارة أخرى تفصح عن حقيقته الباطنة التي تخفي وراءها أسماء أخرى التي لا تفهم إلا بالتأويل .

و من القصائد الصوفية المعاصرة التي استندت على الجمل الاسمية ما نجده في قصيدة الشاعر محمد بن المبخوت في قصيدته " رسالة استعطاف ":

محمّد في الهوى واف و العهد  
مضى العمر يا حبيبي فهات  
منه متين العرى و الأطناب  
كأس الهوى و عهد التّصابي(2)

فهي كلّها أسماء ترقرت فيها العواطف و الانفعالات و المشاعر ، فتأزرت تتدفق حنانا و عشقا و شوقا لهذه الذات التي ملأت الكون نورا و إيمانا.

كما نجدها تكثر في حديثهم عن فكرة الفيض و النور المحمّدي، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر قدور رحمانى " غلال النبيّ محمد ﷺ " و التي يقول فيها :

من وجنتيك نقاء الحبّ قد شربا  
في ظلّ ثوبك يغدو و للحصن و هج  
حتّى تحول صباحا ينبت العنبا  
ينقط الأرض و الأبعاد و الحجبا (3)

د - الضمائر: تعددت الضمائر في قصائد الشعراء في مخاطبتهم للحبيب المصطفى ﷺ فهي بين متصلة و منفصلة:

د - 1- الضمائر المتصلة : من أكثر الضمائر استعمالا في الشعر الجزائري الحديث ضمير المتكلم " أنا " ، من ذلك ما نجده في قصيدة العلاوي " أرقني الغرام " ، حيث نجده يكثّر من استعماله حيث يقول :

أرقني الغرام  
و دمعي في انسجام  
من حُسن ليلي  
عملت مسيلا (4)

هذا الحضور للأنا في الخطاب الصوفي يرتبط عادة بالسالكين في طلب هذه الحقيقة محبة

1 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره "، ص 271.

2 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 27

3 - قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 11-12

4 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 58

و عشقا لهذه الذات ، و قوله في قصيدته " يا من تريدُ تدري فنّي " التي يقول فيها :

إتّي مظهرُ ربّاني و الحالُ يشهدُ عليّا (1)

و قد جاء تعبير الأنا بالتوكيد " إنّي " ، فالياء هنا تؤكد قيام الأنا في الذات المحمدية و إدراكها لمعناها من معنى الإنسان الكامل ، باعتبارها الأصل الروحاني للفرع الجسماني . (2)

وهناك من الشعراء من يعمدون إلى ضمير الخطاب بدل ضمير الغائب للدلالة على التقرب من الرسول و أكثر ما نجدهم يلجئون إليه في توسلهم ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر محمد بن سليمان " يا خير خلق الله " :

كنْ لي وليّا شفيعا من زلة و ارحم ضعفي سيّدي و حقارتي (3)

و من صورها في الشعر المعاصر ما جاءت به الشاعرة جميلة عظيمي زيدان في قصيدتها " لا يلثم البدر " ، فقد استندت على الضمير المخاطب لتقوية كلامها و تبين مدى تعلقها و محبتها لهذه الذات :

و حبك يزداد تألقا ما دام ذكرك عقدا بأعناقنا (4)

و هذا المحبّة عبر عنها الشاعرة مسعود بورساص في قصيدته " العروبة " بضمير الغائب فقد جاء الضمير لنشر الرسالة المحمّدية التي تعم الكلّ ، فالكلّ أحبوه و وجب عليهم حبه .

كم ودّته أفئدة الأنام  
و مجّده في العلا غلب الغمام (5)

كما نجد لضمير المخاطب " أنتم " حضورا قويا ، فهو في مخاطبتهم للذات المحمدية يخاطبونها بلسان الجمع تأدبا أمام المقام المرجو بلوغه ، و من الشعراء الذين رددوه كثيرا في قصائدهم قول الشاعر رحال نسيم في قصيدته " دوح الرسول الأمد " :

هلا حملتم بينكم متيما  
هلا أخذتم عاشقا فؤاده ..  
قلبه عالق بثوب أسود  
يطوف بين كعبة و مسجد (6)

يجعل الشاعر من الأنا جمعية و إن جاء خطابها بصيغة المفرد قائم في معنى الجمع ، فهو بهذا الضمير يقصد محمد صلوات الله و سلامه عليه .

د - 2 - الضمائر المنفصلة : و من أكثر الضمائر المنفصلة ورودا في الشعر ضمير المتكلم " الأنا " فقد احتل ضمير " الأنا " مركز الصدارة من بين الضمائر ، من ذلك ما نجده في قصيدة

1- المصدر نفسه : ص 28  
2- عبد الحق زربوح : " الشعر الصوفي الملحون في شمال الغرب الجزائري " ص 106  
3- نقلا عن عبد الله الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 110  
4- جميلة عظيمي زيدان: " أزهار اليأس " ص 27  
5- مسعود بورساص: " وجد و تأمل " ص 92  
6- رياض رحال نسيم: " صخور الحنين " ص 163

قول الأمير عبد القادر الجزائري :

أنا السّاقِي و المسقي و الخمر و الكأسُ  
أنا الواحدُ الكثيرُ و النّوعُ و الجنسُ (1)

و لم يبقَ غيرنا و ما كان غيرنا  
تجمّعت الأضدادُ فيّ و إنّني

و قول البوزيدي في قصيدته " لما فنيته " :

أنا المحبُّ أنا المحبوب (2)

أنا الجمعُ أنا الكثرة

ففي قصيدة الشاعر العلاوي " يا من تدري فني " نجده ضمير المتكلم قد ساد القصيدة من أولها إلى آخره:

ظهرت في البشـريـا (3)

أنا فياض الرّحمن

فذات المتكلم تفرض سلطة صارمة على دلالة النّص، باعتبارها القطب الذي تتمحور حوله الدلالات في غير التباس . بحيث نجد " أنا " الصوفي تظهر مشحونة و مستعدة للغوص في أغوار النفس حيث تتيح الفرصة للقول والفعل معا، لتسهم باطنيا في بناء مكانزمات و توجيهات خاصة ، تمهد للحظة إشراق الذات أو عرض "الذات على الذات" (4) ، فتضعف أحوال الحسّ و تقوى أحوال الروح مما يسم التجربة بالروحية.

و من أمثلتها في الشعر المعاصر قول محمد بن المبخوت في قصيدته " رسالة استعطاف":

أنا العاشق دوما رغم اغترابي (5)

لست في الهوى دعيا و لا ملولا

و كذا ضمير " الأنت " المخاطبة التي كانت تسعى دوما إلى الفناء و الكمال و البقاء بهذه الحقيقة من ذلك قول الأمير عبد القادر :

و زال أنا و أنت وهو فلا لبسُ (6)

أطناً الحجابَ فانمحي غيهبُ السوى

و قول الشاعر قدور رحماني في قصيدته " أقبلي " :

نغما ما طرّا يعانق طفلا (7)

كنت لي أنت كنت كلّ أوان

و من الضمائر المنفصلة " نحن " من ذلك ما جاء به عدة بن تونس في قصيدته " نحن برضوان الإله شمس ":

و منّا بدور و منّا نجوم (1)

نحن برضوان الإله شمس

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ص 14

2 - محمد بن الحبيب البوزيدي: "الديوان" ص 133

3 - أحمد العلاوي: "الديوان" ص 28

4 - عبد العزيز المقالح: "الشعر بين الرؤيا و التشكيل" دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط2، 1985 ، ص 28.

5 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 27

6 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ص 14

7 - المصدر نفسه: ص 129

على الرغم من ذلك كلّه يظل الشاعر معتصماً بذاته التي تكاد تتبدد ، و هذا ما تظهره لنا حركة الضمائر، خاصة المتكلم في الحديث عن نفسه تارة و تارة أخرى ضمير الخطاب و الغائب ، فنجد في شعره الغزلي ذاته يكاد يقتلها الضمأ ، و في الشعر المعاصر يكاد يتلفها المجتمع بحصاره الصارم محاولة الهروب منه و الاغتراب عنه .

د - 3- ثنائية الضمير: أنا - أنت وهي ثنائية تنمحي فيها خصوصية الاختلاف ، و يتم من خلالها الحديث عن المركب بصيغة المفرد مثل قول الشاعر من ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس " كمال المراد " :

فلكم فؤادي و مهجتي و جوارحي      فأنا المشكاة و أنتم المصباح (2)

كشفت الأنات عن ذاتها حين اتحدت فالأنات هنا ارتفعت من مستوى التساوي و التقابل إلى مستوى التماثل و الاتحاد ، ففي هذه الحالة يختفي صوت الآخر ليظهر صوت الأنا .

و قد ذهب الشاعر المعاصر بالفناء فتكلم عن حقيقته عاشقاً بضمير المفرد المتكلم، محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح "، إذ يقول:

أنا لولاك جدول من سراب      لا يبالي بوهمه ضمآن  
أنا لولاك حفنة من رماد      بعثرتها الرياح فهي دخان  
أنا لولاك لن أكون... و إن كن      ت فنحنو تشله الأحزان (3)

ففي هذه الأبيات تصبح " الأنا " و " الأنثى " و " الهي " شيئاً واحداً فلولاً الأنا المحمّدية لما كانت الأنا الشاعرة ، و لولاها لبعثرتها الرياح . و أكثر ما نجد هذه المزوجة في حالة الشطح فهو لكونه ظاهرة فنية ، نجده يقوم على الإلتفات من ضمير إلى ضمير ؛ لأنّ الشطح ينطق بالاتحاد بين الصوفي والله فمعنى الإلتفات هو الانصراف عن كلام إلى غيره، فالإلتفات أيضاً يمكن أن يكون انصرافاً من العام إلى الخاص ، أو من الخاص إلى العام، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع " ، حيث نجده يلتفت من الضمير المخاطب إلى الضمير الغائب :

إنّي أحارب بالجراح فموسم      ينعى إليّ و موسم ينعاني (4)

ففي هذا البيت حالة اتحاد الأنا بالأنثى من خلال ثنائية الحضور و الغياب ، فالشاعر قد غاب جسداً و بقي روحاً و فكراً ، و " يكثر هذا الضميرين في حديث الشعراء عن فكرة الاتحاد و الحلول اللذين يحيلان إلى نوبان الذات في الذات لتصير ذاتاً واحدة إذ تصير الذات المتحدّة مسيطرة كلياً على جوهر الذات المتحدّة " (5) ، و هذا التراكم للصفات و الأقوال التابعة للضمائر أدى إلى تجسيد فاعلية تلك المفاهيم الصوفية المؤسسة على الثنائية ، كالسكر و المحو ، الصمت

1 - عدة بن تونس: " الديوان " ص 173

2 - المصدر نفسه : ص 185

3 - محمّد الفاضلي: " وردة للغريب " ص 30

4 - قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص 95

5 - محمد سالم سعد الله: " أطيايف النص - دراسة في النقد الإسلامي المعاصر " سلسلة النقد المعرفي ، دار العالم الكتب

الحديث ، الأردن ، 2007 ، ط 1 ، ص 68



و الكلام ، الحضور و الغياب ، التي تبدو في شكل وحدات مكررة متحققة على مستوى الصيغ و توازن العبارات و التقابل الدلالي كالطباق ، و تنتهي إلى نوع من التجانس الصوتي. " (1) ب - المستوى الصرفي:

أ-1 المفرد : و تكثر صيغة المفرد في القصائد التي تحدثت عن حقيقته في القدم ، وكذلك في القصائد التي تحدثت عن صفاته الخلقية و الخلقية ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر عدة بن تونس " بديع الحسن " و قصيدته " ياطالب الله بادر " ، و قصيدة البوزيدي " يا عاشق المعنى " من أمثلتها ( المعنى الكأس ، الوجد ، الأمر ، بحر ، ... الخ ) ، و قصيدة العلاوي " حير لي بالي قطب الجمال " و من أمثلتها ( قطب ، سر ، الكمال ، المرام فرع ، كنز ، النجاة ، ..... )

و من أمثلته في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة بلقاسم خمار " إلى شباب أحمد " منها قوله ( واحد متفرد ، ديني ، نهج ، وهج ، ممجد ، مجند ، عطر ، منزه ، مبجل ، ... )

أ-2 - المتنى : و أكثر ما نجدها في القصائد المعراجية ، باعتبار الرحلة رحلة شخصين رحلة الذات الشاعرة و رحلة الذات المحمدية ، و كلاهما تنطلق من الواقع المؤلم إلى الواقع المشرق ، من أمثلتها ما نجده في قصيدة الشاعر مصطفى الغماري " في قصيدته " مناجيات " و من أمثلتها ( قوسين ، شجوين حرفين ، عينين ... )

أ-3- الجموع : مثلت الجموع ظاهرة لغوية بارزة في منحنى الخطاب الصوفي عند شعراء الجزائر لما لها من دور في الإفصاح عن المواقف ، فلا تكاد تخلوا قصيدة من القصائد من الجموع المتعددة الألوان و قد يلجأ الشاعر إلى خطابه بالجمع لا الفرد ، و هي كالآتي :

\* جمع المؤنث السالم : و أكثر ما نجد صيغ الجموع في تلك القصائد الغزلية التي يفتتحها تأدبا مع المحبوب ، و هو أسلوب قديم ، لمنح النص حضورا أنثويا ، و من القصائد المعاصرة التي ارتكزت عليه ما نجده في قصيدة الغماري " مناجيات " ، حيث يقول:

دنوت شفاها ظامئات و عينين

و همت على أنفاسه قاب قوسين (2)

و يلجأ الشعراء إلى جمع المؤنث حالة الإتحاد بمقام المحمدي ، فيخطبة بلسان الجمع حتى يستقيم له الغزل الصوفي .

\* جمع المذكر السالم : منح للنص حضورا إنسانيا ، و الشعراء يلجئون إلى الجمع حالة الإتحاد و الفناء من ذلك في الشعر الحديث ، ما نجده في قصيدة الشيخ العلاوي ، و عدة بن تونس " يا طالب الله بادر " ، و من أمثلة الجمع ( عالمين ، مهتدين ، صادقين ، أجمعين قانتين ، قاصدين )

و من صيغته في الشعر المعاصر قول الشاعر رياض رحال نسيم في قصيدته " دوح الرسول الأجد " حيث يقول:

أهيل محبتي ، ذبحت بدارها و لو طالبت بغداد ، وهبتها نحري (1)

1 - أمانة بلعلی : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة " ص 127.

2 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 09

و قصيدته " " في قوله ( الفائزين ، الطاهرين ) كما اصطبغ بصبغة الاحتقار خاصة في ذمّ الشاعر لأبناء هذا العصر ، فقد مثل هذا الجانب السلبي لعدم وعيهم بقيمة هذا الدين كما استخدم صيغ منتهى الجموع " الحوادث ، الكوائن " .

\* جمع التكسير: جاء جمع التكسير معادلاً لمظاهر الحرمان و الشقاء و الغربة و الانكسار مما أدى به إلى استدعاء الأشياء التي حرم منها ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ عدة بن تونس " نحن برضوان الإله شمس " منها قوله ( شهبٌ ، أبدال ، أمثال ، نجوم ، علماء .

\* جموع القلة : على وزن أفعال: من ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس " الصبح بدا " و من أمثله (أرواح ، أكوان.....)

\* جموع الكثرة:

- على وزن فعول : من ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس " نحن برضوان الإله شمس " و من أمثله : (شموس ، بدور ، نجوم ...)

- على وزن فعائل: من ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس " يا صاحبي هل فزت به " و من أمثله : ( بصائر ، بشائر ، سرائر ، ظواهر ، مآثر ، مكابر ، معاصر ، عشائر ، ستائر مفاخر .

و من أمثله في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة " الغماري " مناجيات " من ذلك قوله ( وثائق ، محاجر ، أنامل ، حقائق ، خلائق ....)

- على وزن مفاعل: من ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس " الصبح بدا " من أمثله ( مظاهر ، مطالب ، مراتب ، ....)

ب - 2 - التصغير: و أكثر ما نجده في الشعر الحديث ، من ذلك قول البوزيدي في قصيدة "ساقى الخميرة ":

ساقى الخميرة سقاني      ياساقيا مهلا راحا براح  
يانديمي املاً الأواني      ودر الكأس على الملاح (2)

و قصيدة الشاعر عدة بن تونس " بديع الحسن " في قوله:

خميرة في القدح المعلى      من ذاقها تاه بالاصطلام (3)

و في قصيدته " " إنني أرى السقاما " :

مهلا أهيل الحي مهلا      بمن جاور الخياما  
رفقا بالصّب المعنى      لا تزيدوه الأما (4)

1 - رياض رحال نسيم : " صخور الحنين " ص 47

2 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 132

3 - عدة بن تونس: " الديوان " ص 168

4. المصدر نفسه :ص 17

و جاءت صيغة التصغير في الموشحات و الأزجال و ذلك لتأثر الشاعر بالواقع اللغوي العامي و قد جاء هذا التأثير من موشحات الأندلسيين و ذلك حين سقوط الأندلس على يد الأسبان (1).

و من صيغته في الشعر المعاصر قول الشاعر رياض رحال نسيم في قصيدته " دوح الرسول الأمامجد " حيث يقول:

أهـيل محبتي ، ذبحت بدارها  
و لو طالبت بغداد ، وهبتها نحري (2)

### 3- التركيب الإسنادي :

3- أ - التقديم و التأخير : تعتبر تراكيب الشعر أكثر حيوية في تأليف كلماتها من حيث التقديم و التأخير ، و ذلك ناشئ عن قصد التوفيق بين وزن الشعر و حركات العبارة فتبدو الجمل في نظام غير طبيعي (3) ، حيث يلجأ الشاعر إلى تقديم ما هو أولى بالعناية و الاهتمام بغرض التنبيه على المقدم و التأكيد عليه كما أنه دلالة على التمكن من الفصاحة و حسن التصرف في الكلام ، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى ". (4)

#### \* التقديم في الجملة الإسمية :

- تقديم الخبر: من صورته في الشعر الجزائري الحديث ، ما نجده في قول العلاوي في قصيدته " أيا مرید نعيد لك قول اصغه ":

إليه المنتهى و منه المبتدأ و الآن و قد بدا الكون في حلاه (5)

فالشاعر هنا قدم الخبر " المنتهى " على المبتدأ " إليه " .

و قول البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة ":

مظاهر الكون كيزان الخميرة عبارة عن الأرواح (6)

و من صورته في الشعر المعاصر قول الشاعر محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح ":

يزهر العمرها هنا الفل زاه و يناغي نسرينه الريحان (1)

1- سليمان العطار : " الخيال و الشعر في تصوف الأندلس " دار المعارف ، القاهرة ، دط، 1981، ص 354.

2 - رياض رحال نسيم : " صخور الحنين " ص 49.

3 - محمد عبد المطلب: " جدلية الأفراد و التركيب في النقد العرب القديم " الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995 ، ص 159

4 - يوسف أبو العدوس : " البلاغة و الأسلوبية - مقدمات عامة " الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان، 1999، ط1 ، ص 71

5- أحمد العلاوي : " الديوان " ص 79

6 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 132

7- محمد الفاضلي: " وردة للغريب " ص 29

8 - منير مزليني: " قل لأدم " ص 48.

\* تقديم الجار و المجرور: ويتخذ تقديم الجار و المجرور في الجملة أشكالاً متعددة فتارة يقدم في الجملة الاسمية على الخبر ، و تارة يتقدم إذا كان متعلقاً بخبر محذوف على المبتدأ و يتقدم في الجملة الفعلية على الفاعل ، أو المفعول به أو كليهما معا ، ومن صورته في الشعر الحديث قول العلاوي في قصيدته " أحبتي إن كنتم على صدق ":

أيا ربّ بروح الحبيب و روحًا      أيديني بروح القدس و يسّر لي أمري (2)

فالتقديم هنا جاء للشبه الجملة " بروح " ثمّ أردفه بتقديم آخر و هو المضاف إليه " الحبيب " و الجملة المعطوفة " و روحًا " على الفعل " أيديني " ، و الأصل في هذا البيت أن يقول :

أيا ربّ أيديني بروح الحبيب و روحًا      و بروح القدس و يسّر لي أمري  
و قوله في قصيدته "دمعي مهطل":

لو أضللت دُرّه تَفَنّي      في معارفِي تَلَقَّاهَا (3)

فالتقديم الحاصل في الشطر الثاني من البيت ، فالشاعر قدّم الجار و المجرور " في معارفِي " على الفعل " تلقاها " استجابة للقافية.

و من صورته في الشعر المعاصر في قول الشاعر بختي بن مبخوت في قصيدته " رسالة استعطاف ":

هذي يدي بالهوى ممدودة      و ذا قلبي فاملأه بالسعد و الإطراب (4)

يقدم الشاعر في هذا البيت الجار و المجرور (بالهوى) على الخبر (ممدودة)، فالتقديم هنا أفاد إظهار الحبّ المعبر عنه ب (الهوى) الذي يكنه الشاعر للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله و قول الشاعر قدور رحمانى تلقاها في قصيدته " غلال النبي صلى الله عليه وآله ":

فكيف يدنو بيان الشعر من أفقٍ      في وجهه لخصّ الأقمار و الكتّبا (5)

قدم الشاعر في الشطر الثاني الجار و المجرور (في وجهه) على الفعل (لخص). فإذا نظرنا إلى هذا التقديم فهو أخف من سواه ، فإذا تأخرت بها الرتبة النحوية فلا مناص من الانحراف عن مقتضيات النحو للتعبير عن مقتضيات الإحساس.

\*تقديم الحال على الفعل: من ذلك ما نجده في قول العلاوي : " صلى الله عليه يا نور ":

مُطْلَقًا كُنْتَ فَصِرْتَ      بالقُيُودِ مُتَجَمِّلٌ (6)

2- أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 56.

3 - المصدر نفسه : ص 89

4 - بختي بن مبخوت: " ديوان قلب شاعر " ص 27

5 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 12

6- أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 92

فالعلاوي هنا قدم الحال " مطلقا " على الفعل و الفاعل " ، و الأصل فيها كنت مطلقا فصرت ، و هو في تقدّمه لأنه هنا في حالة وصف الحالة التي كان عليها من قبل ، و حتى يرسخه في ذهن القارئ جاء الابتداء بها على الفعل .

\* التأخير في الجملة الفعلية : و أكثر ما نجده في الشعر الحديث ، في قصائد الشيخ العلاوي خاصة قصيدته " صلى الله عليك يا نور " حيث نجد هذه الخاصية في كامل القصيدة:

أَنْتَ فِي الْآثَارِ قُلْتِ      ذَا الْكَوْنِ مِنْكَ تَمَثَّلْ  
مَنْ حَضَرَ الْقُدْسَ جِئْتَ      وَ أَنْتَ فِيهَا لَمْ تَزَلْ (1)

ففي هاذين البيتين نجد تأخير الفعل أربع مرات ، ففي البيت الأول تأخير الفعل " قلت " و " تمثل " و في البيت الثاني الفعل " جئت " و " لم تزل " ، و ذلك حتى توافق قافية الفعل قافية القصيدة .

و قوله كذلك في قصيدته " "

إِنِّي مَظْهَرُ رَبَّانِي      وَ الْحَالُ يَشْهَدُ عَلَيَّا (2)

أخر الشاعر الفعل يشهد و قدم الفاعل "الحال" عليه للضرورة الشعرية ، و الأصل فيها " يشهد الحال عليا " .

و من صور التأخير في الشعر المعاصر ، ما نجده في قصيدة عبد الحفيظ بورديم " غنيت المولد" حيث نجد هذه الظاهرة طغت على كامل القصيدة من ذلك قوله :

وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا وَقَعُ فَاصِلَةٍ      فِي ظِلِّهِ الشُّعْرُ وَ الْإِيمَانُ يَزْدَهْرُ (3)

فالتأخير هنا واقع في آخر الشطر الثاني و هو الفعل " يزدهر" ، و الأصل في الكلام " يزدهر في ظلّه الشعْر و الإيمان" فالتأخير هنا استجابة للسياق و تنميما لما يختلج في ذات الشاعر، فمن غير المنظم تأخير الفعل إلى آخر البيت ، فقد أحرّ ملائمة لقافية القصيدة ، و بذلك تتجانس دلالة البيت و تتأزرر .

ب-3 - الحذف : وطف الشعراء ظاهرة الحذف في كثير من الحالات ، فقد منح الحذف للتركيب الشعري حيوية و فيض دلالة ، فهو كما عرفه عبد القاهر الجرجاني : " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى فيه الذكر و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أتم ما تكون بيانا إن لم تبين . " (4) مما فتح باب التأويل ، و من ضروب الحذف في الجزائري الحديث ما يلي:

\* حذف المحركات:

1 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

2- المصدر نفسه : ص 28

3 - عبد الحفيظ بورديم: " مناجيات " ص 10

4 - عبد القاهر الجرجاني: " دلائل الإعجاز " تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دط ، دت، ص155

- حذف الاسم : من صورهِ في الشعر الحديث قول الشاعر محمد البوزيدي في نونيته :

لنُزُولِ التَّطْهِيرِ فِي الْقُرْآنِ      فَلَا عَلَيْهِمْ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ (1)

فالشاعر حذف الاسم المجرور " آية " بعد الجار و المجرور " لنزول " و ذلك للإيجاز على مستوى التركيب.

- حذف المبتدأ : من أمثله في الشعر الحديث قول العلاوي في قصيدته " دمعي مهطال " :

و اذْكَرُ إِلَيْهِ      لَوْعَتِي وَ حُبِّي  
مُؤَلَّعٌ بِهِ      وَ لَيْسَ فِي كَسْبِي (2)

حذف الشاعر المبتدأ " قلبي " في بديهة البيت ، أصلها " قلبي مولع به " ، حتى توافق وزن القصيدة.

و من صورهِ في الشعر المعاصر قول الشاعر محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح " :

وحدك الفجرُ إنْ أُنَاحَتْ لِيَالٍ      إنْ قَلتَ للمدْجِينِ كُونُوا فَكَانُوا (3)

حذف الشاعر هنا في الشطر الأول الخبر بعد المبتدأ " الفجر " للضرورة الشعرية و ذلك لموافقة وزن البيت.

\* حذف المضاف إليه : من صورهِ في الشعر الحديث قول محمد البوزيدي :

اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ السَّادَاتُ      وَ بِحَقِّ سَيِّدِ المَعْجَزَاتِ (4)

حذف هذا البيت المضاف إليه " محمّد بعد الحجار و المجرور " بحق " و الأصل فيها " بحق محمّد سيّد المعجزات " لتجنب التكرار.

و من صورهِ في الشعر المعاصر ما نجده في قول الشاعر منير مزليبي في قصيدته " ما تبقى " :

تَمْنَعُ حَيْرَتِي فُرْصَةَ للسَّفَرِ.. (5)

حذف الشاعر هنا المضاف إليه بعد الجار و المجرور ، و ترك المتلقي للفهم من خلال السياق و لعل المعنى المراد " تمنع حيرتي فرصة للسفر البعيد " .

\* حذف شبه الجملة : من ذلك ما نجده في قول رياض رحال نسيم في داليتها :

1 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 150

2 - أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 90

3 - محمد الفاضلي : " ثروة عمري " ص 3

4 - محمد البوزيدي : " الديوان " ص 150

5 - منير مزليبي : " قل لآدم " ص 49

مَنَازِلُ تَضْوِي كَأَنَّ لَوْنَهَا أَشِعَّةَ البَدْرِ المُنِيرِ المُرشِدِ (1)

فالشعر هنا حذف شبه الجملة " من النور " بعد الفعل " تضوي " ، و الأصل فيها " منازل تضوي من النور " فترك المعنى يفهم من السياق .

- حذف الفعل : ما نجده في قصيدة الشيخ العلاوي " محمد اصطفاك الباري " التي يقول فيها

الأرضُ كُأَنَّهَا و السَّمَاءُ و العَرْشُ و القَلَمُ من نُورِكَ (2)

فالشاعر حذف الفعل " خلقت " ، و هذا الحذف غرضه الإيجاز و الاختصار

و قوله في قصيدته " يا من تريد تدري فني " :

تَجِدُ أسرارًا تَغْشَانِي و أنوارًا نَبَوِيًّا (3)

فقد حذف الفعل في الشطر الثاني الفعل " تجد " ، فجاء هذا الحذف بما يعزز نورانيته و لتجنب التكرار .

و من صورته في الشعر المعاصر قول الشاعر بلقاسم خمار في قصيدته " إلى شباب أحمد " :

و اسْتَبْشَرْتُ كُلَّ البَرِيَّةِ حِينَمَا إِلاَّ الأَرْضُ ذَالُ كُبْكِبُوا ، و تَنَكَّنُوا (4)

فالحذف وقع في الشطر الأول و هو الفعل المبني للمجهول " ولد " بعد ظرف الزمان " حينما " و ترك المعنى يفهم من البيت الذي قبله .  
و قول منير مزليني في قصيدته " ما تبقى " :

يَا إِلَهِي .. (5)

فالحذف هنا واقع بعد المنادى إليه " إلهي " فقد حذف الشاعر الجملة الفعلية " ألطف بنا " و ترك المفهوم من خلال السياق ، لأنه من المعروف إذا نادى العبد ربّه ليناجيه و ليدعوه ليلطف به و يرحمه و يهديه .

\* حذف الفاعل : من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر عبد الرحمن الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " :

سَمَانِي اللهُ طَابَةَ فَطَبْتُ لِمَنْ لَوْلَاهُ مَا كَانَ لَلْكَوْنِ إِثْبَاتِ (6)

حذف الشاعر هنا الفاعل بعد الفعل " طببت " لوجود قرينة و هي عنوان القصيدة و التقدير ( طببت لمحمد الذي لولاه ما كان للكون إثبات ) . و قوله أيضا :

1 - رياض رحال نسيم : " صخور الحنين " ص 163

2 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 86

3 - المصدر نفسه : ص 28

4 - بلقاسم خمار : " الديوان " ص 298

5 - منير مزليني : " قل لأدم " ص 48

6 - عمر بن قينة : " الديسي حياته و أدبه " ص 271

\*حذف المفعول به: من ذلك قول العلاوي في قصيدته " صلى الله عليك يا نور ":

مَنْ حَضْرَةَ الْقُدْسِ جِئْتُ      وَ أَنْتَ فِيهَا لَمْ تَنْزَلْ (1)

و في هذا السياق المفعم بالقدسية يأتي الحذف منع الإعلان " جئت ، لم تنزل " ليوائم موائمة ساحرة سياق الرغبة ، فهنا حذف للمفعول به في الشطر الثاني ، فأصلها " و أنت فيها لم تنزل موجودا " ، فهذا الحذف للضرورة الشعرية .

ب - حذف الواصلات:

\*حذف الضمير : من ذلك ما نجده في قول عبد الرحمن الديسي :

و سِيعَتْ كُلَّ الْوَرَى عِلْمًا وَ مَكْرَمَةً      فَمَا لِأَخْلَاقِكَ الْحُسْنَى نِهَائَاتُ (2)

فقد حذف في البيت فاعل الفعل " وسعت " و هو الضمير المستتر " أنت " الذي يقصد به الرسول ﷺ .

وكذلك قول العلاوي في قصيدته " يا برد الأصل ":

نُورُ الصِّفَاتِ      كَنْزِي وَ اعْتِمَادِي  
حَالُ الْمَمَاتِ      جَعَلْتُ لَهُ زَادِي (3)

حذف الشاعر ضمير الغائب " هو " في أول الشطر الأول و الثاني ، و الشطر الأول من البيت الثاني وهو يقصد محمد ﷺ .

\*حذف الحرف: من صورته في الشعر الحديث في قول العلاوي في قصيدته " يا برد الأصل ":

إِيَّاكَ تَمِيلُ      عَنْ مَذْهَبِ الْحُبِّ (4)

حذف الشاعر المصدر " إن " بعد الفعل إياك " أصلها " إياك أن تميل عن مذهب الحب " كما نجده في قوله الأمير عبد القادر في رائيته:

كَسَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ثَوْبَ خِلَافَةٍ      لَهُ الْحُكْمُ وَ التَّصْرِيفُ وَ النَّهْيُ وَ الْأَمْرُ (5)

حذف الأمير في هذا البيت حرف العطف " الواو " و الأصل فيها " و له الحكم... " ، فقد عدل هنا عن الوصل إلى الفصل ، و علة ذلك واضحة للمتأمل ، الجملة الثانية متصلة من ذات نفسها بالجملة الأولى لأنها مؤكدة و مبنية لها ، و ذلك فهي مستغنية عن ربط يربطها بها.

1 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 29

2 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و أدبه " ص 273

3 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 90

4 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 90

5 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " تحقيق: العربي دحو ، ص 109



و من صورته في الشعر المعاصر قول الشاعر بلقاسم خمار في قصيدته " إلى شباب أحمد ":

و استبشرت كل البرية حينما  
إلا الأردال كُـبـكـبـوا ، و تَنَكَّدوا (1)

فالحذف وقع في الشطر الثاني للحرف التوكيد " قد " ما بين المستثنى " الأردال " و الفعل " ككبوا " ، و الأولى في الجملة أن يقول " إلا الأردال ككبوا ، و تنكدوا " و هذا الحذف غرضه الاقتصاد في الكلام .

و قول منير مزليني في قصيدته " ما تبقى ":

كَمْ تَبْقَى لَنَا ...  
خَطْوَةٌ ..  
خُطُوتَانِ .. (2)

حذف الشاعر في هذا المقطع الثالث حرف التخيير " أم " ، و الأصل فيها أن يقول " أم خطوتان " و الشاعر لم يذكرها لأنه يعاتب الزمن فهو في غلبة من أمره .

ج - الاعتراض: اهتم الشعراء بتوظيف بعض الجمل المعترضة بين أقسام الكلام لفائدة و من أوجه الاعتراض في الشعر الجزائري الحديث قول الأمير عبد القادر في قصيدته " مسكين لم يذق طعم الهوى ":

مَاذَا عَلَى مَنْ رَأَى - يَوْمًا - جَمَالَهُمْ  
أَنْ لَيْسَ تَبْدُو لَهُ شَمْسٌ وِإِصْبَاحُ (3)

و من أوجهه في الشعر الجزائري المعاصر قول الشاعر بلقاسم خمار في قصيدته " إلى شباب أحمد " :

يَكْفِي إِذَا ذُكِرَ اسْمُهُ مَا يَبْنَانَا  
قُمْنَا - احْتِرَامًا - لِلسَّلَامِ نُرَدُّ (4)

فالاختراض في قول الشاعر جاء بين قوله " قمننا " و " للسلام " .

1 - محمد بلقاسم خمار: " الديوان " ص 298

2 - منير مزليني: " قل لآدم " ص 47

3 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " ص 115

4 - بلقاسم خمار: " الديوان " مجلد 1 ، ص 297

## 2- المبحث الثاني : الرمز

أوغل الشعراء الجزائريين في العصر الحديث و المعاصر في الإلغاز و الرمز و الإشارات اللامتناهية ، " كونها تتطلع دوما إلى شحن الكلمات بلسان الرمز و الإشارة بعد إفراغها من مدلولها العرفي ، فيبقى بذلك معنى الإشارة كنزاً مظلماً أو كنزاً ضاع مفتاحه و الباب مردوم " (1) ، و ذلك لما يتسم به من عرفانية " ترتفع بصاحبها من تفاهة العادة و الألفة إلى دهشة الحقيقة المبهمة الغامضة و إلى خلق و عي استبطاني يتجه صوب جوهر الأشياء. " (2) فالصوفي دائماً في حال عجزه عن التعبير هو بحاجة إلى لغة تعبر عن فكرة العجز ذاتها و ليست المسألة مغلقة بحالة من العجز أو القصور بل تتعداها إلى حالة من التأمل البعيد في اللغة ذاتها كنظام إشاري رمزي جمالي (3) ، فيخلق عندهم بعداً جديداً و متعة جمالية ، لأن التصريح و البوح بكل المعاني يفقد هذه النصوص مثاليتها و جمالها الأرفع . " (4) و لكي يولج إليه لا بد من تجاوز العقل و منطقته ليمس باطن الذات فيجلو لها الحقائق ، فهو على الحقيقة فتح غير متكلف ، و كلام بلسان الأحوال ، و من طبيعته إما أن يوضح ما خفي أو حاول إخفاء ما هو واضح بين فعلى ذلك أصبح للصوفية لغة اصطلاحية أرادوا بها خشية اتهامات الخصوم التي تضعهم في تعارض مع العقائد الشرعية ولهذا اصطلحوا على رموز و ألفاظ لا يفقه معناها غيرهم " قصدوا بها الكشف عن معانيها لأنفسهم ، وللاجمال والستر على من باينهم في طريقهم ". (5) و غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن يظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيفتنوا أنفسهم ويفتنوا غيرهم. " (6)

و تتفاوت نسبة الرموز من قصيدة إلى أخرى و من شاعر إلى آخر تبعا لموقف الرؤية و الحالة الشعورية التجأ الصوفية إلى الرمز للتعبير عن أشواقهم و مواجيدهم ، و من أبرز الرموز التي ارتكز عليها الشعراء في العصر الحديث و المعاصر ما يلي:

أ - رمز المرأة: رأوا الشعراء الجزائريين في المرأة " الصورة المثلى و جوهر الوجود و منبع العطاء فهي ليست مشتتة أو موضع حب " (7) ، بل هي عندهم أحد تجليات المبدأ المؤنث المضاد ، و المقابل للمبدأ الذكر الذي ظلّ مبدأً أحاديّاً زمنياً طويلاً يحكم المجتمع الإسلامي ، و قد عبر الصوفيون عن حبهم لمحمد ﷺ باستخدام رمز المرأة و استعارة أسلوب الغزل العذري ليشيروا إلى معارف ربّانية ، و أنوار إلهية و أسرار روحانية ، و علوم عقلية و تنبيهات شرعية (8) فرمزوا بتجليات عديدة لحقيقة واحدة ، و بأسماء مختلفة لمسمى واحد تلميحاً للأسرار الصوفية الشاطحة ، و حيلة فنية لوصف حبهم للحبيب ﷺ و صفاً أدبياً يحاكي الشعور الذاتي للعبد و فرديته ، و تعبيراً عن تجلي الكمال المحمدي في الكون ، و عن حبهم و عشقهم لأصل الجمال رغبة منهم في التقرب إليه ، و الاتحاد به ، و الفناء فيه .

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: "المواقف" ص380

2 - عاطف جودة نصر: " الرمز الشعري عند الصوفية " دار الأندلس ، بيروت ، 1981 ، ط 1 ، ص 163

3 - محمد خطّاب : " اللغة في العرفان الصوفي " ص 50

4 - عبد الحميد هيمه : " الخطاب الصوفي و آليات التأويل - قراءة في الشعر المغربي المعاصر " موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر

2008 ، ص 303

5 - الإمام القشيري : " الرسالة القشيرية " ج 1 ، ص 229

6 - المصدر نفسه : ج 2 ، ص 187

7 - أمّنة بلعلي : " تحليل الخطاب الصوفي " ص 76

8 - ابن عربي : " ترجمان الأشواق " ص 10

و من رموز المرأة في الشعر الجزائري الحديث ما نجده في قصائد الشيخ العلاوي ، من ذلك قوله في قصيدته " أرقني الغرام ":

أرَقْنِي الْغَرَامَ                      مِِنْ حُسْنِ لَيْلَى  
و الْقَلْبُ فِي هَيْامٍ                      مَعَ الْجَمِيلِ (1)

القصيدة حافلة بالدوال التي ترمز للمرأة ، ولكن المرأة في هذا النص تتخلى عن صورتها المادية لتتحول إلى رمز روحي شفاف يحيلنا على العشق الصوفي الذي يحير لبّ الشاعر ويعمق مأساته في إمكانية الوصال من عدمه بالمحبوب ، وهذه الرؤية المقدسة للحبّ تصعد تجربة الحبّ لتشمل الإنسان والكون، بمعنى آخر هناك تصعيد للمحبة الإنسانية إلى مستوى المحبة المحمّدية .

و قول الشيخ قدور بن عاشور في قصيدته " بمحمّد تاجي و حلّتي ":

أنا المَعْشُوقُ لها مَعْشُوقَتِي                      لَيْلَى الْخَالِيَةَ حَيَّرْتُ الْحَنَفَاءُ (2)

و هذه اللغة هي التي خاطب بها الأمير عبد القادر حقيقته عليه السلام بلسان شيخه " محمد الفاسي " حيث يقول:

بُحْزِنٍ وَ تَلْحِينٍ تَجَاوَبْنَا بِمَا                      تَذُوبٌ لَهُ الْأَكْبَادُ وَ الْجَلْمُدُ الصَّخْرُ (3)

و من رموزها في الشعر الجزائري المعاصر ، قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " ، حيث يقول :

أَغْنِيَةُ لِلوَرَى يَشْدُو بِهَا الوَتْرُ                      مِنْ عَيْنِ عَاشِقَةٍ مَا عَابَهَا بَشْرُ  
وَ الْكَوْنُ أَنْشُودَةٌ لَيْلَى لَهَا نَعْم                      وَ الْجِنُّ تَخَضَعُ إِذْ تَرَقَى بِهَا السُّورُ (4)

يستخدم الشاعر اسم " ليلَى " في البيت الثاني كرمز للذات المحمّدية ليصور لنا حبّه و هيامه بها فهو في تعبيره عن الذات المحمّدية بالمرأة لكونها أجمل تجليات الوجود و من أبرز صور التجلّي و معرفتها تعد مدخلاً لمعرفة أصل الكون، فهي رمزٌ للرحم الكونية ناقلاً المعاني الحسيّة من الغزل العادي إلى الغزل الصوفي .

و قول قدور رحماني في قصيدته " أقبلي " ، فقد عبر عن المحبة المحمّدية في طابعها الروحي من خلال أساليب غزلية موروثة كشفت عن الجانب الميتافيزيقي من خلال تركيب غنوصي خاص (5) يقول فيها :

طِفْلَةُ الْكَأْسِ حُلُوةٌ حِينَ تَجْرِي                      فِي جُفُونِي ، لَكِنَّ كَأْسَكَ أَحْلَى (6)

1 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " الديوان " ص 5

2 - قدور بن عاشور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " ص 207

3 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 112

4 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 09

5 - عاطف جودة نصر : " الرمز الشعري عند الصوفية " ص 275

6 - قدور رحماني : " ثروة عمري " ص 129

و رمز المرأة حاضر في القصيدة ولكن بشكل روحي رمزي يحيلنا على المحبة ، فوجد فيها ما يلاقونه من وجد و هيام و فناء في الذات المحبوبة. و حديثه عن المرأة لم يكن من منطلق كونها رمز للجمال المطلق ، و إنما جاء للحديث عنها كبعد حسيّ ، لما تحمله من دلالات الخلق و الولادة لأنّ هوى المحبة المحمّدية و عواطف الشاعر باطنية قلبية تحتاج إلى التلميح و الترميز أكثر مما تحتاج إلى المباشرة و التقرير.

تأسيباً على ما تقدم يمكن القول أن الشعراء جعلوا العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوقّر الدواعي على الإصغاء إليها ، لأنّ المرأة هي أصل المحبة والسعادة وباستخدام رمز المرأة يكون الصوفيون قد مزجوا بين المادي والروحي وبين السماوي والأرضي ورفعوا نموذج (الأم) ليوازي (الأب). وزاوجوا بينهما ليمنحوا الكون الأمومة السّارية فيه ، والتي تنبثق عنها موجوداته.

ب - رمز الطبيعة : احتفى الشعر الصوفي الجزائري بالطبيعة أيما احتفاء ووصف مظاهرها بل تفاعل معها باحثاً عن الجوهر القابع بداخلها، و عن روحها المستترة فهذه الروح التي تسري في الوجود ، و في عناصر الطبيعة ، تضم الكائنات جميعها في نسيج واحد متلاحم ولكنّ النظرة المادية الروتينية جعلتنا لا ننتبه لها ، ولا ندرك حضورها ، ولكن الشاعر بحسّه المرهف يستطيع أن يتغلغل بشعوره في صور الطبيعة وأشكالها المختلفة ، وبذلك يولد رموزاً صوفية جديدة مصدرها الطبيعة بمظاهرها المختلفة الحيّة والجامدة.

فالشاعر أورثه الحنين الدائم إلى السكون ، فهي تمثل صور مماثلة لناسوته الإلهية فيميل إلى تشخيص الطبيعة و أجزائها و يتحد بها ليكشف عن نزوعه إلى أصله و حقيقته ، و كأنّ الروح المحمّدية هي روح الطبيعة لأنّه كل ما في الوجود ، بل هو الوجود ذاته .

و من رموز الطبيعة التي أكثر الشعراء من الاتكاء عليها رمز الظلّ ، فقد عدّه الصوفية رمز للوجود ، فكلّ شيء في الوجود له ظلّه ، وكذلك الذات المحمّدية ، فكلّ موجود على الكون إلا و كانت ذاته <sup>سائرته</sup> ظلّه ، من ذلك قول عدة بن تونس في قصيدته " قد حلا فيكم غرامي ":

أَنْتَ فِي كُلِّ مَقَامٍ      ظِلُّنَا الْمَمْدُودُ (1)

و كثيرا ما عبر الشعراء الصوفية عن حقيقته الفيضية " بالبحر " ، فهو فضلا عن إشارته إلى الحياة و الوجود ، تصوير للجنة التي يسعى إليها الصوفي ، وهذا الرمز كما يرى نيكلسون: " الرياضات والمجاهدات الروحية ، والمراكب هي أعمال العبد صالحاً أو غير صالحه والساحل هو الظاهر، ومقرّ الظلمة هو الباطن ، والحيتان هي مخاطر وعقبات الطريق الوسط بين الظاهر والباطن (2). يقول البوزيدي معبرا عن حقيقته <sup>سائرته</sup> بالبحر :

مُحَمَّدٌ يَا صَادِقُ      يَا بَحْرَ الْحَقَائِقِ  
أَنْتَ مَأْوَى الْعَاشِقِ      يَا طَبِيبَ الْأَرْيَاحِ (3)

فالبحر هو الذي وهب الشاعر الحياة و الجمال و المعرفة و العلم و السداد و وفقه لسلوك السبيل " ففي كُلِّ قطرة من بحره.. والحِكمُ كُلُّها عَرَفَةٌ من نهره. " (1)

يقول أحمد العلاوي معبرا عن حقيقته بالبحر كذلك في قصيدته " أيا أيها العشاق " :

فهو بحرٌ جامعٌ كُلُّ كَمَوْجَةٍ      و هُم نورٌ لامعٌ من حَضرةِ المولى (2)

اتخذ الشاعر في هذا البيت من رمز البحر للدلالة عن اتساع النور والبهاء الإلهيين ، إذ يُستعمل (البحر) أحيانا للدلالة على الباطن مقابل البر الدال على الظاهر.

و من رموز الطبيعة في الشعر الجزائري الصوفي المعاصر رمز " النجوم " فهناك من اتخذها رمزا للتعبير عن حبه صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما نجده في قول الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " غلال النبي محمد صلى الله عليه وسلم " :

كُلُّ النُجُومِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا غَرِبَتْ      و نَجْمٌ حُبِّكَ عَنْ عَيْنِي مَا غَرِبَا (3)

نجده الشاعر في ارتقاءه إلى عناصر الطبيعة يعيش الحالة بامتلاء على مستوى الوجدان والروح ومن خلال معانيها العميقة ، فنتروحن مظاهر الطبيعة ، وترق حتى تصل مستوى الرمز المتعدد الأبعاد الحافل بالدلالات ، وهذا الاشتقاق الرمزي يرجع في المفهوم الصوفي إلى كَوْنِ كُلِّ مظاهر الحسن في الطبيعة إنما هي تجليات للجمال المحمدي الذاتي باعتباره المكون الأساسي له ، لكنه لم يُبق على مادية مفردات الطبيعة ، بل نقل معظمها من عالم المادة إلى عالم المعنى ، ليكون توحيدُه بين المادة والمعنى أحدَ تجليات مذهب وحدة الوجود. و قوله في قصيدته " أقبلي " يصف سريان الذات المحمدية داخله ، مستدعيا في ذلك ظاهرة البروق و الغيوم و بعض الظواهر كالسيول ، حيث يقول :

رَفَرَفَتْ دَاخِلِي عُدَارِي هَدِيلِي      كَقَطِيعِ البُرُوقِ يَجْرِفُ سَيْلَا  
أَقْبَلِي حَتَّى أَمَلَا القَلْبَ دُرًّا      نَبِيًّا و أَقْحُونَا و نَخْلَا  
أَقْبَلِي مِنْ كُلِّ المَنَاطِقِ صَحْوًا      و عُيُومًا و دَهْشَةً تَتَجَلَى (4)

يرسم الشاعر لنا في هذه الأبيات لوحة فنية تزخر بها لنا أشكال الطبيعة البديعة ، و يدعوها لتقبل عليه حتى تكتمل صورتها في الإتحاد النبوي .

ج - رمز النور: عبر عن حقيقته صلى الله عليه وسلم بالنور بلغة رمزية على أساس نظرية الفيض أو نور الأنوار الذي يفيض عن الله (5) ، و من صور النور في الشعر الجزائري الحديث ما نجده في قول البوزيدي في رائيته :

1 - عبد الإله نبهان و عبد اللطيف الراوي : " تراث الحلاج - أخباره ، ديوانه ، طواسينه " دار الذاكرة - حمص ، ط 1 ، 1996 ص 166 .

2 - أحمد بن مصطفى العلاوي : " آيات المحبين " ص 18

3 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 12

4 - المصدر نفسه : ص 128

5 - عبد الله الركبي : " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 196

ثُمَّ صَلَاةَ اللَّهِ عَلَى صَاحِبِ الْجَاهِ هُوَ نُورُ الْإِلَهِ هُوَ مِفْتَاحُ الظُّهُورِ (1)

و قصيدته " يا عاشق المعنى " يغطيها قاموس متنوع يعبر عن نورانيته صلى الله عليه وسلم :

أَنْوَارَهَا سَطَعَتْ مِنْ ذَاتِي ظَهَرْتُ فِي سَمَاءِ الْأَرْوَاحِ (2) شَمْسُهَا طَلَعَتْ

ففي هذه الأبيات إشارة واضحة إلى نورانيته الظاهرة ، فهي كالشمس بحيث يصبح ضوءها عين حجابها و يستحيل على العين أن تدركها لشدة تجليها ، وهناك من عبر عن ملامحه الخلقية بالنور ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر بلقاسم بن منيع " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " إذ يقول:

إِشْرَاقُ ضَوْءِ الْمُحَيَّا قَدْ أَضَاءَ لَنَا زَوَاهِرًا لَمَعَتْ ، زَانَتْ سَمَاءَ كَرَمِ (3)

و عن هذا النور الظاهري تفرعت رموز أخرى كالتطهير، و النجاة ، و الخلاص و المعرفة من ذلك ما عبر عنه الشاعر محمد العيد في قصيدته " يا أمة الخير ":

فَلَا عَدْمَ نَاهِ نُورًا وَرَحْمَةً لِلْجَمِيعِ (4)

رأى الشاعر في ذاته صلى الله عليه وسلم النور الذي عم الكون برحمته و هدايته و صلاحه و فلاحه .

ومن رمز النور في الشعر الجزائري المعاصر ما نجد في قول محمد الشبوكي قصيدة " هلال ربيع " :

فَأَشْرَقَ فِي الْأَرْضِ نُورَ السَّمَاءِ وَحَلَّ مَكَانَ الشِّتَاءِ الرَّبِيعِ (5)

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " حيث يقول :

يَا مَوْلِدَ النُّورِ وَ الْأَنْتَامِ ذَاهِلَةً تَنْدَحُرُ بِصَبْحِهِ رَايَةَ الْإِحَادِ (6)

اتخذ الشاعر من رمز النور منطلقا للتعبير عن حقيقته الخلقية ، فنوره هو الذي أخرجنا من ظلمة الشرك إلى نور الحق .

كما عبر عنها قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع " بالفويض:

1 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 130

2 - المصدر نفسه : ص134.

3 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص10

4 - محمد العيد آل خليفة: " الديوان " ص 175

5 - محمد الشبوكي: " ديوان ذوب القلوب " ص 204

6 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 09

يارشّة العُنُقودِ أنتِ نُبوءةٌ فاضتْ على شَفَتِي فُتوحَ بَيَانِ (1)  
عبر الشاعر هنا عنها بالنور القديم الذي فاض عليه فتدلت عليه بالمعارف و الأنوار الربّانية  
لكونه <sup>ساقى المدام</sup> النور الأصلي .

د - رمز الخمر: غدت خمرة العشق حاضرة في قلوب عشاق الحقيقة المحمّدية حضوراً فانياً عن الوجود في الشعر الحديث و المعاصر ، حتى صارت من مصطلحاتهم الفنية وهذا الرمزُ موجودٌ صراحةً أو تلميحاً في كتاباتهم لمعاناتهم لحالي السكر و الصحو، و السكر حالة ذاتية عالية يصل إليها الصوفي ، بعد أن يمرّ بمقامات الذوق و الشرب ، فتكلم الشعراء عن كؤوس الحب المترعة ، و غيبهم عن الوجود في سكرهم و نعيمهم بمشاهدة الحبيب برموز الخمرة للانتشاء الروحي ، و إيماء لما يحسونه من أذواق عالية و أسراراً عرفانية فمن خلالها أشرقت الأكوان و تجلت الحقائق المعرفية ، فالعلاوي يرى فيها المتسع للقاء الحبيب و الذوبان فيه ، و سكر الشيخ في قصائده أكثر من صحوه ، من ذلك ما عبر عنها في قصيدته " دمي مهطل " حيث يقول فيها :

ساقى المدام في	حضرة القدس
فلاملام	طه الإمام
	إن قلت فيه كاسي
	نور الجمال
	عن المدام ينسي
	للأشياء غطاًها (2)

فالشاعر في هذه الأبيات في حالة فناء مستغرق بالكلية في الجمال المطلق ، و هو في هذه الحالة يعجز معها عن التعبير عما يكشف له ، خاصة عندما يفني عند رؤيته ، لذا نجده يلجأ إلى الرمز و " بناءً على هذا تظهر الصورة غامضة غائمة في تشكيلها اللغوي ، مما يجعله يفتح على كثير من القراءات ، فضاؤها الباطن المعقد المظلم ، وهذه الظلمة هي ما تكشف عنه اللفظة من حرارة رصيدها المذخور في الشعور وذلك لمحدوديتها " (3) بحيث نجده يرمز فيها للرسول <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بالساقى الذي يسقي الحاضرين خمراً ، كما عبر عنها البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة " و التي يقول فيها :

ساقى الخُميرة سقاني	يا ساقيةها مهلاً راحاً براح
يا نديمي أملاً الأواني	ودر الكأس على الملاح
أدر الكأس لـخِلاني	واسق نحيل الجسم يرتاح (4)

ففي هذه الأبيات مجلسٌ لشرب الخمر، لكنّ النديم ليس كندماء مجلس الخمر المادية، فهو مُنزّه عن العيوب ، و لقاء مع نديمه و تبادلها التحية هو خلقٌ كريم ينتمي إلى إكرام الضيف لضيفه ، و هم حين يتكلمون عن الحب فإنهم يرمزون إليه بالمعاني الخمرية و عندما يتكلم عن المحبوب لا يخلو من الحديث عن المحبة في الوقت ذاته ، و هذا السكر بها يُفقد العقل و التوازن و يخلق لهما بديلاً من الهيام و الاضطراب في حالة المحبة جارفة، لأنّ محتوى الرّاح هو معرفة

1 - قدور رحمانى : " ثروة عمري " ص 95

2 - أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 91

3 - أحمد بوزيان : " المنحى الصوفي في الشعر العربي المعاصر - من خلال الرواد : السياب صلاح عبد الصبور ، خليل حاوي ، أدونيس ، البياتي مخطوط رسالة ماجستير - جامعة وهران، 1997-1998، ص 281 .

4 - البوزيدي : " الديوان " ص 132

الذات المحمّدية و حالة السكر بها قد يتبعها بوح بما هو أجدر بالكتمان . و قول الأمير عبد القادر في قصيدته " أستاذي الصوفي ":

فَلَوْ نَظَرَ الْأَمْلَاكَ خَضْتُمْ إِنَائِهَا      تَخَلُّوا عَنِ الْأَمْلَاكِ طَمَعًا وَ لَا قَهْرُ  
وَ يُسْكِرُهُمْ وَرَقُّ الْحَمَائِمِ فِي الدُّجَى      تَظُنُّنَّ بِهِمْ سَحْرًا وَ لَيْسَ بِهِمْ سَحْرُ (1)

جعل الشاعر العنصر الخمري بديلا أرضيا موازيا لموضوع السكر لا الصوفي الذي تعددت أسبابه بحسب أنواع الواردات (2) ، و هذا السكر ينشأ عن مشاهدة الجمال المطلق الذي يبدو مصحوبا بالدهشة و الوله ، لأنه " إذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر ، و طاب الرّوح و هام القلب.(3)

و قول الشاعر قدور بن عاشور في قصيدته " أنا الضرغام ":

يَا طَالِبَ التَّدَانِي      خُذْ طَرِيقَ الْأَمَانِي  
تُسْقَى كَمَا سَقَانِي      شَيْخِي الْمُصْطَفَى النَّصِيرُ (4)

عبّر الشاعر في هاذين البيتين عن حقيقته بالخمرة ، فهي تشير إلى التجليات و حقائق الغيب و عالم الحقيقة ، فالسعادة التي يبعثها تحصيل المعرفة الإلهية أنواع بحسب درجات المؤمنين العارفين فهناك سعادة المُقْرَبِينَ ، وسعادة أصحاب اليمين ، وسعادة المتوسطين ، وهم جميعاً يمكنهم اختيار تدوّق شراب الأبرار، وفي شراب كلّ منهم شيء من لذة هذا الشراب وهو خمر المعرفة ، والشراب الذي وصفه الله تعالى بأنه من ( رحيق مختوم ومزاجه من تسنيم ) فهو خمرٌ رحيق خالص غير مشروب ، وهو مختوم في إناء لم يُفتح ويُقدّم لأحدٍ من قبل وهو كالعسل.

و من الرموز الخمرية في الشعر المعاصر قول الشاعر قدور رحماني في قصيدته " أقبلي ":

فِي وَرَيْدِي حَنَانُ كُلِّ السَّوَاقي      قَدْ تَعَرَى عَلَى الْبَسَاتِينِ فُلًّا  
طِفْلَةَ الْكَأْسِ حُلُوةً حِينَ تَجْرِي      فِي جُفُونِي ، لَكِنَّ كَأْسَكَ أَحْلَى  
كُنْتُ لِي أَنْتَ كُنْتُ كُلُّ أَوَانٍ      نَعْمًا مَا طَرًّا يُعَانِقُ طِفْلًا (5)

و هذه القصيدة في جوهرها منبثقة من لظى الحب المحمّدي ، تعبر عن نشوة و سكر الذات الشاعرة في الذات المحبوبة ، و هي نشوة أثمرتها تجربة ولهه و هيامه في حضرة النور المحمّدي باعتباره هو الباعث الحقيقي على أحوال الوجد ، و السكر المعنوي ، فبعد أن يفصح عن مشاعره بالمفهوم الظاهري إذ سرعان ما تتحول عنده اللفظة إلى إشارة (6) ، و هو في هذه هذه الأبيات يريد الوصول إلى السعادة المرجوة التي تحتم عليه العيش في برزخية السكر و الصحو. فكأس المحبة هي " الخمرة " التي هي الإنسان الكامل النبي ﷺ ، وهذا الكأس في

1 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " تحقيق: العربي دحو ، ص 111

2 - السعيد بوسقطة: " الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر " منشورات بونة للبحث و الدراسات ، الجزائر ، ط 2 ، 2008. ص 130

3 - عبد الكريم القشيري : " الرسالة القشيرية " ص 107

4 - قدور رحماني : " ثورة عمري " ص 129

5- قدور بن عاشور : " الديوان " ص 256

6- خالد بلقاسم : " الكتابة و التصوف عند ابن عربي " دار طوبقال ، الدار البيضاء ، 2004 ، ط1، ص 210



تحولها الرمزي تبدو أحلى من كأس الخمرة العادية فذكر اسمها يصيب العارفين بالنشوة و  
الوله كما يبدد الهموم و الأحزان، و يهيئ لشاربها أسباب الفرح و الغبطة فهي وحدها القادرة  
على إرواء الظمآن.

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد" واصفا لخمرة عاشور التي  
تسكر العقول و تذهلهم ، فيقول:

الله أكبر كم ذاقوا و كم هتفوا      الله أكبر كم هاموا و كم سكرُوا (1)

وهناك صحو قبل السكر و صحو بعده ، فالذي قبله هو تفرقة محضة ليس من الأحوال  
الصوفية و الصحو الثاني ، فالثاني كلّه غيبية و محو للغير و سلب خالص و استغراق تام في  
الهوية الخالصة أما الصحو الثاني هو غثبات الهوية و السوية في آن واحد .

هـ - رمز الرحلة: حفل شعرنا بالعديد من النصوص التي تتخذ الرحلة رمزا  
لرحلتها التي يسعى إليها العشاق إلى الحقيقة المحمدية ، فقد كان للصوفية نزوع واضح للسفر  
لأنه وسيلة إلى الاتصال بالذات المحبوبة و في ظلّ هذه الرحلة تنتعش روح المحبّ و ذلك  
بسلوكها الطريق نحو المحبّ.

و من رموز الرحلة رمز الإسراء و المعراج ، فقد أسهمت قصة المعراج في تجسيد  
الرؤيا الصوفية و ذلك باستلهاهم الرحلة و استثمار إمكاناتها الواسعة في الخلق (2) و جلّ ما  
وصلوا إليه الدخول بعمق إلى حقيقة الشخصية المحمدية لما لها من أبعاد إسرائيات و معاريج  
تنوعت بتنوع رتبهم و مقاماتهم ، و إن كانت تختلف في طبيعتها و نوعيتها عن المعراج  
المحمدي ، فمعارج الأولياء معراج روعي برزخي أما معارج الأنبياء فهي حقيقة حسية فيه  
اختراق للسموات " (3) ، و هم في حديثهم عن هذا الرمز استوحوا الكثير من القصص  
و النصوص فأودعوا خبراتهم الروحية ، و تصوراتهم الماورائية ، و كشوفاتهم و حدوسهم  
و تأويلاتهم و الكثير من الإيحاءات الإنسانية ، فضلا عن تخليصهم رمز المعراج من طابع  
التاريخ و السيرة. ففي الشعر الحديث اتخذ الشعراء أنموذجا و مثالا ألهمهم ، فاندفعوا  
نحو السير على القدم المحمدي مكثفين من المعراج فيغدو عروجه رؤيا نبوية تخرجنا عن العالم  
الأخر، من ذلك ما نجده في قول الشيخ قدور بن عاشور في قصيدته " ليلة القدر في باطني ":

قَطَعْتُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بِإِرَادَتِهِ      إِلَى حَضْرَةِ الْقُدْسِ يَا سَعْدِي وَ سَعْدَاتِي (4)

و الشاعر في حديثه عن هذا المعراج كان مضطرا لاكتشاف أعماق لا حدود لها، و هذا  
العمق لا يترجم بالصورة ، فالرمز هو وحده القادر على الاستجابة لهذا البعد. " لأنّ اللغة في  
شكلها الموضوعي تكاد تكون كافية في تحليل الظاهر الفيزيائية التي تخضع للإدراك الحسيّ  
و التجربة المادية المباشرة ، أما الظواهر النفسية و الحيوية و هي ما تعني به التجربة الصوفية  
فإنّها تحتاج إلى لغة أخرى و هي لغة الرمز " (5) ذلك لأنّ المعراج الصوفي معراج نفسي

1- عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 11

2- أمانة بلعلي : " تحليل الخطاب الصوفي " ص 229

3- عبد الحميد هيمة : " الخطاب الصوفي و آليات التأويل - قراءة في الشعر المغربي المعاصر " ص 33

4- قدور بن عاشور : " الديوان " ص 216

5- عاطف جودة نصر : " شعر عمر بن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي " ص 144

وعقلي ورؤية منامية معنوية ، وروحية ، بينما المعراج النبوي معراج حسّي ، ومعنوي فالمعراج الصوفي تقليدٌ للمعراج النبوي من الجانب الروحي لأنّ عناصر المعراج صورٌ أصولها موجودة في الرواية ، فلم يزل السالك يقطع المسافات ، حتّى يصل إلى حضرة القدس و ذلك بعد التخلص من العناصر الأرضية و الإنعتاق من كلّ ما يربطه بالعالم و يواصل السالك سرد كيفية اختراق الحجب حتّى تتضح له الأسرار .

و من صور الرحلة المعراجية في الشعر الجزائري المعاصر ما نجده في قول مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات " ، حيث يقول :

دَنَوْتُ شِفَاهًا ظَامِنَاتٍ و عَيْنَيْنِ  
و هِمَّتْ عَلَيَّ أَنْفَاسِهِ قَابَ قَوْسَيْنِ 1)

يشير الشاعر هنا إلى المقام الذي وصل إليه في معراجه ، و هو ما عبر عنه بكلمة " قاب قوسين" الذي يجعله رمزا للطاقة الروحية التي تبدو في صورة الرّوح الكلي ، ثمّ الإنسان الكامل الخليفة ، و هكذا ينتقل السالك من حالة انفصال إلى حالة امتلاك هي أشبه بحالة الوحي بالنسبة للنبيّ و يصبح مؤهلا للإسراء مثل النبيّ ﷺ (2) ، فهو بهذا الرمز يعين القارئ على تجاوز الظاهر ليصل إلى الخفي الغامض . فهو في هذه الرحلة رحلة العروج باحثا عن الحقيقة رغبة منه في التخلص من العناصر الأرضية و التحقق و الإتحاد بالعناصر السّماوية لظهور الأنوار العقلية و لمعانها و فيضانها ، فبالمعراج تتحقق الكمال المعرفي .

فالرمز أصبح عند شعراء المحدثين و المعاصرين مصدرا مكتنزا للخلق الدلالي ، إلى حد أصبحت فيه الكلمة رمزا قائما بذاته (3) فيكون منها ما يتجاوز النص إلى أبعاد تحتضنها الرؤية الذاتية للشاعر في بعدها الاجتماعي و الديني و الفلسفي ، فكانت هذه المعاني الرمزية هي السرّ في إقبال الناس على شعرهم. ذلك أنه ينقلهم من الصيغة المعتادة في الشعر المألوف و المعاني الشائعة إلى نصوص شعرية تتماهى في تجربتها مع الألم الذي يحسه الشاعر ففي هذه الحالة يتحد الشاعر و المتلقي في عملية القراءة بما تخفيه اللغة من دلالات عميقة.(4) ففي اختراق مكان الوجود السفلي يتم اكتمال الإنسان واتصاله بالمقام الذي يعترف له بالوراثة.(5)

و هذه الرموز و إن كان في بعضها من الغموض ما يجعلها أمام مغالقات معنوية إلا أنّ بعضهم أصرّ عليه ليتحدى الألوفاً و يجعل رغبة المتلقي منحصرة في رغبة التحدي حتّى لا يقع التجاوز (6) إذ لا يمكن أن نسمي قصيدة ما صوفية دون أن نلمس فيها ملامح الغموض الذي الذي يضفي عليها متعة فنية راقية ، ترقى بالشعر إلى عالم مكتنز بالرموز و الإشارات الذي لا ترفع عنه الحجب إلا بالتدرج في مدلولاته . و هذه هي طبيعة الرمز الصوفي بشكل عام؛ إنّه

- 
- 1 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 90
  - 2 - محمد بن عمارة : " الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " ص 303
  - 3 - أمنة بلعلي: " أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة - دراسة تطبيقية " ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط ، 1995 ، ص 51
  - 4 - محمد بنعمارة : " الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " ص 145
  - 5 - المرجع نفسه: ص 244
  - 6 - عبد الله حمادي: " الشعر العربي بين الإتياع و الابتداع " منشورات اتحاد الكتاب الجزائري، الجزائر ، ط1، 2001، ص 189

كالسحاب الذي يغطي الشمس لا ليخفيها، وإنما ليقلل شدتها حتى يمكن التحديق فيها دون أن تخشى الاحتراق

### 3 - المبحث الثالث: الصورة الشعرية

وظّف الشعراء الصورة الفنية في شعرهم أحسن توظيف ، ممّا يشكل مرتكزات و بؤرا تعمل على إضفاء التماسك الفنّي على مفاصل النص ، ففي داخل الشاعر تتشكل الصورة نتيجة الصراع الذي يتم بين العالم الغيبي و العالم الحسي الواقعي ، هذا الصراع يحسه البطل الذي هو الشاعر بواسطة خلق صورة هي المعادل الفنّي الذي يخلق التوازن في الرؤية الفنية .(1) لأنّ رغبته هي تصوير عالم يقين و استئناس بأسرار المطلق و الاطمئنان إلى المصير النهائي و الصبر على غربته الحاضرة .(2)

و بما أن الأدب الصوفي هو أدب الإشارات والتلميحات ، فقد زخرت عباراتهم ونصوصهم الشعرية بتلك العناصر ونقلت تجاربهم من خلال الصورة ، لأنّها "الوسيلة الفنية لنقل التجربة" (3) فالشاعر الصوفي في تشكيله الصور الحسيّة يعقلن اللاعقلي حين يمرره عبر قنوات الحسّ ثم يحيل عليه في سياقه الفكري و الوجداني المجرد (4) ، و تتفاوت صور المبدعين الفنية بتفاوت قدراتهم على شحن صورهم العاطفية وإطلاق خيالهم من الصور الفنية المؤثرة في شعرهم ، من صورها :

أ - المجاز المرسل : هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، من صورته في الشعر الحديث ما نجده في قول الشاعر عدة بن تونس في قصيدته " بديع الحسن ":

حَدِيثُهُ الْوَحْيُ كُلَّمَا يُتْلَى      فِيمَا بَيْنَ الْخَوَاصِ وَالْعَوَامِ (5)

فالمجاز في قوله " حديثه الوحي كلما يتلى " فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون فالوحي كان قبل نزول القرآن ينزل على المصطفى صلى الله عليه وآله لكن الشاعر في قوله " كلما يتلى " عبر عنه باعتبار ما يكون بعد التنزيل لأن التلاوة تقال لقراء القرآن و ليس للوحي . و قوله في قصيدته " يا طالب الله بادر ":

إِمَامٌ بِهِ تَفَاخِرُ      كُلُّ مَنْ فِي الْعَالَمِينَا  
بَابُ اللَّهِ بِهِ عَامِرُ      مَلْجَأُ الْقَاصِدِينَا (6)

فالمجاز في قوله " باب الله " فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية ، فالشاعر ذكر الجزء و هو " الباب " و هو يقصد الكلّ و هي المساجد أي مساجد الله به عامرة و ليست الأبواب . و قوله أيضا في قصيدته " إنني أرى السقاما " :

1 - خنائة بلهاشم : " الرؤيا و التشكيل في الشعر الصوفي " مخطوط رسالة ماجستير ، معهد اللغات و الأدب العربي - جامعة تلمسان ، 1990 ، ص 134

2 - المرجع نفسه : ص 136

3 - محمد غنيمي هلال : " النقد الأدبي الحديث " دار النهضة ، الفجالة ، مصر ، ط5 ، 1971 ، ص443.

4 - المرجع نفسه : ص 115

5 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 168

6 - المصدر نفسه : ص170

يَا أَهْلَ الْحَيِّ مَهْلًا      بِيَمْنِ جَاوَرَ الْخِيَامَا (1)

فالصورة "الخياما" مجاز مرسل علاقته المحلية ، فالشاعر يقصد بقوله " بمن جاور الحبيب المصطفى و مرابعه كمكة و المدينة المنورة .

و قول البوزيدي في قصيدته " يا عاشق المعنى " :

مُحَمَّدٌ يَا صَادِقُ      يَا بَحْرَ الْحَقَائِقِ  
أَنْتَ مَأْوَى الْعَاشِقِ      يَا طَبِيبَ الْأَرْبَاحِ (2)

فالمجاز في قوله "مأوى العاشق" و علاقته الكلية ، فالشاعر ذكر الكلّ و قصد الجزء و هو قلب العاشق ، فالقلب هو المأوى و ليس الإنسان ككلّ .

و من أمثله في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة الشاعر عبد الحفيظ بوريم " عنيت المولد " فقد جاءت قصيدته مفعمة بالتعبير المجازي :

أَغْنِيَةُ لِلْوَرَى يَشْدُو بِهَا الْوَتْرُ      مِنْ عَيْنِ عَاشِقَةٍ مَا عَبَّهَا بَشْرُ (3)

فالمجاز في قوله " عين عاشقة " فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية ، فالشاعر ذكر الجزء و هو " العين " و هو يقصد الكلّ و هو الإنسان . و قوله أيضا :

فَالنَّاسُ قَدْ أَقْبَلُوا وَ الرَوْضُ مُوتَلِقٌ      فِي الصَّلَاةِ نَخِيلٌ وَ رُوحَهَا عَطِرٌ (4)

فالمجاز في قوله " نخيل " وعلاقته اعتبار ما سيكون ، فالشاعر ذكر ما سيفوز به المفلحون و المؤمنون و يناله إذا ما عملوا ما أمرهم به المولى عز و جل و جاءت به سنة الهادي ، و هو الفوز بنعيم الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِن

الْعُيُونِ ﴿٥٠﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ (5)

و قوله أيضا :

يَا سَائِلَ دُمُوعِ الْعَيْنِ أَدْرِفَهَا      أَبْكِي لِمَسْرَى أَوْى مِحْرَابَهُ الْقَدْرُ (6)

فالمجاز في قوله " دموع العين " و علاقته الجزئية ، فالشاعر ذكر الجزء و هو يقصد الكل " أي يا سائل دموعي أنا " ، فالدموع لا تسأل و لكنّ السؤال للشخص .

و قول الشاعر رياض رحال نسيم في دليته :

1 - المصدر نفسه : ص 174

2 - البوزيدي: " آيات المحبين " ص 135

3 - عبد الحفيظ بوريم: " ينابيع الحنين " ص 10

4 - المصدر نفسه : ص 11

5 - سورة يس : الآية 34-35.

6 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

هَلَّا حَمَّأْتُمْ بَيْنَكُمْ مُتَيْمًا قَلْبُهُ عَالِقًا بِثُوبِ أَسْوَدٍ (1)  
فالجاز في قوله " ثوب أسود " و علاقته الجزئية ، فالشاعر ذكر الجزء و قصد الكلّ و هي الكعبة فالريّتاح أو الثوب الأسود جزء من الكعبة .

ب - التشبييه : من أهمّ الفنون البلاغية وأكثرها شيوعاً في بناء الصورة الشعرية فهو يمنحنا قدرة الإيحاء والغوص في المعاني ، فعن طريقه نستطيع أن نصل إلى عالم الأشياء إذ يمنحنا بها من عناصر الجدة الشيء الكثير ، وللتشبييه قدرة كبيرة على بناء الخيال التصويري لما لها من القدرة على التقريب و الجمع بين المتباعدات و المتناقضات ، إذ حفلت مقطوعات وقصائد الشعراء الصوفية بصور شعرية كثيرة يجدر بنا الكشف عنها .

و من صور التشبييه في الشعر الحديث ما نجده في قول العلاوي في موشحه " محمد اصطفاك الباري " :

مَرْفُوعٌ كَالثَّرِيَاءِ كَوَكْبٍ وَهَاجٍ مُحَمَّدٌ اصْطَفَاكَ الْبَارِي (2)

ففي هذا البيت تشبييه تام ، حيث شبه الرسول ﷺ في الضياء و النور بالثريا في السّم و الرفعة و الكواكب الوهاجة .

و من أمثله كذلك قول الشاعر البوزيدي في قصيدته " ساقى الخميرة " :

خَمْرَتِي تُرَى لِلْأَعْيَانِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ (3)

فهنا كذلك فيه تشبييه تام ، حيث شبه الخمرة الصوفية التي ينتشي به الصوفي حالة الفناء و السكر بالمشكاة التي تضيء و تنوهج نورا .

كما اعتمد على هذا النوع من التشبييه عدة بن تونس في قصائده ، من ذلك قوله في قصيدته " بديع الحسن " :

بَدِيعَ الْحُسْنِ فِي الْحَيِّ تَجَلَّى كَأَنَّهُ الْبَدْرَ حِينَ النُّمَامِ (4)

فنا شبه الرسول ﷺ في جماله و هائه و حسن خلقه بالبدر الذي اكتمل ، فذكر جميع أركان التشبييه ، و قوله أيضا :

مُحَمَّدٌ يَا صَادِقُ يَا بَحْرَ الْحَقَائِقِ يَا طَبِيبَ الْأَرْبَاحِ (5)  
أَنْتَ مَأْوَى الْعَاشِقِ

1 - رياض رحال نسيم: " صخور الحنين " ص 163

2 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 86

3- محمد بن الحبيب البوزيدي: " آيات المحبين " ص 132

4 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 168

5 - البوزيدي: " آيات المحبين " ص 135.

فهنا تشبيهين الأول في قوله " محمد يا بحر الحقائق " و التشبيه الثاني في قوله " أنت مأوى العاشق " ففي التشبيه الأول شبه محمد ﷺ بالبحر في حقائقه ، فقد حذف الأداة و أبقى على المشبه و هو " محمد " و المشبه به في قوله " بحر " و وجه الشبه في قوله " الحقائق " أما التشبيه الثاني فقد شبه محمد ﷺ بالمأوى الذي يأوي إليه العاشق في الهدوء و السكينة و الراحة و الطمأنينة و الحنان و الحب فهنا تشبيهه بليغ ، حيث حذف الأداة ووجه الشبه " في ذكرك " و أبقى على المشبه " أنت " و المشبه به " مأوى العاشق " .

و قول عدة بن تونس في قصيدته "من لا يهوى سواك" :

أنا مشكاة المصباح      نوره مني بدياً  
من رأني في اصطباح      رأني بدرًا عاليًا (1)

فهو يقصده من قوله " أي أنا كالمشكاة " فهو تشبيه مؤكد حذف الأداة و أصلها أنا كالمصباح في النور ، و هذا ليؤكد بلوغه للمقام المحمدي حتى أصبح كالنور يستضاء به ، فقد استطاع الشاعر أن يقرب معنى نورانيته ﷺ من عناصر الطبيعة و هي " البدر " و ذلك بالاستعانة بالتشبيه ، و المشبه به و هو " كنز المعاني " و ذلك حتى يزيد التشبيه جمالا و سحرا .

و من صور التشبيه في الشعر المعاصر قول مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات " :

أرى نارها تدنو فتعسو مَاجِرٌ  
كأن جفون اللاهثين مقابرٌ (2)

نلاحظ في هذا البيت أن التشبيه قد استوفى العناصر الأربعة (المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه ، وجه الشبه) ، و هو ما يطلق عليه التشبيه المرسل أو التشبيه التام ، حيث ذكر المشبه و هو " نارها تدنو فتعسو " و الأداة و هي " كأن " و المشبه به " جفون اللاهثين " ، و وجه الشبه " مقابر " ، و هذا النوع من التشبيه يقوم بتعويض مشهد بآخر تعويضا لا يؤثر فيه .

أما التشبيهات المضمرة الأداة فلا تعد و لا تحصى ، فقد أكثر الشعراء من إضمارها و ذلك لما فيها من التلاحم بين طرفي التشبيه ، و كثيرا ما يكون مصحوبا بحذف وجه الشبه ، فكلما زاد التشبيه خفاء و غموضا ازداد المعنى حسنا و جمالا ، و تلك هي أعلى درجات التشبيه ، لذلك سماه البلاغيون تشبيها بليغا و من أمثلة ذلك ما نجده في قول العلاوي " حير لي بالي " :

كَنَزُ الْمَعَانِي سِرُّ الْأَوَانِي      رُوحُ الْأَكْوَانِ قُلْتُ نَعَمْ (3)

حذف الشاعر هنا الأداة و وجه الشبه و أبقى على المشبه و هو ضمير المستتر " أنت " و قول عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " :

مُحَمَّدٌ فِي الْوَرَى أَنْشُودَةٌ أَبَدًا      قَدْ كَانَ أَوْلَى بَعِيسَى هَاجَهُ الْقَمَرُ (1)

1 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 176

2- مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 90

3 - أحمد العلاوي : " آيات المحبين " ص 89

4 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 10

و هو تشبيه مؤكد حذفته منه الأداة ، و ذكر فيه المشبه و هو "محمّد" و المشبه به " أنشودة  
و وجه الشبه " في الورى " ، فهي في الأصل محمد في الورى كالأنشودة . و قوله أيضا:

و مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا وَقَعُ فَاصِلَةٍ فِي ظِلِّهِ وَ الْإِيمَانُ يَزْدَهْرُ (2)

ففي قول الشاعر " محمّد إلا وقع فاصلة " تشبيهه بديع عن طريق التشبيه البليغ الذي حذفته  
منه الأداة و كذا وجه الشبه ، و في هذه العبارة تشبيه الرسول ﷺ بوقع الفاصلة الذي يفصل بين  
الحقّ و الباطل ، و بين الإيمان و الكفر ، بين الضلال و الهدى.

تلكم بعض الصور التشبيهية التي أوردتها على السبيل لا الحصر ، من أجل الكشف عن  
جماليات التشبيه ، و من خلالها يتضح لنا قدرة الشعراء على تقريب و توضيح الصورة التي  
أرادوا تشكيلها ، و من الشيء الملفت للنظر وجود قوة تشابه في صور القصائد الصوفية نادرة  
بين المشهد الموصوف والمشاعر التي يوحي بها ، والتي جعلت من تشبيهاتهم الأجل في الأدب.

ج - الاستعارة: وجد الشعراء في الاستعارة أداة فنية تبرز أغراض الفكرة  
المطلوبة وتكشف عن الجانب الفني الذي يريد أن يتحدث عنه و يوصله إلى السامع ، فكانت  
الاستعارة وجهاً آخر من وجوه الاستعمالات الشعرية ، أو هي كما قال محمد النويهي : " قدرة  
الشاعر على الحياة في مالا حياة فيه ، و على اكتساب الجمادات أو قوى الطبيعة أو المعاني  
شخصيات بمعنى أن تخيلها أشخاصا أحياء قائمين بأنفسهم " (3) و استطاع الشاعر في العصر  
الحديث و المعاصر حشد عددا من الاستعارات لتربط الصوفي بين ما هو إنساني بما هو غير  
إنساني ، فمن صورها في الشعر الحديث قول الشيخ العلاوي في قصيدته " دمعي مهطال " :

دَمْعِي مِهْطَالٌ مِنْ عَيْنِي مَضَاهَا (4)

شبه الشاعر الدموع بالأمطار في هطولها ، فذكر المشبه و هي الدموع و حذف المشبه به  
و هو الأمطار و أبقى على شيء من لوازم المطر و هو الهطول على سبيل الاستعارة المكنية.  
و قوله في قصيدته " يا سيدي أحمد يا محمد " :

و الْمَحَلُّ لَا زَالَ مَوْجِدٌ يَتَرَجَّى فِي مُجِيئِكُ (5)

و الاستعارة هنا في قوله " و المحل ، يترجى " ، فالشاعر شبه المحل بالإنسان ، فجعله  
في صورة شخص فذكر المشبه و هو المحل و حذف المشبه به و هو الإنسان و جاء على  
صفة من صفاته و هي المجيء على سبيل الاستعارة المكنية .

5- المصدر نفسه : ص10

1- محمد النويهي: " ثقافة نقاد " لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة محمد النويهي ، ط1، 1949، ص 249.

2- أحمد العلاوي: " آيات المحبين " ص 89

3 - المصدر نفسه : ص 93

4 قدور رحمانى: " ثروة عمري " ص12 .

و هناك من الاستعارات من اتخذت طابع الرمز، وما بقي على المتلقي سوى فهمها من سياق الكلام خاصة تلك التي عبرت عن حقيقته الكونية و تلك التي أضفت عليه صفة العظمة.

و من صورها في الشعر المعاصر ما نجده في قول الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " غلال النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ ":

الشَّوْقُ يَأْكُلُ مَنْ تُفَاحِ أوردَتِي      و مَنْ شَرَايِينِ قَلْبِي يَنْسُجُ الشُّهُبَا (1)

استعار الشاعر هنا للشوق مصطلح الأكل " ليبين مدى تلهفه لرؤية الحبيب ، و في الشطر الثاني استعار كلمة الشهب ليرز مدى حرقة و ناره المتقدة لهذا العشق الصمدي التي لا يطفئها إلا الرؤيا فلا يخفى ما في هذه الصورة من تعبير عن شدة الصبابة ، و الوله بالمحبوب ، حيث راح الشاعر يتغزل بروحه التي أصبحت روح كل شيء على المعمورة ، و هي " استعارة مكنية " حيث حذف المشبه به و ذكر المشبه ، و المبالغة في هذه الصورة جاءت من جهة كونها تجاوزت الحد الذي يقبله العقل بل تجاوزت ما يمكن توقعه في الخيال، و لجوء الشعراء إلى هذا النوع من الاستعارة ما هو إلا دليل على قدرتهم على توظيف المعاني الخفية من خلال الأنساق التعبيرية القابلة للتأويل.

و قول محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح ":

كُنْتُ فِي أُمَّتِي مَسَاكِبَ ضَوْءٍ      فِي مَدَى نُورِهَا يَشْبُ الزَّمَانُ (2)

ففي البيت استعارتين ، الأولى في قوله " مساكب ضوء " و الثانية في قوله " يشب الزمان " فالشاعر في الشطر الأول استعار كلمة " مساكب " للدلالة على الفيض المحمدي الذي أفاض و أنار الكون بنوره فقد شبه الضوء بالماء و أعرض عن التصريح به على سبيل الاستعارة المكنية ، فالماء هو الذي ينسكب و ليس الضوء . فمحمد ﷺ بأخلاقه يفيض على الأمة الإسلامية بأخلاقه الطاهرة وخصاله الحميدة التي تحلى بها . و الصورة الاستعارية الثانية استعار كلمة " يشب " للزمان للدلالة على النور المحمدي الذي عم الكون هداية و عدل و أعرض عن التصريح بالإنسان على سبيل الاستعارة المكنية . و قوله أيضا :

أَنَا لَوْلَاكَ لَنْ أَكُونُ و إِنْ كُنْتُ      فَنَحْنُو تَشْلَهُ الْأَحْزَانُ (3)

فالاستعارة في قوله " تشله الأحزان " ، حيث شبه الأحزان بالمرض فذكر المشبه و هو الأحزان و أعرض عن ذكر المشبه به و هو المرض و أبقى على القرينة و هي الشلل على سبيل الاستعارة المكنية .

و قول عبد الحفيظ بورديم:

بِحُبِّهِ يَمْسَحُ الْأَحْزَانُ شَاجِبَةً      و يَبْدُرُ فَرَحَةَ الْخَضْرَاءِ تَنْتَشِرُ (4)

1 - محمد الفاضلي : " وردة للغريب " ص 29

2 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

3 - عبد الحفيظ بورديم: " بنايع الحنين " ص 11



فالاستعارة في الشطر الأول في قوله " بحبه يمسح الأحزان " فذكر المشبه و هو الحبّ و حذف المشبه به و هو الإنسان و أعرض عن التصريح بها و أبقى على قرينة دالة عليه و هو الأحزان ، فهي استعارة مكنية .

و من الملاحظ كثرة استعمال الاستعارة المكنية أكثر من التصريحية لكونها من أجمل الصور و المنطلق في ذلك هو وجه الشبه ، لأن في الاستعارة المكنية إخفاء للمشبه به و ستره و هي من قبيل الاستعارة التخيلية التي يترأى فيها التشبيه بعد التأمل و إعمال الفكر ، و فيها يحذف المشبه به ، و لا يخفى ما في الرمز و الإشارة من متعة و جمال .

د - الكنائية: وظف شعراء المحدثين و المعاصرين الكناية توظيفا جيدا يلاءم تجاربهم الشخصية و من صور الكناية في الشعر الحديث ، ما نجده في قول الأمير عبد القادر في قصيدته " أستاذي الصوفي ":

فِيْطْرِبُهُمْ بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحَمَى      و يُرْقِصُهُمْ رَعْدٌ بَسَلَعُ لَهُ أَرْزُ (1)

ففي قوله " يطربهم " كناية عن صفة الشوق " ، فالشاعر هنا يشير إلى صفة الطرب التي تشوق إليها العاشقون إلى حماه ، و في الشطر الثاني " كناية عن صفة الوحشة ، و كلاهما ذات معنى واحد فالشوق و الوله و الوحشة يعزفون نغمات في صدر المحب لمرابع الحبيب عالم الغزل . و قول محمد بن سليمان في تائيته :

و لَمْ أزلْ مُسْتَطَلَعًا شَمْسَ وَجْهَهَا      إلى أَنْ تَجَلَّتْ لي مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ (2)

ففي هذا البيت كناية في قوله " شمس وجهها " ، فهنا كناية عن نظرية الفيض التي تجلت في كل أنحاء الأرض علويها و سفليها ، فالشاعر هنا ذكر المعنى المراد بالفيض و هو رمز الجمال المحمدي ، و أضمر و أخفى المقصود و هو حقيقته عالم الغزل ، فهنا كناية عن موصوف . و قول البوزيدي في قصيدته " لا إله إلا الله ":

هَذَا بَحْرٌ عَمِيقٌ فِيهِ تَاهُوا      رجالَ الطَّرِيقِ و أَقْطَابُ الإِسْلَامِ (3)

فالكناية في قوله " بحر عميق " فهي كناية عن المعرفة الصوفية التي يتلقاها المريدون عن طريق الأقطاب و الشيوخ الصوفية ، فهي كناية عن صفة . و قوله في قصيدته " ساقى الخميرة":

مَظَاهِرُ الكَوْنِ كِيزَانُ      و الخُمِيرَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الأرواحِ (4)

1 - الأمير عبد القادر الجزائري: " الديوان " ص 112

2 - ينظر عبد الله الركبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 358

3- محمد بن الحبيب البوزيدي: " آيات المحبين " ص 131

4 - المصدر نفسه : ص 132

5 - أحمد العلاوي: " آيات المحبين " ص 79

ففي البيت كناية عن الحبِّ المحمّدي الذي ينتشي العشاق و يسكرهم من الوجد ، فقد شبّه الشاعر مظاهر الكون بالكيزان و الخميرة بالرّوح التي تسري في ذات الشارب للخمر ، فهو هنا لا يقصد الخمرة المادية بل الخمرة الصوفية التي تسكر الرّوح و تفنيها عن ذاتها من شدة العشق و الحبِّ ، فهي كناية عن صفة .

و قول العلاوي في قصيدته " أيا مرید الله ":

لَهُ الْكُونُ مَرَأَةً وَ مَظْهَرُ الصِّفَاتِ      مُحَمَّدٌ نُورُ الذَّاتِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ (1)

في البيت كنایتان ، الأولى في الشطر الأول في قوله " الكون مرآة " فهنا كناية على أنه <sup>عالم</sup> العالم الأصغر ، فذاته <sup>عالم</sup> صورة للعالم الأكبر ، فالكون كله بما فيه مرآة للذات المحمّدية فكلّ ما في شخصه صورة من صور العالم ، و الكناية الثانية في قوله " مظهر الصفات " فذاته <sup>عالم</sup> هي مظهر من مظاهر الذات الإلهية التي تجلّى بها على مخلوقاته ، فهو مظهر الصفات الكمالية و الجلالية و الجمالية في خلقه و خلقه ، و كلتا الكنایتين عن موصوف ، و قوله كذلك " نور الذات " فهنا كناية عن كونه <sup>عالم</sup> نور للذات الإلهية ، فبه أنار الله العالم بفيضه الذي لازال يفيض على الوجود بهديه و حلمه و خلقه ، فهي كناية عن الفيوضات المحمّدية فهي كناية عن موصوف . و قوله أيضا :

إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى وَ مِنْهُ الْمُبْتَدَأُ      وَ الْآنَ قَدْ بَدَأَ وَ الْكُونُ فِي حُلَاةٍ (2)

ففي هذا البيت إشارة واضحة إلى قدم الخلق في قوله " إليه المنتهى و منه المبتدأ " ، فبه أنار الله العالم بفيضه الذي لازال يفيض على الوجود بهديه و حلمه و خلقه ، فهي أول موجود في الكون و آخر من وجد من الأنبياء و هو ما قصده من قوله " إليه المنتهى " فهو الأول و الآخر و ليس فوقه إلا الذات الإلهية ، فالشاعر أخفى المعنى المقصود و جاء به مضمرا ليزيد الصورة أكثر و جمالا ، فكلتا الكنایتين عن موصوف و هو قدم الخلق و تسلسله في الأنبياء . أما الشطر الثاني فقد جاءت الكناية لتبرز حقيقته المعرفية التي فاضت به سنته <sup>عالم</sup> على الكون بهاء و نورا مما زادته حلوة و رونقا ، فهي كناية عن صفة .

و قول عدة بن تونس في قصيدته " بديع الحسن ":

هَنِيئًا لِمَنْ فِي هَوَاهُ قَتَلَى      نَالُوا مِنْ سِرِّهِ مَسْكَ الْخِتَامِ (3)

فالصورة في هذا البيت ترسم لنا قمة المحبة المحمّدية التي بلغ بها إلى مقام الفناء و هو ما عبر عنه بكلمة " هواه قتلى " ، فهو هنا يهنئ كل من بلغ بلغوا مقام الفناء في ذاته ، و في الشطر الثاني في قوله " نالوا من سرّه مسك الختام " فهي كناية عن مقام الختمية و القطبية التي يبلغها الصوفية ، و كلتا الكنایتين عن موصوف .

و من صورها في الشعر المعاصر قول الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " ريش الدموع ":

2 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

3 - عدة بن تونس: " آيات المحبين " ص 168

تَنُمُوا عَلَى قَلْبِي سُقُوفَ خَنَاجِرٍ      وَ تَطَّلْ مِنْ عَيْنِي مَقْبِرَتَانِ (1)

إنها لوحة من القدسية و العظمة الربانية في أعظم حلّة إنسانية في خير إنس بشري أراده الله ، فالشاعر في هذا البيت يرسم لنا لوحة الألم على الفراق في صورتين ، الصورة الأولى و هي كناية عن شدة العذاب و الألم حيث شبه الألم بالسكين التي تنبت على قلوب العشاق الولهائين ، و لا يخفى ما في هذه الصورة من حبه للموت الدنيوي و حبه للأخرة ، فقد شبه الأحران بالنبات الذي ينمو ، فأعرضها عن التصريح و جاء بقريئة لفظية و هي صفة الأحران و الهموم ، هو قد عدل عن التعبير بالمعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، و الصورة الثانية في الشطر الثاني كناية عن البكاء و حدة الشوق و الدموع التي يذرفه العاشق شوقا لرؤيته ﷺ فهو من شدة الوحشة و الفراق يذرف دموع المحبة المحمّدية فساق تعبيره هذا على سبيل المبالغة من أجل تحجيم ما يذرفه المحب من دموع الفقد و الفصل فجعل دمع عينيه كأموات في المقابر ليوصل الفكرة أكثر ، فهنا وظّف الشاعر الصورة المكنية و أعرض عن التصريح بالمعنى الحقيقي و هو الشوق و الوحشة و جاء بقريئة دالة عليه و هي البكاء التي تبكيها العين معناها تطل من عيني دمعتان ، و كلتا الكنايتين عن صفة .

و قوله في قصيدته " غلال النبي محمد ﷺ " :

سَقَيْتُ مِنْ فَيْضِكَ الدُّنْيَا فَمَا رَوَيْتُ      الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ وَ الْأَنْهَارَ وَ الْحُقُبَا (2)

فالكناية في الشطر الأول من البيت قوله " سقيت من فيضك الدنيا " فهنا كناية عن خلق الرسول ﷺ الذي يرتوي من كلّ من الأرض من الإنس و الجن و الأنهار و الوديان و الأشجار و دلّ عليه بقريئة لفظية ، فهي كناية عن صفة .

و قول الشاعر عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس " :

أَحْمَدَ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لَنَا      فَتَحَلَيْنَا بِحَلِيَّةِ الثَّنَا (3)

فالكناية في قوله " فتحلينا بحلية الثنا " ، فالشاعر شبه الحلية ببريق القمر و سناؤه فأخلاق الرسول ﷺ كالثنا ، و المؤمن إذا تحلى بأخلاقه يجعل الله له نورا في صفاته و أفعاله فهنا كناية عن صفة الأخلاق الحميدة التي تصحب المؤمن في تحليه بأخلاق الرسول ﷺ .

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " :

وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا وَقَعُ فَاصِلَةٍ      فِي ظِلِّهِ الشُّعْرُ وَ الْإِيمَانُ يَزْدَهْرُ (4)

ففي هذا البيت كناية عن صفة و هي صفة الحق ، فمحمد ﷺ في حقيقته هو الحق الذي جعله اله يمشي بين القوم ، بحلمه و عفوه و رشد و عدله . و قوله أيضا :

1 - قدور رحمانى: "ثروة عمري" ص 96.

2 - المصدر نفسه : ص11.

3 - عمر أبو حفص : "الرسائل" ص92

4 - عبد الحفيظ بورديم: " ينابيع الحنين " ص 10

الكونُ أنشودةٌ ليلى لها نغمٌ و الجنُّ تخضعُ إذ ترقى بها الصُّورُ (1)

ففي هذا البيت يصور الشاعر حالة الكون بعد أن ظهر المصطفى فهو أنشودة المحبة المحمّدية ، فهنا كناية عن المحبة التي تطرب الكون أنغاما من شدة الوله ، و الشوق لهذه الذات .

و قول مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات " :

و جَنّت مَرايَا حينَ تَدعوكَ بِاسْمِهَا

فِيَا الجُنُونُ الحَادِثَاتِ بِرَسْمِهَا (2)

ففي الشطر الأول كناية ذاته <sup>عالم الغم</sup> في كونها مرآة الكون فأعرض عن التصريح بحقيقته الكونية و دلّ عليها بقوله " مرايا " ، فهي كناية عن موصوف و في الشطر الثاني كناية عن المحبة التي يبلغها الصوفي إلى حدّ الجنون ، فتتحد بذاته و تدعوه باسمها فهي كناية عن صفة .

و قول الشاعر منير مزليني في قصيدته " ما تبقى " :

أَكِتَابُ السَّمَاءِ يُلَاحِظُنَا ...؟! (3)

فالكناية في قوله " كتاب " فهي كناية عن قدرة الله و قضاءه في العباد ، فالشاعر شخص الكتاب و جعله كالإنسان في التتبع ، فهي كناية عن موصوف .

إنّ هذه التشكيلات البلاغية المتداخلة في نسيج النصّ الشعري الصوفي الحديث و المعاصر لإرضاء الأذواق المتلقية ، و التي جاءت بتشبيهاها و استعاراتها وشمس كناياتها لتكشف لنا عن حقيقة كونية ، و كذا عن حقيقة الموقف الشعوري الذي عاناه الشاعر الصوفي لحظة الكشف الصوفي في بعض الأحيان ينساق إلى رفض التشبيها و الاستعارات كلّما وجد نفسه تجاهها بل ينصرف أيضا عن مراعاة صحة الألفاظ ، و انسجامها و إعرابها ، فكأنّما زلزل كيانه فزلزل كيان الأساليب الصحيحة المتعارفة (4) ، لأنّ الشاعر الصوفي رفض هيمنة معايير العقل حين ركب طريق الحقيقة المطلقة الخارجة عن إدراك العقل و من هذا المنطلق حاور اللغة الشعرية السائدة و حاول أن يعبر بمعايير الخيال (5).

- **المبحث الرابع** : الموسيقى تمثل الموسيقى خاصية جوهرية في الشعر، فهي جوهر الشعر و ليّه و بدونها لا يكون الشعر ، عليها من الداخل و الخارج ، فهي ليست مجرد قوائن تفرض إنّما هي تلك الرّوح التي تسري في جسد القصيدة فتعطي لونا من الانسجام و نغما متألّقا يجد لذاته سبيلا إلى نفس المتلقي ، فهي بعنصريها الداخلي و الخارجي تكوّن أصالة البنية الشعرية إذ أنّ وظيفتها لا تظهر إلّا في النظر إلى محتواها في القصيدة بناء صوتيا و معنويا :

1 - المصدر نفسه : ص 09

2 - مصطفى الغماري: " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

3 - منير مزليني : " قل لأدم " ص 47

4 - عبد الكريم اليافي : " دراسات فنية في الأدب العربي " مطبوعات جامعة دمشق ، دمشق ، ط1 ، 1963 ، ص 318 .

5 - بلهاشم خنائة : " الرؤيا و التشكيل في الشعر الصوفي المعاصر " ص 107

أ - الموسيقى الداخلية: و هي الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات و دلالتها حيناً أو بين الكلمات بعضها ببعض حيناً آخر" (1) ، و هي تساعد على الإثراء في الإيقاع الصوتي في الشعر ، و يكمن ذلك في " اختيار الشاعر لكلماته ثم قدرته على الملائمة في الحروف و الحركات ، حيث يضيف بمثل هذه الصنعة الخفية شيئاً كثيراً إلى المعنى ، فيستلذ المتلقي لسماعها . (2)

أ -1- الصوت: حرص شعراء الصوفية على إثراء نصوصهم بتكثيف النغم الصوتي عبر ترديد حروف معينة منسجمة مع حركة المعنى لتشكيل الموسيقى الداخلية ، و ذلك ليصور ما لا يستطيع اللفظ تصويره، لأنه كما قال جون كوهن: " لا وجود للمعنى إلا باعتباره علاقة بين المعنى و الصوت ، و هو إذا بناء صوتي معنوي" (3) ، و من الأصوات الأكثر تناولاً في الشعر الجزائري الحديث و المعاصر.

و نلاحظ في قصائد الحبّ الإحساس من ذلك الصوت المتقطع ، و تلك المشاعر الحزينة و العبرات الغزيرة التي تمزج بذكريات الشاعر الحزينة ، فنجد الشعراء يذوبون في مواقفهم الوجدانية بما يعكس ذلك على أشعارهم إلى نبضات وزفرات محرقة ، تتجمع فيها أصوات الماضي و هموم الحاضر المفعم بالأسى و الحيرة .

\*الأصوات اللينة: " ألف الوصل أوضح في السمع من واو الوصل، و أنها تتطلب للنطق بها زمناً أطول " (4) ، و من الشعراء الذين جاءوا بها في قصائدهم عدة بن تونس في قصيدته " هيا بنا أهل الوطن " و من أمثلتها: (هيا، بنا، البلاد ، كفانا ، البعاد ، الميثاق ، الوفاق ، الشقاق خانوا ، قوموا، لا الإيمان ...) و من أمثلتها في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة الشاعرة جميلة عظيمي زيدان " سبحانك ربي" حيث نجده يتناول حرف الياء و الألف بكثرة من ذلك قولها: (تلاقينا ، تأخينا ، يقينا ليوحينا ، فينا ...) و قصيدة الشاعر محمد الفاضلي " لسان الروح"، من ذلك قوله: (الألحان ، الريحان أوطان صاحباه ، عنوان ، البطولات، يريح حناني ، يناغي ، نسرينه ) ، و هم في تناولهم لها لما تتميز به من الوضوح السمعي مما يسهل النطق بها و سرعة استجابة الأذن للنغمة الصوتية العامة مع التنوع في التيار الصوتي يحتفظ معه بموسيقى تتلاءم مع ما يريد التعبير عنه.

\* الأصوات المائعة أو المعتدلة: و تسمى أشباه صوت اللين و هي أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً و هي الميم ، اللام ، و النون و أقربها إلى طبيعة أصوات اللين. (٥) و من أكثر الشعراء تناولاً لهذه الأصوات عدة بن تونس في قصيدته " هيا بنا أهل الوطن " ، و غالباً ما نجدها في كلمة واحدة خاصة الميم و النون مما تضيف على الكلمة العربية صفات شدة وضوحها السمعي مما يضيف على الكلمة شيئاً من الهدوء الذي ينسجم مع الفضاء الزمكاني .  
و من أمثلتها في الشعر المعاصر قصيدة الشاعر بلقاسم خمار " إلى شباب أحمد " فقد جاءت على النحو التالي: (مقدس ، مجل مجد، قمنا ، حينما ) إضافة إلى التنوين الذي يعطي صوت النون الساكنة .

1 - عبد الرحمن محمد إبراهيم : " قضايا الشعر في النقد العربي " دار العودة ، بيروت ، ط1، 1981، ص 71

2 - ياسين بلعبيد : " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 73 - 73

3 - جون كوهن : " بناء لغة الشعر " ترجمة إحمد دروسي ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1993، ص 65.

4 - إبراهيم أنيس: " موسيقى الشعر " دار القلم ، بيروت ، ط 4 ، 1972 ، ص 303

5 - إبراهيم أنيس : " الأصوات اللغوية " مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1971 ، ص 27

\* الأصوات المهموسة : و هناك من الشعراء من حرص على تكثيف أصوات الهمس لتشكل إيقاعا هادئا إلى جانب أصوات اللين، حققت بذلك إيقاعا موسيقيا خافتا هادئا يخلو من الصخب كقصيدة الشاعر البوزيدي " ساقى الخميرة" في لفظة " الأقداح " و قصيدته " يا عاشق المعنى " حيث نجده يكثر من صوت الحاء من بين الكلمات التي وردت فيها " الزّاح الأقداح ، صاح ، الأنواح ، السواح ، الأرواح ، الفلاح ، الملاح....." فقد جاء إيقاعها أقل وضوحا في السمع لرخاوة صوت الحاء و همسه، و ممّا زاد في ثقلها حركة المدّ التي سبقتها و غيرها من الأصوات التي ترفد المعاني بتيار خفي ، لا سيّما في حالة الاتحاد التي قد يضطر الشاعر إلى إخفاء مكبوتاته على العامة . و يشكل فيه الألم و الأئين المتولد عن حالة الوجد التي يعانيتها الشاعر، خاصة أثناء مناجاته للذات المحمدية استعطافا و طلبا للوصول إلى مقامه فضلا عن ما يشيعه من تناغم موسيقى للدلالة على التسيير و الكتمان.

و من شعراء المعاصرين عمر أبو حفص في قصيدته " نور القدس لحضرة الأنس " فقد جاءت قصيدته مفعمة بالحروف المهموسة ، و من أكثر الحروف السين و الشين و رودا ، من ذلك قوله " نسيم السؤال ، الشيطان، سفن ، اسكنا ، سميت ، الأنس ، نشرت ، ساعة ، يسطع تكس ، سمّ ، النفس ... " فهذا التناغم الحاصل في هذه الألفاظ أكسب النص حلاوة و طلاوة.

\* الأصوات المجهورة : و أكثر ما نجدها في تلك القصائد التي تحدثت عن حقيقته الكونية كقصيدة الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية" ، فلا تعدوا أن تكون كلّها مجهورة من بين الكلمات ( أبارق ، طيبة ، هجرة ، الأرجاس ، العوالم ، أنوار) و مما زاد من جهرها اجتماع الأصوات المجهورة في الكلمة الواحدة مما أعطى للقصيدة بعدا صوفيا من بين الكلمات " أقصى ، قاطبة و تكررت لتكسب أبعاد الشدة . و قصيدة الشيخ العلاوي و الأمير عبد القادر خاصة في قصيدته " حديث عجب" و قصيدته " أنا الحبّ و المحبوب و الحبّ جملة " .

و من أمثلتها في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة محمد الشبوكي " هلال ربيع" ، فقد نوع الشاعر من حروف المجهورة ، منها " كالملاك، مولد، الطاهرا، مجدنا ، للعرب ، خليع ) الرفيع أعلى مكان أشرق ، تباركت ،... " و الشاعر في تناوله لهذه الأصوات لأنه أمام معالجة لقضايا الأمة ، مما يشعر بتصاعد التوتر النغمي في تصوير حالة التأزم ، إذ يحتدم الصراع من خلال رفض الواقع المأساوي . و ما جاء قدور رحمانى في قصيدته " غلال النبيّ محمد ﷺ " ، من ذلك قوله:

مَنْ وَجُنْتِيكَ نِقَاءَ الْحُبِّ قَدْ شَرَبَا      حَتَّى تَحُولَ صُبْحًا يَنْبُتُ الْعِنْبَا (1)

فهو في هذا البيت نجده يكرر حرف الباء " الحبّ ، شربا، صبحا ، ينبت ، العنبا " ، فهي كلّها كلمات تدل على معنى مشترك ، و مما زاد من نبرة الصوت مد النفس بالألف ، ليُمكن من ترجمة الحالة الانفعالية ، و هو في تكراره لهذا الصوت دلالة على تكراره لتجربة الحبّ حتّى وصل إلى التجربة ، فهي حركات أصوات مجهورة وهي أكثر وضوحا في السمع.

و كثيرا ما يلجأ الشعراء إلى الأصوات المهموسة و المجهورة لمخاطبة محبوبهم ، مما زاده قوة ، من ذلك ما نجده في قصائد العلاوي و الحبيب البوزيدي و عدة بن تونس .

و من أمثلتها في الشعر المعاصر ما نجده في قصيدة الشاعر محمد بن مبخوت " رسالة استعطاف" :

مَضَى العُمُرُ يا حَبِيبِي فَهَاتِ  
هَذِي يَدِي بِالهُوَى مَمْدُودَةً  
كَأَسِّ الهَوَى وَ عُهُودِ التَّصَابِي  
وَذَا قَلْبِي فَاْمْلَأْهُ بِالسَّعْدِ وَ الإِطْرَابِ  
مُحَمَّدٌ فِي الهَوَى وَافٍ وَ العَهْدِ  
مِنْهُ مَتِينٌ العُرى وَ اللّاطِنَابِ (1)

فالشاعر في هذا التكرار أعطاها بعدا نغميا و أكسبها إيقاع خاص ، و هذا التنوع الأصوات لدلالة واضحة على نفسية الشاعر التي تتحول تبعا للمقام الذي بلغه و هناك من الشعراء من نوعوا في الأصوات.

أ - 2- الظواهر الصوتية : و كثيرا ما يحل صوت بدا صوت آخر و هو كثير في الشعر الملحون كحلول الهاء مكان التاء و الواو بدل الهاء (2) مثل قول عدة بن تونس من زجل له " شور الحبيب قلبي لي" :

إِذَا ذَكَرْتُ طَةً نَخَسَى عَقْلِي يُغِيبُ  
مَجْدُوبٌ فِيهِ حَقَّ الجَذْبَةُ (3)

- رفع المجرور و نصبه و تسكينه : من ذلك قول البوزيدي في قصيدته " نبدا بسمك يا سلام "

فِي الحِينِ اسْقَيْتُ الأَحْبَابُ  
مِنْهُمْ أَفْرَادُ وَ أَقْطَابُ (4)

فهو في هذا البيت قام بتسكين المجرور " الحين " .

- حذف الهمزة بعد المدّ : من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ العلاوي ( الأوليا ، الأنبيا )  
و هناك من حذفها للوزن و القافية ، و هو ما نجده في قصيدة الديسي " حمدا لمن قد مدحا " :

طَابَتْ بِطَيْبِ أَحْمَدَا  
طُوبَى لَعَبْدٍ قَدْ غَدَا  
طَيِّبَةَ دَارِ السُّعَدَا  
فِيهَا يَرُوحُ وَ يَسْجُ (5)

- الاستغناء عن نطق التاء و الهاء في آخر الكلمة: من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ العلاوي " يا برد الأصال" :

فَضْلُهُ مَازَالَ  
لِلأُمَّةِ يَغْشَاهَا (6)

- إثبات حرف الهمزة في غير موطنه الأصلي أو زيادته في بداية الكلمة : من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ العلاوي " صلى عليك ربي" :

اعْيَيْتُ مَا نَكَابُذُ نَجْرُغُ وَ الكَاسُ مَرُ  
إِخْشَيْتُ مِنْ إِحْمَاقِي نَلْقَى الأَنْوَاحُ (1)

1 - محمد بن مبخوت: " قلب شاعر " ص 27

2 - عبد الحق زريوح : " الشعر الصوفي الملحون في شمال الغرب الجزائري 1811 - 1954 " دار الغرب ، وهران ، ط1، 2003، ص 102

3 - عدة بن تونس : " الديوان " ص 98

4 - البوزيدي : " الديوان " ص 142

5 - نقلا عن عبد الله الركيبي: " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 67

6 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 91

فهذا الإثبات نجده في قوله " اعيبت " و " اخشيت " .

إنّ الشعراء أحسنوا اختيار الأصوات ذات النغمات المحببة التي يحسن تكرار العزف عليها و هذا الجو الموسيقي الذي يحدثه الإيقاع الداخلي للألفاظ يعتبر من أهم المنبهات المثيرة في إثارة الانفعال المناسب، كما أنّ له إحياء نفسيا ، خاصة في تلك القصائد التي تحدثت عن تجليه <sup>عليه</sup> مما جعلت المتلقي يستهويه الإيقاع الداخلي للروح الكليّة.

## ب - الموسيقى الخارجية:

ب-1- الأوزان: يشكل الوزن العروضي أو الإيقاع الخارجي ركيزة مهمة من ركائز بناء النص الشعري ، بحيث يعمد الوزن إلى التكرار الذي يلبي حاجة نفسية إحساسا عميقا بحركة الطبيعة فهذا التماثل الصوتي للتفعيلات أعطى للقصيدة بعدا جوهري .

\* - الوزن في القصيدة العمودية: ومن الناحية العروضيّة و عيار الشعر ، جاءت أغلب أشعار القوم من البحور المشهورة المتداولة ، كالطويل والوافر والكمال . لما تتميز بهذه البحور من اتّساع يعطى للشاعر خلال كمية كبيرة من ومع ذلك ، فقد كان الصوفية كثيراً ما يضيقون بقواعد الشعر باعتبارها قيوداً ، فيكسرون جدران التفعيلات في بعض أبياتهم ، دون التفات إلى المباح وغير المباح للشعراء السواكن والمتحركات ، إمكانية وافية للتعبير عن أغراضه.

\*-1 البحر الطويل: من أكثر البحور رواجاً عند الشعراء قديماً و حديثاً ، فقد حظي باهتمام كبير بالغ عند الشعراء ، لكونه " يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المناسبة الهادئة لذا كان أصلح البحور لمعالجة الموضوعات الجدية التي أكثر منها العرب كالمدح و الرثاء و الفخر." (2)

و من الشعراء الذين اتخذوا البحر الطويل موسيقى لأشعارهم الديسي في داليتيه جاءت موسيقاها خفيفة و صورها بسيطة لم يعتمد فيها الشاعر بالناحية البلاغية و التصوير البياني وهو بحر عريض الوحدات الصوتية ممّا يتيح له الفرصة كاملة للروح عمّا يختلج بداخله و زاد من موسيقاها اللغوية بحرها الطويل مما أعطاها نفساً طويلاً و موسيقى قوية ، و قصيدة الأمير عبد القادر " مناجاة أحد و مقطوعته " عود و ورود" و " هو الباطن و الظاهر" و قصيدته " أبونا رسول الله " ، و قصيدته " أستاذي الصوفي " و التي يقول فيها :

لَهُ الْحُكْمُ وَ التَّصْرِيفُ وَ النَّهْيُ وَ الأَمْرُ (3)	كَسَاهُ رَسُوْلَ اللهِ تَوْبَ خِلَافَةٍ
لَهْلَ حُكِّ مُوْتَصَّرِي فَوْ لَنَهْ يُوْ لِأَمْرُوْ	كَسَاهُ رَسُوْلَ لَلْ ه تَوْبَ خِلَافَتُنْ
0/0/0// 0/0// 0 /0/0/ / 0 /0//	0//0// /0// 0/0/0// /0//
فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ	فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

1 - المصدر نفسه : ص 119

2 - عبد الحميد راضي : " شرح تحفة الخليل في العروض والقافية " مطبعة العاني ، بغداد ، 1388 هـ - 1968 م ، ص 104 .

3 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 108 - 109



\*-2 البحر البسيط: جاء مناسباً للغرض ، قصيدة محمد بن سليمان " يا سائلاً عن جمال كان لي وطناً " و قصيدة الأمير عبد القادر " توسلات و دعاء " ، " مسكين لم يذق طعم الهوى " في مقطوعته " حديث عجب " ، و ميمية الشاعر بلقاسم بن منيع " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " و قصيدة الشاعر عبد الرحمن الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " :

و الكَامِلُونَ لَهُمْ مِنْهُ كَمَالَاتُ (1)	و لكاملو نلهم منهكما لاتو	عَيْنُ الْوُجُودِ مَمْدُ الْخَلْقِ قَاطِبَةً	عَيْنُ لُوجُودِ دَمِ دَلْخَلْقًا طِبْتَن
0//0/0/	0//0/0/	0//0/0/	0//0/0/
مستفعلن	متفعلن	مستفعلن	مستفعلن

\*-3 بحر الرجز : من القصائد التي جاءت على وزن بحر الرجز ، دالية الشاعر رياض رحال نسيم :

قَلْبُهُ عَالِقٌ بِثُوبِ أَسْوَدِ (2)	قَلْبُهُعَا لِقْتَبْتُوْ بِنَأَسْوَدِي	هَلَا حَمَلْتُمْ بَيْنَكُمْ مُتَيِّمًا	هَلَا حَمَلْ تُمْ بَيْنَكُمْ مُتَيِّمًا
0//0/0/	0//0//	0//0/0/	0//0/0/
مستفعلن	متفعلن	مستفعلن	مستفعلن

\*-4 بحر الرمل : فإن موسيقى الرمل خفيفة رشيقة مناسبة وفيه رنة .. تجعله صالحاً جداً للأغراض الترنمية وللتأمل الحزين ، فقد ورد تاماً ، ومن القصائد التي اختارت للرمل وزناً لها قصيدة الشاعر الأمير عبد القادر " أي واد صباحوا " :

هَلَكِي مَهْمَا كَتَمُوا أَوْ صَرَّحُوا (3)	هَلَكْمَهْمَا كَتَمُوا أَوْ صَرَّحُوا	وَيَحْ أَهْلَ الْعَشْقِ هَذَا حَظُّهُمْ	وَيَحْ أَهْلُ عَشْقَهَا دَا حَظُّهُمْ
0//0/	0//0//	0//0/	0//0//0/
فاعلن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن

لقد نسج الشاعر قصيدته على إيقاع وزن الرمل لما فيه من فيه من موسيقاه هادئة منسجمة مع المشهد الحزين الذي خيم عليه و هو يتمنى لقاءه ، ولما فيه أيضاً من صور بسيطة وفق إيقاع الحالة النفسية كما أنه واعم حالته الشعورية التي تعاني حالة الوجد و العشق .

\*-5 البحر الكامل : من أكثر بحور الشعر جلجلة و حركات ، و فيه لون خاص من الموسيقى يجعله فخماً جليلاً ، من بين القصائد قصيدة الأمير عبد القادر " أنا الحب و المحبوب و الحب جملة " :

صَبَّبَنَّ لَكَ الْحَرَ أَضَافًا مَا كَانَ (4)	صَبَّبَنَّ لَكَ الْحَرَ أَضَافًا مَا كَانَ	لَوَاعِجٌ لَوْ أَنَّ الْبِحَارَ جَمِيعَهَا	لَوَاعِجٌ لَوْ أَنَّ الْبِحَارَ جَمِيعَهَا
0//0/0/	0//0//	0//0/	0//0//
مفاعل	متفاعل	مفاعل	متفاعل

1 - عمر بن قينة : " عبد الرحمن الديسي حياه و آثاره " ص 271

2- رياض رحال نسيم: " صخور الحنين " ص 163

3- الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 117

4 - المصدر نفسه : ص 116

و يتضح لنا من خلال هذا العرض لأوزان الشعر الجزائري الحديث ، أن الشعراء قد وَّفَّقوا في اختيارهم واستخدامهم معظم أوزان الشعر العربي المعروفة ما عدا (المتدارك المقتضب) ، و في أحيانٍ أخرى ينحوا الشعراء إلى استعمال البحور القصيرة ذات الإيقاعات السريعة والراقصة و ذات النبر العالي مثل المجتث والمتقارب والوافر ، أما البحور الأخرى التي استخدموها وهي (السريع ، المنسرح الهزج المديد) فلم ينظم شعراء الحبِّ المحمّدي فيها إلا نصوصاً محدودة ، وهي تشكل نسبة ضئيلة جداً في شعرهم ، و هي جميعها جاءت لتحاكي نفسية الشاعر المحبِّ لهذه الحقيقة تبعاً لطبيعة التجربة الشعرية كما حرصوا على تعميق الحسّ الموسيقي بمراعاة مراعاة الوزن ووحدة البيت خاصة .

\* بحور شعر التفعيلة: و أكثر ما نجدها في الشعر المعاصر، فقد وجد الشعراء في شعر التفعيلة مساحة أرحب للتعبير عن مكونات نفوسهم و لواعج صدورهم و تصوير واقع الحياة و قد قسمت حسب الوحدة الموسيقية إلى قسمين:

\* 1- القصيدة واحدة التفعيلة: و هي ما تسمى بالنمط البسيط الذي يشمل على عدد محدد من التفاعيل و هذا النمط جعلها بمعزل عن طول البيت و أتاح للشاعر فرصة التعبير عن أفكاره و مشاعره ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر مسعود بورصاص " العروبة ":

برحلتها	شِتَاءاً	ثُمَّ صَيْفٌ (1)
برحلت	ها شتاءن	ثم صيف
//0//	0//0/	0//0/0/
متفعل	متفعل	مستفعلن

فإيقاع هذه لتفعيلة " مستفعلن " و هي من تفعيلة " بحر مشطور الرجز " التي امتزج فيها الشوق للحبيب حديث عن شمائله .

\* 2- القصيدة ذات البحور المركبة: المتعددة التفعيلات، و من قصائد التفعيلة التي جاءت على تفعيلات البحور المركبة ، قصيدة الشاعر منير مزليني " ما تبقى ":

أُيْهَا	الأزرقُ	الدَّاهِبُ (2)
أُيْيْهَا	أزرقئُ	دَاهِبُوْ
0//0/	0//0/	0//0/
فاعلن	فاعلن	فاعلن

شكّل إيقاع هذه التفعيلة " فاعلن " من تفعيلة " بحر المتدارك " و قد وافقت هذه التفعيلة بسرعتها نفسية الشاعر في تعبيره عن حقيقته الصوفية ، إذ سرعان ما نجده يقلب البحر من المتدارك إلى بحر من تفعيلات مركبة ، من ذلك قوله:

أنتَ فرطُ الحنانِ و ما تصنعُ الأغنياتِ (3)

1 - مسعود بورصاص: " وجد و تأمل " ص 92

2 - منير مزليني: " قل لآدم " ص 47

3 - المصدر نفسه : ص 48

أَنْتَ فَرَطْلُ	حَنَانَوُ	مَا تَصْنَعُنُ	أُغْنِيَاتِي
0 / 0 / 0 /	// 0 //	0 // 0 / 0 /	0 / 0 // 0 /
فاعلاتن	متفعل	مستفعلن	مستفعلن
بحر الخفيف		بحر الرجز	

فاستخدام الشاعر تفعيلية " مستفعلن " و صورتها الفرعية بكثرة محدثا شكلا موسيقيا موحدا حيث نجده يفتح قصيدته هذا المقطع بتفعيلات البحر الخفيف ، ثم جيء بعدئذ ببحر الرجز ، و ذلك لما لهما من تفعيلات موحدة و لتقاربهما في السمع .

ب -3- القافية: من أهم العناصر في القصيدة التي تقدم متعة موسيقية ، فهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر. (1) ، و في نفس الوقت من أهم العناصر الصوتية التي يعلن من خلالها الشاعر عن انفعالاته النفسية ، و هي ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة و تكررهما هذا جزءا هاما من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية ، يتوقع السامع تردها ، و يستمتع لهذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة ، و بعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن. (2)

\* القافية العمودية المطلقة : تشكل القافية المطلقة مساحة واسعة في الشعر الصوفي الحديث و المعاصر و من أبرز أنواعها :

- القافية المطلقة ذات مقطعين طويلين : من أمثلتها في الشعر الحديث ذلك ما نجده في قصيدة عدة بن تونس في ميميته على النحو التالي " اغتنام ، اصطلام ، أسقام " و قصيدته " إنني أرى السقاما " التي جاءت على النحو التالي: " لزما ، الأسقاما ، ألما ، ملاما ، مستداما أعواما الكراما ، إماما ، ختاماً ، إسلاما .... " ، فالشاعر لم يكتف بلزوم ألف الوصل أو الخروج في قافيته فقط، بل لزم إلى جانب ذلك ردفا جاء قبل الروي مباشرة ، أي أن لزم مقطعين طويلين مفتوحين في كامل ميميته ، و هو بذلك قد ضاعف من ثقل قافيته ، ومدد زمن النطق بها مما يناسب حالة الصوفي المثقلة بأحزان الفقد و الفصل و قصيدة الشاعر العلاوي " دمعي مهطل " التي جاءت على النحو التالي: (هادي ، اعتمادي ، يغشاها ، نرجاها ، يراها عطاها، ..) و قصيدته " دنوت من حبّ ليلي " فقد جاءت على النحو التالي " تلاها ، حلاها سواها ، زگاها رعاها صفاها " ، و قول الشاعر عدة بن تونس في قصيدة " يا من تطلب وصلها " فقافية الشاعر هي الدال المطلقة ، و قد التزم الشاعر قبل حرف الروي مباشرة " ردفا ، و هو الواو و التي جاءت على النحو التالي: " جنود ، وقود ، وجود ، الشهود ، الشهود ، مفقود الودود المقصود السدود ، المقصود ، فالقافية في هذه القصيدة تنهض بهذه الوظيفة فتحدث تشابها في الصوت و عدم تشابه في المعنى ، و تظهر مدلولات مختلفة من خلال دوال متشابهة. (3) و كلما كانت القوافي شديدة الاتفاق فيما بينها في الصوت ، و شديد الاختلاف فيما بينها في المعنى كانت أقدر على القيام بهذه الوظيفة " (4) و قصيدة العلاوي " يا من تريد تدري فني " فقد استطاع أن يوفر لقصيدته عنصر المتعة و الروعة الموسيقية ، فكثيرا ما تستقيم له هذه

- 1 - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ج1، مطبعة السعادة ، مصر ، ط 3 ، 1963 ، ص 151
- 2 - إبراهيم أنيس: " موسيقى الشعر " ص 273
- 3 - جون كوين : " بناء لغة الشعر " ترجمة أحمد درويش ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1993 ، ص 100
- 4 - المرجع نفسه : ص 102 .

الأصوات في البيت الواحد و البيتين ، فهي في اجتماعها تتجاوب مع قافيته ، و قصيدة الشاعر العلاوي " أرقتي الغرام " فقد جاءت قافيته على النحو التالي: " جميلا ، عليلا مثيلا، غليلا نبيلا كفيلا قليلا وسيلا " قافية هذه القصيدة هي اللام المطلقة المشبعة بحرف لين هو حرف المد الألف الذي يسميه أهل العروض وصلا أو خروجا و قد التزم الشاعر قبل حرف الروي مباشرة "ردفا" و هو ياءا ، وهو ما زاد في ثقلها ما وظفه الشاعر من أصوات لين طويلة في مجموع أبيات اللامية ذلك أنّ مشاعر الشجن و الحزن مشاكلة للإيقاعات الثقيلة الممتدة الأزمان، حيث نشعر بنوع من الاستصراخ و الاستنجاد مع القوافي المفتوحة الخروج مثل أكثر ما نشعر بذلك في القوافي الممدودة و المكسورة و في القوافي المضمومة ، لأنّ الصياح و الاستنجاد عادة ما يكون بالصوت المفتوح الممتدة أزمانه . أما في لامية فنجدته التجأ إلى مقطعين طويلين يتوسطهما مقطع قصير أو دخيل على النحو التالي: (مطالبي ، جانبي راهب حاسب ، هارب ، حاسب) فاستخدام الشاعر تفعيلة " مستعلن " و صورتها الفرعية بكثرة محدثا شكلا موسيقيا موحدًا حيث نجد ، ومما زاد القافية جودة و اتقانا التزام الشاعر ب" الدخيل " الواقع بين حرف الروي الموصول و ألف التأسيس و كذلك في قصيدته الشاعر " أرقتي الغرام" التي جاءت على النحو التالي:( ليلي، عليلا ميلا، مثيلا، قليلا ، غليلا ، وسيلا نبيلا، خليلا كفيلا ) فقد جعل لقصيدته اللام رويًا و لزم الألف وصلا أو خروجا ، و جعل الياء قبل الروي مباشرة ردفا ، كي يطيل أصوات القافية ، و يمدد زمن النطق بها امتدادا بطيئا ومما زاد في ثقلها كثافة ما وظفه الشاعر من أصوات لين طويلة ، تتجاوب و مضمون القصيدة الصوفي ، و هذه القافية جاءت لعلاقتها بوحدة الشعور و القلق لأجل ذلك نجد ثقل في الإيقاع ثقل ينسجم و حالة الفقد و الهجر فهي في قصيدة الشاعر أكثر ثقلا من قصيدة الشاعر لأنّ " ألف الوصل أوضح في السمع من واو الوصل ، و أنّها تتطلب للنطق بها زمنا أطول." (1)

و من شعراء المعاصرين الذين التزموا في قوافيهم مقطعين طويلين الشاعرة عظيمي زيدان و التي جاءت على النحو التالي : ( أحداقي ، أخفاقي ، أعناقي ، أعماقي )، و كذلك قصيدتها "سبحانك ربي" ، و التي قافيتها على الشكل التالي:( تلاقينا ، تأخينا، سابقينا ليوحينا...) و قصيدة الشاعر محمد بن مبخوت في قصيدته " رسالة استعطف" و التي جاءت على النحو التالي:( شرابي، اغترابي، ارتيابي ، أحبابي ، تصابي) و قصيدة الشاعر محمد الفاضلي في قصيدته " لسان الروح " و التي جاءت على النحو التالي : (الألحان ، أوطان دخان ، زمان ، عنوان ، الأقبان ، الديوان ، الإيمان ) و مما يبدو أن قافية النون جاءت لتوافق أنين الشاعر رغبة منه في طلب الزيادة للاستقاء من معين هذه المعرفة فالنون صوت يوحي بموسيقى حزينة تتضمن معاني الألم جراء الضعف ، فهو في هذه القصيدة يشكل البعد الحيني و الشوقي الممزوج بلوعة الفراق ، فهي في كلّ بيت من أبيات القصيدة يشكل لونا من ألوان الحزن و الأسى و المعاناة، كما تراءت حرف النون المضمومة المشبعة في توجهها نحو الأعلى ، فقد جاءت متلائمة مع مسار الرحلة.

- القافية المطلقة ذات المقطع واحد : من أمثلتها في الشعر الحديث قصيدة الشاعر العلاوي " يا من تريد تدري فني" ، بحيث جاء فيها صاحبها بمطلع واحد طويل (عبوديا ، الروحانيا البشرية عليا ، المنيا برياء، الألوهيا ، صفيا ، الأقدسيا ) ، ومما زاد القافية جودة و ثقلا التزام الشاعر بألف التأسيس ثم التزامه بالدخيل الواقع بين حرف الروي الموصول و ألف التأسيس فاصلا بين صوتين ممتدين ، و كأنه أراد به أن يكون الصوت الممتد صوتين اثنين لا صوتا

واحدا ، و هذا الصوت قد شمل القصيدة كلّها بما شملت عليه بكثرة في توظيف الأصوات اللينة الطويلة فجاء بذلك إيقاع القصيدة ثقيلًا طويلًا ، بحيث جاء مناسبًا وحدة الشعور بالوحدة و الاغتراب و قصيدته " أيا أيها العشاق " يائته (العليا، هديا الخزيا) و قصيدة الشاعر عدة بن تونس " يا طالبا الله " في قافيته النونية و التي جاءت على النحو التالي: ( بلى ، صلى قلى ) و قصيدة الأمير عبد القادر " أنا الحبّ و المحبوب و الحب جملة " ( دكانا ، ألوانا ، هيماننا).

و من الواضح أنّ شيوخ الطرق الصوفية كانوا كثير الميل إلى توظيف المقاطع الطويلة على اختلاف أزمنتها و أجراس أصواتها و درجات تفعيلاتها النبرة.

و من أمثلتها في الشعر المعاصر ما نجده في نونية عمر أبو حفص " نور القدس لحضرة الأنس، و التي جاءت على النحو التالي: (منى ، أفطنا ، للعنا ، سنا ، ركنا ، الرسنا ، الفنا جمعنا ، دنا ، جنى) و قصيدة الشاعر قدور رحمانى في بائته " غلال النبي محمد ﷺ " التي جاءت على النحو التالي: (عنا ، الحقباء، اقتربا، شهيا، الكتبا، ذهباً ، اغتربا ، رطبا ) و هذه القوافي في مجملها متشابهة من حيث إطلاقها و تمديد أزمان صوتها ، و ذلك لما وفروه لها من أصوات لين طويلة بطيئة ، و ما يزيد رونا من توازي إيقاعي متكرر يحدث بتأزر مع القافية و ألف الإطلاق انسجاما صوتيا عميق الأثر في النفس ، فهو كذلك يحدث توازي نفسي في القصيدة .

و من الشعراء الذين خففوا من إيقاع قوافيهم الشاعر محمد بن سليمان ، فقد قصد إلى توظيف قافية التاء ، و عدم إشراك أحرف اللين عن قافيته ليعجل به لسانه و لسان القارئ خاصة في المواطن التي تكثر فيها الأفعال المتلاحقة المعطوفة بعضها على بعض و التي تجسد الحدث القصصي ، كما نجده في قصيدة الديسي " النفحات العنبرية في مدح خير البرية " فلا يطول بذلك زمن النطق بالقافية ، لذلك عدّها الشعراء رويًا ضعيفًا (1) لأنها غالبًا ما تكون من لواحق الكلمات و ليست أصلا من أصولها ، و نظراً للعلاقة الجدلية بين (الأنا) و(الأنث) فإنه يعدّ رويًا صوفيًا خالصاً (2) و قصيدة الشيخ عدة بن تونس " بديع الحسن " فقد جاءت على النحو التالي: ( التمام ، الكرام ، الأنام ، القيام ، الصيام ، الأيام السلام ، الإمام ، اصطلام ) فلجوءه إلى الكسرة دلالة على انكسار النفسي الذي سيطر على كيان الشاعر و كذا الحال مع قصيدته " نبدا باسمك يا سلام " ، و التي جاءت على النحو التالي: (الإفراد ، الإرشاد الأحد لا تجدد ، عدد ، العباد ، الموقد ، أسياد... ) ، و ميمية الديسي و التي جاءت على النحو التالي: ( قلم ، عجم ، ملتطم ، كلم ، كرم ، حكم ، ديم ، تسم ، مضطرم ) ، و ما أكثر هذه القافية في الشعر الحديث فقد جاءت تقليدا لميمية البوصيري و هم في هذه القوافي وفقوا إلى المشاكلة بين المفهومات الحزينة و المسموعات الممتدة الأزمان ، و مما زاد في قوتها وجمالها و رونقها ما حققته من وظيفة إيقاعية دون أن تفسد الشعر ، حيث نجدها تقطع التوازي بين المعنى والصوت بل جاءت لتبتره بترًا ، و لجوء الشعراء إلى المقاطع القصيرة لأنّ الشعراء في حالة هدوء و استرخاء و حالة الوصول إلى مقامه.

و من القوافي الخفيفة في الشعر المعاصر قصيدة الشاعر محمد الشبوكي " هلال ربيع " فقد جاءت على النحو التالي: (ربيع، بديع ، مريع، فظيع، صقيع، سميع، سطيع، خليع... )

1 - إبراهيم أنيس: " موسيقى الشعر العربي " ص 277

2 - محمود شلال حسين القيسي: " شعر الحب الإلهي في العصر العباسي - دراسة موضوعية فنية " أطروحة دكتوراه ، اللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامي ، بغداد ، 2010 ، ص 47.

فقافيته العينية تبدو أقرب إلى التوجع و التحسّر و التفجّع ، بحيث نلاحظ أن الشاعر أجهد نفسه في انتقاء ألفاظها ، و قوافي الشاعر رياض رحال نسيم في قصيدتيه " دوح الرسول الأمد " و التي جاءت على النحو التالي: (الأحمد ، أسود، مسجد، المرشد ، الأمد ) و رائيته: (يسري الحضر ، حرّ ، النحر ، جمر ، الذعر ، نحري ...)

كما حرص الشعراء على بث الرّوح الإيقاعي البطيء الذي يناسب حال القبض و البسط و الحزن الصوفي، ذلك أنّ الروي المتحرك هو الكثير الشائع في الشعر العربي" (11) ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشيخ عدة بن تونس " يا صاحبي هل فزت به " ، و التي جاءت على النحو التالي: ( نداءً ، معناه ، شفاهُ ، نساءهُ ، غطاءً ، عماءُ ) و لجوء الشعراء إلى القافية المضمومة دلالة على رغبة الشاعر القوية في للإتحاد و الرؤية للذات المحمدية و لإبراز عظمة هذه الحقيقة و إظهار مدى قوتها و جلالها و رفعتها ، فهذا الثقل في الإيقاع ناسب إيقاع الذات الصوفية في فراقها و غيابها، فقد ألفينا الصوفية يلجئون إلى الإيقاع الثقيل خاصة في القصائد التي يشكو فيها أصحابها حال الفراق و الوجد ، و هو ما نجده في قصيدة و من القوافي المطلقة الثقيلة التي تأتي في المرتبة الثانية بالقياس إلى السابقة من حيث البطء و الامتداد الزمني دالية الشاعر الديسي و التي جاءت على النحو التالي: ( أحمد، مسند ، سؤدد ، مبدأ....)

و من أمثلتها في الشعر الجزائري المعاصر ما نجد قول الشاعر رياض رحال نسيم" دوح الرسول الأمد " و التي جاءت على النحو التالي: ( أحمدُ ، الأمدُ ، أسودُ ، أنشدُ ، مبعُدُ ، ردُّ المعهدُ ، المرشدُ ، موردُ ، مسجدُ ، المجدُّ ) و الشاعر في هذه القافية جاء مقلداً للأعشى و غيرها من القوافي التي لم يلتزم فيها أصحابها إلا بالمقطع الطويل الواحد ، و كذا الحال في رائية رياض رحال نسيم التي جاءت على النحو التالي: (الأسر، حذر، صخر، شعر ، الذعر الكرّ، الدهر ، حمر ، حرّ النحر ، خمر ، البحر، البرّ ) ، و ممّا زاد من ثقلها حركة الجرّ .

و يختلف الإيقاع من قافية لأخرى فهو مع الفتح أكثر وضوحاً منه مع الكسر ، ومع الكسر أكثر وضوحاً منه مع الضم ، و أحرف الروي تختلف من حرف لآخر ، لاختلاف مخارجها عند النطق بها فإيقاع الأصوات المجهورة ، أكثر وضوحاً في السّمع لشدّتها و جهارتها بينما إيقاع الأصوات المتوسطة في الجهر و الشدّة كالهزمة أقل وضوحاً من سابقتها .

ب - القافية المقيدة : و هي التي تكون ساكنة حرف الروي ، فإنّ حظها و فير جدا خاصة في تلك القصائد الملحونة ، مثل قصيدة الشاعر البوزيدي " يا عاشق المعنى " و التي جاءت على النحو التالي: (الراخ أقداح ، الأنواخ ، الأرواخ.... ) ، و قصيدته " يا من تطلب وصلها " و قصيدة الشاعر العلاوي " حير لي بالي " و قصيدته " صلى الله عليك يا نور " و التي جاءت على النحو التالي: (المتشكّل ، تنزل متجمل، تمثّل ، تنزل ، ممثّل ، الأمل ، معتدل،...)

و التي جاءت تقليداً لدالية الأعشى ، فاللام من أوضح الأصوات الساكنة في السمع و كلاً منهما صوت مجهور. " (2) و هذه القصيدة تعمل بإيقاعها القوي على التنبيه و الإثارة خاصة أثناء انفعالها وهي تصبو نحو الكمال و الخلاص ، فإنّ أقوى صوت يسمع في هذا النوع من القصائد صوت القافية فهو أكثر دويماً من القافية المطلقة و هناك من الشعراء من لجأ إلى قافية الهاء لأنّ النطق به أيسر و لأنّه صوت لا يلقى مروره اعتراضاً في الفم ، و يتخذ اللسان في نطقه أي

1 - إبراهيم أنيس: " موسيقى الشعر العربي " ص 298  
2- مختار حبار : " الشعر الصوفي الجزائري في العهد العثماني " ص 570

موضع من المواضع التي يتخذها في نطق الصوائت، و اللامية إلى تقليد " بانث سعاد " لكعب بن زهير و كذلك قصيدته " أيا مريد الله" و اتجاه الشاعر إلى المقيد من قوافيه هو انعكاس للوضع النفسي الذي ينتاب الشاعر حالة الوجد و الشوق ، و قصيدة الشاعر قدور الزرهوني " بمحمد تاجي و حلتي " صفاء .

و من ثم فإنّ القافية المقيدة تقوم بوظيفة إيقاعية صرفة تثير السمع، و تحفره على تتابعه المفهومات في أمواج متلاحقة أكثر ممّا تقوم به بوظيفة لحنية شجيّة. (1)

- تعدد القافية في القصيدة الواحدة : و من القوافي العمودية المتعددة التي يتقسم فيها القصيدة إلى مقاطع كلّ مقطع عددا من الأبيات تكون موحدة و مختلفة مع المقطع الذي يليه من أمثلتها في الشعر الجزائري الحديث قول أحمد بن مصطفى العلوي في قصيدته " دمعي مهطل " ، و قصيدته " أيا ربّ سألتك النجاة " و التي جاءت على النحو التالي: (و ثائق أصول ، مكنتم ) و قصيدة الديسي " حمدا لمن قد مدحا " و التي جاءت على النحو التالي: (عابق بنفسج ، ضوعفا ) ، و هذا التنوع في قافيتها جاء تبعا للموطن الذي قيلت فيه و هو تعداد محاسن الحبيب الظاهرة الذي يتطلب تعدد في القوافي .

ب - القافية في شعر التفعيلة : قد لاقت هذه القافية رواجاً عند الشعراء المعاصرين ، فقد حافظوا على عذوبة الإيقاع وروعة الموسيقى و أكسبوها ثوبا جديدا ، و من أنواعها:

\* القافية المتتالية : هي قافية واحدة و لكن بروي واحد في عدة أسطر ، من ذلك ما نجده في قصيدة الشاعر منير مزليني " ما تبقى " فقافية الشاعر في هذه القصيدة هي الباء ، حيث يقول:

أَيُّهَا الْأَزْرُقُ الذَّاهِبُ (2)

فبعد أن افتتح قصيدته بقافية الباء يواصل رحلته الشعرية و ينوع من قوافي القصيدة ، ثمّ سرعان ما يعود إلى قافيته المحورية فيقول:

و لا نَعْرِفُ عَنْ مَجِيئِكَ ، غيرَ الذَّاهِبِ ،  
و هذا الغِيَابِ ،، الغِيَابِ ..

أَكْتَابَ السَّمَاءِ يَلْحَقْنَا! ؟ !

و يلاحقنا من فصوله ؛ سطر العتاب! (3) تفصح لنا قافية الشاعر عن اغترابه دون احتباس لخروج الصوت ، و هذا المقطع الشعري يشكل توازيا واضحا مع مقطع القصيدة من ناحية دلالاته العامة فينصهر هذا التكرار ليؤسس الوظيفة الجمالية للإيقاع على مستوى الوزن و القافية .

\* القافية المرسلة: وهي القافية المجردة " ليكسر ما في تقفية التتابع من تماثل صوتي و نسقية " (4) ، من أمثلتها ما نجده في قصيدة منير مزليني: " ما تبقى " ، فبعد أن اعتمد في بديهة القصيدة على القافية المتتالية ، إذ سرعان ما نجده في وسطها ينتقل إلى القافية المرسلة :

1 - ينظر إبراهيم أنيس: " موسيقى الشعر العربي " ص 64

2 - منير مزليني : " قل لأدم " ص 47

3 - المصدر نفسه : الصفحة نفسها

4 - عمر خليفة بن إدريس: " في العروض و القافية " جامعة قاروش بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2003 ، ص 247.

أَوَّلُ السُّنْبِلَاتِ وَ آخِرَهَا بِيَدِكَ ، ،  
أَنْتَ فَرَطُ الْحَنَانِ وَ مَا تَصْنَعُ الْأَغْنِيَاتِ .  
يَا إِلَهِي ..  
هُنَا مَنبَعُ الْحَيْرَةِ ، ،  
وَ هُنَا يَسْقُطُ الرَّأْسُ عَنْ كَفِّهِ ، ، (1)

\* القافية المقطعية: أو كما تسمى القافية المتناوبة أو المزوجة ، و هي القافية التي يعتمد فيها الشاعر على مقاطع متنوعة ، ممّا جعله يلجأ إلى التنوع في القافية للابتعاد عن الرتابة للانتقال من حالة إلى حالة ، بحيث نجد الشاعر ينتقل من قافية إلى أخرى على التوالي على نظام ما ، من ذلك ما نجدها في قصيدة الشاعر مسعود بورصاص " العروبة " ، فقد اعتمد في قافية الفاء و اللام و الميم ، و الزاي و التاء في مقطعين ، ثمّ ختمها بقافية الميم في أربعة مقاطع ، و قصيدة الشاعر منير مزليبي في آخر القصيدة :

تَمْنَحُ حَيْرَتِي فِرْصَةً لِلسَّفَرِ ..  
كَمْ أَنَا ذَاهِبٌ .. مُسْتَقَرٌّ ..  
كَمْ أَنَا مُوقِنٌ .. حَائِرٌ ..  
كَمْ أَنَا بَاطِنٌ .. ظَاهِرٌ .. (2)

التزم الشاعر هنا قافية موحدة بين كل بيتين خطين تقريبا ، و هذا التنوع في القوافي دلالة على قدرة الشاعر على الانتقال و التعبير عمّا يريد الإفصاح عنه ، و قد جاءت كلّ واحدة منها تمارس دورا في إيصال المعنى ، فعلى الرغم من محاولتهم التحرر من قيدها إلا أنهم ظلّوا حريصين على إيقاعها الموسيقي المتميز ، و لكن بنظام معين و مغاير ، كما أنها تمكنت من إحداث إيقاع يتناسب مع طبيعة المضمون الصوفي للنص . كما نجد شعراؤنا مالوا كلّ الميل إلى القوافي المطلقة الممتدة الأزمان ، لما لها من صفات لحنية شجيّة تناسب المفهومات الصوفية خاصة تلك القصائد التي ترسم صور الفراق أكثر من صور الفراق أما قوافي الموشحات فنجدها موحدة في المطلع و الأقفال و الخرجة و متباينة في الأدوار من دور لآخر .

و نخلص من هذا كلّه أن الشاعر الحدائي و المعاصر و اكب آفاق التجربة الشعرية العربية بإيقاعاتها الداخلية و الخارجية ، و نهض بوظيفة تعبيرية ليخدم الحالة الشعورية انضوت في ثنايا المنظومة العامة ركيزتها الرئيسية ، فتتصاعد نبرة الإيقاع في القصيدة الصوفية لتتخطى الوزن و القافية حتى تصل إلى الذات و هذا ما عبّرت عنه قصائد الوحشة التي ولدت الأحاسيس المتنامية بداخله ليجسد أبعادها لذلك يغلب عليها صراع الداخل بالخارج ، حيث نجد الشاعر يركز على نبرات الإيقاع الداخلي و الخارجي.

1 - منير مزليبي : " قل لأدم " ص 48

2 - المصدر نفسه : ص 47



## 5- المبحث الخامس : التناسل الشعري

استأنف الشعراء بعض المسلمات الثابتة ، منها ما هو مركزي كالنص القرآني الذي تعلقته القصيدة بوجوده ، ومنها ما هو فرعي يعود إلى الآفاق العامة في الثقافة الإسلامية للشاعر كالنصوص الأولى لطبيعة القصيدة الصوفية والأداة الواسطة بين النص و مرجعيته (1) فحاولوا استيعاب فعل التشريف الذي حصل للنبي ﷺ فرصدوا بعدها التخيلي و عبّروا من جانب آخر بوعي بعملية الكتابة ، ومن منظور التفاعلي ذاته (2) و هذه العملية كما تسميها أمانة بلعلى الاستنباط فهي لا تكمن في خلق زيادات في المعنى فحسب بل هي أداة لإحداث التفاعل بين نصوص مختلفة ، بعدة آليات لعل أهمها الاختزال من أجل التعبير عن الفكرة الأساسية في النص " (3) ألا وهي الحقيقة المحمدية و يضيف على المعاني معاني أخرى إشباعاً للدلالة دون مخالفة النص الأصلي فيعطي كلّ التفاصيل الدقيقة قيمة دلالية خاصة يخرجها عن إطارها التقليدي ، ومن أكثر النصوص التي تناسل معها الشعر الجزائري الحديث و المعاصر :

أ- النص الديني: انطلق الشعراء الجزائريين في تفسيراتهم للحقيقة المحمدية من المنبت الديني الذي يعتمد على الأجهزة الرقبية المتمثلة في القرآن والحديث النبوي ، لكونه المنهج الذي تنكئ عليه جميع النظريات الصوفية. إذ يركز الصوفي على أسس مُستمدّة من القرآن والحديث:

1- التناسل مع القرآن الكريم : مثل القرآن الكريم المسار الأول عند شعرائنا الصوفية بحيث راح الشعراء يفرغون فضائل الرسول و مناقبه في قصائد خالدة مستلهمين ما جاء في الذكر الحكيم ، ومن أكثر الشعراء الجزائريين في العصر الحديث تناسلوا مع القرآن الكريم شعراء الطرق الصوفية من ذلك ما نجده في قصيدة البوزيدي " يا من تطلب وصلها ":

ابن البوزيدي لهُ  
عبدًا في طاعتها  
مُتمكِنٌ بِحُبِّهَا  
ناره زادت و قُودُ (4)

يعانق الشاعر في هذه الأبيات آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (5) و قوله في قصيدته " يا لائمي لا تلم ":

صلاته جاءت لنا شرع في الكتاب  
شرعها لنا ربّ الأرباب (6)

يقتبس الشاعر فهو في هذا البيت من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (7)

1 - ياسين بن عبيد: " الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " ص 122

2 - أمانة بلعلى : " تحليل الخطاب الصوفي " ص 309

3 - المرجع نفسه : ص 277

4 - محمد البوزيدي: " الديوان " ص 145

5 - سورة آل عمران: الآية 132

6 - المصدر نفسه: ص 149

7 - سورة الأحزاب: الآية 56

و كذلك الشيخ العلاوي فقد جاءت قصائده مجاورة للنص القرآني ، لكون الديوان ثمرة عرفانية استوجبت الوقوف عند بعض الآيات القرآنية ، من ذلك ما نجده في قوله في قصيدته " صلى الله عليك يا نور " :

يَـارْسُوْلَ اللهِ	أَنْتَ النُّوْرُ الْمُتَشَكِّلُ
نُورٌ عَلَى نُورٍ جِئْتِ	بِهِ الْقُرْآنُ تَنْزَلُ
مِشْكَاهُ نُورًا وَزِينًا	ضِيَاءً جِئْتِ مُعْتَدِلُ (1)

فهو هنا يستوحي من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (2) ، فهو في اقتباسه هذه المفردات القرآنية ذات المعاني الروحية السامية دليل على انبهاره بعظمة هذه الحقيقة.

كما نجده يتناص في قصيدته " أيا أيها العشاق " ، حيث يقول :

كَفَى أَنْ نُورَ الْحَقِّ أَنْتَ مَظْهَرُهُ      مَا وَدَّعَكَ الْإِلَهُ كَلًّا وَ مَا قَلَى (3)

فهنا تناص مع الذكر الحكيم في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (4) ، فالشاعر يستمد يستمد رؤاه من القرآن الكريم ، و يستحضر بعض آياته في سياق تأملاته الوجودية متخذًا منها منطلقًا لمضامين نصوصه ، و ينسج بعباراته الشعرية قالبًا لغويًا يكتسب جمالية من جمال اللغة القرآنية سعيا منه في ذلك إلى السمو الروحي .

و قول عدة بن تونس في قصيدته " نحن برضوان الإله شمس " :

تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ      وَ الْحَقُّ وَاضِحٌ جَلِيٌّ مَفْهُومٌ (5)

فالشاعر في هذه الأبيات لا يقتبس لأجل الاقتباس ، و لكن يقتبس من أجل أن يظهر من خلاله ما لا يمكن ظهوره من العواطف في صورة محسوسة . كما نجده في قصيدته " أذن في الناس يا صاح " يتناص مع سورة مريم ، حيث يقول :

أولئك حزب الفلاح	من ورثة الأنبياء
صاحب الشرع الوضاح	ميراثا بلا سِفاح
	أصبحت به سميًا
	عن طة غوث الأوليا

1 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 92

2 - سورة النور : الآية 35

3 - أحمد العلاوي : " الديوان " ص 16

4 - سورة الضحى : الآية 03

5 - عدة بن تونس: " الديوان " ص 173

عَلِيهِ مَا دُمْتُ حَيًّا      فِي صَلَاتِهِ كِفَاجِي  
فِي غُدُوي وَ رَوَاجِي      فُوَادِي بِهِ سَنِيًّا  
هَذَا وَردي وَ ارْتِياجِي      فِي الصَّبَاحِ وَ العَشِيًّا (1)

فالشاعر استهواه التناغم العجيب الذي أحدثته سورة " مريم " في تركيبها بوجه عام و فواصلها بوجه خاص ، فكان له التقليد في بعض آياتها و يأخذ بعض من نسجها فرأى أنها تناغم بعض أشجانه فأخذ منها بشكل صريح قوافيها فجاءت محاكية لإيقاع فواصل السورة .

و من صور التناص في الشعر الجزائري المعاصر قول الشاعر محمد بن المبخوت في قصيدته " المولد النبوي " :

و شَهِدَ لَكَ بِالْخُلُقِ العَظِيمِ رَبُّنَا      شَهَادَةً جَاءَتْ فِي الذِّكْرِ المُمَجَّدِ  
رَحْمَةً للعَالَمِينَ لِيُؤْنَهُ للمُؤْمِنِينَ      غِلْظَةً عَلَى أَهْلِ العِنَادِ وَ التَّشَدُّدِ (2)

ففي البيت الأول تناص مع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (3) و في البيت الثاني نجد الشاعر يقتبس قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (4)

و من صور التناص في الشعر العاصر محاكاتهم لمعراج النبي في قصص خيالية بطريقة رمزية ، من ذلك ما نجده في قصيدة جميلة عظيمي زيدان في قصيدتها "سبحانك ربي" :

إلى سَدْرَةِ المُنْتَهَى عَرَجَ لِيلاً      أُسْرَى بِهِ وَ كَانَ فَعلاً يَقِينَا (5)

ففي هذا البيت تناص مع قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ ءآيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (6) فالشاعرة أجادت الاقتباس لتقوية المعنى و تبليغه ، قد أتت بالآية المناسبة لذلك ، و لم تتدخل كثيراً في تعديلها و إخضاعها لذاتها.

فهي كلُّها معان مستقاة من وحي القرآن ، ذلك أن التجربة الصوفية مشدودة الخيوط إلى البعد الديني بمختلف محامله. و لعلّ اعتماد الشعراء للمصدر القرآني ناجم عن معطى إسلامي و لمحله في تنظير الفكر الصوفي . و هم في استنباطهم الإشارات اللطيفة من النص القرآني لإرضاء الذائقة ، و ما تكلم به أهل الإشارات مكنّ الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تحوي على ألفاظ القرآن ظاهراً و لكن بتأويل و نحوه." (7)

1 - المصدر نفسه : ص 175

2 - محمد بن المبخوت : " قلب شاعر " ص 140

3 - سورة القلم : الآية 04

4 - سورة الأنبياء: الآية 107

5 - جميلة عظيمي زيدان : " أزهار اليأس " ص 17

6 - سورة الإسراء: الآية 01

7 - نقلا عن بتصرف الطاهر بن عاشور : " التحرير و التنوير " الدار التونسية للنشر ، دط ، 1984 ، ص 34

أ - 2- من الحديث: يعد الحديث النبوي الرافد الثاني - بعد القرآن الكريم - الذي نال نصيبه من العناية و الاهتمام لدى الشعراء الجزائريين في العصر الحديث و المعاصر، باعتباره المصدر الثاني من التشريع الإسلامي ، ومن صور التناسل مع الحديث النبوي في الشعر الحديث ما نجده في قول الشاعر ابن منيع في قصيدته " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب ":

نبينا خلق القرآن قد جمعت في طيب مهجته منابع الحكم (1)

ففي هذا البيت تداخل نصي مع حديث عائشة رضي الله عنها فعن سعيد بن هشام أنه قال: انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت: ألت تقراء القرآن قلت بلى ، قالت: " إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن " (2) ، فالشاعر حافظ من خلاله على دوام النص الأصلي مع إجراء بعض التغيير في التشكيل الشعري.

و كذلك قول عبد الرحمن الديسي في قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية ":

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَحْمُودُ سِيرَتُهُ وَرَحْمَةٌ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ مَهْدَاةٌ (3)

تدلّ هذه الأبيات دلالة واضحة على إعادة الشاعر لكتابة النص الغائب و توظيفه فنيا ففي هذه الأبيات تتناص مع قوله رسول الله ﷺ: " لي خمسة أسماء : أنا محمد و أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، و أنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، و أنا العاقب الذي ليس بعده أحد " (4) فهذه الأسماء الخاصة بالنبي ﷺ ضمنها الشاعر في قصيدته و استلهمها من هذا الحديث الشريف و وظفها بصورة إشارية من خلال التلميح للمعنى الذي يقصده الحديث فالمعنى الذي يحمله البيت جاء منسجما مع ما ورد في الحديث الشريف من صور لكن صيغة الحديث كانت أكثر دلالة و توضيحا للفكرة من الصيغة الشعرية فكان التناسل جزئيا حيث إنه أشار إلى بعض الأسماء الواردة في الحديث و ليست كل الأسماء التي تضمنها الحديث.

**ب - التناسل الشعري**: تفاعل الشعراء مع القصائد الإسلامية ، حيث راح الشاعر ينهل من النصوص الشعرية العربية القديمة و الحديثة مع يلاءم تجربته ، و يمكن تقسيم التناسل الشعري الجزائري الحديث و المعاصر إلى قسمين :

ب - 1- تناسل مع الشعر القديم : هيا القدماء السبيل أمام شعراء العصر الحاضر، في تقديم صورة لهذه الحقيقة المباركة و تمجيدها أحسن تمجيد ، فرغم ما صحب إنتاجهم من دلالات خصبة أصبغت ظروف خاصة ، إلا أنهم وجدوا في التراث الصوفي و القصائد التقليدية معادلا موضوعيا لمشاعرهم ، فهي بمثابة الأساس الذي يقيم عليه الصوفي صرح قصيدته. فوقفوا على أطلاله و قفة تعظيم و إجلال متخذين منه ستارا لمعاني الحبّ الصوفي لكنها لم تحتل مواقع بمثل ما كانت تحتله سابقا ، حيث نجد الطلل مقدمة القصيدة ، و قد نجده في وسطها ، كما نجده متبوعا بالحديث عن الخمرة حالة السكر و الفناء بدلا من الناقة أو الحبيبة.

1 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 06

2- محمد إدريس الكاندهلوي: " التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح " ج2 ، مطبعة الاعتدال، دمشق، ط1، 1354هـ ، ص 94

3 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره " ص 271

4 الحجاج بن محمد بن مسلم: " الجامع الصحيح " ج7، باب في أسمائه ﷺ، ص 89

و من صورته في الشعر الجزائري الحديث ما نجده في قصيد بلقاسم بن منيع في قوله :

هذا الذي خَفَقَتْ بالخَافِقِينَ سَنَا      أَعْلَامِهِ صَاحِبَ السُّلْطَانِ مِنْ حُكْمِ (1)

فهو في هذا البيت تناص مع الفرزدق في قوله:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءَ وَطَأْتُهُ      وَ البَيْتُ يَعْرِفُهُ وَ الحِلُّ وَ الحَرَمُ (2)

فالتداخل النَّصي بين البيتين واضح جدا و خاصة في بداية الشطر الأول الذي حافظ فيه الشاعر على التعبير الأصلي للبيت مع تغيير طفيف في بعض الكلمات ، و يكفي للقارئ قراءة هذا المقطع ليكشف خيوط هذا التداخل .

ثم يسافر الشاعر رحلته التناسية ليضعنا في رحاب " ابن الفارض " في ميميته التي يقول فيها:

شَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً      سَكَرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرَمُ (3)

و من الشعراء الأكثر تناسا العلاوي ، فقد سلك الشاعر في بناءه لقصيدته الصوفية مسلك المتصوفة مما جعلته أكثر النصوص التحاما بالموروث الصوفي في الأوساط الفكرية بشيء فيه نسائم الكلاسيكية و بلغة فيها القديم ، حيث يقول العلاوي في قصيدته " محمّد اصطفاك الباري ":

فَاقَ الجَمِيعَ فَرَعٌ وَ أَصْلٌ      مَبْعُوثٌ لِلخَلَائِقِ رَحْمَةٌ (4)

حيث يتلاقى مع قصيدة البوصيري التي يقول فيها :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَ خُلِقِ      وَ لَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَ لا كَرَمِ (5)

و من الواضح أن العلاوي متأثر بمدائح البوصيري خاصة ميميته ، فهو في ترديده لهذه الألفاظ القدسية و ما تحويه من معاني قدسية ، ما هو إلا دلالة على إعجابه بها ، فكلا الشاعرين يعدد محاسن الحبيب المصطفى ﷺ الخلقية و الخلقية ، من ذلك ما نجده في قصيدته " حير لي بالي " حيث يقول :

فَرَعُ اللّاهُوتِ سِرِّ النَّاسُوتِ      فِي الرَّحْمُوتِ لَهُ مَقَامُ (6)

فهو في هذه القصيدة نجده يسلك مسلك ابن الفارض في تعبيره عن مصطلح الناسوت و اللاهوت ، حيث يقول في تائيته الكبرى :

1 - بلقاسم بن منيع: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " ص 41

2 - - إلبا الحاوي: " شرح لديوان الفرزدق " ج 2 ، ص 355

3 - ابن الفارض: " الديوان : تحقيق البوريني ، ص 121

4 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 87

5 - شرف الدين البوصيري: " الديوان " ص 167

6 - أحمد العلاوي: " الديوان " ص 89

و لم أله اللاهوت عن حكم مظهري و لم أنسى بالناسوت مظهر حكمتي (1)

فالشاعر يتقصد لغة المتصوفة التي ترتدي زي الإيحاء و الإشارة .

كما تناص الأمير عبد القادر في كثير من قصائده مع التراث العربي القديم ، خاصة في قصائده الخمرية فقد حفلت قصائده بتلويحات خمرية متنوعة ، من ذلك قوله في رائيته:

فلو نظر الأملاك ختم إنائها تخلو عن الأملاك طوعاً و لا قهر (2)

فهو في هذا البيت تناص مع ابن الفارض في ميميته التي يقول فيها :

و لو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم (3)

فهنا يظهر التقليد بشكل واضح ، فالشاعر تناص مع هاذين البيتين في تلك الرموز الخمرية و حاكي لغة الشاعر من حيث الألفاظ فقد استحضر كلمة ( نظر، ختم ، إناءها ) و التي تقابل ألفاظ ابن الفارض (نظر، ختم، إنائها) فدلالة الألفاظ واحدة إلا أن غرض القصيدتين يختلفان لم يقتبس العبارة " فلو نظر الأملاك ختم إنائها " ، إلا لأجل خلق هذه الدلالة في بيته ، لأن المعنى يوافق نفسيته ، و صولا إلى المقصد الأسنى الذي أناره الاقتباس.

كما يظهر التأثير جليا في قصائدهم الغزلية و قصصهم الغرامية ، مستلهمين صورته و أساليبه مسقطين عليها تجاربهم الذاتية وما يزايلون من أحوال و أذواق (4) . من ذلك ما نجده في قول محمد بن سليمان في تائيته :

و لم أزل مستطعاً شمس وجهها و لم أزل مستطعاً شمس وجهها  
و في الدرة الحمراء ، حيث جلاكم و في الدرة الحمراء ، حيث جلاكم

فالشاعر هنا تناص مع تائية ابن الفارض في قوله :

لئن اجتمعت شمل المحاسن صورة لئن اجتمعت شمل المحاسن صورة  
و بدري لمء يفل و شمسي لم تغب و بدري لمء يفل و شمسي لم تغب  
و أنجم أفلاكي جرّت عن تصرفي و أنجم أفلاكي جرّت عن تصرفي

و من صور التقليد الشوق إلى الأماكن المقدسة ، فهي تعد تقليدا ثابتا في مقدمة المدحة النبوية لكونها تثير في الشعراء والمتلقين معا مشاعر الوجد الديني، والحنين إلى مهبط الوحي وتشيع في حنايا نفوسهم دفء الطمأنينة والقداسة ، فإظهار الشوق إلى الأماكن المقدسة هو الذي يظهر عواطف الشاعر ويحركها نحو ذات الحبيب ، من ذلك ما نجده في قول الديسي:

كذا على الآل و الصّحب ، و تابعهم ما سار ، بدر و ما غنت حمامات (1)

1 - ابن الفارض : " الديوان " ص 56

2 - الأمير عبد القادر الجزائري : " الديوان " ص 111

3- ابن الفارض : " الديوان " تحقيق : البوريني ، ص 121

4 - عاطف جودة نصر : " الرمز الشعري عند الصوفية " ص 195

5 - نقلا عن عبد الله الركبيبي : " الشعر الديني الجزائري الحديث " ص 35-358

6 - عمر بن الفارض : " الديوان " ص 49-50

فالشاعر تناص مع الشاعر لخضر بن خلوف في تائيته التي يقول فيها :

و يا مَغانِي اللّوى هلْ تذكِرينَ و قدْ غنّيتَ لنا في دارِ الأيْكِ ، الحَمّاماتُ (2)

يفتح الشاعر قصيدته كعادة الشعراء الجاهليين بمطلع غزلي ، فقد رأى في الوقفة الطللية الجنة الكبرى التي يبحث عنها لأنها تمثل الشوق و الحنين ، خاصة و أنه يعيش حالة اغتراب عن الذات المحمدية فنجده يستحضر الصورة الأولى " الأطلال " ، و يزاوجها مع الصورة الثانية صورة المحبوب فالديار في الشعر الصوفي هي غير الديار ذات البعد الظاهري ، فهي ديار عرفانية بعيدة كلّ البعد عن المعنى الظاهر ، حيث ييح الطلل الحاضر رمزا للحقيقة الغائبة و رمزا للمقامات العليا ، هي تجربة تلائم تجربة الشاعر و موافقة لحالته النفسية .

كما نجده يتناص معه أيضا في قصيدته " النفحات العنبرية في مدح خير البرية "

مُحمَّدُ أحمدُ المَحْمُودُ سِيرتُهُ و رَحْمَةٌ لَجَمِيعِ الخَلْقِ مُهداةُ (3)

فهو في هذا البيت يتناص مع لخضر بن خلوف في قصيدته " تحية المشتاق و تنجية الأشواق " حيث يقول:

مُحمَّدُ أحمدُ ، خيرُ الأنامِ ، و منْ خصَّتُهُ في الذِّكرِ أوصافُ شَريفاتُ (4)

و من صور التناص في الشعر الجزائري المعاصر قول الشاعرة جميلة عظيمي زيدان في قافيتها :

أحبُّكَ لأثنين فيكَ تجمعا وحيّ أتى و رفع دون إخفاق (5)

فالقصيدية تحاكي بشكل واضح لغة الشعراء العذريين، ولكن هذه المحاكاة لا تقوم على الاجترار والتقليد السطحي، وإنما تقوم على ملامسة وجدان المتلقي ونقل المشاعر والأحاسيس و هي تتلاقى مع قول شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية في قولها :

أحبُّكَ حُبَّينِ حُبِّ الهوى و حُبًّا لأنَّكَ أهْلٌ لِدَاكَا  
أما الَّذي هو حُبُّ الهوى فَشَغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَا (6)

و قول الشاعر عبد الحفيظ بورديم في قصيدته " غنيت المولد " ، حيث يقول :

أغنيةٌ للورى يشدو بها الوترَ و الكونُ أنشودةٌ ليلي لها نغمٌ  
من عين عاشقة ما عابها بشرٌ و الجنُّ تخضعُ إذ ترقى بها السُّورُ (7)

- 
- 1 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و أدبه " ص 273
  - 2 - لخضر ابن خلوف : " ديوان جنى الجنين في مدح خير الفرقتين " تحقيق: العربي دحو، دار هومه الجزائر، 2004 ، ص 322
  - 3 - عمر بن قينة: " الديسي حياته و آثاره و أدبه " ص 271 .
  - 4 - لخضر ابن خلوف : " الديوان " ص 326.
  - 5 - جميلة عظيمي زيدان: " أزهار اليأس " ص 27
  - 6 - إميل ناصيف : " أروع ما قيل في الزهد والتصوف " ص 140
  - 7 - عبد الحفيظ بورديم : " ينابيع الحنين " ص 09

وعند تأمل هذين البيتين نلاحظ مدى تداخلهما مع شعر قيس بن الملوح، خاصة من خلال استدعاء شخصية أليلى، والتي ترمز إلى النبي ﷺ.

و كذلك قول الشاعر مصطفى الغماري في قصيدته " مناجيات ":

و دَقَّتْ تَرَقَّتْ ذَا شَجْوٍ وَ شَجْوِيْنُ  
بَأْمُرٍ.. وَ كَانَ الْأَمْرُ بِحَرْفِيْنِ (1)

فهو في هذا البيت يتناص مع ابن الفارض في قوله في تائيته:

فَذَا نَفْسُهُ رُقَّتْ إِلَى مَا بَدَتْ بِهِ      وَ رُوْحِي تَرَقَّتْ الْمَبَادِي الْعَلِيَّةِ (2)

يتجلى في بيت الغماري التأثير واضحاً ، بحيث يستلهم التجربة الفارضية ، و هي تجربة تبرز الترقى في سلك المقامات ، حيث الرحلة إلى مقام الحبيب.

و كذلك قول الغماري :

جَنَّتْ مَرَايَا حِينَ تَدْعُوكَ بِأَسْمَهَا      لَجُنُونِ الْحَادِثَاتِ بِرَسْمَهَا (3)

فهنا يتناص مع ابن الفارض في قوله :

بِمِرَاةِ قَوْلِي ، إِنَّ عَزَمْتُ أَرِيكَهَا      فَأَصْنَعُ لِمَا أَلْقَى بِسَمْعِ بَصِيرَةٍ (4)

فالشعراء حاولوا أن يكونوا فاعلين أشد وفاء للقوائد التقليدية ، باعتبارها النموذج الأصلي فنجدهم يبدعون بالنسيب ثم المدح بما فيه الصفات الخلقية و الخلقية و ذكر معجزاته ثم الختام بالتوسل و الشكوى و طلب الرحمة و العفو و الصفح. و خير من نجدهم يقلدون التراث القديم ممن يتزعمون طرق صوفية بحكم أنهم يعيشون في التراث الثقافي و الأدبي القديم يستمدون منه أساليبهم.

ب - 2- تناص مع الشعر الحديث : فشعراء العصر الحاضر لم يخرجوا عن المضامين التي سبقت إليها الكتابة الصوفية التي وفرت لهم إمكانات القول .

من صورته في الشعر الجزائري الحديث ما نجده في قول الديسي في قصيدته " النفحات العنبية في مدح خير البرية ":

عَيْنُ الْوَجُودِ مَمْدُ الْخَلْقِ قَاطِبَةً      وَ الْكَامِلُونَ لَهُمْ مِنْهُ الْكَمَالَاتُ

1 - مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 90

2 - ابن الفارض: " الديوان " ص 55

3 - مصطفى الغماري : " دوح في مواسم الأسرار " ص 89

4- ابن الفارض : " الديوان " ص 55

5- عمر بن قينة: " الديسي حياته و أدبه " ص 271



مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَحْمُودُ سِيرَتُهُ      وَرَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْخَلْقِ مُهْدَاةٌ (1)

فالشاعر يتناص مع شكيب أرسلان في تائيته التي يقول فيها :

عَيْنُ الْوَجُودِ اللَّامِعِ النَّوْرُ الَّذِي      مَا لَاحَ مِثْلَ سِنَاهُ لِلْأَعْيَانِ  
هُوَ الْأَحْمَدُ الْمَحْمُودُ مَنْ فِي      كَنَفِ الْوُجُودِ تَشْرَفَ الثَّقَلَانِ (2)

كما نجد الشاعر محمد بن سليمان يتناص مع عامر محمد بحيرى الصفات الخلقية و الخلقية في قوله :

ضوءٌ كسأه ، و وسعَ زادهُ شرفاً      مَنْ فَوْقِهِ وَقْرَةٌ سُودَاءٌ تَرْوِي لَنَا  
أشعةٌ مِنْ خُدُودِ الْحُسْنِ لِامِعَةً      عِنْدَ الْلِقَاءِ مَلَأَتْ الْعَيْنَ لَمَّا دَنَا (3)

يقول عامر بحيرى في ملحمة " أمير الأنبياء " :

جَمِيلَ الْوَجْهِ ، وَضَاحَ الْمُحْيَا      كَأَنَّ جَبِينَهُ بَدَرَ التَّمَامِ  
تَسِيلُ بِوَجْهِهِ لِلْحُسْنِ شَمْسٌ      فَيُشْرِقُ عِنْدَ خَالِكَةِ الظَّلَامِ (4)

و هذا التداخل النصي بين البيتين واضح جدا و خاصة في الشطر الأول من البيتين ، فيكفي للقارئ استخلاصه.

و كذلك قول الشاعر قدور رحمانى في قصيدته " أقبلي " :

أَقْبَلِي حَتَّى أَمَلَأَ الْقَلْبَ دُرًّا      نَبْوِيًّا وَ أَقْحُونًا وَ نَخْلًا  
أَقْبَلِي مِنْ كُلِّ الْمَنَاطِقِ صَحْوًا      وَ غُيُومًا وَ دَهْشَةً تَتَجَلَّى (5)

فهو يتناص مع قول الشاعر محمود إسماعيل في قصيدته " أنت دير الهوى " :

أَقْبَلِي كَالصَّلَاةِ رَقْرَقَهَا النَّسْدُ      كَ بِمُحْرَابِ عَابِدٍ مِتْبَتِلِ  
أَقْبَلِي أَيْةً مِنْ اللَّهِ عَلِيًّا      زَقَّهَا لِلْفُنُونِ وَحْيٌ مَنْزَلِ  
أَقْبَلِي فَالْجَرْحُ ظَمَانٌ ! وَ كَأْسُ الْ      حَبِّ تَكْلَى ! وَ الشَّعْرُ نَايِ (6)

فكلا الشاعرين يدوران حول معنى الانتظار، فانتظار قدور رحمانى انتظار للذات المحمّدية التي تشرق النفس لرؤيتها ، أما انتظار محمود إسماعيل فهو انتظار الكلمة

1 - شكيب أرسلان: " الديوان " مطبعة النار ، مصر ، دط ، 1935 ، ص 146 .

2- عبد الله الركيبى: " الشعر الدينى الجزائري الحديث " ص 54 .

3- عامر بحيرى: " أمير الأنبياء " مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1954 ، ص 24 .

4 - قدور رحمانى : " ثروة عمرى " ص 128

5 - محمود حسن إسماعيل: " هكذا أغنى " ص 72 .

6 - محمود حسن إسماعيل: " ديوان قاب قوسين " دار العروبة ، القاهرة ، ط1 ، 1964 ، ص 05

التي تريح لها النفوس ، فالشاعر لا يلقى راحته و سكينته إلا في كتابة الشعر الروحي الصافي فهو يرى أن الشعر لا تكتب إلا حالة صفاء الروح .

كما نجده يتناص مع الغماري في قصيدته " قاب قوسين " التي يقول فيها :

قد وصلنا ..لم تكذُ! ! فاقتربي  
من ضفافِ النورِ ، في قاعِ الصُّدورِ  
قابَ قوسَيْنِ ... بلَى! !  
إنَّا على قابِ قوسَيْنِ ، من ضحَى المَرَسَى الأخيرِ.(1)

فهنا تناص مع الغماري في قوله:

دنوتُ شفاهاً ظامئاتٍ و عَيْنينِ      و هَمْتُ على أنفاسِهِ قابَ قوسينِ  
فدون اللقاءِ صعبَ تنهدُ جدرانُ      و دونَ الوصالِ العذبُ تنقُذُ قضبانِ (2)

فالتناص في البيت الأول في قوله " قاب قوسين" ، فمحمود حسن إسماعيل لم يقصد الوصول إلى مقام القطب المحمدي ، بل غايته هو التحرر من قيد العلم الأرضي و الوصول إلى السماوي حيث الروح تتمسك بالنورانية ، أما الغماري فقد كان رغبته وصول مقام الكمال وهو في حديثه هذا حالة الإتحاد في ذاته <sup>عَلَى الشَّعْرَانِ</sup> ، و التناص الثاني في قوله " دون اللقاء " و كذلك قوله دون الوصال" فهو هنا يتناص محمود حسن إسماعيل في قوله " قد وصلنا " و " اقتربي" فكلاهما يعطيان مفهوم للوصول و تحقيق الغاية المنشودة للصوفي ، حيث نجده يعطي لمفهوم الوصول مفهوما بمعنى الاقتراب ، أي وصول إلى بدء لا نهاية .

و في الأخير يمكن القول أن الشاعر الحدائي و المعاصر استطاع معانقة النصوص القديمة و يغرف من معانيها و يبدع فيها دلالات جديدة و مكثفة ذات أبعاد متعددة تتواءم مع مطامح الأنا الصوفي ، و هي في جميعها تتساقق مع بعضها البعض فمرة يكون تناصا اجتراريا مرة تناصا تأويليا و أخرى تناصا فنيا مَّا يستلزم استنباط النص الحاضر للعثور على إحياءات النص الغائب .

1 - محمود حسن إسماعيل: "ديوان قاب قوسين" دار العروبة ، القاهرة ، ط1، 1964 ، ص 05

2 - مصطفى الغماري: "دوح في مواسم الأسرار" ص 90 .

خاتمة

## خاتمة:

عالجت هذه الدراسة شعر التصوف بمفهومها العام و الحقيقة المحمّدية بمفهومها الخاص و يندرج تحت هذا الاتجاه كلّ شعر مشبع بالروح الدينية و المعاني الفلسفية ، و قد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج لا تمثل كشفاً في حدّ ذاتها بقدر ما تمثل إسهاماً مقتضياً وهي:

- إن ما وصل إلينا من الشعر في الحقيقة المحمّدية ذات الطابع الصوفي الخالص قليل وإن أشارت المصادر إلى كثرته ، إذا ما قارناه بالشعر المعاصر ذو النزعة الدينية و الاجتماعية عازفين لحن الفراق و الانفصال.

- إن المطلع على إنتاج الشعراء سيلقي حقيقة وجودية كونية كانت و لا تزال فتحة جديداً أمام الفكر الإنساني و ميداناً لأقلام الكاتبيين ، و أسّلات ألسن الباحثين ، و منهلاً لأفكار عباقرة المفكرين و مورداً لرواد المعرفة من أفاض المؤلفين .

- قامت الذات الشاعرة مقام الوارث فكانت في كلّ حقبة تأخذ مفهوماً جديداً ففي بعدها الإسلامي أخذت مفهوم سطحي عند شعراء المديح ففي العصر الجاهلي و الإسلامي كانت المثال الذي يحتذي به طريق المحبة الإلهية ، خاصة و أنه عصر كانت فيه الذات الشاعرة في حنين دائم إلى حقيقته صلى الله عليه وآله و صفحه و عفوه و سماحته و مروءته ، فتحققت بها اللقاء معها أما في العصر الأموي و العباسي فقد اتخذت شكلاً آخر أخذت تتجه نحو منحائها الصوفي كالحديث عن الخلافة ، و الإمامة ، و الولاية ، و القطبية متخذين منها منطلقاً لبيّنوا عليه نظريتهم ، و مع انتشار النظريات الفلسفية و كثرة التأثير بها اصطلاح عليها بنظرية الفيض " و " التجلي " ، فرأى فيها الحلاج سراجاً ورأى فيها البسطامي معرفةً و خلاصاً و رأى فيها النّفري مهدياً قادماً من السّماء لقيادة ثورة على الظلم و الظلام ، ورأى فيها السّهوردي إشراقاً و نوراً و طاقة تمدّ الوجود بالحياة ، و رأى فيها ابن عربي إنساناً كاملاً مقرباً من الألوهية ، و رأى فيه الجيلي صورة العالم و ما فيه ، لتعود إلى مصطلحها الصوفي " القطب " مع انتشار الطريقة في العهد العثماني لتقوم بدور اجتماعي تغييري ريادي ، و هو بناء مجتمع فاضل .

- و محبتهم للحبيب محمّد صلى الله عليه وآله شغلت قلوب الكثير و ألهمتهم فباتوا بنارها ملتهبين فوصفوها بأعلى ما يوصف به موصوف و أجادوا إجابة بارعة فيها ، لكن هذا لا يعدّ غلواً و لا مبالغة في ميزان أهل القلوب متى قامت الذات الصوفية بالقلب للقلب لأنّها لا تكون في عداد نفسها ما لم تتحكم فيها إرادة الحقّ ، فنقلوا لنا بصدق عن هذا الشوق أفضى بهم إلى أعماق التجربة العرفانية الباطنية .

- ففي الشعر الحديث ظلت حقيقته عالمه بنفس القوة و التصور ، ففي بعدها الظاهري اتخذت طابعا أخلاقيا متمثلة في الكمال الذي تستمد منه الأجيال في أعصرها المختلفة فكانت حقيقته عالمه نورا يضيء القلوب و الأبصار و الأفئدة ، فقد بلغ الرسالة و أدى الأمانة و أوضح السبيل و أنار الطريق و بين الصراط المستقيم ، فبالرغم من تلك الظروف التي أحاطت بالشعر إبان فترة الاستعمار ، خاصة و أنه عصر ساد فيه الظلم و الفساد مما جعلهم يركزون على أهداف الرسالة السامية ، فطغ شعورهم بالتصوير النوراني الصادق رابطين ذلك بظروفهم الاجتماعية و السياسية و الحضارية فهو عالمه الحقيقة الكبرى للإنسانية . تلك الظروف إلا أن الشعر الحديث لم يستسلم للانهازم و التراجع فجاءت قصائدهم صورة عاكسة للوضع السائد فوجدوا فيه عالمه الرحاب التي يمكن أن يسكنوا إليه فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة يتألمون من جروحها النازفة متخذين من حقيقته عالمه نبراس ينير الدرب ، و يطفى الكرب . إلا أن الشعراء لم يستسلموا للانهازم و التراجع فجاءت قصائدهم صورة عاكسة للوضع السائد ، إذ وجدوا فيه عالمه الرحاب التي يمكن أن يسكنوا إليه فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة يتألمون من جروحها النازفة متخذين من حقيقته عالمه نبراس ينير الدرب ، و يطفى الكرب . إلا أنّ بعض الشعراء تعذر عليهم البوح بهذه الحقيقة فجاءوا بالسطحي منها كما وقفوا على الظاهر و حدود الشرع خوفا ما تعكسه هذه الباطنية من خلاف ، وهذا ما فرض وجوده في التيار الإصلاحي باسم الوطنية خاصة في الفترة الاستعمارية كالشاعر بلقاسم بن منيع و محمد العيد آل خليفة . أما بعد الاستقلال فقد زكته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انسياقا وراء الخطاب السياسي التي فتحت الطريق أمام النقاد لمهاجمة أعداء التصوف و قطع الطريق على كتابه استجابة للمقياس الشرعي .

- أما في بعدها الباطني فقد حرص الشعراء المحدثين على تلك العلاقة القائمة بين الإنسان و أصله أي بين الإنسان الكامل و الإنسان الحيوان كما يطلق عليه معظم الصوفية باعتبارها عينه و نفسه ، ثم تبلورت إلى نظرية فلسفية ذات طابع أسطوري عند شعراء التصوف الخالص ، فكان حديثهم عن حقيقته لاكتشاف معنى الكون و الوجود فصورته عالمه صورة لكل مخلوق ، لأنها تفترض في الإنسان بطولته و قدرته على التغيير الجذري الشامل وكان الدافع إلى ابتكارها هو الارتقاء إلى مرتبة خلافة الإنسان الله في الأرض فحقيقته عالمه رحلة لا تنتهي مادام سرّها الكون المكتنز بالخفايا الذي لا تتوقف أسرارها و ألغازه ، فهو السرّ في الكون و لغز الدنيا منذ خلق إلى يوم البعث

- أما في بعدها الباطني في الشعر المعاصر فلا تكاد تكون همسات نرفها القلم تعبيرا عن ثورة مكبوتة ضد الاستبداد و الطغيان ، و تعاسة الواقع و بؤس الحياة و حزن مكتوم حاقت به الآمال في لحظة الشوق تعويضا لما افتقده من راحة و سكينه في الواقع المعيش فانطلقوا منها كفكرة للخلاص من العالم المادي إلى عالم الأبدية و اقتداء به للخروج من ويلات العصر ، دون البوح بالسرّ المصون ، حيث المنبع الصافي و الروح الأصلية و الذات الحقّة باعتبارها رمزا للكمال البشري و الإتحاد بالمطلق لتنتقلهم من واقع الهزيمة إلى واقع أكثر إشراقا و نصارة .

- أما الدراسة الجمالية للقصيدة الصوفية الحديثة و المعاصرة كانت لها قدراتها التعبيرية و تقنياتها الإبداعية الخاصة بكلّ شاعر ، فقد استطاع الشاعر الصوفي أن يفجر كلّ التراكمات اللغوية و الدلالية الرامزة التي كسا بها خطابه الصوفي ، فعلى مستوى التركيب اللغوي فقد برع الشعراء في اختيار التراكيب اللغوية التي بمقدورها إبراز الطاقات الإيحائية لمفرداته و إمكانيته في تحويرها و إيصالها بأسلوب جمالي ، وعلى المستوى الرمزي فقد أحاطوا تجاربهم و أسرارهم بالتستر و الكتمان فلجئوا إلى الرمز و ذلك لصرف الناس عمّا تكنه أعماقهم ، فالإيحاء بالفكرة بتعبير غير صريح لإحداث أعظم درجة من الانفعال ، كما أكثر الصوفيون من توظيف الصور البيانية في أدبهم لخدمة أفكارهم من حيث تزيينها و تجميلها ، وتوصيلها القدرة على إبراز المعاني عند الصوفيين إلى كون البيان الصوفي بياناً فكرياً ، يتسم بالعمق والبعد ، حيث ينشغل الصوفيون بالمضمون أكثر من انشغالهم بالشكل لم يغرقوا نظمهم في ألوان البديع خاصة في الشعر المعاصر ، لأنّ القصد لم يكن فنياً أو تعبيراً عن تجربة وجدانية وجودية ، بقدر ما كان ميلاً إلى نشر محاسن الحبيب ، ذلك أنّ البلاغة الصوفية بلاغة مضمون وفكر لا لفظ ، وبيانهم بيان معنى لا زخرف.

- كما ألفينا القصيدة الجزائرية الحديثة و المعاصرة تسير على وثنبات متعددة ، حسب حالة الشاعر الصوفي ، فتارة كانوا يستوحون مادتهم الإبداعية ورؤيتهم الإسلامية من القرآن الكريم أولاً ، و الحديث النبوي ثانياً ، فالسنة النبوية الشريفة ثالثاً و ساروا كما سار أسلافه من شعراء القدماء و المحدثين ، باعتباره المرجعية الأصلية ، و قد تراوحت قدرات الشعراء في التعبير عن حقيقته صلى الله عليه وسلم بقدر تفاوت العصور الأدبية و المواهب الشعرية بين شاعر و آخر و بين تيار و آخر ، حيث ظهر أثر الأولى في المحافظة على البناء القديم و التزام أجزائه على حين بدا أثر الثانية في مضمون هذا البناء ، حيث شكلت لنا أرضية معرفية واسعة الثقافة ، و ذلك بعودتنا إلى تعقب أسرار الوجود فهم آمنوا بهذه الفكرة و عاشوها بأفكارهم ونوازعهم في قالب برهاني فلسفي ، فأغنوا رؤيتهم الشعرية و حققوا في شعرهم ديمومة التوهج بما حفل به التراث العربي الإسلامي ، و عبّروا من خلاله بالأساليب التي عرفت في هذا التراث.

و أخيراً يمكن القول أنّ حديث الشعراء عن حقيقته صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث و المعاصر قد أعطوه حقّه من النّظم ، فقد وقفوا على الشخصية المحمّدية بما يستحق من الاحترام و التقدير ومهما قيل عن حقيقته يبق القلم قاصراً عن استجماع جوانبها ، فعلى الرغم من التصريح بها إلاّ أنّها تبقى قاصرة أمام المثال الحيّ للكمال الإنساني ، باعتباره عنصر أساسي في الحركة الاجتماعية و الحضارية و السياسية و الثقافية و الدينية ، فافتخروا به و بآل بيته و استنجوا به من ظلمات الجاهلية و من أهوال التطاحن على الحكم، فهي حقيقة حملها عبد الله و أمانة رضوان الله عليهم إلى العالم من خلق الله و ما أعظمها من حقيقة ، ما أعجزها من بينة. فالشعرية الصوفية الجزائرية الحديثة و المعاصرة حققت وجودها في مغايرتها للقوانين و الأنماط التعبيرية بمستوياتها ، في الثقافة النقدية المعروفة فجاذبية الانبهار أمام هذه الحقيقة و هذا النموذج الإنساني الجامع للبطولة و القداسة و الكليّة هي التي استدعت هذا النوع من الشعر لملامسة الواقع الكوني و الاتحاد به و الحلول فيه.

# قائمة المصادر والمرجع

## - قائمة المصادر و المراجع:

### - المصادر:

- 1 - القرآن الكريم: برواية ورش.
- 2- النيسابوري أبي عبد الله الحاكم: "المستدرک علی الصحیحین مع التلخیص" ج 2، ج 3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، دت.
- 3- أبازید صابر: "لویس ماسینیون و جهوده فی الفکر العربی الإسلامي" دار الوفا للطباعة و النشر ، الإسكندرية ، ط 1، 2004.
- 4- ابن الأثیر (عز الدین علی) : "أسد الغابة فی معرفة الصحابة" دار إحياء التراث العربی ، بیروت ، ط 1، 1989 .
- 5- ابن تیمیة (أحمد عبد الحلیم): "قاعدة جلیلة فی التوسل و الوسيلة" ، المکتب الإسلامي بیروت ، 1978 ، ط 2.
- 6- "فقه التصوف" تعلیق الشیخ زهیر شفیق الكبی ، دار الفکر العربی، بیروت ، ط 1، 1993.
- 7- "الفتاوی" المجلد السابع ، ج 11، جمع و تحقیق: عبد الرحمن بن محمد قاسم ، کتاب الإیمان، ط 1 ، 1382هـ .
- 8- "النّبوات" دار الكتاب العربی ، بیروت ، ط 1، 2005.
- 9- ابن خلدون ، عبد الرحمن : "تاریخ ابن خلدون" المجلد 7، دار الكتب العلمية بیروت ، ط 1، 1992.
- 10- "المقدمة - کتاب العبر و دیوان المبتدأ و الخبر فی أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوی السلطان الأكبر" دار الكتب العلمية ، بیروت، ط 1، 2002.
- 11- ابن خلدون ، یحیی: "بغیة الرواد" مجلد 2، تحقیق: ألفرید بال مطبعة فونطانة ، الجزائر ، ط 1، 1911.
- 12- ابن رشیق القیروانی (أبوعلی الحسن): "العمدة فی محاسن الشعر و آدابه و نقده" ج 1، تحقیق : محمد محیی الدین عبد الحمید ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط 3، 1963.
- 13- ابن سیّد الناس: "منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ" أورثاه "تحقیق: عفت وصال حمزة، دار الفکر ، سوريا، ط 1، 1987 .
- 14- ابن عربی (محیی الدین): "الفتوحات المکیة" تحقیق: عثمان یحیی الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 2، 1985.
- 15- "الإنسان الكامل أو القطب الغوث" تألیف: محمود محمد الغراب ، دار الكتاب العربی ، دمشق ، ط 2 ، 1990.
- 16- "فصوص الحکم" التعلیق: أبو العلا عفیفی، دار الكتاب العربی ، بیروت ، ط 2 ، 1980.
- 17- "شجرة الكون" تحقیق: ریاض عبد الله ، دار القلم بیروت ، ط 2 ، 1985.



- 18- " الخيال بين عالم البرزخ و المثال " تأليف: محمود محمد الغراب ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ط2 ، 1984.
- 19- " الدرة البيضاء " تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة محبولي ، القاهرة ، ط 1 ، دت.
- 20- " ذخائر الأعلام في شرح ترجمان الأشواق " دار للطباعة و النشر ، بيروت ، دط 1981.
- 21- " رسائل ابن عربي " وضع حواشيه : محمد عبد الكريم النّمري دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2004.
- 22- " لوازم الحبّ الإلهي " تحقيق: محمد فوزي الجبر ، دار نمير للطباعة و التوزيع و النشر ، ط 1 ، 1998.
- 23- أبكار السقاف : " الحلاج أو صوت الضمير " رامتان للنشر و التوزيع، القاهرة ط 1 ، 1995.
- 24 - أبو ريان ، محمد علي: " أصول الفلسفة الإشراقية " دار النهضة العربية القاهرة ، ط 1 ، 1978.
- 25- أبو العدوس ، يوسف: " البلاغة و الأسلوبية - مقدمات عامة " الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1999.
- 26- أبو قاسم سعد الله : " تاريخ الجزائر الثقافي " المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ج 2 ، 1985.
- 27- " عبد الكريم الفكون شيخ الإسلام " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1986.
- 28- أجهر عبد الحكيم : " ابن تيمية و استئناف القول الفلسفي في الإسلام " المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، 2004.
- 29- الأحمدى (محمد أبو النور): " الأحاديث القدسية " مطابع الأهرام ، القاهرة ، ج 1 ، ط 6 ، 1986.
- 30- إخوان الصفا : " رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء " ج 3 ، ج 4 ، تقديم: عليوش عبود المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، دط ، 2007 .
- 31- أدونيس(علي أحمد سعيد): " الصوفية و السورالية " دار الساقى ، بيروت، ط 1 1992.
- 32- " صدمة الحداثة " دار الفكر ، بيروت ، ط 5 ، 1986.
- 33- الأصفهاني ، أبو الفرج : " الأغاني " ج 4 ، دار الكتب المصرية ، بيروت، دط ، دت.
- 33- الأصفهاني ، صائن الدين : " تمهيد القواعد الصوفية " دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط 1 2005.
- 34- الألباني ، محمد ناصر الدين : " سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعية و أثرها السيئ في الأمة " مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط 1 ، 1992.
- 35- إميل ناصيف : " أروع ما قيل في المديح " دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1992.
- 36- أمين أحمد: " ضحى الإسلام " ج 3 ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ، ط 10 ، دت.
- 37- إبراهيم أنيس : " موسيقى الشعر العربي " دار القلم ، بيروت ، ط 4 ، 1972.
- " الأصوات اللغوية " مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2 1971.

- 38- بدوي ،عبد الرحمن:" الإنسان الكامل في الإسلام " وكالة المطبوعات ، الكويت ط2 ، 1976.
- 39- " تاريخ التصوف الإسلامي " وكالة المطبوعات ، الكويت دط ، 1978 .
- 40- بدوي الطاهر:" رسالة إلى لييب " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1989
- 41- برونو، إتين:" الأمير عبد القادر الجزائري " ترجمة :ميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1997.
- 42- البلتاجي (محمد الأنور أحمد) : " الله توحيد ووحدة " دار التوفيق النموذجية للطباعة و الجمع الأولى ، جامع الأزهر ، ط1، 1986.
- 43- بلقاسم خالد : " الكتابة و التصوف عند ابن عربي " دار طوبقال ، الدار البيضاء ط1 ، 2004.
- 44- بلعلى آمنة: " الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي " منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2001.
- 45- " أثر الرمز في بنية القصيدة العربية ، المعاصرة " ديوان المطبوعات الجامعية ، دط ، 1915.
- 46- " تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة " منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2002 .
- 47- بن الأشعث (أبو داود سليمان): " كتاب السنن " ج5 ، تحقيق : محمد عوامة ، ط1 دار القبلة ، جدة ، 1419هـ .
- 48- بن إدريس ، عمر خليفة : " في العروض و القافية " جامعة قاريوش بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 2003.
- 49- بن بريكة ، محمد: " الكتاب الكبير في الثناء على النبيّ البشير " ج 2 ، مطبعة ديوان عين النعجة ، الجزائر ، 2008 .
- 50- " موسوعة الطرق الصوفية - الإيضاح و البين لمصطلح أهل العرفان " ج1 ، ج2، دار الحكمة ، الجزائر ، دط ، 2007.
- 51- بن الحجاج ، أبو الحسن:" صحيح مسلم " تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1955.
- 52- بن خليفة مشري:" القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر " منشورات الإختلاف ، ط1 2006.
- 53- بن رشيق القيرواني ( أبو علي الحسن ):" العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج1 ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط3 ، 1963.
- 54- بن سميّة ، محمد: "محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، 1992.
- 55- بن عبّيد ، ياسين:" الشعر الصوفي الجزائري المعاصر " الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ، دط ، 2007.
- 56- بن عاشور الطاهر:" التحرير و التنوير " الدار التونسية للنشر، دط 1984.

- 57- بن عمارة ، محمد: " الشعر و التصوف - الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر " شركة النشر والتوزيع ، المغرب ، ط 1 ، 2001 .
- 58- بن قينة عمر: " الديسي حياته و أدبه " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر دت ، دط .
- 59- بودواية بلحيا: " التصوف في بلاد المغرب العربي " دار القدس العربي ، وهران ط 1 ، 2009 .
- 60 - بوسقطة السعيد: " الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر " منشورات بونة للبحث و الدراسات ، الجزائر ، ط 2 ، 2008 .
- 61- بوقرورة ، عمر أحمد: " دراسات في الشعر الجزائري المعاصر - الشعر و السياق المتغير الحضاري " دار الهدى ، الجزائر، دط ، 2004 .
- 62- بويجرة ، محمد بشير : "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث " منشورات دار القدس العربي ، وهران ، ط1، 2009 .
- 63- البيهقي ( أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ) : " دلائل النبوة " وثق أصوله : عبد المعطي فلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، دت .
- 64- بيومي مدكور ، إبراهيم: " الكتاب التذكري - محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده " تحقيق: دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ، دط 1969 .
- 65- تركي ، إبراهيم محمد: " التصوف الإسلامي أصوله و تطوراته " دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2007 .
- 66- ترمنجهام سبنسر: " الفرق الصوفية في الإسلام " ترجمة و دراسة و تعليق : عبد القادر البلحراوي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، ط 1 ، 1997 .
- 67- التفتازاني ، أبو الوفا الغنيمي: " مدخل إلى التصوف الإسلامي " دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 3 ، 1979 .
- 68- جاد الله عبد المنعم: " التصوف في مصر و المغرب " منشأة المعارف ، الإسكندرية دط ، ، دت .
- 69- الجرجاني عبد القاهر : " دلائل الإعجاز " تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت .
- 70- الجرجاني (علي بن محمد الشريف): " كتاب التعريفات " مكتبة لبنان ، بيروت ، دط 1985 .
- 71- الجراري عباس: " الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها " مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط2، 1982 .
- 72- الجزائري ، الأمير عبد القادر: " المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار و المعارف " تحقيق : عبد الباقي مفتاح ج 1، ج 2، ج 3، دا الهدى للنشر و الطباعة و التوزيع الجزائر، ط 1 ، 2007 .
- 73- الجزار ، أحمد محمود: " فخر الدين الرازي و التصوف " منشأة المعارف ، الإسكندرية ط 2 ، دت .
- 74- " الله و الإنسان عند الأمير عبد القادر " منشأة المعارف الإسكندرية ، ط 1 ، 1999

- 72- الجمحي ، محمد بن سلام: " طبقات فحول الشعراء " ج1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، دت .
- 73- جودة ، عاطف نصر: " الرمز الشعري عند الصوفية " دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1978 .
- 74- " شعر عمر بن الفارض - دراسة في الشعر الصوفي " الأندلس بيروت ، ط2 ، 1986 .
- 75- الجيلالي ، عبد الرحمن: " تاريخ الجزائر العام " ج4 ، دار الثقافة ، بيروت ، دط ، 1982 .
- 76- الجيلي ، عبد الكريم: " الناذرات العينية " تحقيق : يوسف زيدان ، دار الجيل بيروت ، ط1 ، 1988 .
- 77- " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " دار الكتب العلمي بيروت ، ط1 ، 2004 .
- 78- " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر " تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1997 .
- 79- حَبَّار ، مختار: " شعر أبي مدين التلمساني - الرؤيا والتشكيل - " دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دط ، 2002 .
- الحداد ، عباس يوسف : " الأنا في الشعر الصوفي - ابن الفارض انموذجا " دار الحوار للنشر و التوزيع ، سورية ، ط3 ، 2009 .
- 80- حسان ، عبد الحكيم: " التصوف في الشعر العربي نشأته و تطوره حتى آخر القرن الثالث هجري " مكتبة و الأنجلو المصرية ، القاهرة ، دط ، 1954 .
- 81- حسن الجمل ، إبراهيم محمد " أبناء النبي ﷺ " دار الفضيلة ، القاهرة ، دط 1996
- 82- حشلاف ، عبد الله : "سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ﷺ " المطبعة التونسية تونس، دط ، 1929 .
- 83- الحكيم سعاد : " المعجم الصوفي " مطبعة دندرة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1981
- 84- الحلّي ، باسم: " سنة الرسول ﷺ و أجديات التحريف " دار الأثر، بيروت ، ط1 2005 .
- 85- حلمي ، محمد مصطفى : " ابن الفارض و الحب الإلهي " دار المعارف، ط3 ، دت .
- 86- " اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني " دار المعارف القاهرة ، 1963 .
- 87- حمادي ، عبد الله: " الشعر العربي بين الابداع و الاتباع " منشورات اتحاد الكتاب الجزائري، الجزائر ، ط1 ، 2001 .
- 88- حميدي خميسي : " نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط - اتجاهاته مدارس و أعلامه " الطباعة الشعبية للجيش ، دط ، 2007 .
- 89- حنفي حسن: " من الفناء إلى البقاء - الوعي الذاتي " ج2 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2009 .
- 90- حيدر أحمد: " كتاب التكوين و التجلي " دار الشمال ، طرابلس ، دط ، 1987 .
- 92- الخراساني الوحيد: " في ذكرى من كان مذهب الحق ذكراه " مدرسة الإمام باقر العلوم طهران ، ط1 ، 1328 هـ .

- 93- الخطيب ، علي: " اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج و ابن عربي " دار المعارف القاهرة ، دط ، 1404هـ.
- 94- خفاجي (محمد عبد المنعم ): " الأدب في التراث الصوفي " دار غريب للطباعة القاهرة ، دت .
- 95- "عظمة الشخصية المحمّدية - دراسات في السيرة النبوية الخالدة " الوفاء للطباعة و النشر الإسكندرية ، ط 1 ، 2002.
- 96- الخميني ، مصطفى الموسوي: " مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية "مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1، 2006.
- 97- الخنقي ، عاشور " منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف و مواليتهم من الأطراف " المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1914.
- خورشيد فاروق ، و زكي كمال أحمد: "محمد ﷺ في الأدب المعاصر" المكتب الفني القاهرة ط 1 ، 1959.
- دحومان (الشريف كمال الحسيني ): " أشرف الجزائر و دورهم الحضاري في المجتمع الجزائري" دار الخلدونية ، الجزائر ، ط 1 ، 2009.
- 98- درنيقة محمد أحمد : " معجم أعلام شعر المديح النبوي " دار مكتبة الهلال ، بيروت، ط1 1996.
- 99- الدقاق ، عمر: "الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث " مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، حلب ، ط 3 ، 1977.
- 100- الدوسري ، عائض بن سعد: " الحقيقة المحمدية أو الأفلاطونية المحدثة " المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 2007.
- 101- راشد محمد: " مسارات وحدة الوجود في التصوف الإسلامي " الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعية ، دمشق ، دط ، 2004.
- 102- راضي ، عبد الحميد: " شرح تحفة الخليل في العروض والقافية " مطبعة العاني ، بغداد ، 1968.
- 103- الراوي ، محمد: " الرسول ﷺ في القرآن الكريم " مطبوعات أخبار اليوم ، دط 1998.
- 104- الركيبي ، عبد الله: " الشعر الديني الجزائري الحديث " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 1981.
- 105- رودوسي ( قدور بن مراد ): " مجموع القصائد و الأدعية " المطبعة الثعالبية الأدبية الجزائر ، ط 4 ، دت.
- 106- زدادقة ، سفيان : " الحقيقة و السراب " قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا و ممارسة " منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2008.
- 107- زريوح ، عبد القادر : " الشعر الصوفي الملحون في شمال الغرب الجزائري " 108- زكي ، مبارك : " المدائح النبوية في الأدب العربي " منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1935 .
- 109- " التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق " منشورات المكتبة العصرية بيروت ، دت ، دط .

- 109- الزمخشري ، محمود بن عمر: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " تحقيق : عبد الرزاق مهدي ، ج4، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1، 1997.
- 110- "التشيع في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية " مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 .
- 111- زيدان ، يوسف : " الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي " دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1988.
- 112- " عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية " دار الجيل ، بيروت ، ط1 1992.
- 113- " شعراء الصوفية المجهولين " دار الجيل ، بيروت ، ط2، 1996.
- 114- زيعور علي: " العقلية الصوفية و نفسانية التصوف " دار الطليعة، بيروت ، ط1 1979.
- 115- الزيني (محمد عبد الرحيم ):" مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، دط ، 1993.
- 116- سامي مكي العاني : " الإسلام و الشعر "سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، دط ، 1996.
- 117- السعدني مصطفى : " البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث " منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دط ، 1987 .
- 118- سعيديوني ، ناصر الدين:" الجزائر في التاريخ - العهد العثماني " ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
- 119- سلطين ، وفيق : " الشعر الصوفي بين الانفصال والتوحد " مصر العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1995.
- 120- سلوم ، تامر:" اللغة و الجمال في النقد العربي " دار الحوار للنشر و التوزيع سوريا ، ط ، 1 1983.
- 121- سلوم ، توفيق:" الفلسفة العربية الإسلامية : الكلام ، المشائية ، التصوف " دار الفارابي ، الجزائر، ط2 ، 2001.
- 122- سميح عاطف الزين:" الصوفية في نظر الإسلام - دراسة و تحليل " دار الكتاب العالمي بيروت ، ط4 ، 1993.
- 123- السهروردي( شهاب الدين أبي حفص ):" عوارف المعارف " تحقيق :عبد الحليم محمود و محمود بن شريف ، ج 1 ، القاهرة ، دار المعارف ، دط ، 1993.
- 124- سيد الشيخ (عبد القادر بن محمد):" الياقوتة " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر دط، 1986.
- 125- السيد ، فؤاد صالح : " الأمير عبد القادر الجزائري شاعرا و متصوفا " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، دط ، 2007.
- 126- سيد الكيلاني ، محمد " أثر التشيع في الأدب العربي " دار العرب ، القاهرة ط 2 ، 1996.
- 127- الشرقاوي محمود : " محمد ﷺ في بشارات الأنبياء " دار مطابع الشعب القاهرة ، دط ، 1988.
- 128- شعبان ، محمد إسماعيل : " من خصائص الرسول ﷺ و شمائله " دار المريخ للنشر و الإنتاج الفني ، الرياض ، ط1 ، 1980.

- 129- شود كيفيتش علي: "الولاية و النبوة عند ابن عربي " ترجمة : أحمد الطيب دار القبة الزرقاء المغرب ، دط ، 1998.
- 130- شوفلي جان : " التصوف و الصوفية " ترجمة: عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط ، 1999.
- 131- الصابوني ، محمد علي: " صفوة التفاسير " المجلد 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1999.
- 132- " النبوة و الأنبياء " دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، دط ، دت.
- 133- صادق ، سليم صادق: "المصادر العامة للتلقي عند الصوفية " مكتبة الرشد ، الرياض ط1 ، 1994.
- 134- الصالحي (محمد بن يوسف ) : " سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد " ج1، ج2 تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مطابع الأهرام ، القاهرة ، ط1، 1997.
- 135- صبحي ، أحمد محمود: " في علم الكلام - دراسات في الفرق الإسلامية: الزيدية " ج 3 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3، 1991.
- 136 - الصديق ، محمد صالح: " محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين " ديوان المطبوعات الجامعية القبة ، دط ، 2005.
- 137- الصغير عبد المجيد : " التصوف في الفكر الصوفي المغربي كوعي وممارسة- دراسة في الفلسفة الصوفية عند ابن عجيبة " دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ط1 1999.
- 138- طارق ، عبد الحلیم : " دراسات في الفرق الصوفية نشأتها و تطورها " ط4 2001.
- 139- طعيمة صابر: " الصوفية معتقدا و مسلکا " دار العلم للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1985.
- 140- عاصي حسن: " التصوف الإسلامي مفهومه و تطوره و مكانته من الدين و الحياة " مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، لبنان ، ط 1 ، 1994.
- 141- العاملی ، جعفر مرتضى: " الصحيح من سيرة النبي ﷺ الأعظم " ج 6 ، دار الهادي ، بيروت ، ط4 ، 1995 .
- 142- عبد الرحمن محمد ، إبراهيم " قضايا الشعر في النقد العربي " دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1981.
- 143- عبد العزيز، بن عبد الله : " معلمة التصوف الإسلامي - التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي " ج3 ، مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب ، ط 1 ، 2001.
- 144- عبد المطلب ، محمد: " جدلية الأفراد و التركيب في النقد العرب القديم " الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر، ط1 ، 1995.
- 145- عبده ، صابر أبازيد: " لويس ماسينيون و جهوده في الفكر الفلسفي الإسلامي " دار الوفاء لنديا الطباعة و النشر، الإسكندرية ، دط ، 2004.
- 146- العجلوني ( إسماعيل بن محمد ) : " كشف الخفاء و مزيل الإلباس ممّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس " تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 4 1985.
- 147 - عرجون (محمد الصادق إبراهيم): " محمد من نبعته إلى بعثته " ج 1، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1995

- 148- عرفان (عبد الحميد فتاح): " نشأة الفلسفة الصوفية و تطورها " دار الجيل ، بيروت ط1 ، 1993.
- 149- عز الدين إسماعيل: " الشعر في إطار العصر الثوري " دار القلم بيروت ، 1974 ط1 .
- 150 - العسقلاني ، حافظ أحمد : " فتح الباري في شرح صحيح البخاري " تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة و النشر، دط ، دت .
- 151- عشري ، علي زايد: " استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر " دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1997 ، دط.
- 152- العطار سليمان : " الخيال و الشعر في تصوف الأندلس " دار المعارف القاهرة ، دط ، 1981.
- 153- العلاوي (أحمد بن مصطفى): " آيات المحبين في مقامات العارفين " المطبعة العلاوية مستغانم ، ط5 ، 1993.
- 154- " مفتاح الشهود في مظاهر الوجود " المطبعة العلاوية مستغانم ، ط2 ، 1982.
- 155- "المنح القدوسية في شرح المعين بطريق الصوفية " تحقيق : سعيد القواص ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط1 ، 1986.
- 156- " دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار " المطبة العلاوية ، مستغانم ، ط2، 1991.
- 157- " الأنموذج الفريد الخالص التوحيد في تفسير نقطة بسم الله الرحمن الرحيم "المطبعة العلاوية، مستغانم ، ط4، 1344هـ.
- 158- " معراج السالكين و نهاية الواصلين " المطبعة العلاوية مستغانم ، ط 2 ، 1992.
- 159- علي جعفر ، فاطمة: " الانقلاب المهول بعد وفاة الرسول ﷺ " مشكاة النور الكويت ، ط1 ، 2010.
- 160- عودة ، أمين يوسف: " تأويل الرمز و فلسفته عند الصوفية " جدار الكتاب العالمي ، الأردن ، ط1، 2008.
- 161- عون، فيصل: " التصوف الإسلامي - الطريق و الرجال " مطبعة دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة ، دط ، 1983.
- 162- العياشي: " رحلة العياشي " ج1 ، طبعة الرباط ، المغرب ، 1977.
- 163- الغزالي محمد: " الغزو الثقافي يمتد في فراغنا " الزيتونة للإعلام و النشر، دط .
- 164- غنيمي ، محمد هلال: " النقد الأدبي الحديث " دار النهضة ، الفجالة ، مصر ، ط5 1971.
- 165- الفخري ، ماجد : " تاريخ الفلسفة الإسلامية " الدار المتحدة للنشر، بيروت ، دط 1979.
- 166- فروخ ، عمر: " التصوف في الإسلام " دار الكتاب العربي ، بيروت ، دط ، 1981.
- 167- فيلالي الطاهر : " نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرها في الجزائر في العهد العثماني " دار الفن للطباعة و النشر ، باتنة ، ط1 ، 1976.
- 168- الفيومي، محمد إبراهيم : " تاريخ الفلسفة الإسلامية " دار الجيل ، بيروت ، ط1 1997.



- 169- "ابن عربي صاحب الفتوحات المكية" دار المصرية اللبنانية ، بيروت ، دط ، 1997.
- 170 - قاسم محمد عباس: " الحلاج أو الأعمال الكاملة " رياض الدين للكتب والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2002.
- 171- القاعود ، حلمي محمد : " محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث " دار الوفاء للطباعة و النشر القاهرة ، ط1، 1987 .
- 172- قسوم ، عبد الرزاق : " عبد الرحمن الثعالبي والتصوف " الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1978.
- 173- القشيري أبي قاسم عبد الكريم: " الرسالة القشيرية في علم التصوف " تحقيق :عبد الحليم محمود ، ج 1 ، ج 2 ، دار الكتب ، القاهرة ، دط ، دت.
- 174- القصير ، عبد العزيز : " عقيدة الصوفية - وحدة الوجود الخفية " مكتبة الرشد الرياض ، ط1 ، 2003.
- 175- القلموي سهير: " أدب الخوارج في العصر الأموي " مطبعة لجنة التأليف و الترجمة القاهرة ، ط1 ، 1945.
- 176- القماح خديجة و محمد علي أحمد : " رابعة العدوية " مكتبة رجب ، القاهرة ، ط 2 1983.
- 177- القيسي (أبي رياش أحمد بن إبراهيم) : " شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي " تحقيق: داوود سلوم ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1986.
- 178- الكاندهلوي محمد إدريس: " التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح " ج 2 مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ط1، 1354هـ .
- 179- الكلابادي ( أبو بكر محمد بن إسحاق ) : " التعرف لمذهب أهل المتصوف " ضبطه و علق عليه :أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1993.
- 180- كوهن جون: " بناء لغة الشعر " ترجمة إحمد دروسي ، دار المعارف ، مصر ط3 ، 1993.
- 181- لنجر، مارتن: " الشيخ العلاوي " ترجمة: إسماعيل السّوافي ، بيروت ، دط ، 1972.
- 182- ماسينيون لويس ، و بول كراوس : " أخبار الحلاج " مطبعة القلم ، باريس ، 1936.
- 183- ماسينيون لويس ، ومصطفى عبد الرزاق: " التصوف " ترجمة :إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1984 .
- 184- مؤنس حسين: " الصحابة من الأنصار " دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة، ط1 1989.
- 185- محمد شرف، جلال: " دراسات في التصوف الإسلامي " دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، دت.
- 186 : التصوف الإسلامي مدارسه و نظرياته " دار العلوم العربية بيروت ، ط1 ، 1990 .
- 187- محمد شرف ، محمد: " دراسات في الحضارة الإسلامية " ج1، ترجمة : أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2، 1996.

- 186- محمد شرف ، ياسر: " الوحدة المطلقة عند ابن سبعين " وزارة الثقافة للعلام  
الجمهورية العراقية ، دط ، 1981.
- 187 - محمود ، عبد القادر : " الفلسفة الصوفية في الإسلام " دار الفكر العربي ، دط دت .
- 188- مرحبا عبد المؤمن : " من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية " الجزائر، ط3  
1983.
- 189- مطهري ، مرتضى : " الإنسان الكامل " ترجمة جعفر الصادق الخليلي  
مؤسسة البعثة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 2 ، 1992.
- 151- مسلاتي ، ميسون: " قراءة معاصرة لأفكار ابن عربي " دار أفطة للنشر  
و التوزيع ، حلب ، ط1، 1997.
- 152- المغربي (علي عبد الفتاح): " الفرق الكلامية الإسلامية - مدخل و دراسة - " مكتبة  
وهيبة ، القاهرة ، ط 2 ، 1995.
- 153- المغناوي ، سعيد : " شخصية الرسول ﷺ بين تصوير الوحي و تصورات  
الدارسين " ترجمة الحاج أحمد الإدريسي ، ج2، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2008.
- 154- المقالح ، عبد العزيز: "الشعر بين الرؤيا و التشكيل " دار طلاس للدراسات  
و الترجمة و النشر، ط2 ، 1985.
- 155- المقري ، أحمد : " نفع الطيب " ج5 ، تحقيق إحسان عباس ، دار  
صادر بيروت ، دط ، 1968.
- " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " ج4 ، الرباط  
1978 ، دط.
- 156- المكي ، محمود علي: " المدايح النبوية " الشركة المصرية للنشر، القاهرة ، ط1  
1991 .
- " التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية " مكتبة  
الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2004 .
- 157- منصف ، عبد الحق: " الكتابة و التجربة الصوفية - نموذج محيي الدين بن عربي "  
منشورات عكاظ ، ط1 ، 1988.
- 180- منصور ، إبراهيم محمد: " الشعر والتصوف - الأثر الصوفي في الشعر  
العربي المعاصر " المكتبة الوطنية الجزائرية ، دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع ، ط1  
1999.
- 181- ميشيل هارت : " لماذا محمد ﷺ هو الأعظم ؟ " تمهيد : أحمد ديدات  
ترجمة رمضان الصفتاوي ، مؤسسة الأهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة، 1998.
- 182- نازك الملائكة : " قضايا الشعر المعاصر " منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط2  
1962.
- 183- النبهاني يوسف : " المجموعة النبهانية في المدايح النبوية " ج1، ج2 ، ج3 ، ج4 ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1996.
- 184- " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " ضبطه: عبد الوارث محمد  
علي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003.
- نبهان عبد الإله و عبد اللطيف الراوي : " تراث الحلاج - أخباره ، ديوانه ، طواسينه " دار  
الذاكرة ، حمص، ط1 ، 1996 .

- 185- النجار عامر: " الطرق الصوفية في مصر نشأتها و نظمها و روادها " دار المعارف ، القاهرة ، ط 5 ، دت .
- 186- ناصر ، محمد: " منتخبات من شعر الأمير عبد القادر الجزائري " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 1 ، دت .
- 187- النشار ، علي سامي : " نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام " ج 3 ، دار المعارف ، ط 1 ، 1969 .
- 188- نصر حامد أبو زيد: " فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي " دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت ، ط 1 ، 1983 .
- 189- النّفري ، محمد : " المواقف و المخاطبات " تحقيق: آرثر أريري ، تقديم عبد القادر محمود الهيئة المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1985 .
- 190- النويهي ، محمد: " ثقافة نقاد " لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهر محمد النويهي ، ط 1 ، 1949 .
- 191- نور الدين ، عبد السلام : " الحقيقة و الشريعة في الفكر الصوفي - قراءة في نصوص الحلاج و الغزالي " دار كنعان للدراسات و النشر، دمشق ، ط 1 ، 1992 .
- 192- النووي ، (الإمام محيي الدين بن زكريا) : " شرح صحيح مسلم " تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل ، ج 2 ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 .
- 193- نيكلسون ، رينولد : " في التصوف الإسلامي و تاريخه " - هدارة محمد مصطفى: " الشعر في صدر الإسلام و العصر الأموي " دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1925 .
- 194- الهرفي ، محمد بن علي : " مدائح الرسول ﷺ و مراثيه في عصره " مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 2005 .
- 195- هنري كوبان : " تاريخ الفلسفة الإسلامية " ج 1 ، ترجمة ، نصيرة مروة منشورات عويدات ، بيروت ، 1966 .
- 196- هيكل ، محمد حسين : " حياة محمد ﷺ " ج 2 ، تقديم : بيدي عثمان ، موفم للنشر، الجزائر، ط 1 ، 1994 .
- 197- هيمة ، عبد الحميد : " الخطاب الصوفي و آليات التأويل - قراءة في الشعر المغاربي المعاصر " موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2008 .
- 198- "علامات الإيداع الجزائري - دراسة نقدية " رابطة أهل القلم سطيف سطيف ، ج 1 ، ط 2 ، دت .
- 199- الواقدي (محمد بن سعد): " الطبقات الكبرى " ج 2 ، دار التحرير للطبع و النشر القاهرة ، ط 1 ، دت .
- 1- الورثلاني ( الحسين بن محمد السعيد) : " رحلة الورثلاني - نزهة الأنظار في علم التاريخ و الأخبار " تحقيق : محمد بن أبي شنب ، مطبعة بيرفونتانالشرقية ، الجزائر ، 1908 .
- 200 - اليافي عبد الكريم : " دراسات فنية في الأدب العربي " مطبوعات جامعة دمشق دمشق ، ط 1 ، 1963 .
- اليحصبي (أبو الفضل عياض): " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط 1 ، 2003 .

## - الموسوعات و المعاجم:

- 201- حمدي أيمن: " قاموس المصطلحات الصوفية " دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، 2000.
- 202- التهانوي ، محمد علي : " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم " تقديم: رفيق العجم ، ج 1 تحقيق: علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1996.
- 203- دغيم سميح: " موسوعة مصطلحات الفكر العربي الإسلامي الحديث و المعاصر " ج 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 2002.
- 205- العجم رفيق: " موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " تحقيق: علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1999.
- 206- "موسوعة مصطلحات الموضوعات في سفينة الراغب و دفيئة المطالب " تحقيق: علي دحروج ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 2000.
- 207- القاشاني ، عبد الرزاق : " اصطلاحات الصوفية " دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 ، 1971 .
- " رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأنواق و الأحوال " تحقيق: سعيد عبد الفتاح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دط ، 1995 .

## - الدواوين :

- 208- ابن عربي ، محيي الدين: " الديوان " شرح: أحمد حسن بسج ، دارالكتب العلمية بيروت ، ط 1 ، 1996.
- 209- ابن خلوف ، لخضر : " ديوان جنى الجنيتين في مدح خير الفرقتين " تحقيق: العربي دحو ، دار هومه ، الجزائر، 2004.
- 210- أرسلان شكيب: " الديوان " مطبعة النّار ، مصر ، دط ، 1935.
- 211- الأعشى الكبير: " الديوان " تحقيق: فوزي عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب بيروت ، ط 1 ، 1968.
- 212 - آل خليفة ، محمد العيد: " الديوان " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط ، دت.
- 213- الأندلسي، ابن جابر: " الحلة السيّرا في مدح خير الورى " تحقيق: علي أبو زيد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 2 ، 1985 .
- 214- الأنصاري ، حسان بن ثابت: " الديوان " شرح و تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط 1 ، 2004.
- 215- البرعي، عبد الرحيم: " الديوان " تحقيق: حافظ حسن السعودي ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ، ط 2 ، 1950.
- 216- بن أبي طالب ، علي : " الديوان " تأليف عبد الرحيم ماريني ، دار المحبة دمشق، ط 1 ، 2002.
- 217- بن التريكي ، أحمد: " الديوان " جمع و تحقيق : عبد الحق زريوح ، ابن خلدون تلمسان ، ط 1 ، 2001 .
- 218- بن الخطيب لسان الدين: " الديوان " تحقيق: محمد مفتاح، دار الثقافة ، الدار

- البيضاء ، ط1 ، 1989 .
- " روضة التعريف بالحبّ الشريف " تحقيق: محمد الكناني ج1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1970.
- 219- بن خلوف لخضر: " الديوان " تحقيق: محمد بخوشة ، مطبعة ابن خلدون تلمسان ، ط1 ، 2001.
- 220- بن رواحة ، عبد الله : " ديوانه و دراسة في سيرته و شعره " تحقيق: وليد قصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ، ط1 ، 1981.
- 221- بن زهير كعب : " الديوان " شرح و تحقيق: السكري ، دار الكتب ، القاهرة، ط1 ، 1950.
- 222- بن عاشور، قدور الزرهوني : " كنوز الأنهار و البحور في ديوان السرّ و النور " جمع و تحقيق: محمد بن عمر الزرهوني ، اصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية ، ط1 1996.
- 223- بن عبد المطلب ، أبي طالب: " الديوان " جمعه و شرحه: محمد التّونجي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1 ، 1994.
- 224- بن الفارض عمر: " الديوان " ج1 شرحه: هيثم هلال، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 2005.
- 225- بن مالك كعب: " الديوان " تحقيق: سامي مكّي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط1 ، 1966.
- 226- بن مبخوت بختي محمد : " قلب شاعر " دار المعرفة ، الجزائر ، ط1 ، 2004.
- 227- بن منيع بلقاسم: " نزهة اللبيب في محاسن الحبيب " المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، ط1 ، 1926.
- 228- بورصاص ، مسعود: " وجد و تأمل " دار القصة للنشر، الجزائر، ط1 ، 2006.
- 229- البوصيري ، شرف الدين: " الديوان " شرح و تقديم : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 2001
- 230- التلمساني ، أبي مدين : " الديوان " مطبعة الترقّي ، دمشق ، ط1 ، 1938.
- 231- التلمساني ، عفيف الدين : " الديوان " تحقيق : يوسف زيدان ، دار الشروق ج1، دت ، ط1.
- 232- الجزائري ، الأمير عبد القادر: " الديوان " جمع و تحقيق العربي دحو منشورات تالة ، الجزائر ، ط1 ، 2007 .
- 233- حفني ، ناصف: " الديوان " جمعه مجد الدين حفني ناصف ، دار المعارف القاهرة ، ط1 ، 1957.
- 234- الحلاج ، أبي منصور : " الديوان " تحقيق : كامل مصطفى الشبيبي ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط3 ، 2007.
- 235- الحلّي صفي الدين: " الديوان " دار صادر، بيروت ، ط1 ، 1990.
- 236- الخزاعي ، دعبل بن علي : " الديوان " تحقيق: إبراهيم الأميوني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998.
- 237- خمّار، بلقاسم: " الديوان " مجلد 1 ، أطفالنا للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 ، دت.
- 238- الديلمي ، مهيار : "الديوان " مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط1 ، 1925.

- 239- رجال نسيم رياض:" ديوان صخور الحنين " منشورات التفاحات ، وهران ، دط  
2007.
- 240- رحمانى، قدور:" ديوان ثروة عمري " منشورات أرتيستيك القبة ، ط1 ، 2007.
- 241- الرصافي ، معروف : "الديوان " ج1، دار العودة ، بيروت ، دط ، دت 1972.
- 242- الشبوكي ، محمد:" ديوان ذوب القلوب " الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر  
2007.
- 244- شوقي ، أحمد : " الشوقيات " ج1، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، دط ، دت.
- 245- الصديق ، أبي بكر:" الـديوان " شرح : محمد شراد حساني، حيدر  
كمال فرحان الزرقاني، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط1، 2006.
- 246- الصرصري ، يحيى : " المختار من مدائح المختار " تحقيق: محمد محمد داوود  
دار المنار، القاهرة ، دط ، دت.
- 247- عامر بحيرى : " أمير الأنبياء " مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1، 1954.
- عظيمي زيدان ، جميلة : " أزهار اليأس " موفم للنشر، الجزائر ، دط 2007.
- 248- محرم أحمد : " مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية " مطبعة الفتوح الجديدة ، دط  
1922.
- 249- محمود حسن إسماعيل:" ديوان نهر الحقيقة " الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة ، 1972.
- 250- " ديوان قاب قوسين " دار العروبة ، القاهرة ، ط1، 1964.
- 251- محمود العزى صابرة:" ديوان نفحات الإيمان" دار الحرية للطباعة ، بغداد ، دط  
1980.
- 252- المنداسي سعيد : " الديوان الشعبي " تحقيق : محمد بخوشة ، الشركة الوطنية  
للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، دت.
- 253- "الديوان الفصيح " تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية  
للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 1968.

### - الرسائل الجامعية :

- 254- بلهاشم خناثة:" الرؤيا و التشكيل في الشعر الصوفي " مخطوط رسالة ماجستير ، معهد اللغات و الأدب العربي - جامعة تلمسان ، 1990 .
- 255- بوزيان أحمد : " المنحى الصوفي في الشعر العربي المعاصر من خلال الرواد : السياب صلاح عبد الصبور ، خليل حاوي ، أدونيس ، البياتي مخطوط رسالة ماجستير- جامعة وهران، 1997-1998.
- 256 - دوقان ، وجيه لطفى طالب : " ولاية العهد في العصر الأموي 661-750م " جامعة النجاح الوطنية ، 2005.
- 258- عامر نورية:" المولديات في العصر الغرناطي - مولديات لسان الدين بن الخطيب نموذجا " مخطوطة رسالة ماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تلمسان ، 2006-2007.

- 259- فلاح ، أحمد بن إسماعيل: " العلاقة بين التصوف و التشيع " رسالة دكتوراه ، جامعة المدينة المنورة ، 1411هـ.
- 260- القيسي ، محمود شلال حسين : " شعر الحبّ الإلهي في العصر العباسي
- 261- دراسة موضوعية فنية " أطروحة دكتوراه ، اللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامي بغداد ، 2010.
- 262- كروش ، خديجة : " تناص الخطاب الصوفي و الإسلامي في ديوان أسرار الغربة لمصطفى الغماري " كلية الآداب و اللغات - قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة الحاج لحضر ، باتنة ، 2011-2012.
- مختار حبار : " الشعر الصوفي الجزائري في العهد العثماني - دراسة فنية موضوعية " مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، القاهرة ، 1990-1991.
- 257- مولاي ، ناجم : " مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي " مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الأغواط ، العدد 07 ، جانفي 2012 .

### - المجالات و الدوريات:

- 263- بورديم ، عبد الحفيظ: " الأصول و الدلالات - قراءة في معرفية الصورة الشعرية - " مجلة الوصل ، العدد 03 ، أكتوبر ، 1998 ، جامعة تلمسان.
- 265- خطّاب ، محمد : " اللغة في العرفان الصوفي " مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 06 ، 2006.
- عباسية ، محمد : " نشأة الشعر الديني عند العرب و أثره في الآداب الأوربية " مجلة حوليات التراث العدد 1 ، 2004 ، جامعة مستغانم ، الجزائر .
- 266- عزيز النصر ، عبد المنعم: " العلاقة بين الحقيقة المحمدية و الإنسان " مجلة الدراسات الأردنية ، مجلة 27 ، عدد 02 ، 2000.
- 267- عفيفي أبو العلا: " نظريات الإسلاميين في الكلمة " مجلة كلية الآداب ، المجلد 2 ، الجزء 1 ، 1934.
- 268- سعيدي ، محمد: " بناء الإنسان في الفكر الصوفي الإسلامي " مجلة حوليات التراث ، العدد 1 ، جامعة مستغانم ، 2004.
- 269- شوقي الزين ، محمد: " تفكيكية ابن عربي " مجلة كتابات معاصرة عدد 36 ، المجلد 3 ، 1999.
- 270- لوحيشي ، ناصر: " الطاقات الإيحائية في النصّ الشعري الجزائري المعاصر " مجلة الدراسات الأدبية و الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 02، نوفمبر، 2004.
- 271- مولاي ، ناجم: " مفهوم الإنسان الكامل في الفكر الصوفي " مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، العدد 07 ، جانفي ، 2012.
- هيمة ، عبد الله : " مستويات تشغيل الرمز الصوفي في بناء النص الشعري المعاصر " مجلة آمال ، العدد 01 ، سبتمبر ، 2008 ، الجزائر.

- المقدمة :

- المدخل : 26-01.....
- 1- تعريف الحقيقة المحمدية: 03 -01 .....
- أ - اصطلاحا: 03-01.....
- \* في الاصطلاح القديم : 02-01 .....
- \* في الاصطلاح الحديث : 03-01.....
- 2- أصول نظرية الحقيقة المحمدية : 26 -03 .....
- 1-2 - أصول إسلامية 19-03.....
- أ - من القرآن الكريم : 09-03.....
- ب - من السنة النبوية 19-09.....
- ج - أوجه التلاقي مع الديانات الأخرى: 26 -19.....

- الفصل الأول : الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي و الصوفي و الفلسفي

- المبحث الأول : الحقيقة المحمدية في بعدها الإسلامي 50-25.....

- حقيقة المحبة المحمدية..... 29 -25.....
- حقيقته المولدية ..... 31 -29.....
- حقيقته الخلقية و الخلقية ..... 37 -31.....
- حقيقته البطولية ..... 39 -37.....
- حقيقته حقيقة الأماكن المقدسة ..... 42 -39.....
- حقيقته التوسلية ..... 44 -42.....
- حقيقة معجزاته..... 45 -44.....
- حقيقة آل بيته ..... 50 -46.....

- المبحث الثاني : الحقيقة المحمدية في بعدها الصوفي..... 68 -51.....

- الخلافة : 54-50.....
- حقيقة الإمامة : 57 -54.....
- حقيقة الولاية : 59 -57.....
- حقيقة القطب : 62 -59.....
- حقيقة المعرفة : 65 -62.....
- وحدة الأديان : 68 - 65.....



- المبحث الثالث: الحقيقة المحمدية في بعدها الفلسفي ..... 69 - 85
- نظرية الفيض : ..... 67 - 73
- نظرية الخلق: ..... 73-74
- تسلسل حقيقته في الأنبياء و الرّسل : ..... 74-75
- علة الوجود : ..... 76-78
- أسبقية الرّوح على البدن : ..... 78-82
- نظرية التقابل: ..... 82 - 85

### - الفصل الثاني: الحقيقة المحمدية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث

- المبحث الأول: حقيقة المحبة المحمدية ..... 86 - 100
- المبحث الثاني: الحقيقة المحمدية في بعدها الظاهري ..... 100 - 116

- حقيقة مولده : ..... 96 - 98
- حقيقة الصفات الخلقية والخلقية : ..... 98 - 100
- حقيقة معجزاته : ..... 100 - 103
- حقيقته البطولية : ..... 103 - 105
- حقيقة الأماكن المقدسة : ..... 105 - 108
- حقيقة آل بيته : ..... 108 - 110
- حقيقته الشيوخ: ..... 111 - 113
- حقيقة التوسلية: ..... 113 - 121

### - المبحث الثالث: الحقيقة المحمدية في بعدها الباطني ..... 117 - 125

- أ - من ناحية صلتها بالعالم : ..... 117 - 125
- الذات مع التعيين الأول : ..... 117 - 118
- علة العالم : ..... 118 - 120
- مرآة الله: ..... 120 - 121
- البرزخ الجامع : ..... 121 - 122
- عين الوجود : ..... 122
- مركز دائرة الكون : ..... 123
- مظهر الكون : ..... 123
- روح الكون : ..... 124
- نور الحق: ..... 124 - 125

- ب - من ناحية صلتها بالإنسان: ..... 129-126  
 - أول الأنبياء و الرّسل خلقا : ..... 128 - 126  
 - الرّوح الأعظم : ..... 129 - 128  
 - الواسطة بين الحقّ و الخلق : ..... 129  
 - سيّد العرب و العجم : ..... 132.

- ج - من الناحية الصوفية : ..... 146-133  
 - المشكاة : ..... 135 - 133  
 - أساس المعرفة : ..... 136  
 - قدم الخلق : ..... 138-137  
 - نور الأنبياء من نوره : ..... 140 - 138  
 - حقيقة السرّ : ..... 139  
 - مقام الجمعية : ..... 140 - 139  
 - القطبية الكبرى : ..... 141- 140  
 - اللوح المحفوظ : ..... 142  
 - الإنسان الكامل : ..... 148-142  
 - الذرة البيضاء : ..... 149.

### - الفصل الثالث : الحقيقة المحمّدية في الشعر الصوفي الجزائري المعاصر

- المبحث الأول : حقيقة المحبة المحمّدية ..... 159-150  
 - المبحث الثاني : الحقيقة المحمّدية في بعدها الظاهري ..... 173-160  
 - حقيقة مولده : ..... 161-160  
 - حقيقة الصفات الخلقية والخلقية : ..... 167-162  
 - حقيقة البطولية : ..... 168-167  
 - حقيقته التوسلية : ..... 170-169  
 - حقيقة معجزاته : ..... 171-170  
 - حقيقة الأماكن المقدسة : ..... 173-171

### - المبحث الثالث : الحقيقة المحمّدية في بعدها الباطني ..... 194 - 174

- أ - من ناحية صلتها بالعالم : ..... 180-174  
 - علة الوجود : ..... 185-174  
 - قدم الخلق : ..... 186-185  
 - الدرّة البيضاء : ..... 186  
 - نور العالم من نوره : ..... 187-186

- حقيقة الرّوح الكلية : 188.....
- البرزخ بين الظاهر و الباطن : 188 - 189.....
- أمر الله : 189.....
- مرآة الكون : 190.....

- من ناحية صلتها بالإنسان: 171 - 176.....

- السيادة - التقديس - الأفضلية : 171 - 172.....
- أول الأنبياء و الرسل خلقا : 172 - 173.....
- نور الخلق من نوره : 173 - 174.....
- واسطة بين الحق و الخلق : 175.....
- سرّ الخلق : 175 - 176.....

- من الناحية الصوفية : 187 - 196.....

- حقيقة المعرفة : 187 - 189.....
- حقيقة الختمية : 180 - 190.....
- حقيقة الرحمة : 190.....
- حقيقة قاب قوسين : 191 - 192.....
- حقيقة الإنسان الكامل : 192 - 196.....

- الفصل الرابع : الحقيقة الجمالية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث و المعاصر :

- المبحث الأول : التركيب اللغوي 196 - 189.....

أ - التركيب الأسلوبي : 185 - 190.....

- الأسلوب الخبري : 185 - 186.....
- \*الإبتدائي: 185.....
- \*الطليبي: 185.....
- \* الإنكاري : 186.....
- الأسلوب الإنشائي: 186 - 189.....
- \*الاستفهام : 186.....
- \*التعجب : 187.....
- \* القسم : 187.....
- \*الدعاء : 187.....
- \*النداء : 189.....
- \* التمني : 189.....

- ب - التركيب النحوي : 190-196
- ب-1 - الجمل الفعلية : 190-192
- \* الفعل الماضي : 190
- \* الفعل المضارع : 191
- \* فعل الأمر : 192
- ب-2 الجمل الإسمية : 192
- ب-3 الضمائر : 193-196
- \* الضمائر المتصلة : 193
- \* الضمائر المنفصلة : 194
- \* ثنائية الضمير : 195-196
- ج - التركيب الصرفي : 196-198
- ج-1 المفرد : 196
- ج-2 المثنى : 196
- ج-3 الجمع : 196
- \* جمع المذكر السالم : 197
- \* جمع المؤنث : 197
- \* جمع التكسير : 197
- \* جموع القلة : 197
- \* جموع الكثرة : 197
- د - صيغة التصغير : 198
- د - التركيب الإسنادي : 198-204
- د-1 التقديم و التأخير : 198
- \* التقديم في الجملة الإسمية : 199
- \* التأخير في الجملة الفعلية : 200
- د-2 الحذف : 201
- \* حذف المحركات : 201
- \* حذف الواصلات : 203
- د-3 الإعراض : 204
- 2- المبحث الثاني : الرمز الشعري 205-213
- أ- رمز المرأة : 205-207
- ب- رمز الطبيعة : 207-208
- ج- رمز النور : 208-209
- د- رمز الخمر : 209-211

هـ - رمز المعراج : 213 - 212.....

3- المبحث الرابع : الصورة الشعرية 222 - 214.....

- المجاز المرسل : 215 - 214.....

- التشبيه : 217 - 215.....

- الإستعارة : 219 - 218.....

- الكناية : 222 - 219.....

4- المبحث الثالث : الموسيقى الشعرية 234 - 223.....

- الموسيقى الداخلية : 225 - 223.....

أ - الصوت : 224 - 223.....

\* الأصوات اللينة : 223.....

\* الأصوات المائعة أو المعتدلة : 223.....

\* الأصوات المهموسة : 224.....

\* الأصوات المجهورة : 224.....

ب - الظواهر الصوتية : 226 - 225.....

- الموسيقى الخارجية : 234 - 226.....

أ - الأوزان : 226.....

\* البحر الطويل : 226.....

\* البحر البسيط : 227.....

\* البحر الكامل : 227.....

ب - القافية : 228.....

\* القافية العمودية : 232 - 228.....

\* قافية شعر التفعيلة : 234 - 232.....

- المبحث الخامس : التناسل الشعري 235.....

- التناسل الديني : 238 - 235.....

\* مع القرآن الكريم : 237 - 235.....

\* مع الحديث : 238 - 237.....

- التناسل الشعري : 248 - 238.....

\* مع الشعر القديم : 252 - 248.....

\* مع الشعر الحديث : 258 - 252.....

- خاتمة : 259.....

## - الملخص:

مثلت الحقيقة المحمدية في الشعر الصوفي الجزائري الحديث و المعاصر حقائق الواقع الجزائري ، فقد وجد الشعراء في حقيقته ما يثري عقيدتهم و ينمي عزيمتهم و يقوي شعورهم بالانتماء إلى هذا النبي الأمي ، و دافع هذا الحب المحمدي هو الشوق إلى لقاءه و رؤيته فمنهم من يكر عشقا و منهم من مات هياما في فيوضات نوره ، فأضحت ذاته متجلية في كل مظاهر الوجود و من هنا رأوا في حقيقته مفهومين : مفهوم باطني في كونه حقيقة ميتافيزيقية تسعى إلى الغوص في أعماق الوجود ، و الآخر ظاهري تتمثل في محاكاة الواقع و معالجته .

- الكلمات المفتاحية: الحقيقة المحمدية - الشعر الصوفي - الحديث - المعاصر

## -Résumé:

La réalité mouhammadite dans la poésie soufie moderne et contemporaine reflète la vraie réalité algérienne. Chacun s'exprima suivant ses capacités cognitives et sa culture soufie, ils y trouvèrent ce qui enrichit leur croyances et développe leur volonté et renforcer leur sentiment d'appartenir à ce messager analphabète . Cet amour fut alimenté et par la volonté de la rencontrer, entre celui évanouit par son adoration et l'autre mort par son amour .Sa personne a revêtu l'intégralité des aspects de l'existence et de là ,ils en ont extrait les notions: la première " occulte " telle une réalité métaphysique qui tente à exercer la réalité dans la profondeur de l'existence et la deuxième " apparente " qui consiste en le côtoiement de la réalité et son traitement .....

Mots- clés : réalité- mouhammadite- poésie soufie- moderne- contemporain

The mohammadien reality in modern and contemporary soufi poetry reflects the Algerian reality. Every one spoke according to his cognitive abilities and sufi culture, they found what enriches their beliefs and develops their will and strengthen their sense of belonging to this illiterate messenger . This love was fueled by the desire to meet him , between one who fainted in adoration and the other who died by this love . His personality has taken all the aspects of

## - ملخص :

حفلت مكتبات العالم كمّا و كيفا ، في شرق الأرض و غربها، فكتبوا عن حقيقته ﷺ ما تناهت إليهم به الأحداث و الوقائع من الحقائق مما يفوق الحصر و الحساب ، و جمعوا في دواوينهم الكثير مما ناء به كاهل التاريخ ، فقد دفعتم أشواق نوره إلى الغوص في أعماق خصائص رسالته و راحوا يستبشرون به .

و نظرية الحقيقة المحمّدية قديمة قدم التصوف نفسه وتناولها أوائل المتصوفة و متأخروهم وعبروا عنها في كتاباتهم وأدبياتهم ولم يقصروا جهدا في ذلك بل كانت من بين الأسس التي انبنت عليها نظرياتهم الفلسفية.

- في الاصطلاح القديم : و أول من قال بالحقيقة المحمّدية هو سهل التستري الذي وضع أول تصور متكامل لتقدم خلق نور محمّد ﷺ في الفكر الصوفي " و أرسى دعائمها الحلاج .

و محيي الدين ابن عربي يربطها بفلسفة وحدة الوجود ، و لا غرو في ذلك ، فإذا كان يرى الوجود كله حق فلا بد أن تكون الحقيقة تعني الوصول إلى هذه الوحدة . و من هذا المنطلق أقام الصوفية نظرية الحقيقة المحمّدية ليبنوا عليها مبدأهم في وحدة الوجود

كما نجد عبد الكريم الجيلي و هو الذي استوت عنده نظرية الحقيقة المحمّدية وربطها بالإنسان الكامل فهو يرى أن سيدنا ﷺ محمّد عبد الله ورسوله المعظم ونبية المكرّم وسابقه الأقدم وصراطه الأقوم مجلى مرآة الذات ومنتهى الأسماء والصفات، وهي عند عبد الرزاق القاشاني: " أصل جميع الأسماء الإلهية المضاف إليها الربوبية و معنى كون هذه الحقيقة المحمّدية أي أن الصورة العنصرية المحمّدية صورة لمعنى و لحقيقة ذلك المعنى و تلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق "

## - في الاصطلاح الحديث:

فهي عند سعاد الحكيم: " الحدّ الجامع الفاصل بين الحق و العالم "

الحقيقة المحمّدية = الإنسان الكامل = الرسول ﷺ

و يعرفها أيمن حمدي في قاموسه " المصطلحات الصوفية " بقوله: " هي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب ، و ليس عند الله من خلقه موجود قبلها . و هي عند الأمير عبد القادر الجزائري: " أول مخلوق تعيّن في الحضرة العلمية وتفصلت منه جميع ما في العالم الكبير و الصغير ، بحيث لا يخلوا منها صورة من صور هذا العالم .

## 2- أصول نظرية الحقيقة المحمّدية:

أ- ذات أصول إسلامية : ذهب بعض المستشرقين إلى ردّ هذه النظرية إلى أصول إسلامية فالصوفية استمدوا نظرياتهم في الحقيقة المحمّدية من القرآن أولا ، و من السنة نبوية الشريفة و بعض الأحاديث القدسية ثانيا ، فمن :

أ - القرآن : و من الذين ردّوا أصول هذه النظرية إلى القرآن الكريم سهل التستري فهو يرى أنّ القرآن الكريم هو المصدر الجوهرى للمصطلح الصوفي و نواته الأولى فهو يعد أول ما ظهرت على يديه نظرية الحقيقة المحمّدية في نهاية القرن الثاني هجري ، و من فلاسفة الإسلام الذين ردّوا أصول هذه النظرية إلى القرآن الكريم حجّة الإسلام الإمام الغزالي فالرسول ﷺ عنده مخلوق نوراني بدليل القرآن الكريم .

فالغزالي يرى أنّ السراج المنير هو سراج النّبّي محمد ﷺ و نوره ، فهو الأخرى بأن يسمى بالسراج المنير لفيضان أنواره إلى غيره ، و هذه الخاصية توجد للروح القدسى النبوي إذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلائق ، و يزيد في شرحها في كتابه " هياكل النور " فيرى أنّ النّبّي ﷺ والرّسل و الأنبياء من قبله يفيض نورهم على الناس فهو قد حمل النور و به أضاءت روحه كلّ من تبعه من المخلوقات ، ففي شرحه الآية الكريمة فيقول: و هو الله تعالى ﴿ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإذا كانت هذه حقيقة النّبّي في خالص جوهرها نورا محضا فإنّ هذه الحقيقة مستورة و منطوية عن هؤلاء الذين غلظت أكنة قلوبهم و حبست نفوسهم و غلظت طباعهم و أعمتهم ماديتهم عن إدراك هذا النور و ابن عربي يرى أنّ محمد ﷺ نور من عند الله و يستشهد بقوله تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، و من الصوفية الذين ردّوا أصولها إلى القرآن عبد الكريم الجيلي حيث يقول شارحا قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ و من مشكاة النور المحمّدي استمد الأنبياء السابقين عليه فكان ﷺ أول الخلق الذي أخذ الأنبياء من حقيقته الأزلية ، و يشير النبّهاني إلى قدم النور المحمّدي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (1)

ب - من الحديث : و يستند الصوفية في تأييد فكرة أسبقية الوجود المحمّدي على وجود الكائنات على بعض الأحاديث التي لم تسلم من الشك و التجريح منها: فعن محمد بن جعفر حدّثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده و والده و الناس أجمعين. " (2)

فالصوفية ارتكزوا عليه لتبيان حبّهم لهذه الذات إلى حدّ الفناء ، من ذلك ما نجده عند التستري فهو لم يستوحى في الحقيقة المحمّدية إلاّ الحبّ الفياض للرسول ﷺ لقوله عليه ﷺ: " المرء مع من أحبّ. " (3)

و حديث ما رواه جابر بن عبد الله أنه قال: " قلت يا رسول الله بأبي أنت و أمي أخبرني عن أول شيء خلق الله قبل الأشياء ، قال : يا جابر إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره

1 - سورة الكوثر: الآية 10  
2 - أبو الحجاج مسلم بن الحجاج بن مسلم : " جامع الصحيح " كتاب الإيمان - باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الأهل و الولد ، رقم 1 ، ج 1 ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1955 ، ص 67  
3 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: " الصحيح " تحقيق: محب الدين الخطيب ، ج 4 ، كتاب الأدب ، باب علامة حبّ الله عز و جلّ ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط 1 ، 1400 هـ ، ص 123



فجعل ذلك النور يدور بالقوة ، حيث شاء الله ، و لم يكن في ذلك لوح و لا قلم و لا جنة و لا نار و لا أرض و لا قمر و لا جنّي و لا إنسيّ ... " (4) فهذا الحديث يرى أن حقيقته ﷺ هي أول شيء خلق الله. فقد استشهد الصوفية على هذا الحديث في بناء نظرية النور المحمّدي متخذة مصطلحات عدة بدءاً بالحلاج ، فقد اصطلح عليها " النور المحمّدي " فهو يعد أول من أدخل فكرة النور المحمّدي إلى التصوف ، من ذلك ما نجده في " الطواسين " فهو يرى أن محمّد ﷺ أول مخلوق عن طريق التجلي الإلهي للعالم بالقوة قبل كل شيء .

كما عبر عنها ابن سينا فقد شرحها من خلال نظرية الخلق ، و زاد حكيم الإشراق السهروردي المقتول من توضيحها من خلال نظرية العرفان الإشراقي أو الصدور ، و تطورت هذه النظرية على أيدي من جاء بعده من الصوفية في العصور التالية حاملة أسماء مختلفة خاصة في القرن السادس و السابع هجري ، لكنّ جوهر النظرية ظلّ كما وضعه الحلاج في القرن الثالث الهجري فابن سبعين . و من الصوفية المتأخرين الذين قالوا بهذه النظرية ابن عجيبة ، فحقيقته هي قبضة من نور أرادها الله أن تكون لما أراد يعرف فخلق الخلق ليعرفه بها كما ورد في الحديث القدسي.... فأحببت أن أعرف " أوجدت تنفساً كونياً ظهرت صورته في العماء التي يصطلح عليها ابن عجيبة ب " القبضة " ، أو آدم الأكبر وهذه القبضة تسمى قبضة محمّدية ، لأنّ الله تعالى لما أراد أن يتجلى ليعرف أظهر قبضة من نوره

و كذلك الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن شقيق ، عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟ - قَالَ . وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " (5) و عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل للنبي ﷺ : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه . و استند عليه ابن عربي لبناء فلسفته الوجودية ، حيث يقول : " كان نبياً و آدم بين الماء و الطين و لهذا بدئ به الأمر و ختم.... " ، و ذهب إلى هذا الرأي عبد الكريم الجيلي في حديثه عن الإنسان الكامل ، فهو يرى أنّ الإنسان الكامل هو النبي ﷺ لكنه يتقمص في شخصيات عديدة حسب المكان و الزمان . و كذلك حديث قوله ﷺ : " إنّ الله خلق آدم على صورته " (6) و هذه الصورة عند الإمام الغزالي هي نعمة إلهية على آدم عليه السلام ، فهي الصور المختصرة الجامعة لكلّ ما في العالم حتّى كأنه العالم كلّهُ . و يشرح ابن عربي مفهوم الصورة الآدمية بأنّها الصورة الأزلية للإنسان في علم الله القديم ثمّ تعين في صور مادية سمّي في واحدة منها بجماذ و في أخرى بحيوان وهكذا حتّى اندرجت اسمه كلّ مسمى و صدقت ماهيته على كلّ ماهية .

و لهذه النظرية تأثير كبير في الديانات الأخرى ، فلما تطورت الديانة الإسلامية و انتشر معتنقوها في البلاد على أثر الفتوحات الإسلامية دخل أهل الديانات الأخرى في الإسلام أفواجا فنجدها تلتقي مع التراث اليوناني مثلاً في قولهم ب " نظرية الفيض " و حديثهم عن العلة و المعلول

4 - إسماعيل العجلوني: " كشف الخفاء و مزيل الإلباس " ج 1 ، حديث رقم 826 ، تصحيح و تعليق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط 4 ، 1985 ، ص 31 و هو حديث موضوع ، مكذوب على النبي ﷺ .

5 - أحمد بن حنبل : " المسند " ج 5 ، مسند مكنز المسترشدين في الدلالة إلى حديث سيّد المرسلين " دار المناهج ، القاهرة دط ، 2008 ، ص 59 ، و قد قال أهل العلم فيه أقوالاً من أظهرها وأرجحها : فهي كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد فإنه قبل ولادته لم يكن موجوداً وهو من معاني الخلق اللغوية المعروفة ينظر : " مختار الصحاح " ص 78 ( خ ل ق : يقال خلق الأيم إذا قدره قبل القطع ، بل الأصل في معنى خلق قدر واستعمل في الإبداع ينظر الجرجاني : " التعريفات " ج 1 ، ص 324 ) و هذا حديث موضوع فلم تكن له خصوصية بأنه نبي و آدم بين الروح و الجسد . ينظر : سبل الهدى و الرشاد " ج 1 ، ص 9

6 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : " الجامع الصحيح " ج 4 ، كتاب الإستئذان ، باب بدء السلام ، ص 166 .

و الوحدة و الكثرة ، و كذلك فكرة ترتيب مراتب الوجود إلى مجموعة من الفيوضات فاضت عن الله عزّ و جل ففاض عنها العقل الأول و النفس الكلّية و المادة غير المصورة و النفوس الجزئية. و غيرها من النظريات التي أثرت في فلاسفة التصوف. بحيث رأوا أنّها مصطلحات ميتافيزيقية أدقّ من سابقتها ، وأنّ أصحابها مزجوها بالإلهيات المنحولة لأرسطو و أفلاطون و فيثاغورس ثمّ من بعده أفلاطين في نظرية الخلق " وفق معتقده الوثني المتمثل في دور العقل الأول عن الواحد ، و من ثم صدرت جميع المخلوقات عن ذلك العقل الأول أو النور و منه فاض الوجود عن أول موجود ، و قولهم ب " الإنسان الأول " الذي صدر عن الباري ، و هذا الإنسان الأول هو نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية ، فبه نفس إلهية شريفة و هو اللوغوس " العقل " و هو ضوء ساطع من ذلك الجوهر الكريم الذي يفيض كالنور من قرص الشمس و ترى الأفلاطونية المحدثة أنّ الله تعالى خلق العقول العشرة أي الأفلاك و عقولها لتدبير العالم و أوكل لها تنظيم ذلك التدبير و أنّه صدر عن نور الخالق ما يسمى بالعقل الأول الذي صدرت منه بقية أجزاء العالم السفلي و العلوي و تقابل فكرة الإنسان الكامل - عند الصوفيين - المدينة الفاضلة عند الفلاسفة المثاليين فأفلاطون الإلهي يرى أنّه من أراد أن يرى الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيرا فاضلا و أن يكون له حواس قوية لا تتحسب عند إشراق الأنوار الساطعة عليها .

و ذلك أنّ الإنسان الأول نور ساطع في جميع الحالات الإنسانية ، إلا أنّها فيه بنوع أفضل و أشرف و أقوى ، و ما يسمونه في الفلسفة اليونانية " الهيليولي " التي هي مادة الأولى للوجود يقابل عند الصوفية " الهباء " كابن عربي الذي يرى أن هذه الحقيقة وجدت في الهباء ، و كذلك قولهم بنظرية التقابل بين الإنسان الصغير و العالم الكبير، فهي تقابل نظرية التربيع في الفلسفة اليونانية و التي قال بها إخوان الصفا و كذلك فكرة الولاية في الإسلام هي مقابل الأرواح القدسية في الهيلينية ، و محمداً ﷺ يصبح العقل الموجود منذ الأزل و الرحيم المخلص القدير.

و تلقت هذه النظرية مع الشيعة في قولهم بالإمامة ، فالشيعة رفعوا أئمتهم فوق مقام الطبيعة الإنسانية ، و جعلوا لهم مكانة في العالم العلوي فأضفوا إلى الإمام صفات باطنية مرجعها هو علي بن أبي طالب عليه السلام أو الحسن بن علي الذي هو أول الأقطاب ، و كذلك فكرة القطب و الغوث عند الصوفية تضاهي نظرية الإمامة و الخلافة عند الشيعة فكلّهما يحمل معنى خليفة الرسول الله ﷺ و منزلته فنظروا إليه نظرة الإنسان الكامل الذي يحقق العدل لعلمه بتعاليم الإسلام الحقّة التي عمل بها الخليفة في الأرض الرسول ﷺ .

و أغلب الصوفية الأوائل الذين نادوا بها كنظرية مستقلة عن وحدة الوجود هم من الفرس كسلمان الفارسي الذي يعدّ أوّل من أشار إلى فكرة الخلافة و النور المحمّدي. و تلقت أيضا نظرية الحقيقة المحمّدية مع الفكر المانوي ، في تأليههم الملوك و قولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر فالصوفية قالت القول نفسه.

## - الفصل الأول : الحقيقة المحمّدية في بعدا الإسلامي و الصوفي و الفلسفي -

### - المبحث الأول : الحقيقة المحمّدية في بعدها الإسلامي

اتخذ مفهوم الحقيقة المحمّدية في بادئ الأمر بعدا إسلاميا يناسب المبادئ و القيم الإسلامية التي جاء بها ﷺ ، إذ لم تكن تعرف بهذا المصطلح في حياته ، بحيث كان يطلق عليها " الإنسان الكامل " ، فالشعراء في البداية لم يستطيعوا الاتساع في الحديث عن مفهومها في

شعرهم إلا ما نجده في قصائد المديح ، فوجدوا في حقيقته متنفسا جديدا لطاقة المديح المتأصلة فيهم . و تتجلى حقيقته ﷺ في بعدها الإسلامي فيما يلي:

- محبته : الرسول ﷺ استولت على النفوس و ملكت المشاعر ، و أكثر ما نجد الشعراء يعبرون عن هذه المحبة في القصائد الاعتذارية ، أما في العصر الإسلامي فقد اتخذت هذه المحبة منحى آخر مثلته النزعة الجهادية ضد المشركين فاتخذوه سلاحا ، و ذلك بعد أن حثّ الرسول ﷺ الشعراء على المشاركة في المعركة و عدّ الشاعر المسلم مجاهدا لقوله: " ﷺ " إنّ المؤمن ليجاهد بسيفه و لسانه " (7) فسالت قصائدهم كالغيث المنهمر سلاما على المؤمنين و نقمة على الكافرين ، و خير من عبر عن محبته في سبيل نصرته ﷺ حسان بن ثابت في داليتيه و تتجلى حقيقة محبته أيضا في مرثي الرسول ﷺ حيث وجد الشعراء في هذا الفقد الأزلي ما يعرفون منه لإشباع نزواتهم ، خاصة أولئك الذين عاصروه من آل بيته و صحابته الكرام .

أما في العصر العباسي قد ساروا في الاتجاه نفسه ، حيث نجدهم يظهرن الولاء لآل البيت و مما زاد من هذا الحبّ خلافتهم و ما ترتب عنها من سلسلة متصلة المآسي، و انتقلت هذا المحبة النبوية في العصر الأموي إلى حبّ آلّه الأطهار ، فحبهم سلب العقول و ملك الجوارح ، على أن بعض الشعراء غلبت عليهم عاطفة المحبة المحمّدية و عبروا عنها في أشعارهم تعبيرا فلسفي الطبع ، فأدت بهم إلى الفناء و الاتحاد بذات المحبوب محمّد ﷺ ، من ذلك ما نجده في قصيدة ابن عربي .

ج - حقيقة الصفات الخلقية : راح الشعراء يعبرون عن حقيقته الخلقية التي اكتملت عند خاتم الأنبياء و المرسلين كثيرا في قصائدهم ، فرأوا فيه الكامل الذي تهفوا إليه القلوب و الأفئدة. و خير من عبر عن حقيقته الجمالية ابن الفارض فجمال المصطفى ﷺ عند فاق جمال الكلّ حتى جمال سيدنا يوسف عليه السلام فتملكه الرغبة في الهروب و الانتماء و الإقامة في هواء راجيا وصاله ، و عبد الكريم الجيلي في عينيته فهو كشاعر صوفي يرى صورته في كلّ جمال خلقه الله في الكون و الطبيعة و البشر و مظاهر الكون العلوية و السفلية ، فهو معنى الحسن و مظهره و مجلى الكمال الذي خلقه الله و فرقه على جميع الخلائق.

و ظلّ الشعراء متمسكين بشجرة المحبة المحمّدية إلى حدّ الساعة ، محبة لذاته الشريفة و شوقا للقياه و عرفاناً منهم لما فاض عليهم من نور هدى طلعت الميمونة ، و ما تنزّل عليهم بسببه من الرحمات و البركات ، و اعترافا و امتنانا لما عاشوه و يعيشونه من معاني السكينة و الاطمئنان و الإيمان و التّطلع لمقامات القرب من الله تعالى و السّعادة الأخوية الإنسانية و سيظلّ إلى يرث الله الأرض و من عليها لأنّه الأصل في وجود المحبة و لأجلها خلقنا الله.

ب - حقيقة مولده : كانت لهذه البشارة العظمى للحبيب الأسنى صدى في الشعر افتخارا لانتمائه القبلي إليهم فنظّموا قصائد تبشيرية على اختلاف عقائدهم ، و أكثر ما نجدهم يعبرون عن حقيقته المولدية شعراء العصر المملوكي ، خاصة في العهد الزياني ، ففي المغرب مثلا بدأ الحديث عن حقيقته المولدية في القرن السابع و الثامن هجريين حيث شجع المرينيّين و السعديّين على إنتاج المولديات.

7 - ناصر الدين الألباني: "سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة " ج4 ، ص 172

و كثرت المولديات في الأندلس خاصة في العصر الموحد في فترة حكم الغني بالله  
فقد كان هذا اليوم يملأهم بالفيض النوراني المتدفق جمالا و جلال محملا بذكرات الماضي  
بأريج طيب.

ج - حقيقة الصفات الخلقية : راح الشعراء يعبرون عن حقيقته الخلقية التي اكتملت عند  
خاتم الأنبياء و المرسلين كثيرا في قصائدهم ، فرأوا فيه الكامل الذي تهفوا إليه القلوب و الأفئدة.  
" و لما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس ، معظما في القلوب ، لم يبعث الله نبيا إلا جميل  
الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت. "

و حقيقته بهذا المفهوم هي المثل المضروب لأفضل الفضائل المقدسة في سجل الإنسانية التي  
بلغ بها ذروة الكمال الإنساني في سائر أخلاقه و خصاله و في جميع جوانب حياته ، فلا مقام فوقه  
لأنه أحسنهم خلقا و أكرمهم حسبا ، و أحسنهم جوارا و أعظمهم حلما و أصدقهم حديثا و أعظمهم  
أمانة ، و جمع فيه الله من الأمور الصالحة فاستحق المختار المجتبي أن يكون حبيب الرحمان  
فضلا من المنان و رحمته ، و يكون الإنسان الكامل الذي بعثه الله بأسمى و آخر رسالة سماوية  
لهداية الإنسان و خير البشرية جمعاء ، و هذه الكمالات تمهيدا للقول بنظرية الإنسان الكامل التي  
اتكأ عليها الصوفية لبناء نظرياتهم في الحقيقة المحمدية.

هـ - حقيقته البطولية : بعد أن كان الشعراء مشجعين للعصبية القبلية أصبحوا  
مجاهدين في سبيل نصره الدين الجديد مدافعين عن النبي ﷺ ، و المسلمين و مرافقيه في غزواته  
و حروبه ، و ذلك بتأييد من الرسول ، و بهذا التحفيز النبوي راح الشعراء يؤيدون دعوته و  
ينشرون رسالته المحمدية و يبثون على شمائله الحميدة ، متخذين من شعرهم أداة لنصرة الإسلام  
و خير من عبر عن بطولته حسان بن ثابت و البوصيري في برده ، حيث نجده يرسم لنا بسالة  
الرسول و شجاعته فقد أطل الوقوف على ملامحه ، و غايتهم من تصوير بطولاته في الغزوات  
و الحروب لدفع الشعوب العربية للجهاد و الوحدة للغزو الصليبي . أما العهد العثماني فقد كان أكثر  
الشعراء من التركيز على حقيقته البطولية ، و ذلك نظرا للحالة التي كانت تعيشها الجزائر و هي  
الاحتلال الإسباني الذي أعقبه الاحتلال التركي مباشرة مما أدى إلى عدم استقرارها . أما في الشعر  
الحديث فقد حظي الجانب البطولي في شخصيته باهتمام كبير، و سر هذا الاهتمام واقع الأمة  
العربية ، فكانت حقيقته البطولية هي الأقرب إلى واقع العصر الذي شهد صراعا سياسيا  
و عسكريا على الأرض الإسلامية و العالم العربي ، و هو ما عبر عنها في " الإلياذة الإسلامية. "

و هكذا ظلّ الشعراء منذ حسان بن ثابت حتى أحمد محرم يتبارون في إظهار عظمتهم  
و بطولته بحثا عن عالم أكثر نقاء و صفاء ، و عن ذات أكثر طهرا رغبة منهم في إعادة الناس  
إلى الصورة الصحيحة للشخصية المحمدية لاجتياز المحن .

و - حقيقة الأماكن المقدسة : عبّروا حقيقة مرابعه لبعدهم و اغترابهم عن الحبيب ﷺ حيث  
تبدو الذات الشاعرة مفارقة لذاتها مستسلمة لذلك الواقع تائهة في عالم الغربة و غواشي البدن  
فتوقها إلى الرحلة نحو الذات المحمدية رفضا منها للواقع المعيش ، و سفرها نحو البقاع المقدسة  
ليس سوى معادلا موضوعيا لرحلة الذات المغتربة محاولة منها أن تستعويض غيابها بحضورها  
الروحي بواسطة الشخصية المحمدية .

ل - حقيقته التوسلية : ملئت قصائد الشعراء بالاستجارة بالرسول ﷺ ، و التوسل به منذ القدم ، و نظرا لظروف الأمة العربية المتردية و ما نتج عنها من خيبات أمل متكررة أدت إلى الشعور بالإحباط فلم يجد الشعراء متنفسا من هذا الواقع إلا في اللجوء إلى تيار التوسل فقد سال حبر الشعراء مستنجدين به بما سيلحق البلاد من فتن و حروب بين الأمويين و العلويين فقد كانا عصر سفك الدماء و انتهاك الحرمات مما أدى بالشعراء إلى نظم قصائد تشكوا الوضع الذي إليه آله بيته صلوات الله عليهم ، و هو ما نجده في الشريف الرضي في قصيدته " كربلاء كربا و بلا " و أكثر ما نجدها في المغرب في فترة الفتن و الثورات التي ما كانت تهدأ إحداها حتى تهب الأخرى خاصة في غزو البربر الأراضى الأندلسية و تساقط مدنها و هزائم الحكام ابتداءً من القرن الخامس و السادس هجريين ، و من شعراء هذه الفترة الذين استنجدوا بحقيقته مالك بن المرحل السبتي في قصيدته " العتقاء " ، و قصيدة " البردة " للبوصيري فقد حظيت باهتمام كبير على مستوى الصفاة لدرجة أنها أصبحت مصدر بركة إلى حدّ الاستشفاء. و أكثر ما نجدهم يتوسلون به في العهد العثماني خاصة فترة الغزو الصليبي لما تكثفت الحملات الصليبية على الشواطئ المغربية منذ سقوط غرناطة سنة حيث أخذت الدول الغربية و في مقدمتها اسبانيا تشن حملاتها على سواحل الجزائر ، و بعض مدنها كوهران ، فكانت حقيقته وسيلة للنجاة.

م - حقيقة معجزاته : عبّر الشعراء عن حقيقة معجزاته خير تعبير ، و من أكثر المعجزات ذكر معجزة الإسراء و المعراج ، باعتبارها المعجزة الوحيدة التي ارتكز عليه الصوفية فيما بعد لبناء نظريتهم ، فالرسول ﷺ بهذا الارتقاء أعطى للصوفية حقّ الارتقاء الروحي.

ن - حقيقة آل بيته : باتت حتمية تقديم الولاء و الطاعة لهذه الدوحة النبوية و تعداد محاسنهم و مناقب بني هاشم أمرا مقضيا ، لأنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ عن طريق ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، و لأنهم صفاة عباد الله و لما لهم من مكانة عند المولى و تظهر صور المحبة لهذه العترة النبوية بشكل ملفت للنظر في العصر الأموي و ذلك لما اشتدّ عود الحركات الانفصالية ، حيث اشتد معها الحرص على محبة الأشراف من آل البيت و التبرك بهم ، و هذه المبالغة في الثناء على آل البيت جاءت كرد فعل للإسراف في ذم و قتل آل البيت ، لذا جاء حديثهم عن هذه الفكرة أشبه بالكائنات مشيدين بأرومة آل البيت و أخلاقهم . و زادت حدة العداء لهذه الدوحة المباركة في العصر العباسي أكثر مما كانوا عليه من قبل و زاد معها الولاء و الطاعة لآل البيت ، فهذه السلسلة المتصلة المآسي أدت إلى تشتت آل البيت فبات لزاما على شعراء العصر اتخاذ سلاح الكلمة الذي هو أبقي أثرا و أشد تنكيلا ، من ذلك ما عبر عنه دعبل الخزاعي في تائيته الكبرى المشهورة بحقيقته في بعدها الإسلامي جاءت لتضيء جوانب هامة من السياسة السمحة المتفهمة التي أتبعها الرسول في نشر دعوته بين العرب و تأكيدا على المكانة السامية التي حظي بها لكنّ دون الوقوف عليها كثيرا ، و هذه الحقيقة تستمد الأجيال في أعصرها المختلفة من هديه نورا يضيء لها آفاق الحياة من تحمل أمانة الله في إدراك الحقائق الكونية بعد ظلمة متراكمة و زبغ متواصل و ضلال ليس فوقه ضلال ، حتى تبدلت الأرض غير الأرض و القلوب غير القلوب و عاد الإنسان إلى أصله و مبتدأ ، أمره يتطلع إلى حسن خاتمته.

2- المبحث الثاني : الحقيقة المحمدية في بعدها الصوفي:

تغيرت فكرة المسلمين عن شخصية الرسول ﷺ تغيراً يتفق و مقتضيات الشعور الديني و تطوره بحيث نقلوا مفهوم الإنسان الكامل من مستواه المرتبط بالنبي ﷺ و بزمناه إلى المستوى الروحي العرفاني.

أ - الخلافة : ارتبط مفهوم الحقيقة المحمدية في بادئ الأمر بالخلافة ، فقد أخذت طابع الكمال نسبة إلى صاحبها الحبيب ﷺ ممثلاً للنبوة و الشريعة ، لذلك جعلها الصوفية موضع المسيطر الروحي. و أكثر ما نجد الحديث عن هذه الحقيقة في العهد الأموي و إثر النزاع على السلطة و ذلك بعد أن انتزع معاوية بن أبي سفيان ، و أول من اتجه في شعره لتأييد العلويين في الخلافة الشاعر الكمي ، يقول في بانيته المشهورة ، و هذا التّشريف القديم الذي قصيدة الفرزدق هو ما اصطاح عليه الصوفية بالخلافة ، واستمر الشعراء في العهد العباسي مؤكدين هذه الأحقية فبعد أن تولى العباسيون الحكم على الخلافة باعتبارهم من سلالة النبي ﷺ ، فاتخذوا ذلك ذريعة لتوطيد مركزها الديني و من الذين تعصبوا لآل بيته و السيّد الحميري.

ب - الإمامة : نظر الصوفية إلى حقيقة الإمامة نظرة الإنسان الكامل بالمفهوم الصوفي الذي يحقق العدل لعلمه بتعاليم الإسلام الحقّة التي عمل بها الخليفة في الأرض محمد ﷺ ، و زاد صوفية العصر العباسي من توضيحها ، فهي عند ابن عربي السرّ الذي أودعه الله في قلب كلّ إمام و شرحها السّهوردي في نظريته الإشراقية إذ يرى أنّ الأئمة "هم الأقطاب و الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود ، كما عبر عنها السيّد الحميري كما نجد لهذه الفكرة رواجاً عند شعراء الجزائر خاصة في العهد العثماني ، و ذلك بعد الاحتكاك بأقطاب الصوفية المعروفين.

ج - الولاية : كان أول من أدخلها إلى اصطلاحات التصوف الحكيم الترميذي " في كتابه " ختم الولاية و علل الشريعة " و ذلك في القرن الثالث هجري ، ثم تبلورت عند الحارث المحاسبي حتّى وصلت إلى أوج عظمتها عند أبي بكر الكتاني و حقيقتها عند ابن عربي هي حقيقة الختمية التي لا تنبغي إلاّ لرجل واحد في كلّ زمان ، و هذا الاعتقاد يماثل اعتقاد البرعي فهو كغيره من أهل التّصوّف يرى أنّ الأولياء الصالحين يجالسون النبي ﷺ بعد موته و يتلقّون عنه الأوامر و التّواهي والأوراد ، أما في العهد العثماني فقد أصبحت فكرة الاعتقاد في الشيوخ و الأولياء و تقديسهم و التبرك بهم و تعظيمهم سلوكاً اجتماعياً تؤمن به جميع الشرائح على تفاوتها الطبقي و القطبية عند ابن عربي يراها في محمد ﷺ من حيث الظاهر و الباطن و غيره من البشر لمن حازوا هذا المقام و صح تسميتهم بالإنسان الكامل.

د - القطب : يرجع الصوفية مفهوم القطبية إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ أو الحسين بن عليّ ﷺ الذي هو أول الأقطاب ، و يرى بعض الباحثين أنه أول من تكلم عن مقامات الأولياء ذي النون المصري ، وهي عند ابن قضيبة البان " قطب الشان الإلهي و غوث الآن الزماني و النائب الرحماني " و النيابة و الخلافة .

هـ - المعرفة : فحقيقته المعرفية هي مصدر العلم الباطن و منبعه ، فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ و جميع الأولياء ما منهم أحد إلاّ و يأخذ المعرفة من مشكاة خاتم النبيين ، و من الشعراء الذين عبروا عن حقيقته العرفانية محيي الدين ابن عربي ، فهو يرى أنّها الأكمل علماً

و الأعم شأنا ، و ازدهرت هذه النظرية وحققت وجوداً متميزاً في بيئة المتصوفة خاصة في العصر المملوكي و ذلك في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري ، و حقيقته ﷺ عند عبد الكريم الجيلي هي المنطلق المعرفي باعتباره علة التكوين ، و زادت هذه الحقيقة ولوعا عند أصحابها خاصة في العهد العثماني ، و ذلك راجع إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها أصحابها

د - وحدة الأديان : تجعل نظرية الحقيقة المحمّدية الاختلاف في الأديان في التسمية ليس إلا فهم بهذا يوحدون طرق العبادة عند بني الإسلام في روحها و حقيقتها و ذلك بالمرجوع إلى الأصل الملائكي للإنسان ، و هذا ما ذهب إليه الحلاج ، و ابن عربي في نونيته و حقيقته عند الدسوقي هي التي فاضت على الوجود و عبرت عنها كلّ الملل و النحل فكلّ ملّة عبرت عنها وفق ما جاءت ديانتها.

ج - المبحث الثالث : في التصوف الفلسفي:

و نظرية الحقيقة المحمّدية تتفق إلى حدّ ما و نظريات الفلاسفة فتطورت من قولهم بالولاية و الإمامة و الخلافة و القطب إلى القول بالحقيقة المحمّدية و النور المحمّدي و أخذوا يؤيدون فكرتهم بما تيسر لهم من شتيت المدارس الفلسفية و الدينية القديمة و التأملات الميتافيزيقية.

أ - نظرية الفيض : ونظرية " الفيض " أو " الصدور " أخذت من الأفلاطونية المحدثة ، أو كما يسميها بعض الفلاسفة نظرية " بنيان الكون " و هذا النور هو الأساس الذي اعتمد عليه حكيم الإشراف يحي شهاب الدين السهروردي المقتول كان عارف بالفلسفة الأفلاطونية و المشائية و الحكمة الفارسية و مذاهب الصابئة و الفلسفة الهرمسية و الفلسفة الإسلامية في منتصف القرن السادس في بناء نظريته الإشرافية ، و غاية هذه النظرية هو الاغتراب عن هذا العالم رغبة منهم بالتطهير و الارتقاء إلى أفق أرحب و هو العالم الروحاني حيث الذات النبوية و نورانيتها المشرقة بالأنوار و من الصوفية الذين عبروا عنها شعراء الأندلس ، من ذلك ما نجده عند ابن عربي فقد طفت عليه النظرية الفيضية ممّا جعل شعره يطبع بطابع فلسفي ، فشعره في مجمله نظرات فلسفية دعا إليها و الواضح أنّهم تأثروا بنظرية الاتصال التي قال بها فلاسفة الإسلام في القرن الرابع هجري كالفارابي هي نظرية فلسفية صوفية عرفت في المغرب و الأندلس ، و نجد كذلك ابن عجيبة يعبر عنها في القرن الثالث عشر هجري ، فأول موجود عنده هو تلك القبضة النورانية التي خلق منها محمد ﷺ .

ب - نظرية الخلق : ظهرت هذه النظرية على يد ابن عربي ، فقد ردّها كثيرا في شعره فحقيقته مبدأ الخلق فمحمد ﷺ عنده " أولهم في المسطور و آخرهم في الظهور و وضحاها أحمد حيدر في كتابه " التكوين و التجلي " حيث يقول : " الله خلق الأشياء كلّها دفعة واحدة بالقوة في إبداعه الأوّل .

ج - تسلسل حقيقته في الأنبياء و الرسل : و روحانيته موجودة في كلّ نبيّ و رسول و الأنبياء جميعهم مشخصين في وجود الرسول.

د - علة الوجود : فالرسول ﷺ هو المخلوق الأوّل ومنه صدرت الموجودات جميعاً و هذا الوجود الفعلي الواقعي للعالم هو موجود في العلم الإلهي القديم

هـ - أسبقية الروح على البدن: و هذا الاعتقاد ظهر في الفلسفة اليونانية خاصة عند فيثاغورس و أفلاطون وذلك في قولهم بأسبقيته في الوجود ، فالنفوس كانت موجودة قبل وجودها في الصورة الإنسانية و منفصلة عن الجسد مالكة للفكر ، و نجد هذه الفكرة عند أقطاب الصوفية الذين دعوا بوحدة الوجود خاصة كابن عربي و الحلاج.

و - نظرية التقابل : و تتجلى حقيقته عليه السلام في صورتها الكونية في كونه عليه السلام صورة للعالم و مختصره ، فهو لكونه يمثل الكون برمته ولأنه وجد من عناصر موجودة في الكون صحت تسميته عالم صغير" و من الشعراء الصوفية الذين عبروا عنها محيي الدين ابن عربي فحقيقته عليه السلام عنده نسختان نسخة ظاهرة ، كما عبّر عنها الجيلي في كتابه " الكمالات الإلهية " و " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر" و الذي يرى فيهما أنّ حقيقته عليه السلام هي أنموذج الحقّ و المثل الأعلى ، كما نجد هذه الفكرة رواجاً في القرن العاشر خاصة عند ابن قضيبة البان ، الذي يرى أنّ محمد عليه السلام هو صورة الرحمن.

و في الأخير يمكن القول أنّ حقيقته عليه السلام كونتها عدّة ثقافات و عقائد إسلامية و مفاهيم صوفية و نظريات فلسفية ، و كلّها تفاعلت فأثمرت لنا نظرية متعددة الجوانب رغم اختلاف الأزمنة و الشخصيات التي نادى بها إلا أنّها تطابقت العبارات على اختلاف مفاهيمها.

#### - الفصل الثالث و الرابع:

- المحبة المحمّدية : و محبتهم للحبيب محمد عليه السلام شغلت قلوب الكثير و ألهمتهم فباتوا بناها ملتهبين فوصفوها بأعلى ما يوصف به موصوف و أجادوا إجادة بارعة فيها ، لكن هذا لا يعدّ غلوا و لا مبالغة في ميزان أهل القلوب متى قامت الذات الصوفية بالقلب للقلب لأنها لا تكون في عداد نفسها ما لم تتحكم فيها إرادة الحقّ ، فنقلوا لنا بصدق عن هذا الشوق أفضى بهم إلى أعماق التجربة العرفانية الباطنية .

#### - المبحث الثاني : في بعدها الظاهري

ففي الشعر الحديث ظلّت حقيقته عليه السلام بنفس القوة و التصور ، ففي بعدها الظاهري اتخذت طابعا أخلاقيا متمثلة في الكمال الذي تستمد منه الأجيال في أعصرها المختلفة فكانت حقيقته عليه السلام نورا يضيء القلوب و الأبصار و الأفئدة ، فقد بلّغ الرسالة و أدى الأمانة و أوضح السبيل و أنار الطريق و بيّن الصراط المستقيم ، فبالرغم من تلك الظروف التي أحاطت بالشعر إبان فترة الاستعمار ، خاصة و أنه عصر ساد فيه الظلم و الفساد مما جعلهم يركزون على أهداف الرسالة السامية ، فطغ شعورهم بالتصوير النوراني الصادق رابطين ذلك بظروفهم الاجتماعية و السياسية و الحضارية فهو عليه السلام الحقيقة الكبرى للإنسانية . تلك الظروف إلا أن الشعر الحديث لم يستسلم للانهازم و التراجع فجاءت قصائدهم صورة عاكسة للوضع السائد فوجدوا فيه عليه السلام الرحاب التي يمكن أن يسكنوا إليه فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة يتألمون من جروحها النازفة متخذين من حقيقته عليه السلام نبراس ينير الدرب ، و يطفى الكرب . إلا أن الشعراء لم يستسلموا للانهازم و التراجع فجاءت قصائدهم صورة عاكسة للوضع السائد ، إذ وجدوا فيه عليه السلام الرحاب التي يمكن أن يسكنوا إليه فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة يتألمون من جروحها النازفة متخذين من حقيقته عليه السلام نبراس ينير الدرب ، و يطفى الكرب . إلا أنّ بعض



الشعراء تعذر عليهم البوح بهذه الحقيقة فجاءوا بالسطحي منها كما وقفوا على الظاهر و حدود الشرع خوفا ما تعكسه هذه الباطنية من خلاف ، وهذا ما فرض وجوده في التيار الإصلاحى باسم الوطنية خاصة في الفترة الاستعمارية كالشاعر بلقاسم بن منيع و محمد العيد آل خليفة . أما بعد الاستقلال فقد زكته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انسياقا وراء الخطاب السياسى التى فتحت الطريق أمام النقاد لمهاجمة أعداء التصوف و قطع الطريق على كتابه استجابة للمقياس الشرعى .

- المبحث الثالث : في بعدها الباطنى

حرص الشعراء المحدثين على تلك العلاقة القائمة بين الإنسان و أصله أى بين الإنسان الكامل و الإنسان الحيوان كما يطلق عليه معظم الصوفية باعتبارها عينه و نفسه ، ثم تبلورت إلى نظرية فلسفية ذات طابع أسطوري عند شعراء التصوف الخالص ، فكان حديثهم عن حقيقته لاكتشاف معنى الكون والوجود فصورته عالمه صورة لكل مخلوق ، لأنها تفترض في الإنسان بطولاً و قدرةً على التغيير الجذري الشامل وكان الدافع إلى ابتكارها هو الارتقاء إلى مرتبة خلافة الإنسان الله في الأرض فحقيقته عالمه رحلة لا تنتهي مادام سرها الكون المكتنز بالخفايا الذي لا تتوقف أسرارها و ألغازه ، فهو السرّ في الكون و لغز الدنيا منذ خلق إلى يوم البعث

- أما في بعدها الباطنى في الشعر المعاصر فلا تكاد تكون همسات نرفها القلم تعبيراً عن ثورة مكبوتة ضد الاستبداد و الطغيان ، و تعاسة الواقع و بؤس الحياة و حزن مكتوم حلقت به الآمال في لحظة الشوق تعويضاً لما افتقده من راحة و سكينه في الواقع المعيش فانطلقوا منها كفكرة للخلاص من العالم المادى إلى عالم الأبدية و اقتداء به للخروج من ويلات العصر دون البوح بالسرّ المصون ، حيث المنبع الصافى و الروح الأصلية و الذات الحقّة باعتبارها رمزا للكمال البشرى و الإتحاد بالمطلق لتنتقلهم من واقع الهزيمة إلى واقع أكثر إشراقاً و نصارة.

- الفصل الرابع: الحقيقة الجمالية في الشعر الجزائرى الحديث و لمعاصر

تمثل مفهوم الجمال في شعر المتصوفة من خلال ما أبدعوه من روائع ملئوها بمصطلحاتهم مستصحبين ما يزخر به الخطاب الصوفى من عناصر جمالية ، و تجربة روحية سامية مسرحها الأرض الخفية بعوالم غير منظورة و الإحساس الباطن.

1 - المبحث الأول : التركيب اللغوى

يعتبر المستوى التركيبى من القضايا المهمة التى تبرز جماليات التركيب الخاصة بكلّ شاعر حيث يشمل العديد من المكونات الأساسية التى يركز عليها الشاعر فى إبداع الجملة الشعرية التى تعبر عن فكرته.

أ- التركيب الأسلوبى: تميّز الأداء الصوفى بأسلوبه المغاير لأسلوب الشعر العادى و ذلك لخدمة الوحدة الفكرية التى تمس الجانب الفلسفى و تعددية الذوقية ، و الفنية لتكون أبلغ تعبير عن وحدانية الذات المحمّدية و كمالها ، فقد زواج بين الخبرى و الإنشائى.

ب - التركيب النحوي: تنوعت تراكيب الشعر الصوفي الجزائري الحديث و المعاصر فهي ما بين فعلية واسمية ، فقد وظف الشعراء الأزمنة حسب حالة الشاعر التي يريدها أن تكون ، و ذلك راجع إلى طبيعة القصيدة الشعرية ، و إلى نفسية الشاعر و تبعاً للعصر الذي نظمت فيه كما تعددت الضمائر في قصائد الشعراء في حديثهم عن حقيقته عالمه فهي بين متصلة و منفصلة.

ج - التركيب الصرفي: مزج الشعراء بين التراكيب الصرفية فهي ما بين مفردة و مثنى و جمع وأكثر ما نجد صيغة المفرد في القصائد التي تحدثت عن حقيقته في القدم ، وكذلك في القصائد التي تحدثت عن صفاته الخلقية و الخلقية ، و أكثر ما نجد صيغة المثنى في القصائد المعراجية باعتبار الرحلة رحلة شخصين رحلة الذات الشاعرة و رحلة الذات المحمدية ، و كلاهما تنطلق من الواقع المؤلم إلى الواقع المشرق ، أما صيغة الجموع ظاهرة لغوية بارزة في منحى الخطاب الصوفي عند شعراء الجزائر لما لها من دور في الإفصاح عن المواقف ، فلا تكاد تخلوا قصيدة من القصائد من الجموع المتعددة الألوان.

### 3- التركيب الإسنادي :

3- أ - التقديم و التأخير : تعتبر تراكيب الشعر أكثر حيوية في تأليف كلماتها من حيث التقديم و التأخير ، و ذلك ناشئ عن قصد التوفيق بين وزن الشعر و حركات العبارة فتبدو الجمل في نظام غير طبيعي ، و من أوجه التقديم تقديم الخبر ، تقديم الجار و المجرور ، تقديم الحال على الفعل

ب-3 - الحذف :. وظف الشعراء ظاهرة الحذف في كثير من الحالات ، فقد منح الحذف للتركيب الشعري حيوية و فيض دلالة ، و من أوجه حذف المحركات ، الاسم ، الفعل ، المبتدأ ، المضاف إليه ، شبه الجملة ، الفاعل ، الواصلات

### - المبحث الثاني: الرمز

أوغل الشعراء الجزائريين في العصر الحديث و المعاصر في الإلغاز و الرمز والإشارات اللامتناهية ، " كونها تتطلع دوماً إلى شحن الكلمات بلسان الرمز و الإشارة بعد إفراغها من مدلولها العرفي و من أبرز الرموز التي ارتكز عليها الشعراء ما يلي:

أ - رمز المرأة: رأوا الشعراء الجزائريين في المرأة "الصورة المثلى و جوهر الوجود ومنبع العطاء فرمزوا بتجليات عديدة لحقيقة واحدة ، وبأسماء مختلفة لمسمى واحد تلميحاً للأسرار الصوفية الشاطحة ، و حيلة فنية لوصف حبهم للحبيب عالمه.

ب - رمز الطبيعة : احتفى الشعر الصوفي الجزائري بالطبيعة أيما احتفاء ووصف مظاهرها بل تفاعل معها باحثاً عن الجوهر القابع بداخلها ، و عن روحها المستترة فهذه الروح التي تسري في الوجود ، و في عناصر الطبيعة و من رموز الطبيعة التي أكثر الشعراء من الاتكاء عليها رمز الظل ، و هناك من عبر عن حقيقته الفيضية " بالبحر" ، فهو فضلاً عن إشارته إلى الحياة و الوجود ، و هناك من رمز بها إلى " النجوم " فهناك من اتخذها رمزا للتعبير عن حبه .

ج - رمز النور: عبر عن حقيقته ﷺ بالنور بلغة رمزية على أساس نظرية الفيض أو نور الأنوار الذي يفيض عن الله فهي كالشمس بحيث يصبح ضوءها عين حجابها و يستحيل على العين أن تدركها لشدة تجليها. و هناك من اتخذها منطلقاً للتعبير عن حقيقته الخلقية فنوره هو الذي أخرجنا من ظلمة الشرك إلى نور الحق .

د - رمز الخمرة : غدت خمرة المحبة حاضرة في قلوب عشاق الحقيقة المحمدية حضوراً فانياً عن الوجود في الشعر الحديث و المعاصر ، حتى صارت من مصطلحاتهم الفنية وهذا الرمز موجوداً صراحةً أو تلميحاً في كتاباتهم لمعاناتهم.

هـ - رمز الرحلة: حفل شعرنا بالعديد من النصوص التي تتخذ الرحلة رمزا لرحلتها التي يسعى إليها العشاق إلى الحقيقة المحمدية ، فقد كان للصوفية نزوع واضح للسفر لأنه وسيلة إلى الاتصال بالذات المحبوبة و في ظل هذه الرحلة تنتعش روح المحب ، و ذلك بسلوها الطريق نحو المحب ، و من رموز الرحلة رمز الإسراء و المعراج ، فقد أسهمت قصة المعراج في تجسيد الرؤيا الصوفية و ذلك باستلهاام الرحلة و استثمار إمكاناتها الواسعة في الخلق .

و هذه الرموز و إن كان في بعضها من الغموض ما يجعلها أمام مغالقات معنوية إلا أن بعضهم أصر عليه ليتحدى الألف و يجعل رغبة المتلقي منحصرة في رغبة التحدي حتى لا يقع التجاوز.

#### - المبحث الثالث : الصورة الشعرية -

وظف الشعراء الصورة الفنية في شعرهم أحسن توظيف ، مما يشكل مرتكزات و بؤرا تعمل على إضفاء التماسك الفني على مفاصل النص ، ففي داخل الشاعر تتشكل الصورة نتيجة الصراع الذي يتم بين العالم الغيبي و العالم الحسي الواقعي ، و تتفاوت صور المبدعين الفنية بتفاوت قدراتهم على شحن صورهم العاطفية وإطلاق خيالهم من الصور الفنية المؤثرة في شعرهم من صورها :

- التشبيه: حفلت مقطوعات وقصائد الشعراء الصوفية بصور شعرية كثيرة يجدر بنا الكشف عنها ، و من الشيء الملفت للنظر وجود قوة تشابه في صور القصائد الصوفية نادرة بين المشهد الموصوف والمشاعر التي يوحى بها ، والتي جعلت من تشبيهاتهم الأجل في الأدب.

- الاستعارة: وجد الشعراء في الاستعارة أداة فنية تبرز أغراض الفكرة المطلوبة وتكشف عن الجانب الفني الذي يريد أن يتحدث عنه و يوصله إلى السامع ، فكانت الاستعارة وجهاً آخر من وجوه الاستعمالات الشعرية ، و من الملاحظ كثرة استعمال الاستعارة المكنية أكثر من التصريحية لكونها من أجمل الصور و المنطلق في ذلك هو وجه الشبه ، لأن في الاستعارة المكنية إخفاء للمشبه به و ستره و هي من قبيل الاستعارة التخيلية التي يتراءى فيها التشبيه بعد التأمل ، و فيها يحذف المشبه به ، و لا يخفى ما في الرمز و الإشارة من متعة و جمال.

د - الكناية: وظف شعراء المحدثين و المعاصرين الكناية توظيفا جيدا يلاءم تجاربهم الشخصية و من صور الكناية في الشعر الحديث.

إنّ هذه التشكيلات البلاغية المتداخلة في نسيج النّص الشعري الصوفي الحديث و المعاصر لإرضاء الأذواق المتلقية ، و التي جاءت بتشبيهاتها و استعاراتها وشمس كنياتها لتكشف لنا عن حقيقة كونية ، و كذا عن حقيقة الموقف الشعوري الذي عاناه الشاعر الصوفي لحظة الكشف الصوفي في بعض الأحيان ينساق إلى رفض التشبيهات و الاستعارات كلّما وجد نفسه تجاهها بل ينصرف أيضا عن مراعاة صحة الألفاظ ، و انسجامها و إعرابها .

#### - المبحث الرابع: الموسيقى

تمثل الموسيقى خاصية جوهرية في الشعر ، فهي جوهر الشعر و لبّه و بدونها لا يكون الشعر ، عليها من الداخل و الخارج ، فهي ليست مجرد قوانين تفرض إنّما هي تلك الرّوح التي تسري في جسد القصيدة فتعطي لونا من الانسجام و نغما متألّقا يجد لذاته سبيلا إلى نفس المتلقي

واكب الشاعر أفق التجربة الشعرية العربية بإيقاعاتها و الخارجية ، و نهض بوظيفة تعبيرية ليخدم الحالة الشعورية انضوت في ثنايا المنظومة العامة ركيزتها الرئيسية ، فتتصاعد نبرة الإيقاع في القصيدة الصوفية لتتخطى الوزن و القافية حتى تصل إلى الذات و هذا ما عبّرت عنه قصائد الوحشة التي ولدت الأحاسيس المتنامية بداخله ليجسد أبعادها لذلك يغلب عليها صراع الداخل بالخارج ، حيث نجد الشاعر يركز على نبرات الإيقاع الداخلي و الخارجي. و يتضح لنا من خلال هذا العرض لأوزان الشعر الجزائري الحديث ، أن الشعراء قد وّفّقوا في اختيارهم واستخدامهم معظم أوزان الشعر العربي المعروفة.

#### - المبحث الخامس : التناص الشعري

استأنف الشعراء بعض المسلمات الثابتة ، منها ما هو مركزي كالنص القرآني الذي تعلقت القصيدة بوجوده ،ومنها ما هو فرعي يعود إلى الآفاق العامة في الثقافة الإسلامية للشاعر كالنصوص الأولى لطبيعة القصيدة الصوفية والأداة الواسطة بين النّص و مرجعياته.

أ- النص الديني: انطلق الشعراء الجزائريين في تفسيراتهم للحقيقة المحمدية من المنبت الديني الذي يعتمد على الأجهزة الرقمية المتمثلة في القرآن والحديث النبوي ، لكونه المنهج الذي تتكى عليه جميع النظريات الصوفية. إذ يركز الصوفي على أسس مُستَمَدّة من القرآن والحديث :

أ-1- التناص مع القرآن الكريم : مثل القرآن الكريم المسار الأول عند شعرائنا الصوفية بحيث راح الشعراء يفرغون فضائل الرسول و مناقبه في قصائد خالدة مستلهمين ما جاء في الذكر الحكيم ، ومن أكثر الشعراء الجزائريين في العصر الحديث تناصا مع القرآن الكريم شعراء الطرق الصوفية.

أ - 2- من الحديث: يعد الحديث النبوي الرافد الثاني - بعد القرآن الكريم - الذي نال نصيبه من العناية و الاهتمام لدى الشعراء الجزائريين في العصر الحديث و المعاصر ، باعتباره المصدر الثاني من التشريع الإسلامي .

ب - التناص الشعري : تفاعل الشعراء مع القصائد الإسلامية ، حيث راح الشاعر ينهل من النصوص الشعرية العربية القديمة و الحديثة مع يلاءم تجربته ، و يمكن تقسيم التناص الشعري الجزائري الحديث و المعاصر إلى قسمين:

ب - 1- تناص مع الشعر القديم : هيا القدماء السبيل أمام شعراء العصر الحاضر ، في تقديم صورة لهذه الحقيقة المباركة و تمجيدها أحسن تمجيد ، فرغم ما صحت إنتاجهم من دلائل خصبة أصبغت ظروف خاصة ، إلا أنهم وجدوا في التراث الصوفي و القصائد التقليدية معادلا موضوعيا لمشاعرهم ، فهي بمثابة الأساس الذي يقيم عليه الصوفي صرح قصيدته ، فوقفوا على أطلاله وقفة تعظيم و إجلال متخذين منه ستارا لمعاني الحبّ الصوفي.

ب - 2- تناص مع الشعر الحديث : فشعراء العصر الحاضر لم يخرجوا عن المضامين التي سبقت إليها الكتابة الصوفية التي وفرت لهم إمكانات القول .

و أخيرا يمكن القول أنّ حديث الشعراء عن حقيقته صلى الله عليه وآله في العصر الحديث و المعاصر قد أعطوه حقّه من النّظم ، فقد وقفوا على الشخصية المحمّدية بما يستحق من الاحترام و التقدير ومهما قيل عن حقيقته يبق القلم قاصرا عن استجماع جوانبها ، فعلى الرغم من التصريح بها إلا أنّها تبقى قاصرة أمام المثال الحيّ للكمال الإنساني.